الأساليب الفنيـــة

فى

التحرير الصحفى

د . عبد العزيز شرف

الناشــر

دار قبـــاء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبده غريب

الأساليب الفنية
فى التحريـــر الصحفـــى

الـكتـــاب : الأساليب الفنية في التحرير الصحفي

المـــؤلـــف : د. عبد العزيز شرف

رقـم الإيداع : ١٤٤٠٨/٩٩

الترقيم الدولى : I. S. B. N.
977-303-207-8

تـاريخ النشـر: ٢٠٠٠ م

الـناشــــر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (عبده غريب)

شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٥٨ ش الحجاز – عمارة برج آمون – الدور الأول – شقة ٦

☎ ٢٤٦٢٥٦٢ – فاكس / ٢٤٧٤٠٣٨

التـــوزيـــع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)

☎ ٥٩١٧٥٣٢ / ✉ : ١٢٢ (الفجالة)

المطـــابـــع : مدينة العاشر من رمضان ٠ - المنطقة الصناعية (C1)

☎ ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

رئيس مجلس الإدارة / أحمد غريب

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

مقدمة

نشر الأهرام . من ١٠٠ سنة - ما يلى :

من ١٠٠ سنة فى الأهرام

● **اختراع جديد :**

حظينا منذ يومين بمقابلة النبيه الخواجا الياس الساعاتى المخترع الشرقى وهو قادم من بيروت ومتوجه الى باريز لعرض الثريا الفلكية التى اتم اختراعها من عهد قريب واتينا مطلاً على لمع من اخبارها وقد راى أن يتفرج على ثغرنا والعاصمة ويعرض اختراعه هذا للمشاهدة وسيتعين عما قليل محل العرض وقيمة الدخول ومحل بيع الاوراق ولقدنا بان الجميع سيتقدمون الى التفرج على اختراع جميل شهد لمخترعيه أفاضل العلماء من غربيين وشرقيين وحملوه على التوجه الى اوروبا حيث يعرض اختراعه على رجال الصناعة والعلم

[الاهرام فى ٥ يناير ١٨٨٣]

وقد تطورت الصياغة الصحفية بعد ذلك تطورا كبيرا، كما أصبحت الصحافة تخضع لمتطلبات كثيرة .

والسؤال الآن هو:

١ - ما الذى تتطلبه التغطية الصحفية وكذلك الصياغة فى الصحف الحديثة؟

٢ - إذا كان المقصود مما نشر من ١٠٠ سنة أن يكون نبأ، فكيف نعالجه بأسلوب اليوم. مع إعادة صياغته.

٣ - وإذا كان المقصود أن يكون تحقيقا صحفيا فما هو الإجراء الحديث الذى تتبعه الصحف كى تلتقط من الوقائع المذكورة ما يصح أن يكون أساسا لتحقيق صحفى، وكيف نخطط له؟

٤ - كيف نكتب مقدمة لهذا التحقيق مع مراعاة أن التحقيق محدود فى عمودين من أعمدة الصفحات اليومية.

.. هذه الأسئلة تمثل محور الحديث فى قاعة المحاضرات بالجامعة وحولها مئات التساؤلات التى يطرحها طلاب الإعلام فى منهج التحرير الصحفى؛ والإجابة عن هذه التساؤلات إنما تمثل محور هذا الكتاب عن الأساليب الفنية فى التحرير الصحفى؛ تواصلاً مع سابقه فى السبعينات والثمانينات: فن التحرير الإعلامى؛ وفن المقال

الصحفي؛ ثم التفسير الإعلامي لأدب المقالة؛ وفنون المقال بين الصحافة والأدب في التسعينات. فإلى هؤلاء الدارسين؛ الزملاء؛ يهدى المؤلف هذا الكتاب. الذي يقدم المؤلف فيه عرضا للشكل وللمضمون في أساليب التحرير الصحفي؛ في الصحف والمجلات؛ تأسيسا على أن هذا الفن إنما يقوم في جوهره على جعل الأحداث والمعلومات والثقافة بل والفلسفة والعلم في متناول جميع القراء، بطريقة واضحة سلسة درامية.

وكلمة **التحرير** كما تبين في كتابنا: **فن التحرير الإعلامي**، تختلف عن المعنى اللغوي الذي يجانس بينها وبين الكتابة، فكتابة الخبر هي إفراغه في القالب الكتابي، ونقله من باب الفكرة إلى باب التدوين على الورق وفقا لأساليب الصياغة الإعلامية. أما تحرير الخبر مثلا، فيعني مراجعته، مع احتمال إعادة كتابته ووضع العنوانات الملائمة له وإعداده للنشر أو الإذاعة في المكان الملائم له من الصحيفة أو نشرة الأخبار.

ومع ذلك، فإن عملية التحرير الإعلامي تشمل الكتابة كعنصر من عناصرها، وتمثل وجزئية من جزئيات الكلّ التحريري، لإبراز معطيات الشكل والمضمون في الكيان التحريري: كرؤيا واتصال. وهذه العملية التحريرية يتداخل فيها التفسير والتحليل والتقويم.. وهذه العوامل الثلاثة هي السبيل الذي يسلكه المحرر الإعلامي في طريقه إلى الاستكشاف وتكوين الرؤيا، التي تغدو بدورها من أهم أسباب نجاح العملية الاتصالية الأم، والتي يعتبر التحرير جزءا لا يتجزأ منها. فالتحليل مثلا يجعل الدارس للتحرير يستكشف موضوعه ليسبر أغوار المضمون الذي ينشد توصيله **To communicate** وليشيد العناصر التي تحتوي هذا المضمون في نسق اتصالي إعلامي، ثم ينتقل الدارس إلى مرحلة الكتابة ليتمرن على صياغة أفكاره، كخطوة أساسية للانتقال إلى مرحلة التحرير الإعلامي.

والعلاقة بين التحرير والكتابة إنما هي علاقة الكلّ بالجزء كما تقدم، وهي تشبه من قريب، علاقة التفكير بالكلمات، حيث الإعلام لا يتم بدون تحرير الرسالة الإعلامية المقصود نقلها وتلقيها كما أن التفكير لا يتم من غير استخدام للرموز. والتحرير كعملية تشمل التفكير والتعبير، إنما يعني بصياغة الأفكار من خلال الرموز، سواء كانت الرسالة الإعلامية مسموعة أو مطبوعة، فإنها تنقل الأفكار والمعلومات والحقائق من خلال الرموز ليتلقاها الآخرون بالأذن أو بالعين، أوبهما معا.

ويمكننا اليوم أن نتحدث عن التحرير الإعلامى فى وسائل الاتصال بالجماهير، ونرى فيه اصطلاحاً أكثر دقة من اصطلاح التحرير الصحفى التقليدى عندما نشير إلى التحرير فى وسائل الإعلام الأخرى غير الصحف والمجلات.

وكل نوع من أنواع التحرير. التعبيرى أو الإقناعى أو الإعلامى - يستخدم وسيلة ما، أى أنه يلتزم باستعمال قناة للإرسال. وفى الإعلام - كما يذهب إلى ذلك علماء الاتصال - تصبح المؤسسة بأكملها حاملة للرسالة التى يدور حولها فن التحرير الإعلامى . كالصحيفة، أو المجلة، أو محطة الإذاعة - وهى تستطيع حمل رسائلها إلى الآلاف أو الملايين من الناس فى وقت واحد تقريبا. وهى تتعرض أيضا للمشكلات التى تجابهها بوصفها مؤسسة اجتماعية، كالمراقبة، والقيود الحكومية، والدعم الاقتصادى وغيرها .

ويركز هذا الكتاب على الأساليب الفنية فى التحرير الصحفى بمعناه التقليدى؛ فيتناول تحرير الخبر؛ والحديث؛ والتحقيق؛ والمقال. ونذكر فى هذا السياق ما يذهب إليه أحد علماء التحرير الصحفى حين يشبّه هذا الفن بالكلمات المتقاطعة من حيث إثارته للمعرفة ودلالات الكتابة والصياغة والتقويم والتنقيح والإعداد للطبع، والتجميع والترتيب والتنظيم والملائمة، والإيجاز والتأليف، والتصور العام، والانتقاء والإعداد للنشر وطواعية القراءة والاستماع.

وعلى الرغم من أن الآلية الذاتية **(Automation)** توفر للصحف إدارة الأجهزة بالوسائل الميكانيكية والإلكترونية التى تحل محل حواس الملاحظة عند الإنسان وتوفر عليه العناء والجهد، وتيسّر إصدار الصحيفة على نحو أفضل من مصادر معدة من قبل، فإن تلك الوسيلة تتطلب انتقاء أفضل، ومحاكمات عقلية وتمييزا قاطعا من القائمين على التحرير. فالآلية الذاتية تزودنا فوريا باسترجاع خلفية المادة التى تفسرها. وهى بذلك تكون قد أسهمت أكبر إسهام فى تزويد مكاتب التحرير **Desks** بالمعانى المنشودة لتحقيق الوضوح والتكامل فى التقارير الإعلامية، أى أنها تجعل فن التحرير فنا راسخا متماسكا، متوقد الذهن، سريعا، وتمكن المحرر والمراجع من تحرير النصّ عل شاشة مرئية. ومن هذه العملية يتضح أن العنصر البشرى فى التحرير جزء لا يتجزأ من العملية التحريرية **The Editing Process**، بل إنه يشكل صلبها ومنطقها.

وتفسير ذلك سوبرناطيقيا، أنك عندما تبعث برسالة فأنت الذى ألفتها وحررتها قبل إيداعها الآلة. وأن الحس السليم يعتبر أنك أصل الإعلام، وأن الآلة قناة نقل وقد لا

يجرؤ هذا الحس السليم على أن بضيف، بدون ارتياب، إذا ما تركنا له وقتا كافيا للتفكير بأن "الأنا" هى المبدع المطلق للإعلام. فهو يعرف حق المعرفة أن الرسالة ليست إبداعا صرفا، حتى ولو لم يستعن المنشئ بـ "دليل" فى الإنشاء التجارى ولا بكتاب متبادل من كتب التبصير فى السلوك الجيد فى الحياة. ولكن الحس السليم يعرف أن موضوعات موحية قد أسهمت فى إنشاء الرسالة وفق طراز خاص. فال "أنا" ليست الأصل المطلق، ولكنها فى الوقت ذاته ليست مجرد عضو ناقل، ونحن ندرك بجلاء أن أمر إعداد أكثر الرسائل تواضعا ليس لمجرد إفساح المجال أمام العقل ليعمل، بل إنه إقحام "غذاء" ما فى مجال ما، "غذاء" نقدمه للآلة، ولا يمكننا أن نستمده من أى جزء من أجزاء مجال آخر.

وليس هناك من الناحية النظرية، ما يحول دون بلوغ مردود كامل مائة بالمائة، لأن استخدام الإعلام، من جهة أولى، بقراءة الرسالة، لا يشوهها، أو أنه لا يشوهها إلا تشويها متناهى الصغر، ولأن من الممكن من جهة أخرى، أن نقلص بما يشبه حركة الخط المقارب، كل ضجيج القاع وكل الطفيليات المشوشة الطارئة على الإعلام أو أن ينزلها جميعا عندما تتعرض عناصر الرسالة لخطر الانحدار إلى ما دون عتبة أمن معينة. وهذا المردود الجيد، بل هذا المردود الكامل من الناحية النظرية، هو الذى يتيح نشر إعلام معطى إلى ما لا يحده حد. إن فى وسعنا أن نضاعف، بصورة غير محدودة تقريبا، نسخ جريدة أو صورة شمسية. وفى وسعنا أيضا توسيع بنية إعلامية. ولكن عادة نسخ بنية أو توسيعها لا يعنى زيادة الإعلام ذاته. ولئن خلصت آلات الإعلام من الرضوخ لمبدأ "كارنو" ولسقف المردود الذى يحدده، فإنها لا تخلص من مبدأ حفظ الإعلام. فليس فى قدرتها أن تخلق بالمجان إعلاما، كما أن الآلات البسيطة، تعجز عن خلق عمل بالمجان.

وعلى ذلك فإن المناهج الجديدة لم تغير فى الشكل والمضمون تغييرا جوهريا، كما يشير إلى ذلك أحد كتاب "النيويورك تايمز" حين يقول: إن هذه المناهج قد تستبدل الحبر الأحمر بحبر أسود على صفحات الجريدة المتوازنة، وهى حين تعاون الناشرين على الاستعمال الأفضل لخصائص "السلعة" فإنها فى المقابل لا يمكن أن تلغى العقول البشرية، أو بتعبير أدق لا يمكن أن تجبّ الجهد البشرى للمحررين الأكْفاء(١).

(1) Nathaniel M. Gerstenzang, “The Newspaper’s Biggest Personnel Problem” “Columbia Joutrnalism Review 4:40 (Winter 1960).

إن القدرات التحريرية لهؤلاء لا يمكن أن تستبدل بالحاسبات الإلكترونية ومن هذه القدرات مثلا: القدرة على تحرير النصّ أولا، ثم القدرة على تأليف العناوين بعد ذلك. ولا تقل الثانية عن الأولى فى درجة الأهمية، إن لم تزد عليها، ذلك أن فن التحرير الإعلامى يتطلب بالضرورة الاعتماد على عنصر **"التقويم"** غير الملموس، وعلى رصيد من الثقافة كبير، واستخدام الذاكرة الإنسانية **memory** يتميز بالمبادأة وتحويل النص المراد تحريره إلى نصّ ممتع، يثير الخيال وحب الاستطلاع. وفن التحرير يقتضى من المحررين القدرة على التصرف والاختيار والتمييز والتعبير الساخر والنزوع إلى التأكد من الحقائق، وما يرتبط بهذه القدرات من صفات تميز هذا الفن الإعلامى.

وتأسيسا على هذا الفهم. فإن سكرتير التحرير المركزى بوسائل الإعلام **Daskman** يعتبر رجل الاتصال الأول **Prime Communicator**. ذلك لأنه ينوب عن القارئ مؤقتا. وهو من أجل ذلك يلتزم بما يفرضه الضمير، من جهاد ونضال مع المادة التحريرية ليخلق منها قصة واضحة المعالم، ذات مغزى ومعنى، ومبنية على أساس منهجى، وفى أسلوب مباشر أمين، واضح، دقيق. فتقويم الأخبار يرمى أساسا إلى تيسير الفهم بالنسبة للقارئ، حتى يدرك مغزاها وآثارها. ثم إن المحرر يحاول جهده ملاطفة الجمهور عن طريق العنوان المنشود. وهنا نجد تقاربا واضحا بين **المحرّر editor** **والكاتب الإبداعى Creative writer** من حيث أن كليهما إنما يريد أن يتحدث إلى الجمهور بصورة صحيحة، ويطارحه الأفكار والعواطف، فى ألفة وإيناس.

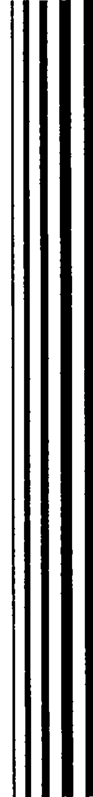
وبعد؛ فلا نزعم لأنفسنا أننا قد أحطنا فى هذا الكتاب بماهية التحرير الصحفى؛ أوبأساليبه الفنية؛ بل نأمل أن نكون قد استطعنا تقديم صورة مجملة عن الأساليب الأساسية فى التحرير الصحفى، تواصلا مع دراسات أساتذتنا وزملائنا فى هذا الفن، والذين أفدنا من عملهم؛ ورؤاهم الكثير؛ على نحو ما يتضح فى مراجع هذا الكتاب وهوامشه. ونسأل الله تعالى التوفيق؛ فجلّ من لا يخطئ تحيزاً أو قصورا فى عالم البشر.

المؤلف

عبد العزيز شرف



الفصل الأول



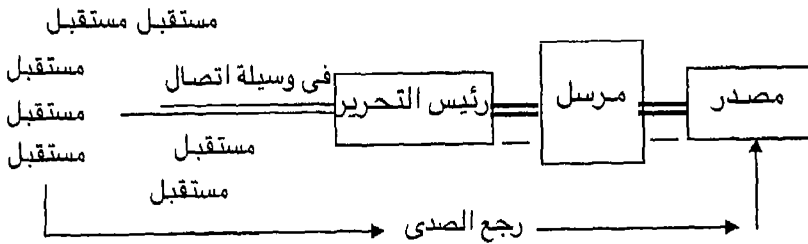
فن التحرير
و
وسائل الاتصال الصحفى

يتضح لنا موقع "التحرير الصحفى" من عملية الاتصال، حين يتولى المحرر وضع "رسالته" فى شكل معين؛ أو صيغة محددة من الرموز أو الكلمات؛ لتنشر فى صحيفة أو مجلة.

فالصحف لكى تنشر تحرص الحرص كله على تحقيق تواصل فعال مع القارئ. ويتوقف ذلك بطبيعة الحال على مدى التناغم بين المرسل، والمستقبل. فإذا كان المرسل ضعيفا فى كتابته أو غير واثق من نفسه، أو ليست لديه معلومات كافية عن موضوعه. فإن ذلك يؤثر على الاتصال. وإذا كانت الرسالة غير محررة بالطريقة الفعالة، فإنها تقف فى سبيل نجاح الاتصال[1]، وعنصر الرسالة فى عملية الإعلام هو العنصر المحورى فى دراستنا للتحرير الصحفى.

وهو عنصر غير منفصل - كما تبين مما تقدم - عن بقية العناصر الأخرى؛ ولكنه وثيق الصلة بالمرسل والمستقبل، ومعرفة الهدف، وفعالية وسيلة الاتصال الصحفى، وقدرة المستقبل على حل الرموز.

ويمكن تصوير انتقال الرسالة الصحفية من المصدر إلى الجماهير، من طريق المرسل، ووسيلة الاتصال التى يهيمن عليها المسئول كرئيس التحرير مثلا، لكى يتلقاها بعض الجماهير مباشرة، أو يتلقاها بعض القادة وحاملو المعلومات، لنقلها إلى أصدقائهم أوأتبعاهم على النحو التالى :

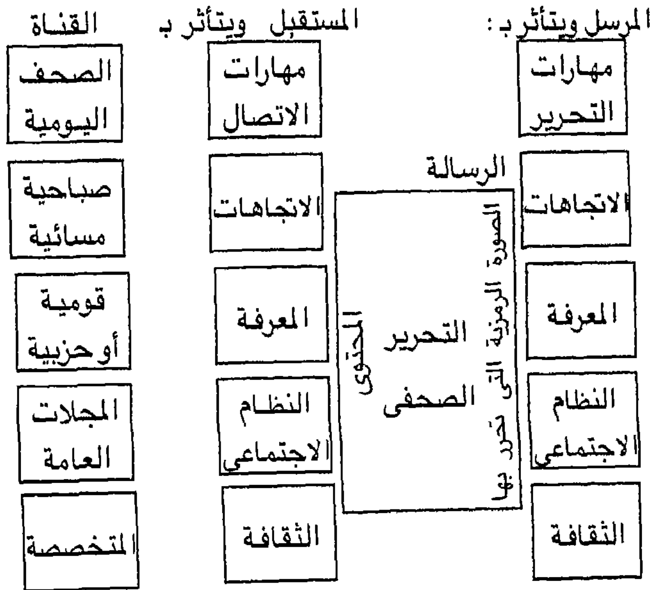


ويدل أسلوب التحرير الصحفى كما يفهم من المصطلح على المعاونة التى يقدمها المحرر لجمهوره مباشرة فى القراءة فى عملية نقل المعلومات والآراء والحقائق والوقائع.

---

(١) د. إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير ص ١٣٥ .

على أن اللغة فى نظرية التحرير، لا تنفصل عن القناة **Channel** أوالوسيلة الصحفية التى تنقل الرسالة، وهى عبارة عن وسيط، لابد من اختياره بدقة لنقل الرسالة بنجاح، وأن يقوم هذا الاختيار على أساس من تحقيق الارتباط الوثيق بين التحرير والجمهور، وضرورة التناغم والمشاركة بينهما. وهذا الجمهور هو الذى يستقبل رموز التحرير ويعمل على ترجمتها إلى آراء وأفكار، فعندما يقوم محرِّر ما فى صحيفة من الصحف، بتحرير نصّ من النصوص؛ ينطلق من تصوره لجمهور يقرأ ما يكتبه هذا المحرّر. وهذا الشخص الموجود عند الطرف الآخر من العملية التحريرية يمكن أن نستعير له من علم الاتصال. اصطلاح "المستقبل" الذى يمثل بدوره الهدف فى عملية التحرير.



وتأسيساً على هذا الفهم، فإن التحرير الصحفى يمثل صلب العملية الإعلامية الاتصالية، .. والرسالة الإعلامية هى جوهر التحرير الصحفى الذى يمكن أن نميز فيه بين جانبين: العناصر التى تتكون منها الرسالة، ثم يأتى بعد ذلك البناء أو التركيب الخاص بوضع هذه العناصر معاً لتنتج لنا رسالة معينة مطلوب توصيلها إلى جمهور القراء.

التحرير عن طريق الوسائل :

وإذا كنا قد حاولنا تعريف التحرير الصحفى عن طريق الاتصال بالجماهير، فإن المحاولة الأخرى قد تتمم هذه المحاولة.. ذلك أن وسائل الاتصال الصحفى تمثل الوجه الآخر للاتصال بالجماهير وعلى ذلك يغدو التحرير الصحفى ذا وجهين، **الوجه الأول** هو ما فرغنا من محاولة دراسته، **والوجه الآخر** هو محاولة التعرف على ماهيتة عن طريق الأجناس الإعلامية التى طرحناها فى كتابينا (المدخل إلى وسائل الإعلام) و(فن التحرير الإعلامى)[1]. إن **"التحرير هو الوسيلة"** بحيث لا تغدو **"الرسالة"** هى المضمون فحسب، وإنما تغدو **"الرسالة"** فى التحرير الإعلامى هى **"فن تطبيق الكلام المناسب للموضوع والحالة والجنس الإعلامى على حاجة القارئ أو السامع أو المشاهد.** "فالتحرير فى كل وسيلة من وسائل الإعلام إنّما ينطبع بطابع جنسها الإعلامى، الذى يوجهه إلى اختيار لغته وأسلوبه وبلاغته. فطبيعة الجنس الإعلامى هى التى تحدد طريقة وضع الفكر فى رموز تتفق وخصائص هذه الوسيلة الإعلامية أو تلك، والتى ترتبط بدورها بقدرات المتلقى وقدرات المصدر فى آن واحد. ولذلك فإن التحرير فى الجنس **genre** الصحفى يختلف عنه فى الجنس الإذاعى المسموع مثلا. وليس ثمة تعارض بين الأجناس الإعلامية فالجنس الإذاعى المسموع لم يقض على الجنس الصحفى. وقد أثبتت دراسات عديدة أن الاستماع إلى الراديو لا يتنافس بالضرورة مع قراءة المادة المطبوعة، ولكنه كان يتكامل معها.

فالتحرير عن طريق وسيلة الإعلام، يعنى أن نظريةَ التحرير العامةَ تتفرع إلى فروع تطبيقية، فى كل جنس أعلامى على حدة.. وتشير الأبحاث الإعلامية إلى أن المقدرة الاقناعية تختلف باختلاف الأجناس الإعلامية، كما تشير إلى أن لكل جنس إمكاناته وخصائصه ومميزاته.. فيذكر الباحث الأمريكى "ستوفر" مثلا، أن المطبوع يصل إلى جمهور يرتفع مستواه التعليمى عن مستوى جمهور الجنس الإذاعى المسموع "بشكل عام". وإن كان الواقع يشير إلى أن الجماهير تقسم الوقت بين الأجناس الإعلامية، للحصول على الإعلام والترفيه والتثقيف والتوجيه وفقا لإمكانات كل جنس إعلامى ورغبات كل مستقبل.. وعلى ذلك تبين أهمية التحرير التطبيقى فى كل جنس

---

(١) هيئة الكتاب ١٩٨٠ - ١٩٩٩.

على حدة، فالجنس الإعلامى المرئى فى التلفزيون والسينما يتميز عن الجنسيْن الصحفى أو الإذاعى المسموع، لأن التحرير فى الأول يتوسل إلى العين والأذن معا، الأمر الذى يزيد من قدرته على التعليم والإقناع، أوبعبارة أخرى فإن التحرير فى كل جنس إعلامى إنما يتوسل بخصائص الوسيلة ليقدم رسالة تتميز بالحيوية والواقعية، فالتحرير الصحفى مثلا، يسمح للقارئ بالسيطرة على ظروف العرض الإعلامى، وقراءة الرسالة أكثر من مرة، فضلا عن أن لديه فرصة لتطوير الموضوع فى مساحة أكبر وفقا لأهميته.. وتشير التجارب إلى أن المواد المعقدة من الأفضل تقديمها مطبوعة عن تقديمها شفهية. ومن الأفضل استخدام التحرير الصحفى فى مخاطبة الجماهير المتخصصة والجماهير صغيرة الحجم، لأنه يقتضى من القارئ جهدا أكبر من ذلك الذى يقتضيه فى الأجناس الإعلامية الأخرى.

فالقارئ لا يحس بأنه شخصياً جزء من عملية التحرير الإعلامى، كما يشعر مستمع الراديو أو المشاهد للسينما، لأنه لا يشعر بأن الحديث موجه إليه شخصيا، ولكنه فى نفسى الوقت جزء من العملية أو مشترك فيها أكثر؛ لأنه مضطر إلى المساهمة الخلاقة فى نوع من أنواع الاتصال غير الشخصى. ويفترض بعض الباحثين أن مثل هذه المساهمة الخلاقة لها مزايا اقناعية.

وتأسيسا على هذا الفهم يتسنى لنا ان نقول إن تعريف التحرير الصحفى عن طريق الوسيلة يعنى أن التحرير فى الأجناس الصحفية لا يستقل عن تكنولوجية الصحافة ذاتها، ذلك أن الكيفية التى يتم التحرير بها فى كل جنس على حدة، تؤثر وتتأثر بمضمون تلك الوسائل، وهذه الوسائل التى هى امتداد لحواسنا . كما يقول "ماكلوهان" هى فى رأينا أجناس إعلامية، لكل جنس منها فئة الإعلامى فى التحرير، ويقتضنا ذلك أن نعرف طبيعة كل جنس حتى نتمكن من السيطرة عليه واستخدامه الاستخدام الأمثل فى تطبيقات البلاغة الجديدة.

وبلاغة الاتصال الصحفى تتوسل بالكلمة المطبوعة كوسيلة فعالة للوصول إلى عقول وقلوب وعواطف الجماهير، وهى بالتالى تؤثر فى الفكر والفعل والسلوك. للصفحة المطبوعة جانب واحد ضعيف - من حيث أنها صامتة تخلو من الصوت - فإن هذا الضعف يمثل مصدر قوة لها. فهى الوحيدة من بين وسائل الإعلام التى تمكن القارئ من

تحديد سرعة القراءة وإيقاعها، وتتيح لها التمهل وإعادة القراءة والتوقف ومعاودة القراءة والتذوق. هذا ما تتميز به الصفحة المطبوعة. (وإن كان الفيديو وشريط الكاسيت الآن يتنافسان للحصول على هذه المزايا). وستظل الصفحة المطبوعة ولكثير من الناس (ربما فى الألفية الجديدة أيضاً) هى المصدر الرئيسى للمعلومات (إن لم تقض عليها بنوك المعلومات). وهناك ضعف آخر فى الصفحة المطبوعة يعتبر مصدر قوة، إذ الكلمة المطبوعة تتطلب من القارئ جهدا أكبر من أى وسيلة إعلامية أخرى(١).

أما مشكلة: جهد القراءة :

فتمثل فى نفس الوقت نقطة قوة يستند إليها فى التحرير الصحفى فى توجيه الاتصالى؛ ذلك أن الكلمة المطبوعة تتطلب من جمهورها أكثر مما تتطلبه أية وسيلة أخرى للاتصال، فهى أولا، تحتاج إلى جهد للقراءة، قد يراه الكثيرون أمرا عسيرا لأسباب تتعلق بعقبات نفسية أو عدم تدريب. وهى تحتاج من ناحية أخرى إلى خيال مستمر ومتصل، والقراء الذين لا يتمكنون من مواجهة هذه الحاجة نظرا لخبرتهم المحدودة، أو كفاءتهم غير الملائمة فإنهم ينسحبون حتما من هذا الميدان. وتعتمد قوة الشعر على هذه القدرة الأخيرة، فالشاعر والقارئ يشتركان فى مباراة واحدة، تتمثل فى رؤية: كيف أن عمق التجربة أو كثافتها، يمكن أن ينبثقا عن كلمات قليلة، وكلما أسهم القارئ بنصيب كان ذلك أفضل، ومن أجل هذا يرجح أن تظل الصفحة المطبوعة مصدرا رئيسيا لتغذية العقل المدقق(٢).

ولقد كانت الصحافة فى عهدها الأول تخدم مثل هذا العقل فقط، ولا تفيد غيره، "ولذلك لم تجد مبررا لجذب انتباه القراء أو لدفعهم للقراءة، ولكنها أصبحت الآن، وبعد أن وصلت إلى جماهير جديدة وعريضة، وسيلة اتصال جماهيرية هائلة. يضاف إلى ذلك أن لكل نوعية من نوعيات المعلومات والأخبار التى تشتمل عليها الصحف، وظيفة اجتماعية معينة"(٣) .

---

(١) د. طه محمود طه : وسائل الاتصال الحديثة؛ فى "عالم الفكر" الكويت ص ٨٠.

(2) Erik Barnouw Mass Communication: Televison Radio, Film Press Holl Rinehart and Winston, N.Y. 1956 .

(٣) د. سامية محمد جابر. المرجع السابق.

ويذهب مؤرخو وسائل الإعلام إلى أن أول اختراع آلى يستطيع به الإنسان أن يشارك أفكاره مع أفكار الآخرين على نطاق واسع، يتمثل فى آلة الطباعة التى كان اختراعها سببا فى توسيع آفاق العالم بأجمعه مرة واحدة تقريبا. لم يعد على القارئ أن يحل رموز المخطوطات اليدوية الصعبة، وبدلا من ذلك تستطيع عيناه وعقله أن تتسابق عبر الصفحة المطبوعة. ومع الطباعة جاء عصر إحياء العلوم القديمة ونهاية احتكار فئة قليلة من الصفوة للعلم، وتقنين اللغات، وازدهار الأدب الوطنى، ومع الطباعة أيضا ولدت الصحافة.

"وليس معنى هذا أن الصحافة قد ولدت يانعة بمجرد أن أقام وليم كاكستون مطبعته فى وستمنستر سنة ١٤٧٦. فمع أن الصحيفة كان لها بشائرها فى شكل نشرات ورسائل، إلا أنه قد مرّ نحو قرن ونصف قرن بين الأخبار وقد كانت هناك أسباب قوية لهذا التأخير فلم تتمكن وسائل الاتصال التقليدية من جمع الأخبار وتوزيعها، كما أن الأمية كانت فاشية بين الناس، ولم يكن فى استطاعة كل شخص أن يشترى صحيفة، كما أن الطباعة نفسها كانت أحيانا مهنة خطيرة تحوطها القيود"(١).

فقد عرفت الصحف فى أوربا بعد أن ظهرت الطباعة بفترة طويلة؛ إذ اقتصر فن "جوتنبرج" على طبع أوراق الدفاتر وكراسات الأعمال التجارية وما إلى ذلك من الأشياء التى تمت إلى الحياة العملية ولا ترتبط بالصحافة والصحف. غير أنه قد "لوحظ فى تلك الفترة أن من بين الكراسات التى طبعتها المطبعة فى صدر عمرها كراسات تحمل الأنباء للناس، والأنباء كما نعلم أهم عناصر الصحيفة. وقد سبقت إذاعة الأنباء فن الطباعة؛ فكانت تلقى فى أول الأمر مشافهة ثم مضى أصحابها ينسخونها؛ فلما عرفت الطباعة صارت تذاع بعد طبعها فى كراسات خاصة"(٢).

وقد شهد القرن السابع عشر فى فرنسا وإنجلترا وفى غيرهما من الدول الأوروبية – مولد الدوريات التى تظهر كل ستة أشهر؛ ثم كل شهر؛ ثم كل أسبوع؛ ثم كل يوم. ومضت هذه النهضة قدما وعبرت البحار إلى أمريكا الشمالية؛ بينما مضى الشرق فى

(١) ريفرز وزملاؤه : وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، ترجمة د. إبراهيم إمام، ص٢٩.

(٢) د . إبراهيم عبده: تطور الصحافة المصرية ص ١٥،

Gearges well: Le Journal . Origisnesm Evolution et Role De La Presse Periodique.

عزلته. فلم يعرف الطباعة إلا بعد أن غرقت أوربا فى الكتب المطبوعة والصحف السيارة فى المدن والمقاطعات المختلفة.

يقول د. إبراهيم عبده: "كان من الأمور الغريبة حقا ألاّ تشارك مصر دويلات أوربا فى تقدير الطباعة وتكريم الصحافة، وألاّ تمر بها الأدوار الصحفية التى مرّت بأوربا، ذلك لأن مصر أبقت على تراث فكرى كاد يندثر بسقوط الدولة العربية وتفرّق كلمتها. وقد حملت لواء النهضة، ولم يقف نشاطها فى العلوم والفنون بالرغم من غشاوات الجهل التى أعمت بعض حكامها؛ وبالرغم من نوبات الفتور التى مست الحياة الفكرية المصرية آناً بعد آن منذ عهد الفاطميين إلى أيام المماليك البحرية والبُرجية "الشراكسة" . وقد ظهر فيها كثير من العلماء والأدباء والمؤرخين كالقلقشندى وابن هشام وابن خلكان وابن تغرى بردى وغيرهم من إعلام العلم والتاريخ. وقد اتصلت مصر فى عصورها الوسطى بممالك البحر المتوسط وجنوب أوربا وجمهورياته الهامة للمتاجرة معها. وكانت مصر واسطة العقد بين الشرق والغرب وكان يرجى لها التوفيق إلى كل جديد تعرفه أوربا فى ذلك الوقت.

وإلى أوربا يرجع الفضل فى صناعة الحروف الشرقية والعربية؛ عنوا فى أول الأمر باللغة العبرية وحروفها لأنها لغة الإنجيل والتوراة، وقاموا بنشرهما فى إيطاليا؛ ثم مضوا ينشرون كتبا دينية مختلفة؛ ثم اتجهوا إلى العلم فنشروا باللغة العربية بعض الكتب. وفى مستهل القرن السابع عشر احتدمت المنافسة بين روما وباريس ولندن على طبع الكتب العبرية والعربية. وأحسّ الشرق هذه المنافسة فجلب إليه الطباعة من الغرب ليقوم هو أو يساهم على الأقل فى نشر آثاره وتعاليمه.

وقد أوحت بذلك أيضا الفكرة الدينية؛ لذلك بدأت المطبعة فى الشرق أول ما بدأت تنشر كتبا دينية باللغة العبرية؛ ثم كتبا أخرى باللغة العربية؛ وتخلصت أخيرا من هذا الاتجاه، ومضت تذيع المؤلفات والتراجم العلمية والأدبية.

وحين جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٧٩٨م عرضت بين بضاعتها مطابعها العربية واليونانية والفرنسية؛ وقد ناسب نشاط هذه المطبعة قدر الحملة؛ فلم تعمل على نشر الكتب والتعاليم الدينية؛ ولكن خدمت الغرض الدعائىّ للحملة؛ من

خلال طباعة المنشورات العربية وأوامر القائد العام. ثم أضافت إلى ذلك شيئا جديدا لم تعرفه مطابع الشرق الأدنى، وانفردت به مصر أول الأمر؛ ذلك هو إخراج الصحف؛ فعن طريق هذه المطابع عرفت مصر الصحيفة أو الدورية من خلال صحيفتىْ "كورييه دوليجبت"Courrier De L'Egypte، و"لاديكاد إيجبسين" La Décade Egyptienne. على أنه لا يجوز للمؤرخ - كما يقول د. إبراهيم عبده[1] - أن يحدد تاريخ الصحافة المصرية بإنشاء هاتين الصحيفتين؛ لأنهما صحيفتان أجنبيتان وإن ظهرتا فى مصر.. وحين ولى محمد على شئون مصر فى سنة ١٨٠٥م، وعنى بتنظيم مصر إداريا ورعاية مصالح الزراعة والصناعة؛ أنشأ لذلك ما يسمى "بديوان الجورنال" وجعل له مطبعة فى القلعة لطبع هذه النشرة. ثم بدا له ألا يكتفى بطبع نسخ قليلة من هذا الجورنال" فطبع منه مائة نسخة يوميا؛ على أن توزع على موظفى الديوان ومأمورى الأقاليم. وفطن محمد على بعد ذلك إلى أن من الحكمة أن يصل الشعب المصرى نفسه بهذه الأخبار التى تصف له أعمال الحكومة، فبادر بإنشاء ما سمى (بالوقائع المصرية). وصدر أول عدد منها فى ١٥ رجب ١٨٢٢م. ووزعت نسخ هذا العدد على العلماء والملكيين والجهاديين وطلبة المدارس فى مصر، والطلبة المصريين فى أوربا، بل وصلت من هذا العدد نسخ أخرى إلى السودان والشام وكريت وبلاد العرب .

هكذا بدأت الصحافة المصرية رسمية أول الأمر وبقيت رسمية على هذا النحو طول عهد محمد على، فعباس، فسعيد، فإسماعيل الذى بلغت الصحافة الرسمية أوجها فى حكمه. ولم يكن إلا أخيراً، وفى عهد إسماعيل، أن ظهرت الصحافة الشعبية، وننظر التاريخ إلى إسماعيل هذا على أنه المنشئ الثانى لهذه الصحافة فى مصر الحديثة.

وقد أعانت الحكومة المصرية على ظهور بعض الصحف الشعبية التى كتبتها أقلام مصرية، قبل أن تظهر فى مصر الأقلام السورية، وتبدأ نشاطها فى هذا النوع من الصحف.

فقد أوحى إسماعيل - بعد أن أسس شورى النواب سنة ١٨٦٦ - إلى رجل مصرى هو عبدالله أفندى أبو السعود ، فأنشأ صحيفة باسم **"وادى النيل"** كانت تصدر مرتين فى كل أسبوع. وكان الغرض منها الدفاع عن سمعة الخديو. وإلى جانب هذه الصحيفة

(١) د. إبراهيم عبده : المرجع السابق ص ٣٥.

كانت هناك صحيفة أخرى ليست **"كوادى النيل"**، لسان حال الخديو، ولكنها مستقلة. ونعنى بها جريدة **"نزهة الأفكار"** لصاحبها إبراهيم المويلحى وعثمان جلال. كانت جريدة سياسية أسبوعية. وهذه الصحف الشعبية المصرية على قلتها قد غيرت من القول الشائع بأن الصحف المصرية بدأت فى كنف أهل لبنان، وبجهد أبناء الشام. فهاتان الصحيفتان ومحرراهما من علمْنا - غيّرتا هذا الرأى - وأبطلتا هذا الزعم، وأوضحتا أن نشأة الصحافة الشعبية فى مصر كانت بأيد مصرية خالصة[1].

ومن أهم الصحف وأقدمها **"جريدة الأهرام"** لصاحبها سليم تقلا، وقد حصل على تصريح بها فى عام ١٨٧٥م. وكان لهذه الصحيفة ـ فوق عنايتها بنشر البرقيات الخارجية ـ مشاركة فى بعض الجهود الأدبية، إذ كانت تنشر بعض مقامات الحريرى حيناً. وبعض ما يتصل بالنحو والصرف واللغة حيناً، وبعض ما يتصل بالحكم والنوادر والأشعار والقصص والتاريخ حيناً ثالثاً، ثم بعض ما يتصل بالطب والرياضيات آخر الأمر.

وبقيت **"الأهرام"** تعمل يومئذ إلى جانب الصحف الشعبية المصرية، ومنها جريدة **"وادى النيل"** التى صدرت سنة ١٨٦٦، وجريدة **"نزهة الأفكار"** الصادرة سنة ١٨٦٩، وجريدة **"روضة الأخبار"** الصادرة سنة ١٨٧٥، و**"جريدة الوطن"** التى صدرت سنة ١٨٧٦. وكانت كل صحيفة من هذه الصحف الشعبية تعنى عناية خاصة بالأخبار الاجتماعية. وتتفق كلها على نقد السياسة الإنجليزية، وإن كان هذا النقد فى ذاته لم يتيسر لها إلا بعد جهد عسير .. وإلى جانب **"الأهرام"** كانت هناك جرائد أخرى لا يستهان بها. منها على سبيل المثال: **جريدة مصر** سنة ١٨٧٦، **وجريدة المحروسة** سنة ١٨٨١، **وجريدة العصر الجديد** سنة ١٨٨٠. ومهما يكن من أمر فقد توالت الأحداث المصرية والأحداث العالمية، واصطلحت كلها على تقوية الصحافة الشعبية، وعادت كلها بالفائدة المحققة على هذه الصحافة.

والكلمة المطبوعة من الأهمية بمكان، حتى أنه ليشك فى إمكان قيام الدولة الحديثة التى تحتوى الأمة دون وجود الطباعة. ولقرون عديدة كانت المواد المطبوعة ـ بوجه عام ـ هى التى حافظت على المثل العليا والآمال والتقاليد المشتركة، كما حافظت

---

(١) الدكتور إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ص ٦٥.

على روابط الولاء السياسى فى مناطق شاسعة، وكانت الوسائل الطباعية وحدها تنهض بالمهام التى يتوقعها المجتمع اليوم من جميع وسائل الإعلام مشتركة. ولقد قامت الوسائل الطباعية بإعلام الجمهور وتنويره، وتفسير الأحداث والقضايا، وتحدى السلطة المتقلبة، وإمتاع الشعب، وإقناع الجماهير العديدة، لكى تصل إلى اتفاق فيما بينها، كما أنها قامت إلى حد محدود بتقديم بائعى السلع والخدمات إلى المشترين.

ثم جاءت ثورة الاتصال فى القرنين التاسع عشر والعشرين لتقدم السينما والراديو والتلفزيون، فانضمت إلى الوسائل المطبوعة لنشر الأخبار والأفكار والإمتاع. وبسبب طبيعتها الإلكترونية، وكذلك بسبب تنوع طرقها فى أداء مهامها، أصبحت كلمة "**الصحافة**" اصطلاحا مهجورا لا يعبر عن كل الوسائل.

يضاف إلى ذلك أن ثورة الاتصالات قد جلبت معها أنواعا من الاتصال الإقناعى الذى قلما يدخل فى نطاق المعنى التقليدى للصحافة، ولقد أصبح الإعلان عونا هاما ملحقا بجهاز التسويق، ولا تعبر كلمة صحافة بوضوح عن الوظيفة الإقناعية. فقد نشأت العلاقات فى كنف الشركات التجارية التى اعتقدت أن إرضاء الجمهور كفيل بالمحافظة على مركزها الاحتكارى، ونمت من طفل صغير فى نهاية القرن التاسع عشر حتى أصبحت شقيقة للإعلان فى منتصف القرن العشرين. وتقوم العلاقات العامة فى صورتها المستنيرة المثلى بخلق الانسجام بين سياسات المؤسسات ومصلحة الجماهير وبعد ذلك تقوم بمدحها، وهى تستخدم فى ذلك وسائل الإعلام، كما تختار خبراءها من بين العاملين فى تلك الوسائل. وقد ازدهرت الصحف والمجلات الناطقة باسم الشركات بعد الحرب العالمية الثانية. وإن كان البعض يذهب إلى أن نشرة المؤسسة ليست صحافة بالمعنى الدقيق للكلمة(١).

ومن أهم **خصائص الاتصال الصحفى**؛ والإعلامى بوجه عام؛ أنه **ذو اتجاه واحد غالبا**. وقلما يكون هناك طريق سهل أو سريع للقارئ، أوالمشاهد، أو المستمع، لكى يرد أويسأل أسئلة، أو يتلقى إيضاحات؛ إذا هو احتاج إليها. **وثانية هذه الخصائص أن الإعلام يتضمن قسطا كبيرا من الاختيار**. فالوسيلة، مثلا، تختار الجمهور الذى ترغب فى الوصول إليه. فصحيفة "**الأهرام**" مثلا تختار جمهوراً مثقفاً وحضريا من القراء.

(١) ريفرز وزملاؤه ، السابق ص ٣٠.

و"**مجلة الشباب**" تستهدف الشباب فى مصر و أمتها العربية. أما مجلة "**الأهرام الاقتصادى**" فتتوجه إلى المعنيين بشئون المال والأعمال والاقتصاد. ومن الناحية الأخرى، فإن جماهير المستقبلين يختارون من بين الوسائل، فهم يقررون ما إذا كانوا سوف يشاهدون التلفزيون، أو يقرءون كتابا، أو صحيفة، أو مجلة وهم يختارون ما يشاءون من المضمون المتاح لهم، فقد يشاهدون برنامجا تلفزيونيا إخباريا، أو إنهم قد يحولون مفتاح الجهاز إلى قناة أخرى حيث يعرض برنامج للفوازير، كما أنهم يختارون الأوقات التى يستخدمون فيها وسائل الإعلام.

وثالثة هذه الخصائص أن الأمر يحتاج فعلا إلى عدد من وسائل الإعلام أقل مما كان مستخدما من قبل؛ وذلك لأن الوسائل تستطيع الوصول إلى جماهير ضخمة ومنشرة انتشارا عريضاً . فلكى نبعث برسالة عبر الوطن العربى عن طريق الصوت البشرى وحده، يحتاج الأمر إلى أعداد هائلة وهائلة من المتحدثين. ولكن شبكة إذاعية واحدة تستطيع أن تصل إلى الملايين من الناس فى نفس الوقت. ولهذا ما يناظره فى النظام الاقتصادى والاجتماعى بأكمله. ففى ظل النظام المعاصر للإنتاج الضخم مثلا، "يستطيع عدد أقل من المنتجين أن ينتجوا عددا كثيرا من المنتجات الموحدة [(١)]."

ورابعة هذه الخصائص أن وسائل الإعلام فى سعيها لاجتذاب أكبر عدد من الجمهور. تتوجه إلى **نقطة متوسطة افتراضية** يتجمع حولها أكبر عدد من الناس.ونادرا ما تكون هذه النقطة هى أدنى المستويات، غير أنها ترتفع تماما إلى المستوى المتوسط فى كثير من أجهزة الإعلام.

وهذه الخصائص هى التى يرتكز عليها فن التحرير الصحفى؛ فى التوجه إلى **نقطة متوسطة افتراضية يتجمع حولها أكبر عدد من القراء** وقد درج رؤساء تحرير الأخبار على توجيه المندوبين الناشئين بالكتابة إلى "**ذلك الشخص الذى يحرك شفتيه عندما يقرأ**"؛ وهو الشخص الذى يمثل أدنى مستوى بين قراء الصحف، وإذا كان هذا الشخص يستطيع فهم الأخبار الصحفية، فإن القراء الأكثر تعليما يستطيعون ذلك أيضا. ووفقا لدراسات **القدرة القرائية**، يمكن توقع أن ثلاثة أرباع الشعب - ممن تلقوا

(١) ريفرز وزملاؤه المرجع السابق ص ٣١.

تعليما متوسطا . يفهمون ما يُكتب على مستوى الصحف العادية والمجلات الشعبية. ولما كانت وسائل الإعلام تخاطب قارئا، أومستمعا - أومشاهدا افتراضيا، فإنها تفتقد روح الألفة التى تسود عند الاتصال بشخص واحد من الأشخاص. فالتقرير الذى تنشره صحيفة عن حدث ما يفتقد كثيرا من الألفة التى يتميز بها خطاب يرسله صديق إلى صديقه عن هذا الحدث.

وينبغى ألاّ تخدعنا الإحصاءات عن عادات الجمهور القرائية؛ ففى مصر وكثير من الدول العربية؛ يلجأ الأميّون إلى المتعلمين ليقرأوا لهم الصحف؛ فلا نكون مبالغين إذا قلنا إن أكثر من ٧٠٪ من سكان البلاد العربية يقرأون الصحف ويستمعون إلى تلاوتها إلى جانب الارتباط بزيادة عدد المتعلمين وارتفاع مستوى التعليم؛ إذ وجد مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية أن ٦٥ ٪ من المتعلمين تعليما ابتدائيا يقرأون الصحف. وترتفع هذه النسبة بين المتعلين تعليما ثانويا فتبلغ ٧٥٪ وتصل هذه النسبة إلى ٩٥٪ من بين المتعلمين تعليما عالياً.

ويرتكز التحرير الصحفى على دراسات **القدرة القرائية**؛ والقراءة تتطلب خيالاً مستمرا؛ ومشاركة من القارئ فى خلق أجواء النص؛ ذلك أن الاستمتاع بالقراءة . على حد تعبير د. طه محمود طه - "يتناسب تناسبا طرديا مع القدرة على الاشتراك فى خلق المعانى عن طريق التخيل. ونجد أن فعالية الشعروقوته تكمن فى هذه اللعبة الطريفة بين الشاعر والقارئ. ولهذا تعتبر الصفحة المطبوعة أفضل وسيلة للاتصال بالجمهور المنتبه، فهى لا تحاول أن تشد الانتباه أو تجتذب، فالجمهور هنا هو الذى يبحث عن الكلمة. وربما أطلق عليها أفلاطون "وسيلة الرد الرزين" فهى قلما تلجأ إلى الأسلوب الدرامى. ومنذ عام ١٨٣٠زحفت فنون أخرى إلى الصفحة المطبوعة . فنون درامية كالحوار والرسم والصور والكاريكاتير والألوان ثم الرسوم الهزلية. وهذه الفنون التصويرية توفر مجالات للتعبير عن العواطف عن طريق التقمص. وأدى استخراج النسخ الفوتوغرافية وتطور الروتوغراف فى الصحافة والأخبار المصورة بكل ما فيها من طاقات للعرض الدرامى والأبهة والعظمة، إلى البعد بالصفحة المطبوعة فى الدخول فى منافسة مع السينما، كما يتضح من أساليب القيم السينمائية كاللقطة القريبة والبعيدة والمزدوجة. ولكن هذه الفنون التصويرية ساعدت الصفحة المطبوعة فى الدخول فى منافسة مع السينما والتلفزيون.

ففى الفيلم وفى التلفزيون تتحرك الصور؛ أما فى الصورة المطبوعة فيمكن تثبيت الابتسامة الجميلة التى ترتسم على وجه طفل (وإن كانت آلات العرض السينمائى والفيديو؛ هى الأخرى تتميز الآن بوجود مفتاح لتوقيف الصورة أثناء العرض) واللحظة الحاسمة فى تسجيل هدف كروى. وهذه الصورة الثابتة يمكن دراستها وقصها والاحتفاظ بها وتعليقها ودراستها والعودة إليها فيما بعد. وعندما يتحرر القارئ والمشاهد من التقيد بزمن محدد للمشاهدة (لاحظ جهاز الفيديو الحديث الذى يمكن توقيته آليا لتسجيل برامج لعدة أيام) يمكن اتخاذ القرار الذى يناسبه[١].

تنتشر الكلمة المطبوعة عبر قنوات عديدة لكل منها جمهورها وتخصصاتها، وتحت سيطرتها المطابع والألوان ومساحات الإعلان. وبالإضافة إلى وكالات المطبوعات والنشر يجب أن نشير إلى المنشورات واللافتات وبطاقات السيارات والملصقات والروزنامات وعلب الثقاب والسجائر والملابس، فالكلمة المطبوعة لها القدرة على أن تلتصق بأى شىء حتى الهواء. طائرات الإعلان التى تكتب بحروف من دخان اسم سلعة على ساحل بحر فى شهر الصيف مثلا تسحب إعلانا يرفرف خلفها".

وإلى جانب النتائج السيكولوجية والاجتماعية فقد كان للطباعة نتيجة أخرى يراها "ماكلوهان" فى مد طابعها الانشطارى والتماثلى إلى مناطق مختلفة ومجانستها تدريجيا، مما يؤدى إلى زيادة قوتها وطاقتها وعدوانيتها، وهى الصفات الأصلية للقوميات الجديدة الناشئة. ومن الناحية السيكولوجية يمكننا القول إن الامتداد البصرى، والتضخيم، اللذين أحدثتهما الطباعة فى الإنسان قد أديا إلى نتائج عديدة. وأظهر هذه النتائج ما ذكرها م. فورستر **Forster** فى دراسة عن بعض حروف الطباعة فى عصر النهضة. فلقد قال فورستر: "إن الطباعة التى لم يكن قد مضى على اختراعها قرن من الزمن، كانت تعتبر خطأ آلة قادرة على ضمان الخلود، وقد اقبل الناس عليها فعهدوا لها بمآثرهم وأهوائهم لصالح **الأجيال القادمة**" لقد أخذ الناس يتصرفون كما لو أن المطبوع وتطبيقاته فى إمكانه ضمان الخلود بفضل سحر التكرار.

ويشترك جانب آخر هام أحدثته طرازية وتكرارية الصفحة المطبوعة، ألا وهو **زيادة التأكيد على الهجاء "الصحيح"** فلقد أسهمت فى فصل الشعر عن الغناء، وفى

(١) د. طه محمود طه : المرجع السابق ص ٨١.

فصل النثر عن البلاغة. وفى فصل اللغة العامية عن لغة المتعلمين. ففى مجال الشعر. مثلا . أصبح بالإمكان قراءة الشعر دون سماعه، والعزف على آلة موسيقية دون أن يصاحب هذا العزف قصيدة شعرية. لقد انفصلت الموسيقى عن الكلمات، ليلتقيا مرة أخرى . مع بارتوك **Bartok** وشوينبيرج **Schoenberg**.

وللصحافة أهميتها الإتصالية فى التأثير فى الجماهير، فالصحافة شأن غيرها من المطبوعات مثل الكتاب، المجلة، واللافتات تتميز بخصائص هامة تجعلها تتفوق فى بعض المجالات على غيرها من وسائل الاتصال الأخرى. ومن أهم تلك الخصائص:

- تسمح الوسائل المطبوعة بأن يتحكم القارئ، فى وقت قراءتها، وفى فرص هذه القراءة، كما تمكنه من إعادة الاطلاع على مضامينها أونصوصها وتسمح بالتأنى - إلى حد بعيد - فى هذا الاطلاع.

- وأنها تنطوى على موضوعات متشابكة تحتاج إلى تحليل علمى.

- وأنها بطبيعتها تعرض للتفاصيل الدقيقة التى تتفق مع الدراسات المسهبة.

- وأن أخبارها الصحفية تتميز بالتطويل والتحليل بعكس الأخبار الإذاعية.

- وأن الصحيفة مصدر للأمان فى عالم مزعج [1].

ويظهرنا تاريخ الصحافة فى العالم كله؛ على أن تطورها يمثل مرآة انعكس عليها تطوّر أذواق قرائها؛ وحاجاتهم؛ التى تسنى لها أن تلبيها.. وأصدق دليل على ذلك؛ هو التغيير الذى نلحظه فى صحافة اليوم؛ على شكل الصحف ومضمونها.

فالتقدم الإلكترونى؛ أتاح للصحف فى مجالات الكتابة؛ والتحرير الصحفى؛ وفنون الطباعة؛ وسائل ثورة تقنية حقيقية؛ يراها الأستاذ "بيار ألبير" أشبه بتلك التى أتيحت لها . فى نهاية القرن التاسع عشر؛ بواسطة التلغراف وآلة الطباعة واللينوتيب .

(1) A Source of Security in a disturbing world . See Berlson. B.R. "What Missing and The Newspaper Means" in Schramm, W. (edr.) The process and Effects of Mass Communication, University of llinois Urbana, 1955

د . زيدان عبد الباقي ؛ وسائل الاتصال ص ٤٤ .

أن تشبع الحاجات الجديدة لمجتمع فى طريقه للديموقراطية: هذه الوسائل الجديدة، تمكنها من تخطى أزمة، لم تؤثر فى الواقع، إلا على فئات معينة من الإصدارات"(١).

أما عن آفاق المستقبل فى الصحافة المطبوعة؛ فإنها ترتبط من جانب بإمكاناتها فى توظيف استثمارات جديدة؛ وضرورية لتحديثها. ومن جانب آخر؛ بمقدرة الصحفيين أنفسهم على تصور الصحافة الجديدة التى تشبع اهتمامات الجيل الجديد.

الأنــواع الصحفيــة :

سبق أن تحدثنا عن نظرية الأجناس الإعلامية؛ فى كتاب "المدخل إلى وسائل الإعلام"؛ ورأينا **أن الفن الصحفى يمثل الفن الإعلامى الأول**؛ الذى اشتقت منه سائر فنون الإعلام الأخرى أشكالها وفنونها وأساليبها وطرائقها. ويذهب د. إبراهيم إمام؛ إلى أن الفن الصحفى هو فن **"الإعلام الكلاسيكى"** الذى ترتكز على خبرته الطويلة المتنوعة فنون وسائل الإعلام الأخرى. فالنشرات الإخبارية والتعليقات، والندوات، والتحقيقات والصور والإعلانات والجوانب القصصية والدرامية تشترك فى الفنون الإعلامية المختلفة، ولكنها ترتكز أساسا على خبرة الفن الصحفى الطويلة والمتنوعة. فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للجنس الصحفى، فإن الأجناس الإعلامية الأخرى، ما تلبث أن تنفصل عن "الجنس الكلاسيكى" لتدع له خصائص تميزه من جهة ولتؤصل لكل منها خصائص تميزها عن الجنس الكلاسيكى من جهة أخرى، ولتمتاز من بعضها البعض من جهة ثالثة.

فهل يصبح فى مقدورنا اليوم أن نذهب إلى أن الفن الصحفى. من حيث النظر إلى وسائله. يتضمن **"أنواعا" صحفية**؛ لكل منها مقوماته التى تتيح له التميز فى إطار مفهوم **"الوحدة"** فى **"التنوع"**؟! أو **"التنوع"** فى **الوسيلة**؛ و**"الوحدة"** فى المفهوم الصحفى العام؟!.

يقول الأستاذ بيار ألبير:

"فى عالم الجرائد والصحف الدورية، يغدو تصنيف المطبوعات فى فئات معينة دائما، من الأمور التعسفية، لأن تجميع الصحف حسب موضوعاتها يقود إلى عدم الأخذ

(١) بيار ألبير: الصحافة ترجمة محمد برجاوى ، ص ٩.

بعين الاعتبار ما يؤلف حقيقة شخصيتها: طرافتها بالنسبة إلى القريبات منها. إن الفرق بين أية صحيفة وبين مزاحماتها هو أكثر ما يميزها؛ وتوزيعها فى فئات يؤدى إلى أهمال المهم.

ومظاهر التصنيف هى، بالطبيعة، عديدة جداً. فمظهر الصحف الدورية خشن وقليل التعبير. أما الميزات الأساسية (الحجم، طريقة الطباعة، الورق، السعر، صيغ العرض) فتؤدى إلى تصنيفات قليلة التبيان لطبيعة المطبوعات؛ إن التصنيف حسب فئة المضمون أو القراء هو الأكثر استعمالاً ولكنه الأقل تجرداً".

وتأسيسا على هذا الفهم؛ نحاول هنا التعرف على "الأنواع" الصحفية من حيث ارتباطها بفنون التحرير الصحفى.

وتشمل هذه الأنواع: الجرائد أو الصحف اليومية؛ الصباحية والمسائية؛ والدورية؛ والوطنية؛ والإقليمية؛ القومية؛ والحزبية؛ والصحف المتخصصة؛ والمجلات المصورة للأنباء العامة؛ والصحف والمجلات الإخبارية المتخصصة.

الجرائد أو الصحف اليومية :

والصحف اليومية؛ على حد تعبير ألبير؛ هى **"الشكل النبيل"** للصحافة وهذا التفوق يخطئ التوقعات عن الصحافة. لأنه، غالبا، ما يقود إلى إهمال عالم الصحف الدورية الذى يشكل، مع ذلك فى البلدان المتقدمة على الأقل، سوقا أهم بكثير من سوق الجرائد.

ويظهرنا الواقع، على أن الفروق بين فئتين من الصحف تخضع لصلات التنافس بينها؛ وعلينا، بلا ريب أن نجد فى هذا التنافس، أكثر مما نجد فى منافسة التلفزيون، السبب الرئيسى لأزمة بعض أنواع الصحف اليومية فى البلدان الغربية.

ذلك أن الصحف اليومية تختلف كثيراً عن الصحافة الأسبوعية والصحافة النصف شهرية أو الشهرية بتكوينها الاقتصادى والفنى، وبطرق تحريرها، كما فى نمط قراءتها. ومع ذلك، فإن تحليلاً مفصلاً لوظائف كل من الجريدة والصحيفة الدورية. والتطور الراهن لمضمونها يظهرنا على أنه لم يعد بالإمكان التمييز الدقيق بين طبيعتها. إنها تؤدى لقرائها خدمات متشابهة: إن صيغة الجريدة: **"قليل من كل شىء فى كل**

يوم" وصيغة المجلة "**قليل من كل شيء فى كل أسبوع**" متشابهتان، فى الواقع، وليست الصيغة تتمم الأخري، ولكن الصيغتين تشيران إلى التنافس بينهما".

ويذهب "بوند"؛ إلى أن الجريدة تحتل اليوم مكانة متميزة فى نشر الكلمة المطبوعة. وتكمن الأهمية الرئيسية للجريدة فى وظيفتها الأولى القائمة على تزويد القراء بالأنباء. ولقد أدرك "توماس جفرسون" منذ سنين بعيدة، أهمية عدم تقييد الأخبار بالنسبة إلى الديمقراطية، عندما أدلى ببيانه الرائع الذى قال فيه "لو ترك لى أن أقرر ما إذا كان ينبغى أن توجد لدينا حكومة بدون صحف أوصحف بدون حكومة، لما ترددت فى أن أفضل الحالة الثانية على الأولى". وقد أعاد تأكيد أهمية الصحافة من هذه الناحية فى حياة الأمم والشعوب؛ ما يحدث من تطورات على الصعيدين الوطنى؛ والعالمى. ذلك أن السياق الزمنى والمكانى لصدور الجريدة؛ يتسق مع سياق الوقائع اليومية الصغيرة؛ أوالمحلية؛ أو الوطنية والدولية. وهو سياق يقتضى نشر الأنباء يوميا؛ ومتابعة بعضها فى الغد وفقا لمقتضى الحال.

أما الأحداث الكبيرة وطنيا ودوليا؛ فإنها فى الجرائد؛ تمثل الأحداث الرئيسية وما تحتاج إليه من تفسير يتيح للقراء أن يتعرفوا على خلفية الأحداث؛ التى لا تتاح لهم من خلال الإعلام الإذاعى والتلفزيونى وهو ينفرد بإعلان الحوادث والوقائع العامة. يقول ألبير:

"وبالرغم من الضرورة المتزايدة لهذا الجهد لتفسير العالم ومشاكله، فإن بعض الجرائد تخلت، فى الواقع، عن معالجة هذه الأحداث الراهنة الكبيرة، أوأنها لا تزال تعالجها مشوّهة إياها بإضفائها على الحوادث طابعاً مأساوياً، وبالبحث عن التفاصيل المثيرة، أو بتجسيد الحوادث أو الأفكار، أو"بالتصوير" العقائدى ولكننا نشهد، على كل حال، فى كثير من الجرائد، جهدا لتجديد طرق وأسلوب عرض المشاكل المهمة: هذا النوع الجديد من الصحافة يحول الخبر التقليدى إلى "رجل مكتب"، سرد الوقائع بالنسبة له ليس قصاً فقط. كما أن التعليق هو، بالنسبة له حكم أكثر مما هو تحليل، يعطى البُنى أهمية أكثر مما يعطى للحوادث الطارئة، فيصبح الريبورتاج بحثاً يتوسل بطرق ونتائج علم الاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية بالمعنى الواسع. وبالنسبة لهذا النوع الحديث من المخبرين، يتقدم جمع الوثائق على البحث الشخصى أو الشهادات أو الوقائع.

بعين الاعتبار ما يؤلف حقيقة شخصيتها: طرافتها بالنسبة إلى القريبات منها. إن الفرق بين أية صحيفة وبين مزاحماتها هو أكثر ما يميزها؛ وتوزيعها فى فئات يؤدى إلى أهمال المهم.

ومظاهر التصنيف هى، بالطبيعة، عديدة جداً. فمظهر الصحف الدورية خشن وقليل التعبير. أما الميزات الأساسية (الحجم، طريقة الطباعة، الورق، السعر، صيغ العرض) فتؤدى إلى تصنيفات قليلة التبيان لطبيعة المطبوعات؛ إن التصنيف حسب فئة المضمون أو القراء هو الأكثر استعمالاً ولكنه الأقل تجرداً".

وتأسيسا على هذا الفهم؛ تحاول هنا التعرف على "الأنواع" الصحفية من حيث ارتباطها بفنون التحرير الصحفى.

وتشمل هذه الأنواع: الجرائد أو الصحف اليومية؛ الصباحية والمسائية؛ والدورية؛ والوطنية؛ والإقليمية؛ القومية؛ والحزبية؛ والصحف المتخصصة؛ والمجلات المصورة للأنباء العامة؛ والصحف والمجلات الإخبارية المتخصصة.

الجرائد أو الصحف اليومية :

والصحف اليومية؛ على حد تعبير ألبير؛ هى "**الشكل النبيل**" للصحافة وهذا التفوق يخطئ التوقعات عن الصحافة. لأنه، غالبا، ما يقود إلى إهمال عالم الصحف الدورية الذى يشكل، مع ذلك فى البلدان المتقدمة على الأقل، سوقا أهم بكثير من سوق الجرائد.

ويظهرنا الواقع، على أن الفروق بين فئتين من الصحف تخضع لصلات التنافس بينها؛ وعلينا، بلا ريب أن نجد فى هذا التنافس، أكثر مما نجد فى منافسة التلفزيون، السبب الرئيسى لأزمة بعض أنواع الصحف اليومية فى البلدان الغربية.

ذلك أن الصحف اليومية تختلف كثيراً عن الصحافة الأسبوعية والصحافة النصف شهرية أو الشهرية بتكوينها الاقتصادى والفنى، وبطرق تحريرها، كما فى نمط قراءتها. ومع ذلك، فإن تحليلاً مفصلاً لوظائف كل من الجريدة والصحيفة الدورية. والتطور الراهن لمضمونها يظهرنا على أنه لم يعد بالإمكان التمييز الدقيق بين طبيعتها. إنها تؤدى لقرائها خدمات متشابهة: إن صيغة الجريدة: "**قليل من كل شىء فى كل**

يوم" وصيغة المجلة **"قليل من كل شيء فى كل أسبوع"** متشابهتان، فى الواقع، وليست الصيغة تتمم الأخرى، ولكن الصيغتين تشيران إلى التنافس بينهما".

ويذهب "بوند"؛ إلى أن الجريدة تحتل اليوم مكانة متميزة فى نشر الكلمة المطبوعة. وتكمن الأهمية الرئيسية للجريدة فى وظيفتها الأولى القائمة على تزويد القراء بالأنباء. ولقد أدرك "توماس جفرسون" منذ سنين بعيدة، أهمية عدم تقييد الأخبار بالنسبة إلى الديمقراطية، عندما أدلى ببيانه الرائع الذى قال فيه "لو ترك لى أن أقرر ما إذا كان ينبغى أن توجد لدينا حكومة بدون صحف أوصحف بدون حكومة، لما ترددت فى أن أفضل الحالة الثانية على الأولى". وقد أعاد تأكيد أهمية الصحافة من هذه الناحية فى حياة الأمم والشعوب؛ ما يحدث من تطورات على الصعيدين الوطنى؛ والعالمى. ذلك أن السياق الزمنى والمكانى لصدور الجريدة؛ يتسق مع سياق الوقائع اليومية الصغيرة؛ أوالمحلية؛ أو الوطنية والدولية. وهو سياق يقتضى نشر الأنباء يوميا؛ ومتابعة بعضها فى الغد وفقا لمقتضى الحال.

أما الأحداث الكبيرة وطنيا ودوليا؛ فإنها فى الجرائد؛ تمثل الأحداث الرئيسية وما تحتاج إليه من تفسير يتيح للقراء أن يتعرفوا على خلفية الأحداث؛ التى لا تتاح لهم من خلال الإعلام الإذاعى والتلفزيونى وهو ينفرد بإعلان الحوادث والوقائع العامة. يقول ألبير:

"وبالرغم من الضرورة المتزايدة لهذا الجهد لتفسير العالم ومشاكله، فإن بعض الجرائد تخلت، فى الواقع، عن معالجة هذه الأحداث الراهنة الكبيرة، أوأنها لا تزال تعالجها مشوّهة إياها بإضفائها على الحوادث طابعاً مأساوياً، وبالبحث عن التفاصيل المثيرة، أو بتجسيد الحوادث أو الأفكار، أو"بالتصوير" العقائدى ولكننا نشهد، على كل حال، فى كثير من الجرائد، جهدا لتجديد طرق وأسلوب عرض المشاكل المهمة: هذا النوع الجديد من الصحافة يحول الخبر التقليدى إلى "رجل مكتب"، سرد الوقائع بالنسبة له ليس قصاً فقط. كما أن التعليق هو، بالنسبة له حكم أكثر مما هو تحليل، يعطى البُنى أهمية أكثر مما يعطى للحوادث الطارئة، فيصبح الريبورتاج بحثاً يتوسل بطرق ونتائج علم الاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية بالمعنى الواسع. وبالنسبة لهذا النوع الحديث من المخبرين، يتقدم جمع الوثائق على البحث الشخصى أو الشهادات أو الوقائع.

من هنا فإن المقالات اليومية تتقهقر شيئا فشيئا بالنسبة للحدث اليومى، وهى لم تمتد بظروف تحريرها ولا بطرق قراءتها إلى الجريدة: إنها تنتمى لحقل الصحف الدورية"!.

وتختلف الصحف فى نوعية الأنباء التى تنشرها؛ وطريقة إبرازها؛ ومعالجتها لها. ولكنها تحرص إلى جانب أداء وظيفتى: الإعلام والتفسير؛ على تقديم أبواب تلبى الوظائف الأخرى فى الإمتاع والمؤانسة، والتثقيف والتنشئة الاجتماعية؛ والإعلان والتسويق؛ والتوجيه والإرشاد. ولكن نسب الاهتمام بأداء هذه الوظائف هى التى تختلف من صحيفة لأخرى.

والتوازن الوظيفى؛ هو الذى يجعل من الصحف مراجع لها قيمتها فى تسجيل الأحداث وتفسيرها، على نحو ما نجد فى الصحف اليومية مثل: الأهرام؛ والأخبار والجمهورية؛ وغيرها من الصحف المصرية والعربية والعالمية. كما تحرص هذه الصحف على تقديم صفحات تلبى احتياجات القراء الثقافية؛ والامتاعية والتفسيرية إلى جانب فقرات: الطقس؛ البورصة؛ الإذاعة والتلفيزيون، المسرح والسينما؛ وصفحات المرأة وغيرها مما يوجد له شبيه فى المجلات الأسبوعية ايضا.

ولذلك تحرص الجرائد اليومية على تنوع المضمون فيها؛ لتستطيع منافسة المجلات من حيث تميزها بهذا التنوع. ذلك أن القارئ حين يجد صحيفته حريصة على التنوع؛ يزداد "وفاؤه" للصحيفة؛ إن جاز التعبير على حد تعبير "ألبير"؛ الذى يرى هذا الوفاء "يزداد، ويشتد فى المستقبل، بفعل العادة وبفعل المصلحة. ومع ذلك فإنه لا يمكن الاستغناء عن الجريدة على صعيد الأحداث الصغيرة والخدمات اليومية التى تقدمها بتسهيلها الإجراءات العديدة للحياة اليومية. وقد أظهر الإضراب الطويل لصحف نيويورك فى ديسمبر ١٩٦٢ ويناير ١٩٦٣، مدى كون الجريدة آلة ضرورية للحياة الجماعية فى تجمع سكنى كبير. إلا أن هذه الجاذبية لا تنطلق إلا من الجرائد المحلية وهى التى تفسر فى المدن الكبرى، نجاح هذه الجرائد المحلية. أما الجرائد الوطنية، التى ليس لها قواعد إقليمية ومحلية، فإن عليها أن تقوم بمجهود كى تقدم لقارئها أنباء أوفى وصفحات منوعة أكثر تشويقا من صفحات الصحف الدورية.

ومن هنا فإن المنافسة بين هذين النوعين من الصحف تفيد الصحف الجيدة على حساب الصحف الشعبية ذات الإصدار الكبير[١].

ويختلط جمهور الصحافة اليومية، بمجموع السكان الراشدين. ولكل فئة، ولكل نوع، وأيضا، لكل صحيفة من الصحف الدورية، جمهور محدود بفئة اجتماعية سهلة التحديد. وبينما يكون للجريدة، بطبيعتها، ميل للقضايا العالمية، فإن ميل الصحيفة الدورية منذ أمد بعيد، يتوجّه نحو القضايا الخاصة. ولكن التطوير الحالى يميل نحو تضييق هذا الاختلاف. فمنذ عشر سنوات لا تنى الصحف الدورية عن توسيع حقل أنبائها؛ وهذا الاتجاه يوازن، نوعاً ما، بين الانضواء النسبى للجريدة فى الأحداث الصغيرة، وبين تطور طرق المعيشة التى تميل إلى حصر قراءة الصحيفة فى أسبوع واحد. وتميل الصحف الدورية، كذلك، بطبيعة الحال إلى التنويع، أكثر ما يمكن، فى صفحاتها لتشمل قراءتها كافة أعضاء الأسرة فى البيوت التى تدخلها: وهى تقترب بذلك، من صيغة المجلة المصورة للأنباء العامة. وتبدو الصحف الشهرية من الآن فصاعداً، قادرة، بدون مخاطر، على البقاء شديدة التخصص. بيد أن عليها أن تزيد من تخصصها لأنها فى الواقع تمثل نوعاً من الصحافة فى تطور سريع. على الأقل، وبقدر ما تقوم به التغييرات فى مضمون الصحف الدورية، فإن التغييرات هذه تسهّل انطباقها على المتطلبات الجديدة لجمهورها. إن التقدم السريع فى وسائل الطباعة الحديثة واستخدام الكمبيوتر؛ واستعمال ورق من نوع أجود، وتعميم الألوان، وتصغير الحجم، كل هذا يعطى الصحافة الدورية طابعاً أشد استهواء ويزيد فى تمييزها عن الجريدة التى لا يمكنها، فى الوضع الراهن للتقدم التكنولوجى ولأسعار كلفة الإصدارات الكبيرة، أن تأمل فى تعديل شكلها". وقد لاحظ "ريفرز" بالنسبة للصحف الأمريكية أن خطوات العمل فى الصحف المسائية أسرع بعض الشىء، منه فى الصحف الصباحية.. وليس معنى ذلك أن المحررين فى الصحف الصباحية يتكاسلون فى أثناء وقت العمل، فالواقع، أن أسرع العاملين الذين شاهدهم فريق البحث من جامعة ستانفورد، كان محررا فى جريدة صباحية يقوم بإعداد الأخبار العالمية. ولكن، المحررين فى الصحف الصباحية يستطيعون عموما، أن يعملوا بهدوء، وبلا عصبية.

---

(١) بيار ألبير: المرجع السابق، ص ٤ .

ويمكن إدراك سرعة العمل فى صحيفة يومية ذات توزيع أكبر إلى حد ما من توزيع صحيفة إقليمية. فيقوم محرر البرقيات بإعداد أنباء الوكالات، وهو يصل بعد الساعة الثانية والنصف مساء بقليل، لكى يبدأ عمله بمجموعة الأخبار التى تجمعت لديه. وتقوم إحدى الصحفيات التى تصل مبكرا بنزع أشرطة الأخبار من المبرقات وتوزيعها على مختلف المكاتب (الرياضية، والمجتمع.. الخ) ويذهب معظمها إلى محرر البرقيات، الذى يعطى تعليماته للصحيفة عن الطريقة التى يفضلها فى ترتيب الأخبار وتنظيمها، ولما كان المحرر منضبطا ومنظما، فإن العمل يستغرقه، فيبدو غير متسرع، ولكنه يعمل بطريقة تكاد تكون آلية، وهو يتوقف عن العمل بين الحين والآخر لكى يشرب فنجانا من القهوة. ويأتى المراجع فى الساعة الخامسة مساء، ولكن محرر البرقيات لا ينيب أحدا فى عمله إلا قليلا نسبيا، فقد طور لنفسه طريقته فى العمل، وهو سعيد بها، حتى أنه يستبعد الخبر بعد الآخر بمجرد نظرة. وبعض الأخبار التى يختارها تحرر بالقلم ثم يعطيها للفتاة التى تقوم بإرسالها إلى قاعة جمع الحروف عن طريقة أنبوبة الضغط الهوائى. وتحجز بعض الأخبار الأخرى على هيئة مجموعة مرتبة، إما لكى تستبعد فيما بعد، وإما لكى تضاف إلى خبر آخر باستخدام القلم والمقص والصمغ. ولا تستخدم هذه الصحيفة الشريط المثقب، ولذلك فإن محرر البرقيات له الحرية فى تحرير الخبر تحريرا كاملا، بدلا من مجرد طبع ما تبعث به الوكالات.

وفى الساعة الثانية مساء، يصل مدير التحرير، وفى الساعة الثالثة مساء، يصل رئيس تحرير الأخبار ومحرر الإقليم.وتحاول الصحيفة تغطية أخبار منطقة نائية. وفى خلال الساعة التالية يتشاور المحررون الثلاثة بإيجاز مع محرر البرقيات. ثم يذهب كل شخص إلى مكتبه. ويصبح واضحا أن العمل يتم بأسلوب اللامركزية، وذلك على العكس مما يجرى فى صحيفة إقليمية صغيرة.

ويشرف مدير التحرير أساسا، على المحررين، ويوجههم فى المسائل الهامة، ويخصص جانبا كبيرا من وقته للبريد، والأعمدة التى توزعها الوكالات، والقرارات الإدارية. ومع ذلك، فقد لاحظ فريق البحث أن مدير التحرير قد قام فى المساء بمراجعة أكثر من ٦٠٠٠ كلمة من البلاغات الصحفية والمواد التى ترد من الوكالات.

ويبدو أن سرعة العمل لا تختلف كثيرا فى المساء، ويعمل الجميع باستمرار حتى حوالى التاسعة مساء، ثم تهدأ السرعة حتى العاشرة، وهو الوقت الذى يجب فيه أن تغلق الصفحة المعدنية وتطبع وتنقل إلى مسافة حوالى مائة ميل. وفى ذلك الوقت. يستمر محرر الأقاليم ومساعدوه فى تلقى الأخبار من المندوبين فى البلاد البعيدة، وعليهم إعداد صفحات لأربعة أعداد تصدر فى الأقاليم، ويهدأ العمل بالنسبة للآخرين فيما بين العاشرة والثانية عشرة ويختتم العمل اليومى بأخبار نتائج "البيسبول" الليلية. ومع ذلك، فإن هذا الهدوء خادع، ففى تلك الصحيفة عدد من المحررين ومساعديهم أكثر منه فى الصحيفة المسائية، فهو فى الحقيقة ضعف العدد تقريبا. كما أن واجباتهم موزعة على ساعات أطول.

"كلما كبرت الصحيفة، كثر عدد العاملين فيها" . هذه قاعدة تقريبية، مقنعة، ولكن ليس صحيحا بالضرورة أن ضخامة العدد تقلل من عبء العمل. وتشترك الصحيفة اليومية الكبرى فى عدد من الوكالات أكثر كثيرا مما تشترك فيه صحيفة الضاحية وصحيفة المدينة الصغيرة، ولذلك فمن المرجح أن يكون العمل كبيرا بالنسبة لهذه الخدمات الكثيرة. وقد سخر محررو الصحيفة الكبرى التى يبلغ توزيعها نحو نصف مليون نسخة . وهم الذين تمت مقابلتهم فى هذه الدراسة . من الصحف التى تنشر الأخبار من الشريط المثقب مباشرة (مثل الصحيفة التى تحدثنا عنها أولا)(١).

جرائد الصباح وجرائد المساء

تصدر الجرائد، خاصة، فى الصباح: فصورة قارئ الجريدة وهو يتناول فطوره، أوأثناء ذهابه إلى عمله هى نفسها فى جميع البلدان؛ "والسكون النسبى لليل يساعد على إنتاجها وتوزيعها . على حد تعبير ألبير. الذى يقول: إن جرائد المساء، بشكل عام، جرائد المدن الكبرى، أو بالأحرى جرائد متممة لجرائد الصباح؛ بإمكانها إعطاء نتائج السباق والبورصة. وفى الولايات المتحدة، مع ذلك، حيث نهار العمل ينتهى باكرا، فإن جرائد المساء أعم. أما فى فرنسا، التى لا تعرف الجرائد المسائية فى الإقليم بصورة عملية، فإن فى باريس خمس جرائد مسائية تؤمن ما يقارب الأربعين بالمائة من إصدار الجرائد

(١) وليام ريفرز وزميلاه : وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، ص٧١ .

الباريسية، وهذه الجرائد، خلافاً لجرائد البلدان الأخرى، لها مهام وطنية. وأما فى بريطانيا، فعلى العكس، فإن الصحافة الإقليمية هى، فى الغالب، صحافة مسائية.

وتجدر الإشارة هنا أيضا إلى الولايات الحديثة فى الديموقراطيات الشعبية لجرائد "الأحياء الآهلة" المسائية ذات اللهجة والمواضيع الأقل عقائدية من الجرائد الصباحية الكبيرة" (١). وفى مصر صحيفتا: **المساء؛ والأهرام المسائى**. ويصور لنا ريفرز وزميلاه: **"الصحف اليومية المسائية"** فى الضاحية الأمريكية؛ على النحو التالى:

"تتلقى هذه الصحيفة أخبار الولاية والأخبار القومية والخارجية جميعا، من خلال نشرة تتلقاها من الاسوشيتدبرس، ونشرتين تتلقاهما من اليونيتدبرس انترناشيونال. ويقوم بتحرير هذه الأخبار رئيس تحرير الأخبار ومساعداه. وفضلا عن تقرير مصير أكثر من مائة ألف كلمة، ترد فى هذه النشرات يوميا، يقوم هؤلاء الرجال الثلاثة بتحرير كل الأخبار المحلية وتحديد مكانها فى الصحيفة، وقد تصل هذه الأخبار إلى عشر آلاف كلمة يوميا، كما يقومون باختيار نحو أثنى عشر آلاف صورة إخبارية من مائة ألف صورة تستقبلها الصحيفة عن طريق جهاز التقاط الصور سلكيا. فهؤلاء الصحفيون الثلاثة يقومون بملء جميع أعمدة الأخبار فيما عدا صفحات المجتمع والرياضة والتجارة، وصفحة الرأى، وصفحات الصور القصصية.

ويقوم رئيس تحرير الأخبار بمعظم العمل بنفسه، فهو يستبعد كميات كبيرة من نشرات الوكالة، ويقسم البقية بينه وبين مساعديه. ولما كانت جميع النشرات تستقبل على أشرطة مثقبة وعلى ورق أيضا، فإن التحرير عموما هو عبارة عن اختيار بين رواية الاسوشيتدبرس ورواية اليونيتدبرس انترناشيونال للخبر، مع مراجعته من أجل الدقة والأخطاء الطباعية، والبحث عن الوقفات المناسبة فى الأخبار. ويمكن جمع الحروف من الشريط المثقب بسرعة وبنفقات زهيدة، مع قليل من التغيرات وهذه أسباب قوية تساق ضد التحرير المتأمل، فلا تعاد الكتابة إلا قليلا، وليس هناك وقت لذلك. وعندما يصل رئيس تحرير الأخبار يجد نحو خمسين ألف كلمة من نشرات الوكالات (وتبدأ دورة عمل الوكالة لد الصحف المسائية بالأخبار بعد منتصف الليل بقليل. وهكذا، فإن معظم رؤساء تحرير الأخبار الذين يبدءون عملهم فى الساعات الأولى من الفجر، يجدون

(١) بيار ألبير: المرجع السابق ص ١٨ .

أخباراً كثيرة فى انتظارهم، وهو يستبعد بسرعة كل شىء فيما عدا ٨٠٠٠ كلمة. وفى خلال الساعات السبع التالية، تستمر الوكالات فى إرسال نشراتها، ويستخدم رئيس تحرير الأخبار ومساعداه أكثر من ٢٠٠٠٠ كلمة من النشرات الإخبارية (وذلك من بين مجموع يصل إلى ١١٠٠٠٠ كلمة تقريبا . وكثير من هذه المعلومات مكررة لأنه كثيرا ما تغطى الاسوشيتدبرس واليونيتدبرس انترناشيونال نفس الأحداث)، فهم يقومون بتحرير قليل، ويكتبون العناوين، ويوزعون الأخبار فى أماكنها من الصفحات، ثم يبعثون بالأخبار المنتقاة إلى حجرة الجمع حيث يتم تحويلها إلى حروف طباعية.

كما قاموا أيضا بتحرير ستة آلاف كلمة من الأخبار المحلية ووضعها فى الصحيفة، واختاروا ست عشرة صورة ووزعوها على الصفحات. وخلال الساعة الأخيرة من عملهم اليومى، أعدوا بعض المواد للعدد القادم فى اليوم التالى . مثلما فعلوا فى اليوم السابق، عندما خصصوا الساعة الأخيرة لإعداد مادة لعدد اليوم. وفى خلال يوم واحد من العمل إذن، قاموا بتحرير ما يساوى كتاب صغير تقريبا. (وبالمقارنة تخصص دار النشر عادة ستة أشهر، على الأقل، وغالبا ما تحتاج إلى سنة وأكثر بعد تسليمها نص الكتاب، من أجل التحرير والإنتاج).

وتنتاب الشكوك رئيس تحرير الأخبار، لأنه يعرف أن كثيرا من قرائه يكونون قد اطلعوا، أحيانا، على الأخبار التى يبرزها، وأن قراء آخرين يكتفون بمجرد العناوين ومقدمات نفس الأخبار التى يكونون قد استمعوا إليها من راديو السيارة أو شاهدوها على شاشة التلفزيون، ولكنه يعنى بإعلام أولئك القراء الذين يريدون أن يعرفوا من الصحيفة أكثر مما يستطيعون معرفته من مصادر أخرى.

وتثور أسئلة وشكوك أخرى. فما هو مقدار الأخبار الجادة التى يستطيع القراء استيعابها؟ وكم عدد القراء الذين يطيقون خبراً آخر عن فيتنام، وخبراً آخر عن محادثات السلام غير الحاسمة فى باريس، وخبراً آخر عن المعركة التى لا تنتهى بين الرئيس والكونجرس؟ ومن ناحية أخرى، هل يقوم رئيس التحرير بخدمة أولئك الذين يتابعون مثل هذه المسائل متابعة جادة - خدمة كافية - إذا نشر أخبارا على خمس بوصات بدلا من نشرها على عشرين بوصة؟[1].

(١) ريفرز وزميلاه : السابق ، ص ٢٤٠ .

الصحف النصفية والجرائد الشعبية:

ويميز "ألبير" بين" الجرائد الشعبية" و"الصحف الصفوة" فى فرنسا؛ حيث أصبح هذا التعبير واضحا على مستوى القراء أكثر منه على مستوى المضمون؛ فيقول:

"ولدت فى باريس، عام ١٨٦٣، الجريدة الصغيرة **Le Petit Journal** وثمنها خمسة سنتيمات، وهى نوع من الصحافة "الصغيرة" الشعبية. بينما هو، بالعكس شديد الوضوح فى البلدان الانجلوسكسونية وفى ألمانيا الاتحادية. نجد أن الصحافة الشعبية التى حدّد صيغها الحالية فى الولايات المتحدة كل من "بولتزر وهرستت" منذ نهاية القرن التاسع عشر، قد وجدت أسلوباً جديداً مع صيغة الـ**Tablorid**، والحجم الصغير، وغزارة الصور، والعناوين الضخمة، والنصوص المختصرة. فهى تبحث عن التشويق والفضائح، وترمى إلى الإثارة أكثر مما ترمى إلى الإفادة.

وقد انتقلت إلى بريطانيا، ثم فى حجم أكبر، إلى ألمانيا حيث أنجبت "صحافة الشارع **Boulevard – Presse**" ومن أسباب رواج هذه الصحافة، أيضا سعرها المنخفض."(١).

ويذهب "ريفرز" إلى أن قراء الصحف فى مستهل القرن التاسع عشر فى أمريكا؛ قد أصبحوا من الجماهير الشعبية العريضة، بعد أن كانوا فئة صغيرة من الطبقة العليا. وبعد الثورة الأمريكية أصبحت غالبية الصحف مطبوعات تجارية أو سياسية تعمل لصالح رجال الأعمال الموسرين أوالسياسيين. ولكن عندما أدرك التعليم التاجر الصغير، والعامل الميكانيكى، والصانع الحرفى، والمزارع، وعندما تدفق المهاجرون تدفقا أدى إلى زيادة عدد سكان المدن الأمريكية النامية، وجد الناشرون فى ذلك سوقا جديدة لصحفهم. وقد كانوا يستهدفون ذلك الجمهور الجديد المتزايد، ثم غيروا مضمون الصحف وفقا لذلك.

فى سبتمبر سنة ١٨٣٣، أصدر طابع شاب أسمه " بن داى" أول عدد من صحيفة "صن" فى نيويورك. وكانت تطبع يدويا. وكان "داى" يبيع صحيفته ببنس واحد، وهو سعر يتباين تبايناً حادا مع ما كان يتقاضاه الناشرون عادة وهو ستة سنتات. وقد عول على الطلب الجماهيرى فى الحصول على الربح المالى، بالرغم من انخفاض هامش الربح، وقد ركز بمهارة على مبيعات الشوارع نتيجة لحركة التحضر.

(١) البير. ص ١٩.

وبينما كانت الصحف المبيعة بستة بنسات تقدم لقرائها أخبارا مطولة مثقلة بالسياسة، كان داى يتودد إلى جمهوره بفقرات قصيرة مشوقة عن حوادث الشرطة والمحاكم، وتنفيذ أحكام الإعدام والانتحار، وعجائب الدنيا وغرائبها، والموضوعات المحلية التافهة. وفى سنة ١٨٣٥ . عندما ساعدته المطابع المدارة بالبخار على طبع مايكفى من النسخ لسد حاجة الطلب . كان "داى" يفاخر بأن صحيفته "صن" توزع، "وهو أعلى توزيع لأية صحيفة يومية فى العالم". وبعد أن أثبت داى أن ذلك يمكن أن يحدث، أخذ غيره من الناشرين يوجهون صحفهم إلى الجماهير التى سبر غورها(١).

الصحف الوطنية والصحف الإقليمية أيعبر التناقض بين هذين النوعين من الجرائد عن مهمتين متكاملتين للصحافة اليومية: "الأولى تعتمد على تنوع مضمونها وجودة أنبائها الوطنية والعالمية، والثانية تعمل على إشباع الحاجة لمعرفة أنباء المنطقة أو الحى. هذه الجاذبية للنبأ المحلى، التى تستطيع الجريدة وحدها التفرد بمعالجتها دون أن تخشى، فى هذا الحقل، منافسة الراديو أوالتلفزيون، هى من الأسباب المتينة لتعلق القارئ بجريدته: وهى تؤمن وجود مجموعة من الصحف المحلية، من الصحيفة الأسبوعية إلى الجريدة اليومية التى تقصر حقل أنبائها، فقط على أحداث منطقة انتشارها، وعلى المشاغل وحدها لحياة قرائها اليومية.

والصحف الإقليمية، وإن كانت تابعة لسلسلة واحدة، كما فى ألمانيا الاتحادية، أو ذات طبعات متعددة، كما فى فرنسا،تدين بأساس نجاحها إلى صفحاتها المحلية. وفى المدن الكبرى، يمكن للضواحى السكنية أن تعطى أيضاً مادة لأخبار محصورة، بخلاف أحياء وسط المدينة حيث لا توجد مادة وحاجة لهذا النوع من الأنباء، رغم تكاثف السكان.

فى البلدان التى تخضع فيها الصحافة لاقتصاد السوق، فإن الصحف الوطنية، التى لم يكن لسلطانها منازع قبل الحرب العالمية الثانية، أصبحت الآن مضطرة للصمود فى وجه المنافسة المنظمة للصحف الإقليمية، وللصحافة الدورية، ولأن تعانى نتائج نمو الراديو والتلفزيون.

---

(١) ريفرز ص ٦٤ .

ففى ألمانيا الاتحادية، فرضت أقلمة الصحافة، من السلطات المحتلة عام ١٩٤٥، وقد دُعمت، ولم تعد الصحافة اليومية الوطنية ممثلة بصحيفة شعبية. أما فى فرنسا، فقد فقدت الصحافة الباريسية أهم مراكزها فى الأقاليم لصالح الصحف الإقليمية الكبيرة، لتصبح بصورة خاصة، صحافة "إيل دو فرانس **Ile-de-France**"، وإن هى ما فتئت تواصل توزيع ربع أعدادها فى هذه الأقاليم، فإنها تميل إلى لعب دور الصحافة المكمّلة[١]. وفى انجلترا، حيث تسيطر على السوق تقليديا، الجرائد الوطنية، وحيث لم تعان الصحافة التحوّل الكامل لبنياتها خلال الحرب وبعدها، كما جرى فى البلدان الأخرى للقارة، فإن الأزمة الراهنة للصحافة اللندنية تتعارض مع الازدهار النسبى للجرائد الإقليمية. أما فى الولايات المتحدة، فالصحافة الوطنية اليومية ضعيفة نظراً لاتساع رقعة البلاد، أولا، ولقوة التفرد المحلى والإقليمى، ثانياً. وإنما هناك بعض الصحف المرموقة تجد لها، خارج مناطق صدورها، جمهوراً محدوداً اجتماعياً" ويخلص الأستاذ ألبير من هذه الصورة إلى أن حركة إقامة الصحافة اليومية، وتضييق حقل إعلامها الذى هو نتيجة هذه الإقامة، يعرضان مفهوماً بكامله للصحافة اليومية؛ وبالتخلى، جزئيا، عن معالجة الحياة الاجتماعية، فإن الجرائد تترك للصحف الجيدة القليلة، وحدها، النصيب المهم من "السلطة الرابعة"التى درجت، فى غالب الأحيان، على التغنى بالتفرد بممارستها [٢].

الجرائد المتخصصة:

إن الصحافة اليومية، بطبيعتها، صحافة أنباء عامة، وإن تنوع مادتها سبب من أسباب وجودها. ومع ذلك توجد فئات من الصحف المتخصصة من أهم أنواعها الصحف الرياضية والجرائد المالية.

وتشمل **الصحف الدورية للأخبار العامة**: الصحف الدورية المحلية:

إن كانت هذه الصحف تصدر كل ثلاثة أسابيع أو نصف شهرية أو أسبوعية، فإن إصدارتها، بصورة عامة، ضعيفة جداً، ولكنها تحتوى على عدد كبير من المواضيع،

---

(١) البير، ص ٩ .

(٢) بيار ألبير : المرجع السابق، ص ٢٠.

وهى بطبيعتها متممة للجرائد. ومن المناسب أن يقرن بها العدد الكبير لصحف الأحياء التى تكثر فى المدن الكبرى حيث توزّع مجانا.

أما **صحف الأحد** فلها فى البلدان الانجلوسكسونية، أهمية بالغة تتوارى أمامها الفئات الأخرى للصحف الدورية من حيث إصدارها وصفحاتها، وتحتفظ صحف **"اليوم السابع"** فى الواقع بشكل الجرائد اليومية التى تصدرها، حتى لو كانت صفحات الرياضة وفقرات التسلية[1] .

المجلّات :

تعتبر المجلات وسائل تنوير وتثقيف بأسلوب جديد يصل إلى الجماهير. وهى كفن تختلف عن فن الكتاب العادى، لأنها تنطوى على تحرير صحفى؛ وتجسيد للمعانى، وتبسيط للحقائق؛ وإخراج صحفى؛ ونماذج تيسر الفهم لكافة المستويات الثقافية. ولذلك فإننا قد نتحدث عن "إنتاج" المجلة الصحفية؛ ولا نكتفى بالحديث عن كتابة أبوابها أو تحريرها، وما تتضمنه من مقالات وحوار ومناقشة وأحاديث صحفية واستقصاء وبحث ودراسة. بشرط أن يتم كل ذلك فى إطار الواقع الاجتماعى والثقافى والسياسى؛ ويعبر عنه باصطلاحات مفهومة لجمهورها. وفى عصرنا الذى يسوده التخصص الضيق، يستطيع فن المجلة أن يرأب الصدع، ويملأ الثغرات الفاصلة بين شتى التخصصات فى المجتمع.

والمجلة فى اللغة العربية "مشتقة" من مادة (جلا) أى ظهر ووضح، ومنها جلية الأمر أى ما ظهر حقيقة، أى الخبر اليقين، والمجلة هنا تعنى استجلاء حقبة من العالم".

وقد جاء تحول جمهور المجلة من الصفوة إلى الشعبية بعد نصف قرن من التحول الذى حدث بالنسبة لجمهور الصحيفة. فقد ظهرت المجلة الحديثة زهيدة الثمن ذات الجاذبية الشعبية والتوزيع الضخم، على المستوى القومى فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر. وفى ذلك الوقت، الذى كانت ثمار الديمقراطية كالتعليم العام قد خلقت جمهورا عريضا من القراء الجدد الذين يستطيعون قراءة المجلات. كما حررت الآلات الإنسان من الأعمال المملة، ومنحته وقت فراغ للقراءة. وقد أدت الثورة

(١) نفس المرجع ص ٢١.

التكنولوجية إلى ظهور المطابع السريعة، وغيرها من المعدات اللازمة للناشرين كى يصلوا إلى الجماهير العريضة، وأتاحت شبكة خطوط السكك الحديدية توزيع الصحف فى أقاليم شاسعة. وأكثر من ذلك، أخذ الإعلان، على نطاق واسع، فى الظهور، عندما سعى المنتجون لتسويق منتجاتهم الجماهيرية عبر كل البلاد، وأصبحت المجلة وسيلة قومية للوصول إلى أعداد متزايدة من المستهلكين.

وقد أدى المضمون الشعبى والسعر الزهيد إلى اجتذاب عشرات الآلاف من القراء، وكان المعلنون يدفعون بسخاء للوصول إلى هؤلاء القراء. وما كان يخسره الناشر من بيع النسخ كان يعوضه من إيرادات الإعلان الذى يجتذبه التوزيع المرتفع، وإعادة توزيع الدخل، وتضييق هوة التطرف فى القوة الشرائية، أصبحت الطبقة الوسطى الكبيرة سوقا للسلع المنتجة جماهيريا، وهذه هى طبقة القراء التى استهدفتها المجلات بوجه عام. ولم يكن سعى الناشرين وراء مجرد أعداد كبيرة من القراء، ولكنهم سعوا وراء جماعات متجانسة من القراء - وهى جماعات تربطها المصالح المشتركة - أو الصناعات أو الحرف المشتركة - حتى يستطيع المعلن فى المجلة الوصول إلى جماعة استهلاكية معينة، يرجح كثيرا أن تكون مهتمة بسلعته.

يقول ريفرز وزميلاه: "عندما تحمست المجلات للحصول على الإعلانات فى أواخر القرن التاسع عشر، أصبحت مرتبطة بنظام التسويق ارتباطا لا فكاك منه، وأصبح المضمون هو الطعم الذى يغرى به الناشر جماهير قراء مجلته، وهى جماهير لها قيمتها بالنسبة للمعلن، نظرا لحجمها، وتجانسها، أو لكلا السببين معا.. وعندما وصل الناشر إلى المضمون المتوازن توازناً ناجحا يجتذب القراء المرغوب فيهم؛ أصبح عازفا عن تغييره. ومن ثم، فقد أصبح كل عدد من أعداد مجلة معينة شبيها بالأعداد الأخرى.

ومثل هذه النمطية فى المضمون كانت نتيجة طبيعية للسوق الشعبية، والإنتاج الجماهيرى الضرورى للمجلة، إذ كان عليها أن تنافس بنجاح فى هذه السوق.. وفى القرن التاسع عشر عندما كانت المجلات لا تزال تحرر من أجل الصفوة القليلة، كان رئيس التحرير يستطيع أن يلعب دور القاضى المترفع الذى يختار ما يشاء من بين ما يقدمه الكتاب الراغبون فى نشر إنتاجهم .

وكانت أنواع المواد التى يستخدمها والطريقة المميزة التى يعالج بها الكتاب موضوعاتهم هى التى تقرر الشخصية التحريرية للمجلة. وهذه هى التى كانت تدفع القراء للشراء. وهكذا كانت نسبة كبيرة من مضمون المجلة من تخطيط هيئة التحرير. واليوم تستخدم معظم المجلات فكرة أساسية فى تخطيط التحرير. وفى كثير من المطبوعات تقوم هيئة التحرير بابتكار الأفكار بالنسبة لغالبية كبيرة من الموضوعات التى تنشرها المجلة، ثم يعهد بهذه الأفكار إلى بعض الصحفيين المشهورين. الذين يقومون بإجراء بحوث حول المقالات ثم كتابتها.

وهناك بعض المقالات التى يكتبها أعضاء هيئة التحرير. وتكون النتيجة فى كلتا الحالتين هى النمطية. وذلك مع القليل فقط من الاستثناءات.

كذلك يؤدى التقليد إلى نمطية مضمون المجلة، فعندما ينجح ناشر مستخدما فكرة مبتكرة. أو مطورا لفكرة قديمة، فإن الناشرين المنافسين يندفعون لإصدار مجلات مقلدة، للحصول على جانب من السوق: وفى سنة ١٩٢٦ فى الولايات المتحدة أصدر شاب أسمه دويت ولاس العدد الأول من مجلة صغيرة متواضعة كانت تلخص ما اعتبره أفضل المقالات التى نشرتها مجلات ذلك العصر. وأطلق على المجلة اسم "**ريدرز دابجست**" وقد سارع القراء لشرائها. كما أصدر الناشرون مجلات على شاكلتها. وفى النهاية أصبحت مجلات "المختارات" طرازا جديدا قائما بذاته.

كذلك ظهرت أنواع أخرى من المجلات التى قلدت الابتكارات الجديدة الناجحة مثل المجلات البوليسية ومجلات الاعتراف، والمجلات الاخبارية. والمجلات المصورة، ومجلات المغامرات.

وقد نجحت المجلة الحديثة كوسيلة إعلام جماهيرية، لأنها - أساسا - تلعب دورا رئيسيا فى معاونة نظام التسويق، والمجلة مثل الصحيفة، استطاعت على مر السنين أن تؤثر فى مجال متسع من الأذواق والمصالح. ولكنها تختلف عن وسائل الإعلام الأخرى، من حيث أن معظم المجلات موجهة إلى جماهير متجانسة، أو جماعات ذات مصلحة خاصة. والمجلات على العكس من الصحف، توزع على المستوى القومى العريض، وهكذا فبالرغم من أن كثيراً من المجلات توجه إلى جماهير خاصة، فإن المجلة

قد أصبحت عموما وسيلة إعلام جماهيرية. بمعنى أنها تتوسل إلي أعداد ضخمة فى السوق القومية. على اختلاف الطبقات اجتماعيا واقتصاديا وثقافياً .

"وبالرغم من ضراوة المنافسة والتذبذب، فإن إصدار مجلة على نطاق ضيق قد يكون أقرب وسائل الإعلام منالاً بالنسبة للمستثمر الجديد. وأهم شيء هى الفكرة. فإذا كان لدى صاحب المشروع تصور مبتكر لمجلة جديدة. فمن المرجح أنه يجد المولين لمشروعه. وإذا استطاع أن يدعم مجلته. فى أثناء سعيه للفوز بثقة القراء والمعلنين، فسوف تكون الفرصة مواتية أمامه دائما لتحقيق نجاح متواضع. كما أن هناك أملا بعيدا أمامه، لكى ينتهى به الأمر إلى أن يدخل فى زمرة العمالقة.

وقد كان على المجلات، مثل الصحف، أن تتكيف مع الظروف الجديدة. وقد تكبدت المجلات العملاقة مثل الصحف أيضا معظم المعاناة. غير أنه فى الوقت الذى اختفت فيه معظم المجلات الأسبوعية الكبرى العامة، وبعض المجلات الشهرية العامة. أصبحت المجلات تلبى الاهتمامات الخاصة أكثر قوة. ومن الأهمية بمكان، أن أعظم المحاولات الناجحة فى النشر خلال السنوات العشرين الماضية هى المجلات المتخصصة".

وقد ازدهرت المجلات المتخصصة منذ الحرب العالمية الثانية ويبدو أنه لا يوجد الآن، اهتمام أو ذوق أو اتجاه أو ظرف من ظروف النشر، يتعذر أن تكون له دورية واحدة على الأقل. وقد عرفت المجلات ذات التوزيع الجماهيرى مزايا التوجه إلى الصفوة .

وقد تصور كارول ستريتر المحرر بمجلة "فارم جورنال" نهاية لهذا الاتجاه نحو تخير الجمهور. فهو يتكهن بأن مجلة سوف تستطيع فى غضون عشر سنوات، أن تنتخب المضمون المناسب لكل مشترك. فهناك معلومات عن اهتمامات كل مشترك تختزن على شريط إلكترونى. وعندما تذهب نسخة أحد المشتركين إلى قسم التجليد فإن الأشرطة تمكن الحاسب الإلكترونى من إسقاط المادة المختارة وفقا لاهتمامه الخاص وعلى العكس من العقبات الضخمة التى تقف فى سبيل إنشاء الصحف والإذاعات والأفلام، فإن سهولة ولوج صناعة المجلة تفسر لنا سبب امتلاء صناعة اليوم بنقط من الوحدات الصغيرة نسبيا، وهيئات التحرير قليلة العدد، والإدارات المتواضعة بمعداتها القليلة. ولا يستثمر ناشر المجلة رأسماله عادة فى المطابع والمعدات. ولكنه بدلا من ذلك يتعاقد على طبع مجلته.

وتشمل أنواع المجلات [1]:

١ - **المجلات المصورة للأنباء العامة** : من الممكن جمعها فى نوعين كبيرين: **الأول:** وفيه يفرد للصورة مكان هام مثلا: **(بارى ماتش)** فى فرنسا **(ولايف)** فى أمريكا **(والمصور)** **(و آخر ساعة)** فى مصر **والثانى** يتجه الجهد فيه نحو نوع المقالات وتنوع الفقرات، وتكون صيغ عرضه كثيرة التنوع، انطلاقاً من الحجم الصغير من نوع "**تايم**" إلى الحجم الكبير من نوع "**داى زايت**".

٢ - **الصحف الدورية الثقافية** : بالرغم من كون قسم كبير من مادة الصحافة الأدبية، والفنية، والموسيقية، والمسرحية، ينتمى إلى حقل الوثائق، فإن هذه الصحافة تساهم بشكل مباشر فى الأحداث الراهنة بتقاريرها النقدية وأصدائها، وتقديمها الأعمال والفنانين. وهى تبقى بصورة ممتازة صحافة قيّمة ذات جمهور محدود.

٣ - **الصحافة الدورية الوثائقية** : إن هذه المنشورات، ذات الجمهور الضيق غالباً والمخصصة بطبيعتها لجمهور من الاختصاصيين الذين يجدون فيها، فى الوقت نفسه، عناصر إنباء عن الوسط المهنى والاجتماعى الذين ينتمون إليه، والوثائق التكنيكية الضرورية لنشاطهم الفكرى أو المهنى.. هذه المنشورات الكبيرة العدد والخارقة التنوع فى جميع حقول النشاط الإنسانى هى وربما أكثر مما هو الكتاب موطن لتجمع العلوم المعاصرة. إن مجرد فهرس مقالات المجلات الوطنية والدولية المخصصة لموضوع ما هو فى حدّ ذاته من التحديات الأولى التى يصطدم البحث بها".

"من المجلات العلمية، الممثلة للتيارات الكبرى للفكر الفلسفى أوالسياسى أوالأدبى" إلى المجلة التكنيكية الرفيعة التخصص، فإن جميع الأشكال توجد فيها ويزداد تعميم صيغة "الفيشات" أو الملفات المستقلة، المستقاة من النشرة، والتى تستطيع أن تأخذ مكانها فى مجموعات الوثائق الأكثر اتساعا.

٤ - **ومجلات الرأى والأدب والفن؛** هى المجلات التى تعنى بنشر الموضوعات والقصص والشئون العامة؛ والنقد الأدبى والفنى.

---

(١) بيار ألبير: المرجع السابق، ص ٢١ .

٥ - ومجلات **المرأة أو المجلات النسائية؛ ومجلات الرجال**؛ تجذب الرجل والمرأة من خلال تحريرها وإخراجها الفنى وتنوع موضوعاتها. والمجلات النسائية تعتبر مجلات "شعبية" بما تنطوى عليه من جاذبية فى قصصها ومقالاتها وصورها ولكنها تحول قارئها إلى ما يلائم أذواق النساء، وتحتوى هذه المجلات دائما أبوابا فى فنون الطهى والأزياء الخ [١] ومن هذا النمط الصحفى مجلة "**حواء**" التى تصدر عن دار الهلال و"**نصف الدنيا**" عن مؤسسة الأهرام. ومجلات الأخبار مثل "**تايم**" و"**نيوزويك**" و"**بارى ماتش**" وما يصدر على منوالها، ذات أحجام صغيرة، ولكن حدودها لا تقف عند حدود الأخبار ذاتها، وهى تقدم كل أسبوع سجلا بأحداث هذا الأسبوع. وهذا النوع من المجلات، فى انتشارها ومضمونها، يقارب الصحيفة المنتشرة على نطاق قوى[٢]..

٦ - وتقف **المجلات المتخصصة** نفسها على البحث فى موضوع معين كالمسرح مثلا أوالسينما أو العناية بالطفل أو ما إلى ذلك، ومنها مجلات؛ المسرح، والسينما والقصة، التى تصدرها وزارة الثقافة، ثم مجلة الشعر التى تصدر عن مجلة الإذاعة والتلفزيون حاليا.

٧ - وتعنى **المجلات الفنية والمهنية** ما تدل عليه أسماؤها تماما. فلكل مهنة وتجارة وحرفة الآن منشوراتها الخاصة، تختص بالإعلان والطب، والتعليم، والجغرافيا والصحافة والعمال والراديو الخ[٣].

٨ - **والمجلات الأسبوعية للراديو والتليفزيون**، تملك أرقاما قياسية فى الإصدار، وهى موجهة بالدرجة الأولى إلى تقديم البرامج والتعليق عليها مسبقا، ولكنها بصورة عامة، قليلا ما تعنى بنقدها. ولكن تنوع هذه البرامج وأهمية قرائها المنتمين، تميل إلى توسيع مضمون هذه الصحافة، مما جعلها نوعا من صحافة المجلات المصورة للأنباء العامة[٤] ومن هذا النوع فى مصر مجلة "**الإذاعة والتليفزيون**" التى تصدر عن اتحاد الإذاعة والتلفزيون .

---

(١) د. على رفاعة الانصارى ؛ نفس المرجع ٢١٦،

Brewster; Introduction to Aduertistising m p. 290 .

(٢) بيار ألبير : المرجع السابق ص ٢١.

(٣) فبر زربون: المرجع السابق ص ٧٢ .

(٤) بيار ألبير؛ المرجع السابق، ص ٢٢ .

وللمجلة - كما يقول ديها ميل - على الحوادث اليومية نوع من الرقابة، وهى تنقل المعلومات إلى القارئ؛ وتؤدى وظائف الفن الصحفى، من إعلام؛ وتثقيف؛ وتنشئة اجتماعية؛ وتوجيه وإرشاد؛ وتسويق؛ وإمتاع ومؤانسة، من طريق تحريرها؛ وإخراجها. والمجلات عادة لا تظهر أكثر من مرة فى الأسبوع؛ الأمر الذى يتيح لكتابها ومحرريها الوقت الكافى فى البحث فى المسائل. والمواقف التى تتناولها؛ عن تلك التى تظهر فى الصحف اليومية، وبالتالى يكون لديها فرصة أفضل لإبراز الأحداث وتسليط الأضواء عليها وتفسير معناها.

وقد تعرفنا على أنواع مختلفة من المجلات التى تكتب باستفاضة عن عملها وهدفها، مما قد يؤدى إلى التناقض والتضارب، ويصدر بعضها الوظيفة الترفيهية فقط، وتكون مزدحمة بالمادة ذات الفائدة البسيطة، فى حين يعالج غيرها بحوثا جادة عميقة فى المشاكل المعاصرة، ويضم بعضها المادة الترفيهية والمواد الجادة الأخرى مع تفسيرها للقارئ[1].

والمجلة بغلافها الجميل وصفحاتها المرتبة تمتاز ببقائها مع القارئ، بعض الوقت، وهو الأمر الذى تفتقر إليه الصحف اليومية عموما. ومجلات: **(الهلال)** و**(الرسالة)** و**(الثقافة)** و**(الحضارة)** و**(الزهور)** و**(أبوللو)** و**(الكاتب المصرى)** و**(الرسالة الجديدة)** تحفظ أحيانا لدى القارئ لعدة سنوات؛ أوتنتقل من قارئ لآخر كما لو كانت من الكتب النادرة .

وإذا كانت الجريدة تتوجه إلى الجمهور العام؛ فإن المجلة تتوجه - فى معظم الأحوال - إلى جمهور متخصص. وتتعدد أشكال التحرير فى المجلات للوفاء بوظائفها الأساسية؛ ونوعية الجمهور الذى تتوجّه إليه. فهناك مجلات تتوجه إلى الأسرة، وهناك المجلات الإخبارية التى تلخص أهم الأخبار؛ وتقدم تحريرا تفسيريا للأنباء مما لا يتاح للصحف اليومية؛ كما تقدم موضوعات عن خلفيات هذه الأنباء؛ والشخصيات العامة؛ واتجاهات الرأى العام. كما أن المجلات ذات الاهتمامات الخاصة، تصدر لقراء معينين.. وتتضمن مجلات "الظل" التى تمثل حياة الأسرة: مجلات المزارع؛ ومجلات خاصة بالشباب؛ ومجلات للأسفار والرحلات؛ ومجلات التجارة "الصناعة والتكنولوجيا والعلوم؛ والتربية ومجلات للقراء أصحاب الهوايات.

(١) ادوين امرى وآخرون: وسائل الإعلام ؛ ترجمة ميشيل تكلا، ص ٢٠٠ .

وللمجلات الدينية طابع خاص وتأثير كبير؛ مثل مجلة **(الأزهر)** و**(منبر الإسلام)**. وقد صدرت فى مصر جريدة إسلامية رائدة هى جريدة **(الرأى العام)** تقدم نموذجا للجمع بين خصائص الجريدة، والمجلة فى تقديم المضمون الإسلامى.

وهناك مجلات تصدرها الشركات والمؤسسات لأداء وظائف العلاقات العامة؛ بأسلوب جذاب؛ وتعرف هذه المجلات بالصحف الصناعية ويذهب. الأستاذ أدوين ايمرى؛ إلى أن مجال النشرات الصناعية قد أحدث تقدما كبيرا عندما أصبحت شركاتها على وعي بأهمية العلاقات العامة. ويحرر معظم هذه النشرات عدد من أصحاب الخبرة الواسعة فى تحرير المجلات؛ وتخصص أموال كثيرة تحت تصرفهم لإبراز هذه المجلات فى صورة مشرفة لائقة، ولكتابة مقالات وموضوعات على أعلى مستوى من التحرير الثقافى.

وتدرك شركات كثيرة أنه لابد أن يعمل بها محترفون، وذلك لكى تكون على مستوى المجلات العامة أو تتفوق عليها. وكما وضح ذلك أحد محررى تلك المجلات الصناعية الرائدة، وكان يعمل سابقا فى المجلات العامة فى قوله :"لم يعد كاتب البريد أو مدير المستخدمين هو الذى يعتبر حجة فى مجال التحرير الصناعى، ذلك لأن التركيز أصبح على التحرير ذاته وعلى الصحافة ذاتها". ويتجه بعض خريجى مدارس الصحافة مباشرة إلى تحرير المجلات الصناعية. وفى كثير من هذه النشرات تظهر مقالات ذات اهتمامات خاصة لا شأن لها بإنتاج الشركة التى تصدر عنها المجلة؛ وتحاط الدعاية عن الشركة بنوع من الحذر وبمستوى معين. وبعض الشركات الكبرى فى الحقيقة تصدر عددا من المجلات مخصصة للعملاء والمساهمين والموظفين، مثال ذلك: **انترناشيونال هارفستر كومبانى وفورد موتور كومبانى**، وتصدر الاثنان ٢٤ مجلة، للموظفين كل واحدة منها عن مصنع مختلف عن الآخر.. كما أن وبعض مجلات الشركات التى تعمل على وصولها إلى الجمهور وكذلك الموظفين توزع أكثر من مليون نسخة.

وتظهر مجلات الشركات فى أحجام وأشكال كثيرة ومن الصعب القول فى أى وقت معين كم منها يعد حقيقة من المجلات أو يدخل فى دائرتها. وكثير منها يظهر فى حجم الصحف اليومية".

ونخلص مما تقدم إلى أن التحرير الصحفى . من خلال الوسائل . يستجيب من خلال الشكل والمضمون إلى البيئة التى تعمل فيها هذه الوسائل الصحفية بهدف تحقيق التفاعل بينهما وبين المجتمع، ذلك أن وسائل الإعلام لا تؤثر فى النظام السياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى تعمل فيه فحسب، وإنما تتأثر أيضا بذلك النظام. ومن ثم، فعلينا أن نفهم المجتمع لكى نفهم وسائل الإعلام التى تعمل فيه فهما صحيحا، ولكى نفهم المجتمع، ينبغى أن ندرس تركيبه وأفكاره الكبرى ومعتقداته الرئيسية، وكل ذلك معناه أن معرفة التاريخ والاجتماع والاقتصاد والفلسفة ضرورة لكى نفهم وسائل الإعلام فهما حقيقيا، ولكى نفهم طبيعة التحرير الصحفى - فى هذا الإطار- من المنبع إلى المصبّ.

الفصل الثاني

الشكل والمضمون

تنقسم فنون التحرير الصحفى إلى قسمين كبيرين هما:

أولا: الأخبار **News** .

ثانيا: فنون المعالم أو المنوعات الصحفية **Features** .

وهذه الأخيرة تشمل: التحقيق الصحفى؛ الحديث الخاص **Interview**؛ المقالات الصحفية **Articles** والافتتاحية **Leading Articles** .

والتحرير الصحفى يدرس مادة الكتابة من حيث اختيارها وتقسيمها وتنسيقها، وما يلائم كل فن من فنونه؛ وقواعد هذه الفنون الصحفية. والدراسة هنا دراسة تعنى بالشكل فى المقام الأول، وتوضح للدارس كيفية التوسُّل به فى التقديم المضمون الصحفى؛ الذى يعتمد فيه الدارس على قراءاته وتجاريه الحيوية التى تزوده بالأخبار والآراء وتكشف له عن الحقائق. وفن التحرير هنا يصنع صنيع علم البلاغة من حيث أنه: يشير فقط إلى ما يتبع فى تأليف المعانى وتنظيم الفنون أقساما لتنتج الآثار المرجوة.

ذلك أن **علم البلاغة** . كما يقول الأستاذ أحمد الشايب . **يميل إلى "الناحية الشكلية أو الأسلوبية فهو لا يعرض لقيمة الفكرة بل لملاءمتها ولا يخلقها؛ لكن ينسقها، وهو يعنى كثيرا بالعبارات والأساليب.** حتى أن بعض الباحثين يطلق عليه علم الأسلوب". ومهما تختلف وجهات النظر فقد أصبحت البلاغة تبحث الآن فى هذه الموضوعات ولن تستطيع الإفلات من الإجابة عن هذين السؤالين: **ماذا نقول؟ وكيف نقول؟**.

وهما السؤالان اللذان يمثلان جوهر التحرير الصحفى. على النحو الذى يجعلنا نعنى بالنظر إلى الفن التحريرى على أنه يمثل وحدة فنية لها أصولها وقواعدها؛ كما نعنى بدراسة النصوص الصحفية فى تفاصيلها؛ وفى صياغة أجزائها؛ للتعرف على البناء الوظيفى فى الجمل والمفردات؛ وما تشف عنه من دلالات .

وفنون التحرير الصحفى تميل إلى أن تنتمى إلى أجناس الأدب الموضوعية فى النثر؛ على النحو الذى يجعلنا نقول مع الجاحظ :

"فإن أراد صاحب الكلام صلاحَ شأن العامة، ومصلحة حال الخاصةّ، وكان ممن يَعُمُّ ولا يَخُصُّ . وينصح ولا يَغُشّ، جُمِعَت النفوسُ المختلفة الأهواء على محبَّته، وجُبِلَتْ على تصويب إرادته".

وأكثر الخطب العربية بعد ذلك يمكن أن تندرج فيما سماه أرسطو: **الخطابة الاستدلالية،** كالخطب فى مقامات الصّلح والمحالفة، ومراعاة حرمة الجوار، وتحمل الديات، والمفاخرة والمجادلة، وما جرت به عادتهم من خطب عقد الزواج، ما إلى ذلك. ويهمنا هنا أن نورد فى إيجاز الاعتبارات الأدبية فيما ذكروا من أحوال الخطابة والخطيب. وبَعض هذه الاعتبارات يرجع إلى حال الخطيب والسامعين وبعضها الآخر يرجع إلى الأسلوب. وهى الاعتبارات التى يعتبرها علماء الاتصال المعاصرين؛ المرتكزات التى ترتكز عليها نظرياتهم فى الإعلام والاتصال بالجماهير.

وعلى المُحّرر. تأسيسا على هذا الفهم. أن يعرف أقدار المعانى؛ وأن يوازن بينها وبين أقدار القراء فى حالاتهم المختلفة. **"فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما"** كما يحدث فى **الصحف المتخصصة؛** ولكل حالة من ذلك مقاما؛ حتى يقسّم **أقدار الكلام على "أقدار المعانى،** ويقسّم أقدار المعانى على أقدار تلك الحالات"[(١)]. **ومراعاة المقام مدار الإيجاز والتطويل،** إذ الإطالة، حين يكفى الإيجاز، مدعاة للضجر والسآمة؛ على حين الإيجاز فى موضع الإطالة تقصير. كمالا يصحّ أن يستعمل المرسِل ألفاظ الخاصة فى مخاطبته العامة، ولا كلام الملوك مع السوقة[(٢)].

وعلى المرسل أن يتلمس مواطن القبول من مستمعيه، فيطيل ما أقبلوا عليه، ونشطوا لسماعه، ويُمسك عن الإطالة إذا وجد فيهم فتوراً عنه[(٣)]. وينبغى أن يستعمل الإيجاز فى مخاطبة الخاصة، وذوى الأفهام الثاقبة؛ لأنهم يجتزئون باليسير من القول؛ كما يجب عليه ذلك فى المواعظ والوصايا، لتكون أيسر نقلا وحفظا. وأما الإطالة فتكون للعوام، ومن ليسوا من ذوى الإفهام. ولا بأس فى هذه الحالة من تكرار المعانى وتوكيدها أو إعادة بعض الألفاظ وترديدها؛ تحذيراً أو تهويلاً وتخويفاً[(٤)]. وإنما تليق الإطالة بالأئمة والرؤساء ومن يُقتدَى به ويُؤخَذُ عنه. أما العامة فليس لهم إذا خَطَبُوا سوى الإيجاز؛ لأن الإطالة منهم. فى رأى صاحب كتاب "البرهان" . مدعاة التباين والاختلاف فى الرأى. ولهذا المعنى يقول شاعر الخوارج:

(١) من صحيفة بشير بن المعتمر، فى الجاحظ : البيان والتبيين جـ١ س ١٣٨ . ١٣٩ .
(٢) البرهان فى وجوه البيان لابن وهب، ص ٩٧.٩٦ .
(٣) المرجع السابق ص ٩٦ . والجاحظ: البيان والتبيين جـ١ س ١٠٥.١٠٤ .
(٤) المرجع السابق ص ١٠٥ . ونقد النثر س ٩٧ .

كنّا أناساً على دينٍ ففرقنا ∴ قذْعُ الكلام وخلْطُ الجدّ باللعبِ

ما كان أغنى رجالا ضَلَّ سعيُهمُ ∴ على الجدال، وأغناهم عن الخُطبِ[1]

وقد تتسم المعالجة فى التحرير الصحفى بالطابع "الجدليّ" من خلال التحقيق الصحفى؛ والمقالات؛ والأحاديث؛ وغيرها من فنون (المعالم الصحفية) خاصة؛ على النحو الذى يتواصل مع بلاغة الجدل فى إقرار الحجة عن طريق الحوار.

وتبنى مقدمات الجدل مما يوافق الخصم عليه، وإن لم يكن فى نهاية الظهور للعقل. وهذا ما يفرق بين الباحث عن الحق فى ذاته، وبين المجادل الذى يقصد إلى إلزام خصمه الحجة. فإذا سبقت الحجة مما يوافق الخصم عليه فلا مطعن له فيها[2]. والسائل فى موقفه أقوى من المجيب، ولذا لا ينبغى للصحفى أن يتخيّر فى الإجابة عن السؤال من يثق في قدرته على إجابته؛ لأنه إذا لم يجب، أو أجاب ولم يقنع، أو تلجلج فى كلامه فقد ظهر عجزه[3].

وفى أسلوب التحرير الصحفى يستجاد عدم التكلف؛ والالتزام بالوضوح؛ وإثبات الغرض المقصود؛ وليست الأشياء والأحداث والصور من الوضوح فى ذهن القارئ مثل ما هى من الوضوح فى ذهن المحرر.

كتاب الأسلوب ولغة الصحافة :

يقول عميد الأدب العربى فى سياق حديثه عن التفكير: إنه الأداة الطبيعية التى نصطنعها فى كل يوم، بل فى كل لحظة ليفهم بعضنا بعضا وليعاون بعضنا بعضا على تحقيق حاجاتنا العاجلة والآجلة، وعلى تحقيق مهمتنا الفردية والاجتماعية فى الحياة. ونحن نصطنع هذه الأداة ليفهم بعضنا بعضا، ولنفهم أنفسنا أيضا. فنجد أننا نشعر بوجودنا وبحاجاتنا المختلفة وعواطفنا المتباينة وميولنا المتناقضة حين نفكر. ومعنى ذلك أننا لا نفهم أنفسنا إلا بالتفكير ونحن لا نفكر فى الهواء ولا نستطيع أن نعرض

(١) المرجع السابق ص ١٠٣ . ١٠٤ . والقذع: :الرمى بسوء القول .
(٢) نفس المرجع ص ١١١، وراجع كذلك الخطابة لأرسطو الفصل الثانى من الكتاب الأول .
(٣) نفس المرجع ص ١١٩، د.محمد غنيمى هلال المدخل إلى النقد الأدبى الحديث ص ١٦٦ .

الأشياء على أنفسنا إلا مصورة فى هذه الألفاظ التى نقدرها وندبرها فى رؤوسنا وتظهر منها للناس ما نريد ونحتفظ منها لأنفسنا بما نريد، فنحن نفكر باللغة ونحن لا نغلو إذا قلنا إنها ليست أداة للتعامل والتعاون الاجتماعيين فحسب وإنما هى أداة للتفكير والحس والشعور بالقياس إلى الأفراد من حيث هم أفراد أيضا.

والكلمة المطبوعة فى الوطن العربى مدرسة للمثقفين الذين ينقطعون عن الدراسة المتصلة بحكم نظم الحياة ومشاغلها حيث تصل بين وبين مناحى اهتماماتهم الثقافية وتكون بمثابة الحصة اللغوية اليومية أو الأسبوعية أو الشهرية والصحفية بذلك تيسر لهم استمرار حياتهم اللغوية ومتابعة هذا المد الذى بدءوه فى التعليم كما أن الكلمة المطبوعة تصبح مدرسة لعامة المتعلمين الذين لا يجدون فى حياتهم ما يعينهم على ذلك وييسر لهم أسبابه. إن عامة المتعلمين يجدون فى الكلمة المطبوعة المبسطة مجال تيسير المعرفة وإتاحة أسباب اللغة، وعلى ذلك فإن لغة الصحافة ذات أثر كبير فى حياة الأمة الفكرية اللغوية حيث تتيح للفكر فرصة الظهور وتمكن له من فرص النمو كما تضيف - باستمرار - إلى رصيد الفكر العربى وحياته الفنية والتعبيرية جديدا.

ولذلك تحرص الصحف الكبرى فى العالم أن يكون لها دليل، يطلق عليه "كتاب الأسلوب" يتضمن مجموعة القواعد والتعليمات التى تضعها الصحيفة لمحرريها، وهى تشمل تهيئة النص، ومراجعته، وتصحيحه ومطابقته للأسلوب الصحفى والدقة فى اللغة والمعلومات وتحاشى التعبيرات الجارحة وما إلى ذلك من الأمور التى تحقق التناغم فى أسلوب الصحيفة ككل، على النحو الذى يحفظ لها شخصيتها بين الصحف الأخرى ويحافظ على سلامة اللغة ودقتها فى التعبير. وكتاب الأسلوب **Stylebook** الذى أصدرته وكالة "يونايتد برس" من هذه النماذج الجيّدة فى مجال الأخبار.

وكتاب الأسلوب فى الصحف يقدم خلاصة وافية لاغنى عنها للاستعمال التحريرى بصفة مستمرة. ذلك أن هذا الكتاب الدليلىّ يمثل مجموعة من المعايير فى التحرير الصحفى لإرشاد المحررين بالصحف ووكالات الأنباء. ويذهب الأستاذ "هوهنبرج" إلى أن كتاب الأسلوب الجيد يستطيع أن يقدم الكثير من أجل تحسين طريقة تقديم الأخبار والموضوعات الصحفية. يقول:

وعندما كان "لويس جوردان" محررا للأخبار فى جريدة "نيويورك تايمز" كتب عن كتاب الجريدة الجديدة الذى صدر بعنوان **"كتاب الأسلوب واستعماله"** الذى راجعه وحرره قائلاً:

"إن الغرض من كتاب الأسلوب" هو إعطاء أفضلية على ذلك الذى **يهبط بمستوى اللغة بالنزول بمستواها** ويستهدف الحفاظ مثلا على التمييز ما بين كلمتى **"يتضمن"** و**"يستبدل"**، وللافاة بدعة التعبير الجديد مثل الأفعال: يضيف ويؤلف.. ويعمل على تحاشى استعمال "أكل عليه الدهر وشرب" وتحاشى أى تعبير مبتذل أو بال. ويجتنب العامية فى سياق الكلام غير الملائم، ويعى أهمية استخدامها فى الوقت المناسب، وأن يستخدمها عندما يكون سياق الكلام ملائما"(١).

ويسوق مثلا على التغيير فى أسلوب جريدة "التايمز" فى ١٤سنة منذ طبعتها الأخيرة **لكتاب أسلوبها،** فقد سبق للجريدة أن عرفت المرأة المتزوجة لأول مرة على أنها "مسز جون دو" أما الآن فتسميها "جين دو" للوهلة الأولى ثم "مسز دو" بعد ذلك. ويستمر كتاب الأسلوب فى استعمال الألقاب الشرفية للرجال والنساء فيما عدا الآنسات (مس) ولكنه يحذّر:

"عند الإشارة إلى النساء يجب أن تتلافى الكلمات أو الجمل التى تتضمن أن "التايمز" تتكلم بصوت رجالى، فيجب أن يكون تصوير الرجال كنماذج والنساء كاستثناء"(٢).

ومن بين الاصطلاحات المحظور استعمالها الألفاظ التى تحط من الكرامة مثل دُميةُ والجنس الضعيف، والمرأة الصغيرة . ويحذّر الكتاب أيضا من المعانى الخبيثة غير المرغوبة من حيث "الدلالة" والتى قد تحمل اصطلاحات تبدو فى ظاهرها حميدة مثل ربّة منزل، وشقراء، وسيمة، وجدة، ونحاتة، وطلاق، وغيرها والقاعدة هى أن الكتّاب يجب أن يسألوا أنفسهم عما إذا كانت مثل هذه المصطلحات ملائمة حين تستخدم بالقياس إلى الرجال فى نفس سياق الكلام: وهى تستخدم أيضا حين تعطى الأوصاف عن شخص أو جنس آخر أو دين .

(١) كتاب الأسلوب الصحفية نيويورك تايمز. نيويورك ١٩٧٦.

(٢) هوهنبرج: الصحفى المحترف، ترجمة ميشيل تكلا، ص ١٢٤.

إن قانون جريدة " التايمز" ضد الابتذال والسوقية والتجديفية الذى صدر فى ١٨٩٦ عندما اشترى أدولف س. أوكس الجريدة، كان مرهقا للأعصاب مع لوائح الصحف الأخرى الكثيرة. والآن فإن كتاب أسلوب "التايمز" يدعو إلى الدهشة عندما يفسر التجديفية فى هيئاتها المخففة بأنه يمكن فى بعض الحالات تبريرها(١).

وفى حين أن كتاب أسلوب "أسوشيتدبرس" يسمح باستخدام لفظ: الفحش أوالابتذال والسوقية والتجديفية طالما كان هناك سبب قوى لذلك. ومثل هذا الاستخدام لابد أن يرافقه تحذير للمحررين يكتب فوق الموضوع؛ وأن تستمر أخلاقيات الصحافة نُصب أعينهم نموذجا يحتذى به.

كتاب الأسلوب الإلكترونى :

من وجهة النظر المقبولة بين المحررين فإن من الكتب المؤثرة فى الولايات المتحدة، كتاب أسلوب اب . يو. بى آى، الذى روجع لأول مرة بعد ٢٠ سنة فى عام ١٩٧٧ . ولأن وكالتى الأنباء الأمريكيتين هاتين تغطيان الدولة الأمريكية؛ ولهما تأثير عظيم فعال خارج البلاد فإن كتابهما يقرأ بدقة بالغة .

وفى طبعته الجديدة، توجد اصطلاحات جديدة فى الأسلوب العادى، فيما عدا حالات عناوين المجاملات. فقد قررت الوكالتان إلغاء "مس" و"مسز" من جميع برقيات الرياضة واحتفظت بهما أى "مس" و"مسز" فى برقيات الأخبار ولكنها أعطت أى امرأة حق الاختيار بأن تلقب (مِسْ). وأجريت تغييرات كثيرة هامة فى الأسلوب بسبب سيطرة الكمبيوتر فى عمل الخدمة السلكية. وكما يصف ذلك "وليم رياريت" وهو مساعد مدير تحرير "يوبى" "أى" بقوله: "إن الطرق القديمة التى كنا نعمل بها الأشياء لابد أن تهمل فى هذه الأيام بسبب التكنولوجيا الحديثة وأجهزة الكمبيوتر التى تتكلم مع غيرها من أجهزة الكمبيوتر. فالكمبيوتر يحتاج إلى معلومات معينة دائما فى نفس المكان حتى يعرف ما يجب عليه عمله.. وبمعنى آخر، الكمبيوتر يخضع لبرامج تقوم بالبحث عن أشياء معينة فى مكان معين وهو يتفاعل بطرق معينة نتيجة لذلك. والغرض من وراء الحصول على نموذج تتبعه جميع الخدمات "البرقية هو تمكين

(١) نفس المرجع ص، ١١١.

مستلمى المعلومات من تنمية البرامج لقبولها بطريقة موحدة".. ويحدثنا "هو هونبرج" عما يسميه بدرْس **"هيمنجواى"** الكاتب الأديب الشهير، ذلك أنه بعد سنوات من اعتزاله العمل فى صحيفة "كانساس سيتى ستار"؛ يذكر "أرنست هيمنجواى" أول مبادئ كتابة الأخبار كما وصفت فى كتاب الأسلوب بالصحيفة وكانت أول جملة على النحو التالى:

استخدم جملا قصيرة. استخدم فقرات قصيرة. استخدم لغة إنجليزية قوية ولا تنس أن تصارع من أجل السلاسة. كن إيجابيا ولا تكن سلبيا .

يقول تشاربس أ. فتنون فى كتابه "التلمذة على يد إرنست هينمجواى" والحاصل على جائزتى "نوبل" وبوليترر" عن تأثير أسلوب الكاتب.

كانت هذه أحسن القواعد التى تعلمتها فى مهنة الكتابة. ولم أنسها مطلقا وليس هناك إنسان ذو موهبة، يحس ويكتب بصدق عن الشىء الذى يحاول أن يقوله ويفشل فى أن، يكتب جيدا إذا التزم بهذه القواعد ..

أن صورة واحدة للتنوع المحير فى الاستعمال الذى يمكن أن تكتب به اللغة، هو إصرار الصحف الكلاسيكية، لمعظم سنوات هذا القرن، على أن الأفراد يجب أن يعرفوا كأشخاص. وكلمة كثير قد تعنى فرقا غير محدودة "كأناس" . وبقليل من الاستثناءات فإن جميع صحفيّى الإذاعة تقريبا يستخدمون كلمة "ناس" كما صدرت فى الطبعة الثالثة العالمية من قاموس "ويبستر".

ومنذ صدرت صحيفة (الأهرام) قبل مائة وخمسة وعشرين سنة، وهى مدرسة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان" على حد تعبير الأستاذ إبراهيم نافع فى تصديره لـ:"دليل العمل الصحفى" للأهرام **Al - Ahram Style Book** يقول فى تصدير هذا العمل الكبير:" وقد تطورت طباعة الأهرام بتطور الطباعة ومستلزماتها ، فكانت الرائدة فى الوطن العربى، بل كانت أول من لاحق عصر الأقمار الصناعية وثورة الاتصالات فى تناول الصور وبثها فى لحظات لتكمل التعبير بالكلمة والصورة فى آن واحد، وكما تطورت المعدات، تطور أسلوب الكتابة ليواكب أسلوب الحياة المتجددة دائما.. ومن هنا يلحظ القارئ الفرق الكبير بين ما يكتب فى الجريدة اليوم وما كان يكتب قبل أكثر من

مائة عام فى أواخر القرن التاسع عشر ثم فى مطلع القرن العشرين، ومنتصفه وآخر سنواته. ولكن الأهرام حرصت دائما على شئ مهم هو أن تحوز ثقة قارئها فى صدق ما تكتب، ودقة ما تنشر. ولعل هذا هو ما أعانها على البقاء طوال هذه السنوات التى لا تباريها فيها مطبوعة عربية أخرى فى أى مكان من وطننا الكبير.

"وإذا كانت "الأهرام" مدرسة لقرائها بما تنقله إليهم من أخبار وتحليلات وأفكار وآراء حرة فإنها تعتبر أيضا مدرسة للعاملين فى الصحافة تعلّم فيها ألوف من المهنيين الذين لمعت أسماؤهم، وأصبحوا نجوما فى سماء الوطن العربى. أبناء مدرسة "الأهرام" أصدروا وحرروا المئات من الصحف والمجلات ووضعوا فيها خبراتهم التى اكتسبوها من هذه المدرسة".

إلى أن يقول الأستاذ إبراهيم نافع عن **كتاب "الأسلوب ودليل العمل الصحفى فى الأهرام"**: مع سنة التطور رأت الأهرام أن تصدر هذا الكتاب كدليل عمل للصحفّيين الجدد. تهدف من وضعه بين أيديهم أن يكون هاديا لهم فى عملهم المهنى الذى يمارسونه كل يوم.. وهو يكمل بذلك الدراسة النظرية التى تلقوها فى الجامعات. وهذا الدليل خلاصة تجارب زملاء من أسرة الأهرام مارسوا الصحافة سنوات طويلة، عملوا فى شتى فروعها. واكتسبوا خبرات يندر أن تتوافر لصحفى آخر فى الوطن العربى".

وقد نهض بإعداد هذا العمل العلمى، الأستاذ أحمد نافع، الذى يقول فى تقديم الكتاب:" إذا كانت الصحافة هى ضمير الأمة، وهى عقلها الذى تتماوج فيه الأفكار، وتتوازن فيه الآراء.. وهى قائدة النهضات لبناء الحضارة وهى الوعاء الأوسع لنشر المعارف، والعمود الأعلى لرفع أراء الثقافة:

"إذا كانت الصحافة هى هذا كله، وأكبر من هذا كله فما أحراها بأن تكون ناصعة البيان سليمة اللسان نقية الوجدان، تقدم للناس خلاصة المعرفة فى مجالاتها المختلفة التى تصول فيها وتجول بالعبارة السهلة، واللغة الصحيحة، تعرض فيها حقائق الأمور جلية واضحة، وتهدى بها إلى السبيل السوىّ، وتصل بها إلى غايتها المنشودة.

"كانت الصحافة من قبل مِلْكا لأفراد يملك أحدهم الصحيفة فيقود هو خطاها كما يشاء، ويحكم على الأمور كما يشاء.. من وجهة نظره الفردية، لا يسمح بأن ينشر فى صحيفته إلا ما يوافق نزعته وهواه، من الناحية السياسية ومن النواحى الاقتصادية والاجتماعية على السواء.. ولقد أصبحت الصحافة الآن مؤسسات كبيرة يقودها ضمير الأمة ويحدوها إلى غايتها ومقاصدها، فهى تضم كل الاتجاهات وتنقل إلى القارئ أهم ما يتصل بحياته من شئون؛ طبقا لحقه الدستورى فى المشاركة عن طريق حق الفهم والمعرفة، فأصبحت معطياتها اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية وأدبية وفنية ودينية، فهى انطلاقا من ذلك كله تمضى إلى تحقيق المصالح العليا للأمة عِلماً وحضارة وتقدما ورخاء.. تلك هى الصحافة اليوم وتلك هى رسالتها".

ويخلص الأستاذ أحمد نافع من ذلك إلى أن "من حق القارئ أن يتلقى ما تقدمه الصحافة إليه فى الأسلوب الأسهل، والبيان الأمثل، والعبارات السلسة، والكلمات الواضحة، واللغة الصحيحة. وقد يحدث أن يختلف الكتاب الصحفيون فى استعمال الأخطاء الشائعة؛ فمنهم من ينكرها ويتحاشاها؛ ومنهم من يجيزها لشيوعها، وقد يختلفون أيضا فى بعض مواضع الهمزة وعلى أى حرف ترسم. وقد يفوت بعضهم بعض دقائق اللغة كما هو الحال فى تمييز الأعداد مثلا. لذلك كان من أهداف هذا الكتاب وضع هذه الأمور وأمثالها فى نصابها الصحيح ودعوة كتاب الجريدة ومجلاتها المختلفة والعاملين فيها جميعا إلى مراعاة هذه الضوابط وإتباعها، لأن القارئ إنما يتلقى فى هذه الأيام خاصة، علمه وثقافته ومعارفه وضوابط لغته من الصحف، ومن حقه هو على صحيفته التى يتتلمذ عليها ألا تبلبل فكره بين شتات من الأشكال للكلمة الواحدة وشتات من الضوابط فى لغة الكلام".

وحين نلقى نظرة سريعة على أثر الصحافة فى اللغة فى النصف الأول من القرن الحاضر فى مصر نجد طائفة من مشاهير الكتاب فى الأدب والسياسة والاجتماع كان لمقالاتهم وكتبهم التى نشرت كمقالات فى الصحف أثر كبير فى تطور الشعر والأدب العربى بوجه عام، وهم يشتركون جميعا فى وفرة المحصول من المقالات فى المجلات والصحف على اختلاف أنواعها، غير أنهم اختلفوا فى أسلوب الكتابة فمنهم المتعّمق وراء الفكر: (**العقاد**) ومنهم المؤثر للأسلوب الحديث القريب التناول: (**المازنى**) ومنهم

الأكاديمى المتمكن من الأسلوب العربى الكلاسيكى القادر على معالجة نواحى الحياة الحديثة بهذا الأسلوب: (**طه حسين**).

والصحافة توجه النشاط العقلى للأمة. وتاريخ الصحافة يشمل فترة طويلة من الزمن تسمح لنا بأن نتبين تأثير التطور الاجتماعى على عقلية النّاس وان نتبيّن حرص لغة الصحافة على جوهر اللغة العربية، وسيرها طبقا لخصائصها وأساليبها الأصيلة والعريقة.

والصحافة العربية تساهم فى تجديد لغة الضاد عن طريق عاملين رئيسيين أحدهما: هو **الكسب الخارجى** وما يتسرب إليها من لغات أخرى عن طريق الترجمة البرقية ثم يتأصل فيها ويصبح جزءا ثابتا منها.

كما أن دراسة المفردات فى لغة الصحافة تتجه ناحية أخرى غير الناحية التاريخية؛ ذلك أن الكلمات لا تستعمل فى واقع اللغة الصحفية تبعا لقيمتها التاريخية وإنما على أساس أن للألفاظ فى الصحافة قيمة محددة باللحظة التى تستعمل فيها. إن السياق هو الذى يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، ومن ذلك ما جرى فى لغة الصحافة جريانا طبيعيا من ألفاظ وأوضاع جديدة لمعان شتى فقيل مثلا :

فنان. للماهر فى الفنون. **أصبح على أمر ما**: أى أنكره ووضع فاعله موضع الملامة.

تجوّل فى البلاد . بدل جَوّل فيها "اكتشف الأمر. أى كشفه وأظهره لأول مرة **خابره** . أى فاوضه أو بادله الخبر ومنه قلم المخابرات **حُكم على المجرم بالإعدام** أى بالموت.. والإعدام أصلا فقد المال، فحولوه إلى فقد الحياة.

نظام وحدوىّ نسبة إلى الوحدة والقياس أن يقال وحْدىّ ومثلها كُتلِوىّ نسبة إلى الكتلة.

وتأسيسا على ذلك وجدنا اللغة الصحفية تتجه إلى الوضع اللفظى لمختلف المعانى والأغراض، ولقد أضافت إلى اللغة كثيراً مما لم تعرفه من قبل، واستخدمت فى ذلك النحت والقياس والاشتقاق. كما اتجهت لغة الصحافة فى اتجاه الوضع المجازى عن طريق توليد اصطلاحات مجازية للتعبير عن معان خاصة، يذكر منها الأستاذ أنيس المقدسى: **القوة الضاربة**. أى السلاح الكافى، **اجتمعَ المؤتمر على صعيد الوزارة** أى كان مؤلفا من وزارة الدولة.

أخذ المبادرة. أى سبق غيره فى أمرها. **انتهاك صارخ لحقوق الشعب** أى انتهاك واضح شديد. **ناطحات السحاب** . للأبنية الشاهقة العلوّ. **توترت العلاقات بينهم** أى ساءت واشتدت، **صَوّت فى الجلسة لفلان:** أى كان من مؤيديه وأظهر تأييده له.

كما اتجهت لغة الصحافة إلى **الاشتقاق الإسمى** عن طريق اشتقاق صيغ من أسماء خاصة ومن أمثلته: **قنّن** . من القانون. نقول قنّن الطعام أى تناوله بحسب قانون محدد. **موّل** . من المال . **موّل المشاريع** أى قدم المال اللازم لها. **تطّور**. من الطور فنظام التطور هو التقدم من طْور إلى طْور. **عايد أوعيَّد** . من العيد احتفل بالعيد أو هنأ به. **قيّم**. من القيمة تقييم الأشياء أى تقدير قيمتها. استجواب . من الجواب. استجوب القاضى فلانا أى طلب منه الجواب. وهكذا فإن "لغتنا تتسع لكل عظيم" على حد تعبير الأستاذ أحمد نافع الذى يقول فى "دليل العمل الصحفى": والعربية هى التى وسعت كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ووسعت ما تفرع عن ذلك من تراث الإسلام وعلومه تفسيرا أوحديثا وفقها وتشريعا ووسعت علوم التوحيد وأصول الأحكام وعلوم الفلك والرياضيات وعلوم الطبيعة والكيمياء.. والطب والزراعات والصناعات.. وهى الآن تتسع لكل ما يُترجم إليها من اللغات الحية واللغات المنتشرة فى هذا العالم الواسع الكبير شرقيه وغربيه، ولا تزال العربية تتسع لكل عظيم".

يقول أستاذنا الدكتور شوقى ضيف رئيس مجمع اللغة العربية من مقال بعنوان: **"اللغة العربية فى مواجهة القرن الحادى والعشرين"** نشر فى صفحة الأدب بجريدة الأهرام(١): "اللغة العربية أقدم اللغات الحية زمنا وأطولها عمرا وأكثرها قدرة على تمثل الحضارات السابقة عليها، تمثلت حضارات الأمم القديمة التى سبقتها فى الحضارة وأضافت إليها ما جعلها ذات حضارة كبرى أذاعتها فى القارات القديمة: آسيا وإفريقيا وأوربا، وامتازت بحيوية متأججة نفاذة بحيث لم تنازل لغةً أيام الفتوح الإسلامية إلا ظفرت بها، ظفرت فى العراق باللغتين: الآرامية والنبطية . وفى إيران باللغة الفارسية وفى الشام باللغتين السريانية واليونانية، وفى مصر باللغتين الديموطيقية واليونانية، وفى تونس وما وراءها بالمغرب باللغتين: البربرية واللاتينية وفى الأندلس: باللغة الرومانثية الإسبانية.. وأهل كل هذه البلدان شرقا وشمالا وغربا زايلت لغاتهم ألسنتهم

(١) جريدة الأهرام، صفحة الأدب . الجمعة ١٩٩٧/١٢/٥ .

وحلّت مكانها العربية، واتخذوها للتعبير عن وجدانهم ومشاعرهم شعرا ونثرا وعن عقولهم وألبابهم فكرا وعلوما وفلسفة، وواتتهم العربية. وخاصة فى صنوف العلوم والأفكار الفلسفية. بكل ما أرادوا من صور التعبير مهما كانت عميقة لمرونتها الشديدة واشتقاقاتها الكثيرة. وقادت اللغة العربية العالم حضاريا وأدبيا وعلميا وفلسفيا طوال ستة قرون منذ القرن الثامن الميلادى، وظلت علوم العرب وفلسفتهم تصبّ فى أوروبا وجامعاتها منذ بدءوا فى ترجمتها بالقرن الحادى عشر الميلادى ومضوا يتعلمونها حتى القرن السابع عشر وأخذت تضىء لهم مسالكهم إلى علومهم الحديثة.

وأصاب العربية ركودُ قرونا وعادت إلى الازدهار فى عصر محمد على وخلفائه. وفى هذا القرن العشرين ينفتح العرب على علوم الغرب وينشطون فى ترجمة الطب والعلوم المختلفة إلى العربية ويضعون معاجم العلوم فُرادى وجماعات كمعجم **محمد شرف** الطبى سنة ١٩٢٦ ويشتمل على أربعين ألف مصطلح طبى، ناهيك عما وضعته مجامع اللغة العربية فى القاهرة وسوريا وبغداد من عشرات المعاجم العلمية، ولمجمع اللغة العربية القاهرىّ أربعة عشر معجما علميا، وليس فى الجامعات المصرية علم غربى يدرس فيها الآن إلا وفى المجمع القاهرى مُعجم له يعرض مصطلحاته الغربية ومقابلاتها العربية. وواضح - من ذلك كله - أن للغة العربية تاريخا حضاريا مجيدا وعت فيه منذ أربعة عشر قرنا كل ما كان لدى الأمم القديمة من حضارات وعلوم وفكر وفلسفة، وأضافت إلى كل ذلك إضافات رائعة وقادت العالم قرونا؛ حضاريا وعلميا، وواكبت أوروبا قرونا متعاقبة على علومها وفلسفتها مما أعدها سريعا لنهضتها الحديثة.

واستطاع علماء مصر فى القرن الماضى أن يستحدثوا فيها لغة علمية عصرية شاعت فى العالم العربى، وعلا صوتها فى هذا القرن العشرين بفضل أدباء مصر الكبار الذين تترجم أعمالهم إلى الغرب، وبفضل علمائها الذين ينقلون إليها العلوم الغربية ومصطلحاتها العلمية. وهذه اللغة الحية التى ملأت العالم شرقا وغربا علما وأدبا، يدعو بعض أبنائها فى بعض الصحف إلى استبدالها بالعامية التى نستخدمها فى حياتنا اليومية بالسوق والمصنع والمنزل. ومن يدعون هذه الدعوة لا يعرفون تاريخ اللغة العربية: لغتنا ولغة العرب القومية، وطاقاتها اللغوية، وحملها لتراث الأمة الثقافى الدينى والتاريخى والأدبى والعلمى؛ طوال أربعة عشر قرنا، وهم أيضا لا يعرفون شيئا عن العامية.

- وهى فى أكثرها. فصحى مُحَّرفة كما فى مثل: سمع وفهم وعلم، بكسر أولها جميعا. ثم هى لا تحمل أى تراث ثقافى أو دينى أو تاريخى أو علمى، وهى لا تصلح أن تحمل لنا فكرا أو علما أو دينا، إذ هى لهجة متداولة فى الشئون اليومية المؤقتة. والعربية فى ذلك مثل اللغة الفرنسية وغيرها من اللغات الغربية الحية. فجميعها لها لهجات يومية تتداولها شعوبها غير لغاتها الأدبية والعلمية، ولم يقل أحد هناك: دعونا من لغة الفكر والعلم والثقافة والأدب. ولنتحدث فيها بلهجتنا اليومية. وذلك فضلا عن أنها دعوة خطيرة، إذ يترتب عليها أن تصبح للأمة العربية لغات بعدد عاميات شعوبها التى تصل إلى نحو عشرين عامية، وبعض الأقطار به عاميات متعددة مثل العراق ومثل مصر، ومعروف أن عامية الوجه البحرى تخالف عامية الصعيد، وهم بذلك يدعون؛ دون وعى . إلى تمزيق الأمة العربية إلى أمم بعدد العاميات المنتشرة فى أقطارها. ومثل خطأ الدعوة إلى العامية الدعوة إلى الإبقاء على الإنجليزية لغة لتعليم العلوم الغربية فى جامعاتنا العربية وتعميمها فى كل سنوات الكليات العلمية، ويقولون أيضا إن العلم عالمى؛ ولماذا لا نعلم شبابنا بالإنجليزية اللغة العلمية السائدة فى المحيط العلمى. ويقولون إننا إذا علمنا العلوم باللغة العربية يُخشى عليهم من الانغلاق وألا يستطيعوا ملاحقة التيار العلمى العالمى. ونحن حين نقول بتعريب التعليم الجامعى فى البلاد العربية سنحرص أشد الحرص على إتقان الشباب للغة الإنجليزية أو إحدى اللغات الحية الأجنبية، وستوضع للشباب البرامج والمناهج الكفيلة بتحقيق ذلك. بحيث يكون أساتذة جامعاتنا مثل أساتذة الجامعات فى فرنسا أو فى ألمانيا، فهم يُعّلمون العلوم بالفرنسية فى الأولى أوبالألمانية فى الثانية، ويكتب نفرٌ منهم مقالات علمية باللغة الإنجليزية، وينشرها فى المجلات العالمية. وسيكون أساتذة جامعاتنا مثلهم يُعّلمون الشباب فى الجامعات باللغة العربية، وسيكون منهم من يتقنون الإنجليزية أو لغة حية غربية أخرى، ويكتبون بها مقالات علمية تنشر فى المجلات العالمية.

وبيننا نفر لا يعرفون اللغة العربية وتراثها ويقولون: إنها لغة تراثية ولا تصلح لعصرنا إذ لا تستطيع مواكبة الحضارة الغربية ولا مجاراة إنجازاتها الحضارية، وهى . بذلك . تعد مغتربة عن عصرنا، ولا تصلح له أى صلاحية. وهو كلام يُلقى على عواهنه دون تدبُّر، ودون معرفة بالتراث العربى، وتمثُّله لحضارات الامم القديمة، وإقامته

لحضارة شامخة، وعبوره الأندلس وصقلية إلى أوروبا، وإعدادها العلمى لحضارتها الحديثة، كما أعدت مصر فى القرن الماضى للنفوذ إلى لغة علمية حديثة شاعت فى العالم العربى. وطبيعى أن هذا النفر لا يعرفون اللغة العربية وتراثها ولا يعرفون أنها هى التى قاومنا بها مقاومة عنيفةً المستعمرين الإنجليز والفرنسيين، حتى ولوُّا على وجوههم من ديارنا العربية إلى البحر المتوسط وما وراءه. ومعروف مدى مقاومة العربية الحادة وتراثها؛ لفرنسا طوال قرن وربع قرن فى الجزائر؛ حتى طردتها بعد محاولاتها الكثيرة اليائسة تعليمية وغير تعليمية، فى استخدام. الجزائريين الفرنسية بدلا من العربية. إن اللغة العربية لم تنازل لغة إلا ظفرت بها، وهو ظفر وانتصار كانت تستعين فيها العربية بتراثها الثقافى؛ الأدبى والعلمى والتاريخى والدينى الذى ينزل منها منزلة الأرواح والأفئدة.

وهاهو الغربُ يعدّ لنظام عالمى جديد من أهم مقوماته العولمة، وهى أن تصبح كل أمة فيه عالمية حضاريا وثقافيا، ويخشى مع هذا النظام أن تفقد الأمم خصوصياتها وهوياتها.

وفى تقديرى أن العرب لم يقبلوا هذا النظام إلا إذا اعتدل ميزانه ولم يتعارض مع شخصيتهم الحضارية والثقافية، والأمة العربية فى مواجهتها القرن الحادى والعشرين بل قرون الألف الميلادية الثالثة جميعها ستظل تصر إصراراً لا يماثله إصرار على التمسك بهُوّيتها ولغتها العربية، وتراثها الحضارى والثقافى الخالد الذى أتاح لها حياتها الطويلة الخصبة ووجودها العالمى العظيم(١).

ونتساءل مع الأستاذ أحمد نافع: "من من الناس وحملة الأقلام أولى من الصحفى بسلامة اللغة وصحتها؛ وهو الذى يقود ركب الثقافة والبيان والبلاغ فى أمته وشعبه؟ ذلك أن الصحافة "ومعها وسائل الإعلام الأخرى من إذاعة وتلفزيون، تلازم الناس من صحوهم إلى منامهم، فهى المؤثر الفعال فى طبع حياتهم وصوغها، وفى توجيه أفكارهم وتنوير عقولهم وتنقية وجدانهم وترسيخ قيمهم؛ أو هى التى تقلب ذلك كله رأسا على عقب. الصحافة هى المعلم الأول للشعوب وعنها يتعلم الناس، وبها يقتدون، فهى أعم وأشمل وأوسع تأثيرا من المدارس والجامعات، فإذا لم تتدارك

(١) د. شوقى ضيف : "اللغة العربية فى مواجهة القرن الحادى والعشرين"

الصحافة الأمور التى تمسخ شخصية الأمة أو تهاونت فى استشراء الأخطاء التى تشيع فى لغتها، صارت تلك الأخطاء عند الناس هى القاعدة من حيث لا يدرون.. والصحفى كاتب، وكل كاتب يجب عليه أن يراعى فيما يراعى سلامة لغته وقواعدها الصحيحة وأن يتعرف على الأخطاء ليتحاشاها (١)".

ويؤكّد **كتاب الأسلوب** فى وكالة "**أسوشيتدبرس**" أن هذا المرجع الدليلىّ للمحررين؛ يساعد على تقديم الكلمة المطبوعة تقديما دقيقاً؛ ومُحكما؛ ومُمتعا لعين القارئ. ويجب أن يرتكز على قواعد النحو.

إن أى كتاب للأسلوب؛ كما يذهب إلى ذلك "هوهنبرج" لايمكن أن يحلّ محلّ العمل الشاق؛ والمهارة المكتسبة فى الكتابة؛ والذوق الفنى؛ من مقومات الكاتب والمحرّر الصحفى. كما أن هذا المرجع الدليلىّ لا يمكن استخدامه لتقويم النقاط المهمة فى قصة خبرية أو موضوع صحفى. ولا يستطيع أن يظهرنا على طريقة أفضل لتقديم الأخبار أو ترتيبها؛ إذ ليست هناك قوانين تحلّ محلّ التفكير نفسه.

الشكل والمضمون فى فنون التحرير:

والمضمون يمثل نقطة البدء للتعبير فى التحرير الصحفى؛ وليس هناك فاصل بين خصائص المضمون وخصائص التعبير؛ بحيث يمكن الانتقال من أحدهما إلى الآخر. وفى ذلك يقول "كروتشى": "قد يكون المضمون هو مايمكن تحويله إلى شكل، ولكن طالما لم يوضع فى الشكل، لا تكون له صفات محدودة؛ فلا نعلم عنه شيئا (٢) ولا يصير مضموناً إعلاميا؛ إلا بعد وضعه فى "الصورة التحريرية" الملائمة.

فاللفظ والمعنى متلازمان؛ إذ العملية الفكرية فى التحرير واحدة؛ وفيها تتجلى الصورة الإعلامية عن طريق صياغتها. ولذلك ذهب "عبدالقاهر فى البلاغة العربية؛ إلى ربط الألفاظ بدلالتها فى السياق من حيث تكوين الصورة الأدبية فإذا كانت العبرة بالألفاظ فى مواقعها من الجُمل، فليس ذلك لأنها المقصودة أولاً بالفكر؛ إذا لا يُعقل أن يُقصد أولا إلى ترتيب المعانى فى استقلال عن اللفظ، ثم بعد ذلك يُستأنف النظر فى

(١) احمد نافع : دليل العمل الصحفى. الأهرام ؛ مؤسسة الأهرام ١٩٩٧.

(٢) د. عبد العزيز حمودة: علم الجمال والنقد الحديث، ص ٣٥.

الجملة الدالّة عليها، ولا أن يُقصد إلى ترتيب الألفاظ وتواليها على نُظم خاص فى استقلال عن الفكر. ولكن هذا الترتيب للألفاظ يقع ضرورة ملازماً للمطلوب الأول، وهو المعنى المدلول عليه فى الصورة[1] وليس الأمر كما ذهب ابن خلدون إلى أن المعنى تابع للفظ - فى مناصرته للفظ - [2] ولكن الأمر كما يرى عبدالقاهر. يجعل اللفظ تابعا للمعنى بالضرورة؛ إذ الألفاظ أوعيةُ للمعانى، وهى أدواتنا لفهم هذه المعانى. "فإذا وجب لمعنى أن يكون أوّلاً فى النفس وجب للفظ الدالّ عليه أن يكون مثله أولاً فى النطق[3] فلا يُتصور "أن يعرف المرء للفظ موضعاً من غير أن يعرف معناه، ولا أن يتوخّى فى الألفاظ من حيث هى ألفاظ؛ ترتيباً ونظماً، وإنما يتوخّى الترتيب فى المعانى؛ فإذا تم ذلك تبعتها الألفاظ وقفَت آثارهما" و "إنك إذا فرغت من ترتيب المعانى فى نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً فى ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خَدمٌ؛ وتابعة لها ولاحقة بها؛ وإن العلم بمواقع المعانى فى النفس، علمٌ، بمواقع الألفاظ الدالّة عليها فى النطق"[4]. ولهذا التلازم فى العملية الفكرية بين الألفاظ فى السياق ودلالتها على معناها العام، يرى عبدالقاهر أنه لا يتصور بحال أن يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى، لأنه لا يتصور أن يحصل المرء على المعنى أولاً على حدة، ثم يبحث له عن الألفاظ الدالّة عليه؛ إذ أن الألفاظ. من حيث هى ألفاظ لا تُطلب بحال؛ وإنما تطلب من أجل المعانى فى الصياغة والسياق. فطلب المتكلم دائما متوجّه إلى المعنى الذى يريد أن يصوغه فى كلام تامٍ يدلّ عليه، وقد تعْرض له الصعوبة بسبب اللفظ. ومن أجل ذلك تخلّصت لغة الصحافة من السّجع مثلاً؛ ذلك أن صعوبة ما صعب من السجع هى صعوبةٌ عرضت فى المعانى من أجل الألفاظ وذلك أنه صعْب عليك أن توفق بين معانى تلك الألفاظ المسجعة، وبين معانى الفصول التى جُعلت أردافاً لها، فلم تستطع ذلك إلا بعد أن عَدلْت من أسلوب، إلى أسلوب، أو دخلت فى ضرب من المجاز، أو أخذْتَ فى نوع من الاتساع؛ وبعد أن تلطّفت على الجملة ضرباً من التلطف[5]".

(١) عبد القاهر الجرجانى: دلائل الإعجاز ص ٤٢ - ٤٣.
(٢) د. محمد غنيمى هلال: السابق ص ٢٩٦.
(٣) عبدالقاهر الجرجانى: المرجع السابق ص ٤٢.
(٤) نفس المراجع، ص ٤٤.
(٥) نفس المرجع، ص ٤٤.

والعملية الذهنية فى التحرير يتلازم فيها المعنى؛ والألفاظ الدالّة عليه فى الجُمل مؤتلفة؛ وبَدهى أن المطلوب هو المعنى؛ إذ الألفاظ من حيث هى أصوات لا تُطلب أبداً، ولكن المعانى إنما تُطلب بالألفاظ من حيث دلالاتها فى التحرير. فأنت إنّما تطلب المعنى؛ وإذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك، وإزاء ناظرك، وإنما كان يُتصور أن يصعب مرام اللفظ من أجل المعنى أن لو كنتَ طلبت المعنى فحصلته، احتجْت إلى أن تطلب اللفظ على حدة وذلك محال[1]، على حد تعبير عبدالقاهر. وهنا نجد أن عبدالقاهر يمسّ مسألة جوهرية؛ أشار إليها أرسطو، وهى أن عملّية النطق مستلزمة للتفكير بالضرورة. ويسلم العلم الحديث بأن التفكير على أية صورة إنما يكون بألفاظ، على حين يفكّر المرء فى صمت فى ذات نفسه، واللغة هى وسيلتنا للوعى: "بما حولنا، والتعبير عنه [2]. يقول "برجسون" فى مقدمة رسالته فى الأفكار المباشرة للوعى: "إننا نفكر ضرورةً بالألفاظ".

وحين نذهب إلى أن التحرير الصحفى إنما هو فى جوهره تفكير؛ وتعبير؛ فإن هذا المذهب يرجع إلى أن الكلمات رموز لمعانى الأشياء؛ الحسية أولا، ثم التجريدية المتعلقة بمرتبة أعلى من مرتبة الحس ثانياً. فهى رموز لحالات نفسية هى مادة الفكر، والصوت اللغوى وظيفة عقلية، لها دلالاتها على الكلام النفسى الداخلى. وهذه الحالات النفسية التى تثيرها اللغة ليست فردية محضة؛ لأن دلالتها على الأشياء ومعانيها ليست طبيعية؛ بل هى وضعية اصُطلح عليها؛ فمعانيها المشتركة بين الناس هى التى تعطيها كل قيمتها اللغوية. وبهذا وحده نستطيع أن نفكر بالكلمات؛ ونبنى حججنا عليها بوصفها رموزاً للأشياء. يقول أرسطو:

"والكلمات المنطوقة رموزٌ لحالات النفس؛ والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة؛ والكتابة ليست واحدة عند كل الناس، شأنها فى ذلك شأن الكلمات المنطوقة، ولكن المحاولات النفسية التى يعد التعبير دليلا مباشراً عليها هى عند كل الناس، شأنها فى ذلك شأن الأشياء التى تُعدّ هذه الحالات صوراً لها [3]".

(١) نفس المرجع، ص ٤٩ .
(٢) د. محمد غنيمى هلال؛ المرجع السابق، ص ٤٨ .
(٣) نفس المرجع، ص ٤٩ .

وفى التحرير الصحفى ـ تأسيسا على هذا الفهم ـ عمليات عقلية متتابعة؛ تقوم على أساس الفهم التواصلىَ للغة؛ فالتسمية نفسها تضيف إلى المحسوس ما يزيد به عن مجّرد وجوده الحسّى. فإذا قلت: (محمداً) مثلا، فهذه التسمية تتضمن مبدأ (الإنسانية) إضافة إلى تعيينها هذا الشخص المعروف بهذا الاسم، ومبدأ (الإنسانية) عالمىٌّ فى ذاته. وبذلك كانت اللغة عند أرسطو رمزاً للفكر. فالنطق والفكر عنده متلازمان. وبدون الكلمات لا يتيسر فكْرٌ ولا علم ولا اتصال. وكلمة (لوجوس) Logos التى من معانيها (المنطق أو العلم) معناها: اللفظ فى الأصل؛ ثم صارت تطلق على اللغة، وهى عند أرسطو مرادفة للعقل[1].

والإنسان لا يواجه الواقع مواجهة أولية، فبدلا من التعامل دائما مع الأشياء نفسها؛ يطّور الإنسان أفكاراً عن هذه الأشياء، وهو يغلف نفسه بغلاف من الأشكال اللغوية، والصور الفنية، والرموز الأسطورية؛ لدرجة أنه لا يستطيع أن يرى شيئا أو يعرفه إلا من خلال نظامه الرّمزى. وكما قال "ابيكتيتوس": **"إن ما يقلق الإنسان ويخيفه ليست هى الأشياء، وإنما آراؤه وتخيلاته عن هذه الأشياء".**

ولقد صور "والترليبان" عام ١٩٢٢ فى كتابه عن **(الرأى العام)** صورة ممتازة للبيئة الصورية.. فالعالم الموضوعى الذى يتعامل معه الإنسان يخرج عن نطاقه وعن بُعده وعقله. ويضع الإنسان لنفسه فى رأسه صورة للعالم الخارجى تختلف فى مدى الركون إليها. وهكذا لا يسلك الناس على أساس المعرفة المباشرة والمؤكدة بالعالم الواقعى، وإنما على أساس الصور التى صنعوها بأنفسهم، أو أخذوها عن الآخرين، ويتوقف سلوك الإنسان على تلك الصور التى فى ذهنه. وهذه الصور تفكّ الرسائل التى يتلقاها الإنسان من العالم الخارجى، ويستخدم فيها الصور المخزونة، والتصورات السابقة، والتحيُّزات، والدوافع، والمصالح، لتفسير الرسائل واستكمالها، وبالتالى توجيه عمل الانتباه والرؤية ذاتها، وتصبح هذه التفسيرات أو التوسُّعات نماذج أو أنماطاً جامدة.

ويذهب "ليمان" إلى أن هذه الأنماط الجامدة تقرّر السلوك البشرى. والأصل فى **(النمط)** أنه ذلك اللوح الذى يصنع بأخذ قالب للسطح الطباعى، وصبّ المعدن الطباعى عليه، وتصبّ عقول الناس، وفقا لنظرية (ليمان) فى قوالب.. وهى الصور التى

(١) نفس المرجع، ص ٤٩.

يكونونها عن العالم الخارجى، ثم تقوم العقول بتوليد الأفكار والاستجابة للمثيرات وفقا لنماذج القوالب. كان "لبمان" يكتب فقط عن العلاقة بين الرأى العام والصحف؛ ومع ذلك فإن فكرته - كما يقول ريفرز. يمكن أن تمتد لتشمل جميع وسائل الإعلام. ذلك أن هذه الرسائل تعمل كمصدر رئيسى للمعرفة يزود الناس بالرسائل من العالم الخارجى. ويستخدم الناس تلك الرسائل لتشكيل الصور العقلية عن عالم الشئون العامة .

ومواقع الألفاظ من الجمل؛ بوصفها الرسائل التى بها يُؤدى المعنى؛ يُظهر مزّية التحرير؛ ودقة استخدامه للألفاظ فى جلاء الصورة. ويمكن النظر إلى الصحف ووسائل الإعلام؛ على أنها تخلق نوعا من البيئة الصوريّة بين الإنسان والعالم الموضوعى الحقيقى. ولهذه النظرة معانيها الهامة فى فهم طبيعة التحرير الصحفى والإعلامى؛ وما يتميز به . خلال الوسائل. من سرعة وشمول وانتشار.

والألفاظ - فى التحرير بأشكاله المختلفة. هى وسائل للتفكير والتصوير الإعلامى. ويقتضى هذا الفهم الحرص على دقة الدّلالة وتمامها؛ وجلائها فى صورة موضوعية؛ وهى خصائص لا يمكن أن تتوافر فى التحرير الصحفى والإعلامى؛ إلا بأن يُؤتى "المعنى من جهته، ويُختار له اللفظ الذى هو أخصّ - وأكشف - عنه؛ وأتم له، وأحرى بأن يُكسبهُ نبلا، ويظهر فيه مزية " على حد تعبير عبد القاهر. ولا تكون المزيّة للكلمة إلا بحسب موقعها من الجملة، لا لتئام معناها مع معنى جاراتها.

وأهمّية المضمون؛ فى التحرير الصحفى تنحصر فى التعبير عنه أى وضعه فى شكل من الأشكال الصحفية . وفى هذا إقرار لحرية المحرّر. ولكنها حرية مسئولة تلتزم بالأخلاقيات والقيم والمبادئ "والمساحة المكانية" المحدّدة فى الصحيفة.

هذا الالتزام هو الذى يكسب المحرّر؛ وصحيفته، "مصداقيةً" مصدرها القانون الخُلقى، والواجب الفنى فى صدق التعبير؛ ودلالته عن الواقع دلالة أمينة.

وقد جاء فى كتاب "التقصير" الذى اشترك فى تأليفه ستة من أظهر الصحفيين والمراسلين الإسرائيليين عقب حرب أكتوبر: "أن أخطر مظاهر التقصير فى حرب أكتوبر بالنسبة لإسرائيل إنما يتمثل فى فقدان قيادتها السياسية والعسكرية، للثقة التى كان الشعب يكُنها لها. وكان أفدح أخطائها هو خوف تلك القيادة من عدم تحمل

الشعب الأنباء المؤلمة عن الفشل والهزيمة ومحاولات التغطية على المسئولية الشخصية لبعض القادة عن الهزيمة".

وفى هذا النص من نصوص إعلان الحرب توضيح لماهية "**المصداقية**" كمصطلح شاع فى هذا الزمان، وهو مصطلح يشير إلى "**الصدق الإعلامى**" فى وسائل الإعلام ، كما يشير إلى "**الصدق الفنى**" فى الأعمال الأدبية والفنية؛ فبالقياس إلى وسائل الإعلام لابد من تحرىّ الصدق والدقة والإنصاف، فيما تقدم لجماهير القراء، فهذه الوسائل هى "**الرائد الذى لا يكذب أهله**" وهى تقوم بدور "**حَذام**" زرقاء اليمامة المشهورة؛ التى كانت تُبصر على مدى ثلاثة أيام؛ فتصدق أهلها الأخبار، فى حين تقوم وسائل الدعاية، التى يشير إليها كتاب "**التقصير**" الاسرائيلى؛ بدور "**خُرافة**" حين تتوخى **الكذب الدعائى**. ودور "**حَذام**" هذا فى الإعلام، تؤكده الدراسات الحديثة؛ حيث يتلخّص فى: **إعطاء تقرير صادق وشامل وذكىّ عن الأحداث اليومية فى سياق يعطى لها معنى.**

وهذا ما اتسم به "إعلام" أكتوبر؛ على النحو الذى يلخصه د. محمد عبدالقادر حاتم فى قوله: إن سياستنا الإعلامية تعتمد أساساً على "تقديم الحقائق للشعب والعالم بأسره بأمانة وموضوعية".

لقد تنبه "هتلر" "وفرانكلين روزفلت" "وويلسون" إلى أهمية الدوافع الأدبية وهم يستخدمونها لأغراض دعائية تختلف عن أغراض الإعلام. الأمر الذى يدفعنا إلى تنقية جوهر الأدب؛ وجوهر الإعلام على أساس من مفهوم "المصداقية" الذى يعنى الإحساس بالتعاون والتجاوب بين "**مصدر**" الرسالة و"**متلقيها**" وهو الإحساس الذى يؤدى إلى نجاح "**الرسالة**" الاتصالية فى **الأدب** وفى **الإعلام**. ولذلك تتجه المدارس النقدية الحديثة إلى نقد متخصص فى دراسة **استجابة القارئ** **Reader – Response Criticism** وتنقل اهتمامها من العمل الأدبى بوصفه بناء مُنجزاً من المعانى؛ إلى استجابات القارئ وهو يتتبع بعينيه الصفحة التى تحتوى النص.. وبهذا التحويل فى المنظور يتحوّل العمل الأدبى إلى نشاط فى عقل القارئ. ويتفق نقاد هذا الاتجاه؛ على أن معانى النص هى "إنتاج" للقارئ الفرد. ويتبنى التفسير الإعلامى للأدب هذه الآراء حول العوامل الرئيسية التى تشكل استجابات القارئ، والموقع الذى يجب التمييز فيه

بين ما هو مُعطى موضوعى فى النص، واستجابات القارئ الفرد؛ والنتيجة، التى يتم التوصل إليها حول المدى الذى يضغط فيه النص استجابات القارئ(١).

وإذا كان الإعلام المصرى فى حرب أكتوبر؛ قد أكد على مفهوم **"مصداقية المصدر" Source Credibility**، فإن هذا المفهوم من أهم المفاهيم التى يرتكز عليها التفسير الإعلامى للأدب؛ تأسيسا على ما انتهت إليه بحوث "الاتصال" من تأكيد للارتباط بين **"صدق المصدر"** و**"الثقة فيه"** من جانب الجمهور. فالرسائل الاتصالية التى يتم بثها من "مصادر عالية التصديق تزيد من درجة الاقتناع بالرسالة".

وأفضل طريقة لتحديد تأثير المصدر إنما تكون بدراسة المتلّقى. وعلى ذلك يغدو مفهوم "المصداقية" مفهوما أصيلا فى تفسير الفن والأدب والإعلام؛ منذ تحدث عنه أرسطو؛ ومنذ تحدث عنه البلاغيون العرب.. ومنذ حاول عدد من علماء الإعلام المحدثين تحديد الخصائص والمكونات التى تجعل المتلقى يصدق المصدر. وقبلهم قال أرسطو إنها القدرة على التمييز الحسن والأخلاق الطيبة؛ وحسن نية المصدر. ويؤكّد المحدثون هذا الرأى كما يؤكدون على الخبرة والكفاءة ودرجة الثقة. ويطرح المصطلح الخاص بالمصداقية؛ بالقياس إلى الأدب؛ **مشكلة الصدق الفنى والواقعى** من جديد؛ وهى المشكلة التى يقول فيها فلاسفة الفن" إن الغاية الخلقية هى أساس كل تصديق.. ولهذا كان علينا أن ننظر إلى العمل الأدبى كُلاً أومجموعاً لأعلى! ولذلك أكد أرسطو أن الفضائل الخلقية والفكرية هى أساس السعادة وأن الكلام هو الذى يجلو النافع وغير النافع ويبين العدل من الظلم، لأنه خاصة الإنسان التى تميزه عن غيره من المخلوقات؛ والفرق بين السوفسطائى المغالِط وغيره ليس فى الموهبة ولكن فى التصديق.

وفى بلاغتنا العربية ينتصر عبدالقاهر لمن قال: **خير الشعر أصدقه**، لأنه يوجب ترك الإغراق والمبالغة، وتحرّى التحقيق والتصحيح واعتماد ما يجرى من العقل على أساس صحيح.

وإذا كان البحترىّ قد تمّرد على حدود المنطق؛ فإن الصدق الفنى بدوره يؤدى إلى مفهوم المصداقية.. على النحو الذى دفع "وردزْورِثْ" إلى أن يقول: إن الشاعر يشعر

(١) راجع للمؤلف: التفسير الإعلامى للأدب؛ بالقاهرة دار المعارف ١٩٨٠.

ويفكر بروح العواطف البشرية؛ ودفع بالعقاد إلى أن يقول: إن الشاعر العظيم إذا اتجه إلى الحياة؛ يُسمعك أصداء النفس الآدمية فى جهرها وجواها. والذوق الفنى فى التحرير الصحفى، من الأمور التى ترتبط بمسألة اللفظ والمعنى، ونشير هنا إلى ما قام به بعض علماء الجمال الألمان من بحوث تفيدنا فى "فن التحرير الصحفى" ولاسيما حين نتحدث عن مسألة "الشكل". وهؤلاء العلماء هم أصحاب المدرسة "الشكلية". **Formalistic School** وعلى رأسهم "جوهان فريدك هرْبارْت" **Johan Friedrich Herbart**(١٧٧٦ – ١٨٤١) وعنده أن علم الجمال يجب أن يُعنى بخصائص الفن من حيث هو. فلا يصح أن يُلْقى بالا إلى الاعتبارات الميتافيزيقية، ولا إلى ما يثير المَضمون من عواطف ومشاعر هزلية أو جدية، فهذه عناصر نفسية، خارجة فى طبيعتها عن جوهر الفن. والجمال ينحصر . فى فلسفة هربارت . فى العلاقات؛ بين الأصوات، أو الألوان، أوالأفكار، على حسب طبيعة الفن، وعلى حسب التجارب الفنية فى الحالات الخاصة(١). وهذه العلاقات الجوهرية ليست محسوسة وإن كانت وليدة. ولا تحتاج إلى تصوير تفهم به، وتتولّد من عناصر محسوسة؛ على حين الجمال يتمثل فى العلاقات التى يتبعُها مباشرة فى الوعى حكم بالتصوير غير المشروط. وكلما ارتقى المرء فى ثقافته قلّت عنده قيمة اللذة، وارتفع شأنُ الجمال. وعمادُ الحكم فى الجمال هو الذوق لا المنطق ولا العقل. وحكم الذوق عامٌ عالى خالد، لا يتغير فى زمان أو مكان، متى بُحثتْ كلّ العناصر فى علاقاتها بعضها مع البعض الآخر فى كل حالة خاصة. وقد تتلاقى الأفكار الجمالية مع الأفكار الخلقية. فالحرية النفسية ،والكمال واللطف، والإنصاف، والحقُّ؛ كلها مدركات جَمالية؛ وهى كذلك أفكار أو مدركات خُلُقية متى طبِّقَتْ على الإرادة.

والفن حقيقة معقّدة، وهى وليدة عنصرين: **عنصر غير جمالىّ**، وله قيمة نفسية أومنطقية أو اجتماعية إعلامية أو ما إليها، وهى ما يُطلَقُ عليه: **المضمون . وعنصر جمالىٌّ محض**، وهو نتيجة المدركات الجماليّة الأساسية، وهو ما يُطلَقُ عليه: الشكل(٢).

(١) Croce: op. Cit. P. 93-94 د. عبد العزيز حمودة: السابق ص ٣٤ .

(٢) نفس المرجع، ص ٣٥.

وتأسيساً على هذا الفهم؛ فإن هذه النتائج ستتضح لنا حين ندرس الأشكال الفنية فى التحرير الصحفى؛ ولكننا هنا نسوق اعتبارت عامة؛ نتبعها بمشيئة الله فى الفصول التالية؛ بتفصيل للنواحى الفنية فى كل شكل من أشكال التحرير الصحفى. ذلك أن لكلّ شكل من أشكال تحرير الأخبار، وفنون المعالم، قواعد يجب أن تُراعى بصفة عامة فى التحرير الصحفى. وهذه القواعد قد تتجّدد كلّها أو بعضها على حسب التطور، ولكنها فى كل مرحلة من المراحل؛ تحتفظ بأفكار عامة مشتركة توّحد ما بين الفنون التحريرية على نحو ما؛ مهما اختلفت تلك الفنون فى درجاتها الفنية. وربما من أجل ذلك أنكر كثير من كبار النقاد نظريات "الأجناس الأدبية" كنظريات الشعر، والقصة، والمسرحية وما إليها؛ ورأوا فيها مساسا بحرّية الكاتب.

وعلى الرغم من ذلك؛ لا تنبغى المبالغة فى هذه الناحية إلى درجة قطع الصلات بين الأعمال الصحفية التى تنتمى إلى فنٍّ تحريريٌ واحد. إذ أن إخضاع هذه الأعمال للنظريات العامة فيه ما يساعد على إذكاء الحيوية فيها؛ إذا روعيت المرونة فى الإدراك والتطبيق؛ وفيه كذلك ما ينهض بالأدب، وبفنون التحرير الصحفى؛ بوصفها جهداً إنسانيا فى الإرسال والاستقبال.

الفصل الثالث

معايير التقويم الصحفى

"**الخبر**" فى اللغة العربية : واحد الأخبار.. و ما أتاك من نبأ عمن تستخبر.

والخبر: النبأ، والجمع أخبار، و "أخابير" جمع الجّمع.

- فأما قوله تعالى: ﴿**يومئذ تحدث أخبارها**﴾، فمعناه يوم تزلزل تخبر بما عمل عليها.

- **وخّبره** بكذا، وأخبره: **نبّأه**.

- **واستخبره**: سأله عن الخبر وطلب أن يُخبره، ويقال: تخبَّرتُ الخبر واستخبرته، ومثله: تضعفّت الرجل واستضعفته. وتخّبرت الجواب واستخبرته.. والتخّبر السؤال عن الخبر. وفى حديث الحديبية: أنه بعث عينا من خزاعة يتخبر له خبر قريش، أى يتعرف.. يقال: تخبر واستخّبر: إذا سأل عن الأخبار ليعرفها.. يقال: من أين خّبْرت هذا الأمر: أى من أين علِمت؟ وقولهم؛ لأخبرنّ خبرك، أى: لأعلمن علمك.

- يقال : "**صدق الخُبْرَ الخَبَرَ**".

وذلك ما ورد فى "لسان العرب" لابن منظور، أما المعجم الوسيط الذى أصدره المجمع اللغوى فى عصرنا هذا، فيذهب إلى أن:

- **الخبر**: ما ينقل ويحدث به قولا أو كتابة .

. وعند المناطقة، قول يحتمل **الصدق والكذب** لذاته.

وفى معجم ألفاظ القرآن الكريم[1] نجد أن ورود لفظ (النبأ)، يفتح أمامنا مغاليق التعريف، يتكرر أكثر من مرة.

١ - **نبّأه بالشىء**: أخبره به وذكر له قصته .

ويقال: نبئنى هل تزورنى غدا. ونبّئ عليا أنه لعليّ القدر.

نَبأَت:﴿**فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ**﴾ ٣/ التحريم.

نَبأتكما: ﴿ **قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ** ﴾ ٣٧/يوسف.

نَبأنا: ﴿ **قُلْ لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ** ﴾ ٩٤/التوبة.

أى شيئا من أخباركم أو أخباركم على زيادة (مِنْ).

(١) محمد على النجار: معجم ألفاظ القرآن الكريم الجزء السادس، الهيئة المصرية للتأليف والنشر.

نبأنى: ﴿ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هذا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ٣/التحريم.

نبأها: ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هذا ﴾ ٣/التحريم.

سأنبئك: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ٨٧/الكهف.

أنبئكم: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ ﴾ ١٥/آل عمران.

﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ ٤٩/ آل عمران.

واللفظ فى ٦٠/المائدة و ٤٥ يوسف و٧٢/الحج و٢٢١/الشعراء و٨/العنكبوت و١٥ لقمان.

لتنبئنهم: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ ١٥/يوسف.

تنبئهم: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ٦٤/التوبة.

أتنبئون: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ ﴾ ١٨/يونس.

تُنبئونه: ﴿ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ٣٣/ الرعد.

فننبئكم:﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تعملون ﴾٢٣/يونس، واللفظ فى ١٠٣/الكهف.

فلننبئن : ﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ ٥٠/فصلت.

فننبئهم: ﴿ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ﴾ ٣٣/لقمان.

ينبئك : ﴿ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ١٤/فاطر.

ينبئكم: ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ٤٨/المائدة، واللفظ فى ١٠٥/ المائدة أيضا و٦٠/١٦٤/الأنعام و٩٤/١٠٥/ التوبة و ٧/سبأ و٧/الزمر و ٨/الجمعة.

ينبئهم:﴿ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾١٤/المائدة،واللفظ فى١٠٨/١٥٩/ الأنعام و٦٤/النور و٦/٧/المجادلة.

نبئ: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ٤٩/الحجر.

نبئنا:﴿ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ ٣٦/يوسف.

نبئهم: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ٥١/الحجر، واللفظ فى ٢٨/القمر.

نبئونى: ﴿ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ١٤٣/الانعام .

لتنبؤن: ﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ ٧٠/التغابن.

يُنبأ : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴾ ٣٦/النجم.

يُنبؤا : ﴿ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ ١٣/القيامة.

٢ - أنبأه بالشىء: نّبأه به. ويقال أيضا: أنبأه الشىء.

أنبأك : ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا ﴾ ٣/التحريم.

أنبأهم:﴿بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ﴾

٢٣/البقرة.

أنبئهم : ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ ٣٣/البقرة .

أبئونى: ﴿ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ٣١/البقرة.

٣ - استنبأه عن الشىء: طلب إليه أن ينبئه به، ويقال: استنبأه الشىء، ويقول من هذا: استنبأه هل يحضر؟

يستنبئونك: ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ ٥٣/يونس.

٤ - النبأ : "الخبر ذو الشأن والقصة ذات البال. والجمع أنباء والنبأ قد يكون عن الماضى، وقد يكون عن الآتى، كما فى قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ ﴾ ٦٧/الأنعام، أى لكل خبر بأن شيئا سيقع وقتٌ أو مكانٌ يقرّ فيه ويقع، أو لكُل حدث جاء فيه نبأٌ، وقتٌ أومكانٌ يقرّ فيه .

نبأ : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ﴾ ٢٧/المائدة واللفظ فى ٣٤/٦٧ الأنعام و ١٧٥/الأعراف و٧٠/التوبة و٧١/يونس و ٩/إبراهيم و٦٩/الشعراء و٢٢/النمل و٣/القصص و٢١/٦٧/ص و٦ الحجرات و٥/التغابن و ٢/النبأ.

نَبَأه : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ ٨٨/ص.

نبأهم : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ ﴾ ١٣/الكهف.

أنبأه : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ ٤٤/آل عمران، واللفظ فى ٥/الأنعام و٤٩/١٠٠/١٢٠ هود و١٠٢/يوسف و٩٩/طه و٦/الشعراء و٦٦/القصص و٤/القمر.

أنبأكم: ﴿ وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ ﴾

٢٠ /الأحزاب.

أنبائها : ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا ﴾ ١٠١ الأعراف.

وفى الألفاظ القرآنية الكريمة، تحديدات جامعة مانعة، تيسر لنا سبيل الفهم، وتضئ معارفنا الحديثة، التى تعتبر الخبر - النبأ، جزءا من طبيعة الحياة طالما وُجد متحدّث يقول، وآذان تسمع.

إن الخبرَ - النّبأ، عند المحدثين، تقرير عن حادث يستطيع القارئ، أوجمهور وسائل الإعلام، أن يفهمه، وهو عندهم أيضا: كلّ جديد يهم أكبر عدد ممكن من الناس.. ويذهب " ولزلى وكامبل" إلى أن الخبر تقرير عن فكرة أوحادث أو صراع له صفة الحاليّة أو الجدّة ويهمّ المستهلكين (جمهور وسائل الإعلام). وهناك من يقول: "إن الأخبار هى بعض أوجه النشاط الإنسانى التى تهمّ الرأى العام وتوجّهه وترشده وتسليه وتعلمه" .. أو"الخبر إيراد لحادث وقع حالا يبعث على اهتمام جمهور المستقبلين لوسيلة الإعلام، ليعلم هذا الجمهور بما يريد، بشرط ألا يخالف الخبر قواعد الذوق وقوانين خدش السمعة، وكلما أثار الخبر مزيدا من التعليقات زادت أهميته"، وكلما أثار الخبر مزيدا من التعليقات زادت أهميته" و "الخبر هو كل ما تلوكه ألسنة الناس" وهو "سرد صحيح موقوت لأحداث وكشوف وآراء وأمور من أى نوع تؤثر فى القراء أو تثير اهتمامهم" .. والخبر "هو ما حدث من أمور، وكل ما توحى به الأحداث. وكل ما يترتب على مثل تلك الأحداث".

وقد قال اللورد نورثكيف . منشئ الصحافة الإنجليزية الحديثة. إن الشىء الوحيد الذى يساعد على زيادة توزيع الجريدة هو الخبر، والخبر هو كل ما يخرج عن محيط الحياة العادية المألوفة . ويكون مدار حديث العامة والخاصة [1].

وهناك تعريف آخر يقول: إن الخبر الصحفى هو كل خبر يرى رئيس التحرير أورئيس قسم الأخبار فى جريدة من الجرائد أنه جدير بأن يُجمع ويطبع ويُنشر على الناس؛ لحكمة أساسية؛ هى أن الخبر فى مضمونه يهم أكبر جمع من الناس يرون فى مادته إما فائدة ذاتية أو توجيها هاما لأداء عمل أساسى؛ أو تكليفا بواجب معين، إلى آخر ما يراه الناس واجبا يتحتم على الصحافة كأداة من أدوات الإعلام أن تؤدّيه

(١) د. عبداللطيف حمزة. المدخل فى فن التحرير الصحفى (١٩٥٦) من ٥٥ ـ ٥٦ .

نحوهم. ومن هنا نستطيع أن نفرق بين الأخبار العادية التى تتداولها بعض الألسنة، والأخبار الصحفية التى تتداولها كلُّ الألسنة(١).

أما البلاغيون العرب، وفِى مقدمتهم صاحب "البرهان" فيذهبون إلى أن الخبر استجلاء للبواطن، ومما يُوصَل إليه "بالخبر" مثل الصلاة التى هى فى اللغة الدعاء، والصيام الذى هو الإمساك، والكفر الذى هو ستر الشىء، فلولا ما أتانا من الخبر فى شرح مراد الله - عزّ وجلّ - فى الصلاة والصيام ومعنى الكفر لما عرفنا باطن ذلك، ولا مراد الله - عز وجل فى الصلاة والصوم، ولا كان ظاهرُ اللغة يدلّ عليه، بل كنا نسمى من دعا مصليا، وكل من أمسك عن شىء صائما وكل من ستر شيئاً كافرا"(٢). وفى هذا الفهم ما يؤكد المنهج القرآنى فى الإعلام، فقد كان القرآن الكريم نفسه الوسيلة الإعلامية المقدسة. ولا تخفى العلاقة الوثقى بين لفظ "النبأ" و"النبى"(٣). فالنبى هو من يصطفيه الله من عباده البشر، لأن يوحى إليه بالدين، والشريعة فيها هداية للناس. وأصله النبىء بالهمز من أنبأ، لأنه يُنبئ عن الله سبحانه، أو لأنه يُنبأ بما يُوحى إليه، جرى فيه التخفيف بقلب الهمزة ياء كما قيل: البريّة فى البريئة. وقد قُرئَ فى القراءات السبعة النّبئ على الأصل. وإذا ورد النبىّ فى الكتابِ - معرفا بألْ فالمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام، وإذا ورد مُنكرًا أو معّرفاً بالإضافة فالمراد غيره.

ونحن نذهب مع أستاذنا الدكتور حمزة رحمه الله إلى أن الإسلام دين إعلامى لأنه اعتمد على القرآن .. والقرآن آية الله تعالى فى البلاغة، وفى التأثير فى نفوس البشر إلى الدرجة التى سجد العرب لها، والقرآن هو أكبر وسائل الإعلام فى الإسلام، وقد نص القرآن فى كثير من آياته على أن الرسولَ مكلّفٌ من قبل الله تعالى بشىء واحد فقط هو تبليغ الناس هذه الرسالة الجديدة. وأنه ليس مسئولا عن تصديق الناس لها أو عدم تصديقهم إياها. قال تعالى: " وما على الرسول إلا البلاغ".

ثم إن القرآن الكريم نزلت آياته حسب المواقف والحوادث التى مرت بالرسول صلى الله عليه وسلم، يسترشد بهذه الآيات التى نزل بها الوحى فى كل حادثة من هذه

(١) جلال الدين الحمامصى. المندوب الصحفى من ٢٣ - ٢٤" د. إبراهيم أمام المرجع السابق ص ٩٧.
(٢) البرهان فى وجوه البيان ص ١١٢ .
(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم الجزء السادس ص ٨٨ .

الحوادث وفى كل موقف من هذه المواقف. وكانت بعض آيات الكتاب تُنبئ الرسول بما سيحدث له ولأصحابه فى المستقبل. وكانت بعض آياته تقف الرسول على أخبار المشركين والمنافقين وما كان يدّبره هؤلاء وهؤلاء من المؤامرات ونحو ذلك. كما كانت بعض آياته تنقد حالة المسلمين فى كثير من المواقف التى تمرّ بهم وترشدهم إلى الصواب فى هذه المواقف. يقول الدكتور حمزة (١):

"وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم من جميع هذه النواحى الإخبارية وما يتبع هذه الأخبار من نقد وتحليل لمواقف المسلمين والمنافقين ورسم الطريق الذى يسلكه المسلمون تجاه المنافقين ورسم الآداب التى يجب على المسلمين أن يعاملوا بها الرسول، نقول إذا نظرنا إلى القرآن الكريم من هذه الناحية فقط أمكننا أن نعتبر هذا الكتاب المقدس صحيفة الإسلام، إذا صح هذا التعبير، ولكنها صحيفة من طراز آخر يمتاز بالصّدق كأحسن ما يكون الصدق وبالنزاهة فى التوجيه والإرشاد كأحسن ما تكون النزاهة، ولا غرو - فإنها صحيفة الله تعالى ومن أصدق من الله قيلا.

"وأهم من ذلك كله أن هذه الصحيفة الإلهية كان لها الأثر كل الأثر فى خلق مجتمع جديد فى الجزيرة العربية، هو المجتمع الإسلامى الذى يختلف اختلافا تاما عن المجتمع الجاهلى. يدلنا على ذلك أنه أصبح للمجتمع الإسلامى الجديد على يد الرسول مجموعة من القيم والمفاهيم مخالفة كل المخالفة للقيم والمفاهيم التى كانت للعرب فى الجاهلية. وبعبارة أخرى أصبح المثل الأعلى للمسلمين على يد الرسول شيئا مغايرا كلّ المغايرة للمثل الأعلى للعرب فى العصر الجاهلى".

وتأسيساً على هذا الفهم، يمكن تحديد الطبيعة الجوهرية للخبر، وهى التى تفيد اليومَ علوم النفس والاجتماع؛ فى وضع قاعدة لاستنباط هذا الفن، الذى حدده القرآن خير تحديد، بحيث يمكننا أن نذهب إلى أن الخبر الإعلامى هو بيان للعلاقات المتغيّرة بين الإنسان والإنسان وبينه وبين بيئته. والخبر - هو "كل قول أفدْت به مستمعه ما لم يكن عنده" ، ويُعلمنا ابن وهب، أن من الأخبار "أخبارا تقع بها الفائدة ولا يحصل منها قياس يوجب حُكما. فمن ذلك الخبر المنفى، فإنه يفيدنا انتفاء الشىء الذى ينفيه ولا

(١) د. عبداللطيف حمزة : الإعلام فى صدر الإسلام ص ٣٩ .

يحصل فى نفوسنا منهُ حكْم، ويقول إن "الكذب إثبات شىء لشىء يستحقه، أو نفى شىء. والصدق (الإخبارى) إثبات شىء لشىء يستحقه، أونفى شىء عن شىء لا يستحقه.. والحلف فى القول إذا كان وعدا دون غيره، وهو أن يعمل خلاف ما وعده، فيقال: " أخلف فلان وعده" ولا يقال "كذب".

"والنّسخ فى الحُكمْ تبديله برفعه ووضع غيره مكانه. وأصله فى اللغة وضع الشىء مكان غيره إذا كان يقوم مقامه، ومنه قوله - عزّ وجل -: "ما ننسخ من آية أو نُنسها نأتِ بخير منها أو مثلها"(١).

"والّنسخ لا يكون فى الخبر، لأن الخبر إذا تبّدل عن حاله بطل، وفى بطلان قول الصادق وجود الكذب لا محالة، وليس يجوز للصادق أن يخبر بخبر فيكون ضده ونقيضه صدقا إلا أن يكون خبره الأول معلقا بشرط استثناء ، كما وعد الله - سبحانه - قوم موسى - عليه السلام - دخول الأرض المقدسة إن أطاعوه فى دخولها، فلما عصْوه حّرمها عليهم فلم يدخلها منهم أحد".

فإذا كان الخبر - هو كل قول أفدت به مستمعه ما لم يكن عنده، فما هى الظروف أو خصائص الأحداث التى من شأنها رفع كل قول إلى مرتبة الخبر "المفيد" ذى القيمة الإخبارية بحيث يكون سرده "مفيدا" للمستمع أوالقارئ، باعثا على اهتمام الجمهور.

فى الإجابة عن هذا التساؤل نقول إن الخبر لا يخرج فى مفهومه عن الدائرة التى حددها القرآن الكريم الرسالة الإعلامية المقّدسة؛ للخبر - النبأ، من حيث أنه "ذو شأن"، وقصة "ذات بال" وقد يكون النبأ عن الماضى، وقد يكون عن الآتى كما فى قوله تعالى: ﴿لكلّ نبأ مستقر﴾ (٢) أى لكل خبر بأن شيئا سيقع، وقتٌ أو مكان يقرّ فيه ويقع، أو كل "حدث" جاء فيه نبأ، وقت أو مكان يقر فيه، وعلى ذلك يمكن القول إن "الحدث" ذا القيمة الإخبارية هو الحدث الذى من شأنه التأثير فى العلاقات السياسية أوالمادية، أو غير ذلك من العلاقات أو تغييرها على نحو ما؛ ذلك أن "الحدث الذى له قيمة خبرية هو الحادث الذى يغير الأوضاع القائمة أو يوقع بها اضطرابا، أما الخبر فهو سرْدٌ لمثل هذا الحادث".

(١) سورة البقرة الآية ١٠٦ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٦٧ .

وعلى ذلك فإن "التغيير" سواء أكان واقعيا أو مُرتقبا، يغدو العنصر الجوهرى فى الخبر. والواقع - أن - الخبر لابد أن يكون جديداً والتغيير لابد أن يكون ذا قيمة بالنسبة لجمهور وسائل الإعلام، فيؤثر أحيانا فى نفوسهم، كأن يثير قلقهم على أمر يعنيهم من أمور الحياة ويبعث فيهم أحيانا آمالا كبارا يعقدونها على الوزير الجديد أوحتى على الطفل الجديد. ولكن ما دامت الظروف باقية على ما هى عليه يوما بعد يوم، فليس ثمة ما يحرك مشاعر الجمهور العادى سواء إلى أعلى درجات الإنسانية أوإلى أدنى تلك الدرجات. أما إذا حدثت حادثة فأوقعت اضطرابا فى الأوضاع القائمة وأثار نذيرها، كبيرا كان أو صغيرا، آمال جمهور وسائل الإعلام أو مخاوفه، فإن الفرد سواء جهل التغيير الذى طرأ على العالم أو أهمل متابعته، لا يقوى إلا فى النادر على اجتناب المخاطر أو استثمار الفرص التى ينطوى عليها ذلك التغيير.

وحيث أن "لكل نبأ مستقر" كما جاء فى القرآن الكريم، فإن الأخبار التى تتعلق بالمستقبل كأخبار المجالس والمؤتمرات والمشروعات وما اليها هى الأخرى تتعلق بتغييرات وشيكة الوقوع، فلا ينبغى "عزل الأحداث فى حد ذاتها عن سياق ظروفها ومعنى هذا أن الظروف نفسها تبعث على الاهتمام. والواقع أن أحداث المستقبل إنما "تلقى ظلالها" على الحاضر، وعلى المندوب الصحفى تبعة خاصة هى أن يبصر جمهوره بقرب وقوعها" (١).

ولا يكاد يكون هناك شك، فيما يذهب إليه علماء الصحافة من أن الخصائص الجوهرية للخبر إنّما تكمن فى التغيير الذى يُحدث أثراً فى الحالة القائمة، كما يكمن حول هذا التغيير، وهو يكمن تبعا لذلك، فى التغيير الذى يُحتمل أن يطرأ على الحالة فى المستقبل. ومن المؤكد أنه إذا جرت الأمور فى الغد على نحو ما هى عليه اليوم تماما، أصبحت قراءة الصحيفة، فى صباح اليوم التالى باعثة على الملل. والأسئلة التى تجول فى خاطر الصحفى، دائما هى: "ماذا حدث؟" و"ماذا يجرى الآن؟" و"ألا من جديد؟" و"أثمة ما يثير" و"هناك ما يؤذن بجديد؟" فإذا لم يطرأ جديد على ألوان النشاط المتعددة فى المكاتب والمصالح ودور الحكومة وعاصمة الدولة، وإذا لم تكن هناك أحداث وشيكة الوقوع من شأنها أن تنذر بإلحاق تغيير أو اضطراب فى الحالة القائمة والظروف

(١) استفتاء الأنباء فن (ستانلى جونسون وجوليان هاريس) ص ٢٧ وما بعدها.

الرتيبة، فقد يبدو أنه لا أخبار فى ذلك اليوم. فإذا كان عنصر التغيير هو الذى يمثل الحدث الخبرى عن الحدث غير الخبرى، فإنّ مدى هذا التغيير وأثره على الجماعة هو المقياس الذى على أساسه يتمّ "تقويم" الخبر.

الخبر الإعلامى:

يقول العلامة ابن سينا[1]: " لما كانت الطبيعة الإنسانية محتاجة إلى المحاورة لاضطرارها إلى المشاركة والمجاورة، انبعثت إلى اختراع شيء يتوصل به إلى ذلك، ولم يكن أخف من أن يكون فعلا، ولم يكن أخف من أن يكون بالتصويت، وخصوصا والصوت لا يثبت ولا يستقر ولا يزدحم، فتكون فيه مع خفته فائدة وجود الإعلام به مع فائدة انمحائه إذ كان مستغنيا عن الدلالة بعد زوال الحاجة عنه، او كان يتصور بدلالته بعده، فمالت الطبيعة إلى استعمال الصوت ووفقت من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها معا ليدل بها على ما فى النفس من أثر. ثم وقع اضطرار ثان إلى **إعلام الغائبين من الموجودين فى الزمان أو من المستقبلين إعلاما بتدوين ما عُلِم**، أما لينضاف إلى ما يُعلَم فى المستقبل، فتكمل المصلحة أو الحكمة الإنسانية بالتشارك، فإن أكثر الصنائع إنما تمت بتلاحق الأفكار فيها والاستنباطات من قوانينها واقتفاء المتأخر بالمتقدم وافتدائه به، أو لينتفع به الآتون من بعد. وإن لم يُحتج إلى ما يُضاف إليه يكمُل به، **فاحتيج إلى ضرب آخر من الإعلام غير النُّطق، فاختُرعَت أشكال الكتابة، وكلُّه بهداية إلاهية والهام الاهى.**

فالخبر الإعلامى إذن؛ شيء مجردّ، من حيث جوهر طبيعته، ولكنه كما يُعلِّمنا ابن سينا، يتخذ وسيلتىْ الصوت والكتابة. وهو لذلك يرتبط فى عصر ثُورة الإعلام، بالجْنس الإعلامى من حيث الإفادة بمقوّمات الوسيلة الإعلامية ذاتها، فيصبح لدينا: فن للخبر الصحفى، وآخر للخبر الإذاعى وثالث للخبر المرئى.. ونبدأ هنا بدراسة فن الخبر الصحفى تأسيسا على أن تقويم الخبر الإعلامى إنما يتم بطريقتيْن: تقويم الخبر وفقا للوسيلة؛ ثم تقويم الخبر وفقا للخصائص الذاتية:

(١) ابن سينا: الشفاء المنطق ٢.٧. العبارة تصدير ومراجعة د. إبراهيم مدكور وتحقيق محمود الخضيرى (١٩٧٠) ص ٢.

فن الخبر والإعلام الكلاسيكى.

إن نوعية الجنس الصحفى كفنّ إعلامىّ كلاسيكىّ، إنما تعود إلى وضوح طبيعته، وقد أجريت تجارب ودراسات عديدة حول خصائص كلّ وسيلة من وسائل الإعلام، وقدرتها على التأثير فى الناس. وتشير نتائج التجارب التى أجراها لازار سفيلد Lazarsfeld ودوب Doob ووابلز Waples وبيرسلون Berleson إلى أن المطبوعات كالكتاب والصحيفة والمجلة واللافتات لها مميزات هامة تجعلها تتفوق على غيرها من الوسائل الأخرى، وأهم هذه المميزات أن القارئ يستطيع أن يسيطر على الوسيلة بالطريقة التى تلائمه، فهو يستطيع أن يطلع على الأخبار والموضوعات التى يرغب فى الاطلاع عليها، ويراجع ما يريد أن يراجعه بالسرعة التى تناسبه، وفى أى وقت يشاء[١] وتشير التجارب إلى أن المواد الصعبة يفضل أن تقدم عن طريق الكلمة المطبوعة، ومن الأفضل استخدام المطبوع للوصول إلى الجماهير المتخصصة والجماهير صغيرة الحجم[٢].

وفى المطبوع، نطلب إلى الكِتاب ما نسميه عناصر المعرفة، ونطلب إلى الصحف معلومات وعناصر وأخبارا.

والجريدة - كما يقول جورج دوهاميل - ضرورية لرجل القرن العشرين فهى تفتح عينه عندما ينهض من فراشه فتوقظه وترميه بحفنة من الوقائع والآراء. و"الجريدة إفطار الصباح، وهى مكتوبة على نحو يحرّك الخيال. وهى تثير النفس وتقصّ الحوادث وتعرض الآراء، وفى كل يوم تلجأ إلى حيل جديدة، فى الطباعة، كما تخصص للصور التى لا تطلب أى جهد مكانا يزداد يوما بعد يوم، فهى تسعى إلى استهواء القارئ وهى لاشكّ تقدم إليه أفكارا وقواعد وقليلا من عسل الأدب، ومن جوهر الفلسفة، ولكنها تحمل إليه قبل كل شيء زادا من أكوام الحوادث اليومية التى ما تزال حارة".

ويذهب بعض الباحثين الى أن الكلمة المطبوعة تحتاج إلى مساهمة من جانب القارئ أكبر من تلك التى تتطلبها الوسائل الأخرى من جمهورها، لأن "تكوين" الرسالة

---

(١) د. إبراهيم أمام : الإعلام والاتصال بالجماهير ص ١٧٥.

(٢) د. جيهان شتى: الأسس العلمية لنظريات الإعلام ص ٣٤٢،

Harry Goldestein "Reading and Fastening Comperehrehention at vanous controlledratcs N.Y,1940.

المطبوعة أقل اكتمالا، ولا تواجه القارئ بمتحدّث يسمعه، كما يفعل الراديو، أو يشاهده كما هو الحال فى حال السينما أو التليفزيون. ولهذا يسمح المطبوع بحرية اكبر من التخيل وتوزيع الظلال والتفسيرات وما إلى ذلك.. فالقارئ لا يحس بأنه جزء من عملية الاتصال كما يحس مستمع الراديو أو مشاهد الفيلم، ولكنه مضطر إلى أن يساهم بشكل خلاّق فى نوع من أنواع الاتصال غير الشخصى. ويفترض بعض الباحثين أن لمثل هذه المساهمة الخلاّقة مزايا إقناعية.

وتلعب الصحافة اليوم دورا هاما فى الحضارات الحديثة، ولا جدال - فى أن للصحافة تأثيرها القوى على الجماهير، ففضلا عن إيمان الناس بصدق الكلمة المطبوعة إيمانا يقترب من القداسة والاحترام، نجد أنهم يتأثرون بمضمون الصحف تأثرا عميقا(١).

ولا ننسى سحر "الكلمة المطبوعة" فى مصر - أو كما يقول العقاد(٢). "فى جدّتها قبل أن تبتذلها كثرة التداول" وتدخلها الألفة فى عداد اليوميات الرتيبة التى تنتظر فى أوقاتها ولا تحتاج إلى لهفة فى الانتظار".

ويذكر العقاد(٣). كمثال على تأثير الصحافة فى مصر فى مطلع القرن العشرين، أن "أعيان الريف كانوا يحبون أن يشتركوا فى الصحف اليومية لأنها مظهر من مظاهر الوجاهة و"الأهمية" فى القرية أو البلدة الصغيرة. ولم يكن بالقليل بين مظاهر الوجاهة اليومية أن يحضر ساعى البريد إلى الدار يوميا ليدق الباب على مسمع من الجيران وينادى بصوت يشبه المنادى باسم "المحكمة" فى ساحة القضاء: .. "بوسطة".

فإذا بالحّى كله يترقب "سماعا" جديدا بعد هذا النداء، يحيط بأنباء الأرض والسماء، ويتحدث عن المكسوف و "الانجلاطيرا" وملك "الفرنسا". أو "الجمهور" كما كانوا يسمعون عنه منذ أيام حملة نابليون، ويا له من "واقع" وراء الخيال!".

والصحافة دخلت إلى الناس مع الديموقراطية فى موكب من ضروب العرفان الحديث، فدخل مع الديمقراطية العلْم، والصناعة، والآلة الطابعة وهذه جميعا - على حد تعبير الدكتور أحمد زكى - "أشياء تعمل كلها للتقدم جاءت الناس فى أوقات متقاربة،

(١) د. إبراهيم إمام "فن العلاقات العامة والإعلام" ص ٢٠٣ .

(٣،٢) عصر العقاد: صفحات مطوية فى تاريخ الصحافة الوطنية؛ القاهرة مؤسسة مختار ١٩٩٠.

يحمل بعضها بعضا، ويؤازر السابق منها اللاحق، فكأنما كانت هى والناس فى الزمان على ميعاد. ومع هذا النمو، الذى كادت تضيق به الأرض موضعا، وتضيق به حيل الناس مسرحا، جاء التعقيد. فكل شىء هو اليوم مُعقّد: الحكم تعقّد. الصناعة تعقّدت. صلة الرجال بالآلة تعقدت، صلة الناس ذوى الآلة، والناس ذوى العضل والناس ذوى القلم، زالت عنها البساطة وحل محلها التعقيد، حتى كاد الحكم أن يكون محنة، يمشى أصحابه على مثل الصراط، على يمينهم الفشل وعلى يسارهم النجاح، فإن هم وصلوا الصحافة بشعورهم إلى آخر الحبل سالمين، فهذه مشيئة من الله والأقدار. والحكم شعوب وحكومات ونواب. والحكم شرطة وجيش والحكم قضاء وعدل" وأريد أن أزيد فأقول: والحكم صحافة. وكثيرا ما ضعف الحكم فكانت الصحافة فوق الحكم. أذكر بذلك الصحفى الفرنسى الشهير كليمانسو Clemenceau (١٨٤١ - ١٩٢٩) كان إذا كتب - كتب بأحرف من نار وعصف بالحكومات كما تعصف الأعاصير بالبيوت الرقيقة. وسموه بالنّمر لأنه ما يهاجم فى صحافته إلا أسال دما. أفمن أجل هذا سميت الصحافة بصاحبة الجلالة؟!" والحق أن الصحافة اليوم دخلت فى حياة الناس كما دخل الهواء والماء، أوكما يقول الفليسوف الكبير "هيجل": إن قراءة الصحف اليومية أصبحت صلاة الصبح عند الإنسان الحديث" فقد أصبحت قراءة الصحف يوميًّا شيئا معتادا للقراء" ولا يستطيعون الإقلاع عنه" ولا شك أن هذا التكرار أو الإيقاع المستمر المتواتر من أهم سمات الفن الصحفى، وإذا كان المنطق يقول، إنك إذا أردت أن تتصور قيمة الشىء فعليك أن تتخيل أنك فقدته. فهب أننا فقدنا الصحافة يوما، وطال اليوم فكان أسبوعا، فما فوق ذلك، أفتدرى أى شر يقع فيه الناس؟ لقد أظهر الإضراب الطويل لصحف نيويورك فى ديسمبر ١٩٦٢ ويناير ١٩٦٣؛ مدى كون الجريدة آلة ضرورية للحياة الجماعية فى تجمع سكنى كبير. ويذكر الدكتور أحمد زكى[١]- أنه حضر زمانا انقطعت فيه المواصلات فى العاصمة الكبيرة، فلا ترام، ولا حافلة، ولا تكْسية، ولا حنطور: "واستحيينا الحمير؛ فكانت دواب هذه الأيام، ففى هذه الأيام. انقطلت بين الناس روابط المدنية بانقطاع مواصلاتها، واعترى الناس شىءٌ كثير من هلع وهو هلع امتزج بالشىء الكثير من الوحشة.. وأوحش من هذه الأيام التى انقطعت فيها

(١) مجلة العربى ع ٢٩ ابريل ١٩٦١.

مواصلات الأجسام، وحشة احتجبت فيها الصحف فكان احتجابها تقطيعا لمواصلات ما بين الأنفس، لم يُدر حى ما كان يجرى فى سائر الأحياء، ولا عرف قريبٌ ما دهى قريبه وأقرباءه فى أطراف المدينة. واحتجب الخبر الذى كان يأتى مع الإفطار صباحا، ويأتى مع الإمساء فيطمئن الناس بأن السلام سائد أو هو غير سائد، فيُعدون للتأثرات صُنوفاً من الحذر كثيرة".

من هذه الصورة يتضح ما تحظى به الصحافة من احترام عظيم وثقة كبيرة يكنها الشعب لها، وخاصة فى مصر وغيرها من الأمم المتحضرة، ومع أن التجارب التى أجريت فى مصر وسوريا والأردن ولبنان مجتمعة، قد أثبتت أن ٦٣٪ من الجماهير العربية تفضل الإذاعة على الصحافة. فقد كانت النتيجة عكس ذلك بالنسبة لمصر وحدها.

ويرد الدكتور إمام. ذلك إلى تاريخ الصحافة المصرية الحافل بمواقف الجهاد الوطنى المشرّف. والدليل على ذلك أن كثيرا من الأُميين فى مصر يشترون الصحف ليقرأها لهم بعض المتعلمين أو يجتمعون فى المقاهى، أو الدور الريفية للاستماع إلى تلاوة الصحف(١).

والصحيفة تتفوق على الوسائل الأخرى كالإذاعة أو السينما من حيث أنها تعطى القارئ حرية كاملة فى اختيار الوقت المناسب لقراءتها، كما أن القارئ يتمكن من إعادة أو مراجعة ما قرأ، فى أى وقت يشاء. لذلك كانت الصحف والمجلات والمطبوعات، بوجه عام من أصلح الوسائل لنشر الموضوعات المعقدة" والدراسات الصعبة ذات التفاصيل المتشعبة.

ويذهب "ماكلوهان". إلى أن للصحافة وظيفة "اعترافية" بمعنى أنها تثير شعور استشفاف "خفايا المشكلة" بحكم شكلها نفسه، بعيدا عن محتواها، فصفحة الجريدة تكشف خبايا عمل مجموعة اجتماعية ما وتفاعلها مع عملها ومجتمعها ولذا نجد أن الصحافة تبدو فى حرية أكبر، حين تكشف عن النواحى القبيحة للحياة. وكما يقول المثل: إن الأخبار الحقيقية هى الأخبار الرديئة، أخبار رديئة عن شخص أو بالنسبة له. فى سنة ١٩٦٢ حرمت مدينة "مينا بوليس" من الصحف لعدة شهور، وكان مدير الشرطة

(١) فن العلاقات العامة والإعلام ص ٢٠٣.

يقول: "صحيح أن الأخبار تنقصنى ولكن فيما يتعلق بعملى فأرجو أن يظل بلا صحف إلى الأبد، فالجرائم تقل بدون صحف لا تتحدث عنها، وبالتالى لا تروج لها بين الناس.

وحتى قبيل الاستخدام التلغرافى، اقتربت صحف القرن التاسع عشر كثيرا من الشكل الفسيسفائى بتعبير "ماكلوهان"، ولقد انتشر استخدام الطابعات الدّوارة (روتاتيف) قبل ظهور الكهرباء بعدة عقود. ولكن الجُمع اليدوى للحرْف ظل مفضّلا على كل الوسائل الميكانيكية حتى اختراع اللينوتيب، حوالى ١٨٩٠. لقد أصبح بإمكان الصحافة بفضل الليونتيب، أن تكيّف شكلها حسب امتحان التلغراف والطابعات الدوّارة بصورة أفضل، وإنه لمن الغريب أن "الليونتيب"، الذى حل مشكلة بطء الجمع اليدوىّ القديمة، لم يكن من اختراع قوم كانت هذه المشكلة تخصّهم، لقد أنفقت ثروات طائلة عبثا على اختراع آلات جمْع الحروف، إلى أن جاء شخص يدعى "جيمس كاليفان" كان يبحث عن وسيلة لكتابة واستنساخ مذكرات مُختزلة بطريقة سريعة، فتمكن من أن يزاوج بين آلة الجمع والآلة الكاتبة، لقد حلت هذه الآلة مشكلة جمْع الحروف المطبعية. هذه المشكلة التى كانت من طبيعة مختلفة تماما.

والخبر هو أول ما تعطيه الصحافة: ولكن يناهض الخبر خطورةً تفسيرُ هذه الأخبار، والكشف عما وراءها من محجبّات الأمور" وما لابسها من خافيات الأغراض والأهداف، فى شتى بقاع الدولة الواحدة، وفى سائر الدول والأصقاع، فى زمان قد يكون ما بين دولة ودولة أقرب مما يكون أحيانا بين طرف وطرف من الدولة الواحدة مترامية الأطراف.. يقول الدكتور أحمد زكى(١).

"وأنا إذا تحدثت عن الخبر الذى تأتى به الصحافة، انصرفت الأذهان إلى الخبر السياسىّ، والخبر السياسى لاشك خطير، ولكن وضعه فوق الأخطار جميعا داء قديم. إنه إلى جانب الخبر السياسى توجد أخبار مناشط الحياة وما غلا من الحاجات وما رخص. أخبار الصادر والوارد من البلاد. أخبار الأرزاق جميعا، من رزق عامل ورزق كاتب. وأخبار الناس فى مجتمعهم. فى أفراحهم وفى أحزانهم وفى مجَارى العيشَ السوية التى لا تصل بأفراح وأحزان. والأمن له خبر واختلال الأمن له خبر أكبر. وقد

(١) المرجع السابق ص ١٠.

تشيع الجريمة فى الناس فتحتلّ مكان الصدارة من الصحف كما يحدث اليوم حين تحتل الجرائم الجنسية رؤوس صحف، فى بريطانيا وأمريكا.. والحرب لها خبرها، والسلام له خبره. والمخترعات والمبتدعات فيما يضر الناس وما ينفع لها خبرها".

إن زيادة وسائل سرعة نشر الأخبار أوجدتْ بطبيعة الحال طرقا جديدة لتقديم النص إلى القارئ. وفى سنة ١٨٣٠ كتب الشاعر الفرنسى "لامارتين". "إن الكتاب يصل متأخرا أكثر ما ينبغى" مشيرا بذلك إلى أن الكتاب والجريدة شكلان مختلفان تماما ، يقول ماكلوهان :" وإذا أبطأنا فى جنْى الأخبار وفى جمع حروف النصوص، فلابد أن يحدث تغييرٌ ليس فى المظهر الخارجى للصحف فحسب، بل فى أسلوب من يحررها كذلك. وأول تغيير كبير فى الأسلوب حدث فى بداية القرن الثامن عشر، حين اكتشف أديسون Addison وستيل Steele للصحيفتين الشهيرتين: "تاتلر" Tatler "سبكتيتور" Spectator تقنية جديدة للكتابة تتماشى مع شكل المطبوع؛ هى تقنية الأسلوب الثابت المباشر.

وليس من قبيل المصادفة أن يكون جمال الدين الأفغانى ويعقوب صنوع والأستاذ الإمام محمد عبده ومصطفى كامل وأحمد لطفى السيد ومحمد حسن هيكل وعبدالقادر حمزه، من رواد الصحافة المصرية الذين جمعوا بين الثقافتين العربية والأوربية، وقد استطاع هؤلاء بجهودهم الرائعة أن يكتشفوا لغة الفن الصحفى العربى؛ التى تقترب من لغة الأدب؛ وتمتاز بالسلاسة والواقعية والتبسيط(١).

إن تقنية الأسلوب الصحفى الجديد، كما يقول ماكلوهان؛ تقوم على التوجه إلى القارئ مع الاحتفاظ بمستوى الأسلوب ذاته، من اول النص التحريرىّ إلى آخره. وبهذا الكشف وصل هؤلاء الرواد فى الصحافتين الأوربية والعربية، الكلام المكتوب بجوهر المطبوع، وخلصوه من تنوّع نغم اللغة المنطوقة، بل اللغة المخطوطة أيضا. وإنه لمن المهم أن نفهم جيدا ظاهرة تطابق اللغة على المطبوع. ذلك أن التلغراف، أعاد فصل اللغة عن المطبوع، مما أدى إلى ظهور هذه الأصوات غير المفهومة التى يطلق عليها "مانشيت" أوالأسلوب التلغرافى. هذه الظواهر لا تزال تضايق رجال الأدب بعادتهم المتكلفة

(١) د. إبراهيم أمام : دراسات فى الفن الصحفى ص ٤٥.

باتخاذ الأسلوب المستمر الذى يقلد التماثل المطبعى، "فللمانشيتات، والعناوين الرئيسية للصفحة الأولى أسلوب مثل:

رسالة للرئيس مبارك من الملك فهد.

الخويطر: علاقات قوية تربط مصر والسعودية

تسلم الرئيس حسني مبارك رسالة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز خلال استقباله أمس الدكتور عبدالعزيز الخويطر وزير الدولة لمجلس الوزراء السعودي.

وصرح الدكتور الخويطر عقب المقابلة بأن الرسالة تتعلق بكل مايهم البلدين الشقيقين والعلاقات الوطيدة والتى تربطهما فى مختلف المجالات.

وعما اذا كانت هناك علاقة بين قيام أحد الوزراء السعوديين بزيارة إلى قطر أمس وبين الرسالة التى تم تسليمها اليوم للرئيس مبارك قال الوزير السعودى انني حامل رسالة فقط وكل ما استطيع قوله انها من أخ لاخيه عما يهم البلدين.

واشار الوزير إلى العلاقات الحميمة التى تربط مصر بالسعودية وعمق الصلات التى بدأت مع الملك عبدالعزيز ال سعود ـ رحمه الله ـ وكانت دائماً تدعم من قبل المسئولين فى مصر. وأكد الوزير السعودى دعم القيادة فى البلدين لما فيه مصلحة البلدين والأمة العربية. حضر المقابلة ابراهيم بن سعد الابراهيم سفير المملكة السعودية بالقاهرة

الأمير عبد الله يلتقى بموسى والباز بالرياض

اجتمع ولى العهد السعودى الامير عبد الله بن عبدالعزيز مساء أمس مع كل من وزير الخارجية عمرو موسى والدكتور أسامة الباز مستشار الرئيس حسنى مبارك للشئون السياسية حضر الاجتماع وزير الخارجية السعودى الامير سعود الفيصل.

AL-HAYAT ... DAY 2, DECEMBER ...

واشنطن تعتبر أن هناك خطوة في الطريق الصحيح

نتانياهو يلغي تجميد الاستيطان في مناطق حددتها حكومة العمل

موسى بعد لقائه بالوفد الإسرائيلى:

لن يتم إنقاذ السلام بوعود إسرائيلية.. بلا مصداقية

قرار إسرائيل بإعادة الانتشار.. عام وغامض

ويذهب ماكلوهان كذلك إلى أن معالجة الخبر ونشره لم يكونا النشاط الرئيسى للعالم الميكانيكى والصناعى، فى حين أنه الآن النشاط الأساسى والمصدر الأول للثروة فى العالم الكهربائى.. ففى نهاية العصر الميكانيكى كان الناس لا يزالون يعتقدون أن الصحافة والراديو، بل والتليفزيون أيضا، إنما هى أشكال من الإعلام يمولها صانعو ومستهلكو المنتجات "الحقيقية" كالسيارات، والصابون، والبنزين، وكلما تمدّ الآلية الذاتية (الاوتوميشن) نفوذها يصبح من الواضح أن السلعة الأساسية هى الإعلام، وأن الأموال الحقيقية إنما هى ثانوية بالنسبة لحركة الإعلام.

ويذهب إلى أن الجريدة لم تتجه منذ البداية إلى شكل الكتاب، ولكن نحو شكل فسيفسائى يقوم على المشاركة. ومع زيادة سرعة المطبعة وجنى الأخبار، أصبح هذا الشكل الفسيسفائى أحد المظاهر السائدة للمجتمع البشرى. وبالفعل فإن هذا الشكل ينطوى على مشاركة ايجابية أساسية لنشاط المؤسسات الديمقراطية. وفى الوقت نفسه لا يمكن قطعا أن يقوم الكتاب أو الأدب مقامها. يقول ماكلوهان:

"إن أول ما يبحث عنه قراء الصحيفة هو ما يعرفونه من أخبار. فحين نشاهد حدثا أو مباراة، أو هبوطا فى سوق الأوراق المالية، أو عاصفة رملية، فإننا نبادر بالبحث عن وصف ما حدث. لماذا؟ إن الإجابة عن هذا السؤال أساسية لفهم وسائل الاتصال لماذا يحب الطفل أن يكثر من الكلام عن أحداث اليوم بشكل غير مترابط؟ كيف نفسر تفضيلنا لروايات وأفلام تكون شخصياتها وديكوراتها مألوفة لدينا؟ أن يرى الناس المنطقيون تجربتهم، أو يتعرفوا عليها فى أشكال مادية جديدة.؛ هبة من هبات الحياة التى لا تقدر. والتجربة المنقولة إلى وسيلة جديدة من وسائل الاتصال تجعلنا نرى أو نسمع، تماما نسخة سائغة لوعى سابق "إن الصحافة تنقل الإحساس الذى شعرنا به باستخدامنا لحواسنا. وباستخدامنا لحواسنا ولقدراتنا نستطيع أن ننقل ونغير العالم الخارجى، إلا جوهر ذواتنا ذاته، وإن احتدام النقل يفسر لماذا يريد الناس غريزيا أن يستخدموا كل حواسهم على الدوام. وهذه الإمتدادات الخارجية لحواسنا وقدراتنا والتى نسميها وسائل اتصال، نستخدمها على الدوام بقدر ما نستخدم عيوننا وآذاننا. للأسباب نفسها، وعلى العكس، فإن "رجال الأدب" يعتبرون هذا الاستخدام المنتظم والدائم للوسائل تحقيرا، وفى عالم الكتب فإن الأمر ليس مؤلفا لهم.

ويقصد ماكلوهان بالشكل الفسيسفائى للصحافة: أسلوب الصورة الجماعية أو المشتركة التى تستلزم مشاركة فى العمق، وهذه المشاركة جماعية أكثر منها خاصة، وجامعة أكثر منها مانعة. وبعد أن كانت الأخبار بالنسبة للصحافة القديمة شيئا خارجا عنها، ولم تكن للصحيفة سلطة عليها، أصبحت اليوم تشعر بأن الأخبار توجد لكى تروى وتحكى. وليس هذا فحسب، وإنما لكى تستقى ويبحث عنها، بل ولكى تصنع" وإن المصطلح المعروف باسم "المانشيت". والذى يسميه ماكلوهان "صنع العناوين الرئيسية" غامض إلى حد الغرابة. حيث أن وجود حدث فى الصحيفة يعنى فى الوقت

نفسه أن يكون الحدث خبرا، وإن يصنعه وهكذا فإن "صنع العنوان الرئيسى" يعنى عالما كاملا من الأعمال والخيالات فى وقت واحد. غير أن الصحافة هى عمل وخيال يُصنعان يوميا. وهى - أى الصحافة - تُصنع تقريبا من كل ما يمكن أن نجده فى المجتمع و"بواسطة الفسيفساء" تغدو صورة أو قطعة من المجتمع".

وإذا نظرنا إلى الصحافة فسنجد أنها بالتعبير الماكلوهانى: "فسيسفاء"، وتنظيمٌ يستلزم المشاركة، وضرب من العالم الذى يجب أن نصفه بأنفسنا، ويغدو من السهل أن نعرف لماذا هى ضرورية للحكومة الديموقراطية. وفى تحليل للصحافة بعنوان: الفرع الرابع للحكومة يلاحظ "كاتر" Cater بدهشة ودون أن يعرف الكيفية، أن الصحافة هى التى تربط مختلف الخدمات ببعضها البعض من ناحية، وبالأمة من ناحية هذه الخدمات التى تتشعب وزارات الحكومة إلى شُعبٍ من أجلها.

ويذهب ويكهام ستيد Wicham Steed من أعلام الصحافة، إلى أن من الصعب على الصحيفة أن ترتفع عن مستوى القراء. ولذلك كان من الصدق أن يقول: إن للأمة الجريدة التى تستحقها، كما يصدق حين يقول أيضا: إن الذوق العام للجمهور قد يتأثر بالصحف التى تؤثر فى الغرائز المنحطة للقارئ. ذلك أن الصحافة كما يقول العقاد(١): "تابعة للأمة التى تعيش فيها، وليست بسابقة لها ولا مترقية عليها، وإذا اتفق فى موقف من المواقف النادرة أن تقدمت الصحافة على أمتها فتلك ولا ريْب عارضةٌ لا تدوم. لأن الصحافة إذا تقدمت أمتها على الدوام انقطعت عنها. وليس فى وسع صحيفة من الصحف أن تنقطع عن قارئيها وعن البيئة التى تكتب لها، وهى مضطرة إلى الرجوع إليها يوما بعد يوم، أو أسبوعا بعد أسبوع، أو شهرا بعد شهر، كما تضطر جميع الصحف اليومية والمجلات الدورية". يقول العقاد:

"إن الصحافة المُثلى هى صحافة مستقلة فى آرائها مخلصة فى نصائحها أمينة فى أداء رسالتها، خادمة للثقافة والأخلاق فيما تنشره من موضوعاتها وأخبارها.

"وفى مقدورك أن تؤدى هذه الشروط بعبارة أخرى مرادفة لها كل المرادفة وهى أن الصحافة المُثلى هى صحافة الأمة المميّزة الرشيدة. والتمييز فى الأمم ثمرة من ثمرات التعليم والفطرة المستقيمة.. فإذا كانت الأمة متعلمة قويمة الفطرة فلا تشترط

(١) عصر العقاد؛ السابق ص ١٢٩.

فيها شروطاً للصحافة لأنها لن تروج فيها اذا هى خالفت شروط الاستقلال والأمانة، والخدمة القومية التى تقدم مصلحة الوطن على مصالح الأحزاب والأفراد.

"ونحن نلمح أثر التقدم فى صحافتنا كلّما لمحنا أثر التقدم فى أقوامنا وجماهيرنا فنحن اليوم خير مما كنا بالأمس، ونحن غدا فيما نرجوه . خير مما نراه اليوم".

وقد بيّن "ويكام ستيد" مهمة الصحافة فى جمع الأخبار التى تهمّ الرأى العام وإعلانها وتفسيرها، وهذه المهمة مفيدة قيمّة ما فى هذا شك وفيها كثير من المسئولية ولكنّ فيها أيضا كثيرا من الشرف والفخار.

والصحافة صورة حديثة من الخدمة الاجتماعية قد نهضت وانتعشت بفضل الطباعة، ولم تلبث أن ازدادت نهوضا وانتعاشا وامتلأت حياة ونشاطا بفضل الانتقال من المرحلة البدائية إلى المرحلة الميكانيكية، فأمكن بذلك أن تُجمع الأخبار، وأن توضع فى إطارات معدنية وأن تنشر على الناس بكميات كبيرة.

وربما حان الوقت الآن لدراسة التغيرّات التى أحدثها اختراع التليفون والراديو والتلفزيون؛ فى الصحافة. فقد سبق أن رأينا - عند ما كلوهان - أن التلغراف هو العامل الأساسى الذى شارك أكثر من غيره فى خلق الصورة الفسيفسائية للصحافة الحديثة بكتلة مقالاتها التى لا رابط بينها ولا صلة. إن هذه الصورة الجماعية للحياة المشتركة، التى حلت محلّ وجهة النظر أو التوجيه الصحفى، هى التى تخلق المشاركة فى هذه الوسيلة. وحين ألغى التلغراف الزمان والمكان من الأخبار فقد خفف من حميمية شكل الكتاب، وبالمقابل دعم صورة الجمهور الجديد فى الصحافة.

ولعل أهم أثر للتلغراف، هو ما تتميز به لغة الفن الصحفى اليوم. ونذكر أن "ويكهم ستيد" قد لجأ إلى الصحفى الكبير "سى. ت ستيد" يسأله النصح فى ميدان الصحافة، فقال: "ستيد" "لستيد":

"كل ما يحضرك فى الكتابة أسرع ودونه، وبعد أن تدونه تصور أنك سوف ترسله بالبرق وأنت فى بلدك إنجلترا إلى استراليا على نفقتك الخاصة بحيث تكلفك الكلمة الواحدة شلنا، وعلى هذا ينبغى أن تحذف ما لا فائدة منه ولا غناء فيه، وستجد فى النهاية أنك حذفت كثيرا وأبقيت قليلا ولكن هذا القليل هو ما ينبغى أن ترسله إلى صحيفتك".

وإن كان التلغراف قد قصر الجملة، فنستطيع أن نقول مع ماكلوهان إن الراديو قصّر عُمر التحقيق، وأن التليفزيون أعطى أسلوبا استفهاميًّا للصحافة والواقع أن الصحافة ليست فقط فسيفساء للمجتمع الإنسانى بصورة عن بعد، ساعة بساعة. ولكن تكنولوجيتها هى نفسها فسيفساء مكونة من تكنولوجيات المجتمع. وحتى فى اختيارها لما هو جدير بالنشر، تعلن الصحافة عن تفضيلها للأشخاص الذين لهم بعض الشهرة فى السينما والراديو والتليفزيون والمسرح. ويتيح هذا الواقع فهم طبيعة الصحافة كوسيلة للاتصال. وبالفعل فإن الناس الذين لا نسمع عنهم إلا من الصحف هم أناس عاديون فى الواقع!.

تقويم الخبر:

يبين مما تقدم أن تقويم الخبر يقوم على أساسين، الأساس الأول هو تقويمه وفقا لخصائص الجنس الإعلامى. والأساس الآخر هو تقويمه وفقا لخصائصه الذاتية. ذلك أن الخبر – ككل، شيءٌ مجّرد، وكما يبين من التعريفات المتباينة حوله، لا يقومّ وفقا للوسيلة الإعلامية التى تنشره أو تذيعه فحسب، ولكنه تأسيسا على الفهم القائل بأن الخبر سرد لعلاقات الإنسان المتغيّرة مع بيئته يصبح ذا قيمة خبرية، عندما يغيّر من الأوضاع القائمة. وهنا نتساءل عن الخصائص التى ينبغى توافرها فى الخبر حتى يكون هاما فى نظر وسائل الإعلام، وما هى الأسس التى تجعل خبراً من الأخبار يتقدم لينشر أو يُذاع؟.

وللإجابة عن هذا السؤال؛ نتتبع – رحلة الأخبار مع أسرة عادية ، ولتكن أسرة السيد "زيد" الذى استرعى انتباهه فى الصفحة الأولى من صحيفته عنوان على أربعة أعمدة حول:

■ ١٩ نوفمبر ١٩٩٧ ■

مجلس «الدوما» يناشد يلتسين إقالة وزير ماليته

ويطالع السيد "زيد" العنوان بسرعة، ولكنه لم يكن مهتما بمتابعة الخبر أكثر من ذلك؛ فيكتفى بالعنوان ثم ينتقل إلى عنوان آخر أكثر إثارة "وهو":

الأشغال المؤبدة لجناينى زرع حديقة فيلا مخدومه بنبات البانجو فى السويس

يستعرض السيد (زيد) الفقرتين الأوليين من هذا الخبر مكتفيا بذلك. فالجناينى لم يكن معروفا للسيد زيد. إلا أن الذى اجتذب انتباهه فى العنوان هو كلمات: الأشغال المؤبدة - جناينى.. حديقة فيلا - السويس. فهذه الكلمات كانت الدافع القوى وراء اهتمامه بالخبر، وذلك لأنه من مواليد مدينة السويس، وإن كان قد اغترب عنها لسنوات طويلة. أما الكلمات الأخرى فقد جذبت انتباهه؛ لأن زراعة المخدرات ممنوعة بطبيعة الحال؛ ولكن أن يزرعها "البستانى" فى "حديقة منزل مخدومه " فذلك هو غير المألوف.. انتقلت عينا السيد زيد؛ بعد ذلك فوقعتا سريعا على عنوان جديد وفى حقيقة الأمر؛ فإن هناك العديد من الاعتبارات التى تكمن خلف اختيار هذا التنظيم أوذاك وتتصل بموقف الجمهور من الموضوع واهتماماته.

والتحرير الصحفى - كما تقدم - يرتكز على تحويل الأحداث؛ والمعلومات؛ إلى أخبار وموضوعات؛ ومقالات، وتمرُّ هذه العملية فى ثلاث مراحل: البحث، الاختيار، والكتابة (التحرير فى قالب صحفى)، وتتم جميع هذه المراحل عبر دورات معقدة أوبسيطة، أبسط دورة منها تتعلق بحدث منظور ومهم وقريب. مما يبرر عمل المندوب الصحفى. وتنتهى عملية الاختيار عندما يطلع المندوب على الحدث ثم ينقله ليحرِّره سكرتير التحرير فى قالب صحفى. ولا يبقى من الدورة إلا الطباعة والنشر، ولكن، فى الحقيقة، إن عدداً كبيراً من الأسباب يتدخل فى عملية الاختيار[1]. فالبحث عن المعلومات، هو أساسا، من واجب المندوب. وتحرير الخبر من واجب المندوب أيضا؛ جزئياً ولكنه من مسؤولية سكرتير التحرير الأساسية. وهاتان العمليتان، أى البحث عن الخبر وتحريره، تشكلان المرحلة الأولى والثانية من الوظيفة الصحفية، والاختيار بعد البحث، يمثل المرحلة الأولى، ولو قام به المراسل أو المندوب أو سكرتير التحرير أو محرر الأبواب الثابتة. وليست هناك صحيفة تستطيع نشر كل ما يحدث فى العالم ليحرِّره،

---

(١) فيليب جابار: تقنية الصحافة ؛ ترجمة فادى الحسينى .

أو ما يصل إليها، عبر الوسائل العديدة الموضوعة تحت تصرفها، وأول عمل للصحفى عندما تبدأ الدورة الإعلامية، هو أن يختار الوقائع التى سيحولها بالتحرير إلى أخبار. فعلى كل صحفى أياً كانت وظيفته، أن يأخذ قراراً بالاختيار، عدة مرات أو عشرات المرات فى اليوم. وهذه الاختيارات المتعددة تتصارع وتتداخل لتنير تدريجيا كتلة وقائع اليوم المتخمة، ولتؤدى إلى "موجز" الصحيفة. مراسل الصحيفة أو وكالة الأنباء هو "الديدبان" الذى يقوم بدور "حَذام" كما تقدم؛ وهو " الذى يمثل الصحيفة فى المكان المعين، وهو أول من يختار ويقّرر ما هو جدير بأن يعرف خارج المجموعة الإنسانية؛ التى يقوم فيها بدور آذان بقية العالم وعيونهم. ومسؤولية المراسل كبيرة، فإذا أهمل واقعة لها عواقب مهمة، فما من أحد يستطيع تبرير غيابه. وإذا نقل جميع الوقائع التى تصل إلى حد علمه، خوفاً من إهمال واقعة مهمة، فيكون قد أغرق التحرير فى أوراق لا قيمة لها وباختصار لا يكون قد قام بعمل صحفى. والمندوب الموجود على مسرح الأحداث لا يتمتع بصلاحية الاختيار؛ لأن وجوده فى هذا المكان المعين يعنى نهاية الاختيار.

ولكن عليه أن يقف أمام التفاصيل المختلفة ويستوضح قبل أن يأخذ قراراً. وسلسلة القرارات هذه، سلسلة غريزية إجمالاً. فإذا وقع المندوب تحت تأثير حركيّة الأحداث التى يراقبها، قد لا يجد الوقت الكافى للتفكير والاختيار[1].

وسكرتير التحرير، هو آخر من يختار. فقبل أن يفرغ كتلة المواد، التى ستصبح أنباء اليوم، فى قالب صحفى، عليه أن "يشّذب ويختصر ويهمل بعض العناصر. وهذا الاختيار يؤله أحياناً، لكنه يعلم أن المنفذ الوحيد أمامه هو قراره الحازم فى أن يقدم أولا يقدم؛ للجمهور هذا العنصر الإعلامى أو ذاك. فى جميع الحالات الاختيار حاسم؛ فالمراسل يستطيع أن يضاعف إرسال الكلمات عشر مرات، إذا رأى ضرورة لذلك؛ والمندوب يستطيع أن يكتب عشرة أسطر زيادة على المطلوب. أما سكرتير التحرير فهو سجين المساحة الموضوعة تحت تصرفه.

فالتأكيد على أهمية الاختيار، هذه المرحلة المجهولة من نشاط الصحفى، أمر ضرورى، لأن هذه المرحلة، وإن كانت لا تترجم إلى عمل ملموس، تمثل المرحلة الأولى التى

(١) نفس المرجع ص ٣٤.

تحدد حركية الإعلام. والاختيار يصبح سهلاً فى الحالات المتطرفة. على أن الانتقاء عملية دقيقة لا تترك لذوق التحرير وحده، بل تتم من خلال موازين دقيقة منها ما هو عام، ومنها ما يتعلق بالمؤسسة الصحفية.

وترتبط المقاييس العامة للاختيار فى التحرير الصحفى بالحدث نفسه؛ وهذه المقاييس هى الدلالة؛ والحالية الإعلامية. أما المقاييس الخاصة بكل مؤسسة صحفية؛ فهى ترتبط بجمهورها. ويمكن تلخيص هذه المقاييس فى معيار واحد هو معيار الأهمية.

أولا: الحالية الإعلامية:

إن الأخبار كما نعرف إنما تعنى شيئاً جديداً، ولا يشك الجمهور فى ذلك مطلقاً. فهو حين يفتح صحيفة أو حين يجلس أمام الراديو أو التلفزيون فى موعد الأخبار، إنما ينتظر جواباً عن سؤال عام: "ماذا حدث من جديد؟" .

وقد نجد بعض التطرف فى السعى الدائب وراء الآنية التى تميز الصحافة المعاصرة، فالركض وراء السبق الصحفى، أى وراء الخبر الجديد الذى سينقل، يجرى أحيانا على حساب الخبر. وإذا كان هذا السباق يشكل حافزاً للصحفيين، فهو يصطدم بلا مبالاة الجمهور. ولكن، ومهما يكن الأمر، فهو قانون من قوانين الصحافة الحديثة، ومن العبث تجاوزه، فوكالة الأنباء ومحطة الإذاعة التى تسبق غيرها فى نقل حدث مهم، تكتسب شهرة كبيرة. وأخيرا رغم أن الصحافة المكتوبة تمتاز بدوريتها البطيئة، نوعا ما، بالمقارنة مع الدفق المتواصل من الرسائل التى تتلقاها، فإن لكل طبعة، دقيقة مصيرية ، بعدها لا يمكن لأى خبر يصل إلى التحرير أن يعرف طريقه إلى النشر. ومن عادة الجمهور أن يقرأ ويسمع، ولا يلاحظ عموماً أن صحيفة ما خسرت السباق إلا عند وجود الأحداث المهمة. والشىء نفسه يقال عن حالية الحدث الذى تنقله الصحيفة إليه، فالقارئ لا يدرك أن السرعة غير ممكنة، وهى محدودة بالإمكانات التقنية، وهو يقرأ حقيقة ما جرى أثناء نومه، عند تناوله الإفطار.

يقول الأستاذ فيليب جايار:

"هذه الحاجة إلى الآنية واضحة عندما يستحث الإعلام جمهوره، أو قسماً من الجمهور، إلى التحرك الإيجابى، وهنا يؤدى تأخر النشر إلى عواقب سيئة، فى حالة

الإعلان عن مظاهرة سياسية أو نقابية أو رياضية أو ثقافية. والشىء نفسه يقال، اليوم، عن تأخر نشر أخبار حركة البورصة، وأسعار المواد الأولية. كما أن تأجيل نشر بعض المراسيم والقوانين التى تدعو إلى ضبط التصرفات مباشرة، وتأجيل نشر إنذارات الحرب أو الفيضانات التى تتطلب استعدادات على المستوى الوطنى والعائلى والفردى، يؤدى إلى عواقب سيئة.

وعندما تكون المصلحة الفردية بعيدة عن المساس، فالوحدة الوطنية والعالمية، فى أيامنا هذه، أوجدت الحاجة إلى معرفة ما يجرى فى الطرف الثانى من البلاد أو من العالم، فور حدوثه. فالحالية إذاً من أهم عناصر التقويم الصحفى. مما يعنى أن يواصل الصحفى جهاده؛ ليطلع وينقل، فى أسرع وقت ممكن، الأحداث المعبرة عن أهمية والجديرة بالاهتمام. فالأخبار التى يتأخر نشرها، تقل نسبة الاهتمام بها. والخبر الذى يمكن أن يحتل خمسة أعمدة فى الصفحة الأولى عند تذييله بـ "عاجل - من مندوبنا الخاص"، لا يستحق أن يكون أكثر من خبر على عمود؛ فى إحدى الصفحات الداخلية، لو علم به التحرير عند قراءته فى صحيفة أخرى." (١).

والخبر لا بد أن يكون قريبا من حيث المكان، ومن الثابت أن أحداثا تقع فى مصر تهم المصريين أكثر مما تهم سكان أمريكا الجنوبية مثلا، العكس صحيح، فإن الجمهور يهتم بحادث بسيط يقع قريبا منه . أكثر مما يهتم بحادث أكثر أهمية يبعد عنه أميالا وأميالا كإضراب عمال المناجم فى جنوب إفريقيا مثلا. واليوم تشكل الأنباء ذات الطابع المحلى البحث الأساسى الذى يبنى عليه الصحفيون توزيع صحفهم.. وتدل البحوث على أن النبأ الذى له أهمية دولية - فيما عدا الأحداث الرئيسية - لا يثير سوى اهتمام ١٠٪ فقط من القراء فى المدن الكبيرة.

وتراعى الصحف هذا القرب المكانى مراعاة دقيقة، وتفرق من أجل ذلك بين الطبعة التى توزع فى العاصمة والطبعة التى توزع فى الأقاليم، فإذا وقعت الحادثة فى العاصمة عنيت بها الطبعة التى توزع فى العاصمة عناية تامة، وتقل هذه العناية

---

(١) نفس المرجع ص ٣٥ .

بالقياس إلى طبعة الأقاليم أو المدن أو الطبعة الدولية، والعكس بالعكس، فالناس بعامة، أكثر ما يكونون اهتماما بالأحداث الواقعة قريبا منهم من حيث المكان والزمان.

والقرب قد يكون مكانيا وقد يكون زمانيا أو نفسيا، ويرتبط القرب الزمانى بالحالية الإعلامية، وكلما كان الخبر جديدا كان اهتمام القراء به عظيما. وهناك مثل يقول: **"ليس هناك اقدم من صحيفة الأمس"** ولذلك نجد المحرر يكتب الخبر مستعملا كلمة **"اليوم"** إذا كانت الصحيفة مسائية، أو كان الخبر مذاعا بالراديو أو التلفزيون، ويستعمل كلمة **"الأمس"** إذا كانت الصحيفة صباحية، والزمن عامل هام جدا، حتى أن ساعة أو ساعتين قد يغيرا من قيمة القصة الخبرية؛ وخاصة إذا كانت صحيفة منافسة تكتب عنها، ومما يدل على أهمية **القرب الزمانى** أن "آخر خبر هو أكثر الأخبار لفتا لأنظار القراء. ولكن قاعدة **الجدّة الزمنية** لا تسرى على كل القصة - كما يقول كارل وارين - فقد يضطر المحرر إلى تضمين موضوعه إشارة إلى ما سبق أن نشر من قبل عن نفس الموضوع، ولكن هذه القاعدة لابد أن تطبق على الجملة الأولى، ومن الواضح أن قاعدة الجِدّة **لا تنطبق على الوقت الذى حدث فيه الخبر، وإنما تنطبق على وقت إذاعته.**

ويستخدم **القرب الزمانى والمكانى والنفسى** فى قياس خصائص معينة للخبر، ولكن بعد أن يعترف بقيمة الخبر فعلا، وذلك لتقرير: هل يروج ذلك الخبر أو لا يروج وأين يكتب له الرواج، وهل يستحق الخبر عناء تقصى أطرافه أم لا، والقرب النفسى يحتل أهمية كبيرة، فما يحدث لطلابنا فى الخارج قريب إلى نفوسنا، ولذلك يظفر بالنشر مهما بعدت المسافات[(١)] ومع أن القيم الخبرية لا تقرر فى حد ذاتها أهمية الخبر بل تقرر طبيعته فقط، فإنه كلما زادت القيمة الخبرية لحادث من الحوادث، زاد اهتمام الناس به، وزادت بالتالى أهميته .

ثانيا: الجِدّة الإنسانية:

قلّ أن يكون لبعض الروايات شأن إذا رويت باعتبارها حوادث منفصلة أومستقلة. فالقتل مثلا حادث فردى مستقل ذو قيمة خبرية لما ينطوى عليه من عنصرى الصراع والكارثة، والانتخاب حادث مستقل له قيمة خبرية بسبب الصراع

(١) د. ابراهيم أمام : دراسات الفن الصحفى ص ١١٧ .

(وكذلك الفوز والهزيمة) وبسبب النتائج التى تترب عليه. وإذا أفلت سجين مقيّد من جندى الشرطة فهو خبر يستحق النشر بسبب جدته. ولكن الحادث الفردى نفسه لا تروى عنه الصحيفة إلا خبرا صغيرا. ولهذا فإن سكرتير التحرير أو محرر أخبار العاصمة قد يطلب من المندوب تحويل هذا الخبر الموجز إلى قصة ذات زاوية انسانية، وعندئذ ينشر الموضوع فى عمود كامل من أعمدة الجريدة. وفى هذه الحال لا يقتصر المندوب على الحادث فى حد ذاته، بل يذهب إلى ما وراء الحادث ليتقصى الاعتبارات الانسانية التى تكشف كل من له ضلع فى الحادث. فكيف تركت السيدة أطفالها وحدهم فى السيارة؟ ولماذا؟ وكيف تعلمت العدو السريع؟ وما هى أحوال أسرتها؟ والسارق: من هو؟ وما إلى ذلك . وهكذا ينقب المندوب عن الاعتبارات الإنسانية للحادث الذى وقع.

وينبغى ملاحظة أنه فيما يتعلق بالموضوعات التى يمكن وصفها بأنها تستهوى النزعة الإنسانية، يتعين على المندوب أن بذهب إلى ما وراء الحادث نفسه ليتقصى ملابساته الإنسانية، فهو يسعى عادة إلى جمع المواد التى يحتاج إليها كتاب الروايات، مثل العواطف والوقائع المتعلقة بحياة المرء والحوادث المسرحية والوصف والدوافع والمطامع والآمال. وما هذه بأحداث، ولكنها ملابسات تحيط بالأحداث. ومن الأحداث ما تسهل كتابته من الزاوية الإنسانية وما يصعب تناوله من تلك الزاوية. وما أكثر الحوادث التافهة التى ما كانت لتستحق النشر استنادا إلى قيمتها الخبرية الضئيلة، ولكنها اكتسبت من الملابسات الإنسانية ما جعلها من حيث الكم ومن حيث الكيف محورا للروايات الإعلامية التى تعالج الزاوية الإنسانية. ثم إن هناك من الأحداث البالغة الأهمية ما يكون مرتبطا بنسيج من الظروف.

والأشخاص والعواطف والمصالح المتضاربة؛ يقتضى تجزئتها إلى أخبار موجزة تحتاج إلى جهد واع؛ وقد تجرد الحادث من كثير من جوانبه الهامة. ومن هذا القبيل حادث إغراق الأم لأطفالها الأربعة فى النيل حزنا على شقيقها الذى قالت إنه مات وتبين فيما بعد أنه لا يزال على قيد الحياة، وأنها مصابة بمرض نفسى وسبق علاجها بجلسات كهربائية بإشراف أحد الأطباء وكانت تغادر قريتها وتهيم على وجهها فى البلاد المجاورة. ومن هذا القبيل أيضا: إحالة طبيبين لمحكمة الجنايات استدرجا طالبة وحاولا الإعتداء

عليها، وكذلك ما ينشر من مثل هذه الأخبار التى مزقت حالة راهنة وعرضت على الجمهور قضية الاختطاف والاغتصاب، مما يهيئ الرأى العام لاتخاذ إجراءات رادعة.

ويكتسب الحادث أهمية من سياق الظروف المحيطة به. فإذا شب حريق فى خيمة لا يوجد بها شىء، كان هذا حادثا تافها، أما أن يشب حريق للمرة الثانية فى خيمة السيرك القومى بسبب ماس كهربائى أتى على جزء كبير من الخيمة، فقد يكون لهذا الحادث أهمية كبيرة، لما ينطوى عليه من الصراع من أجل السيطرة على النيران وإخمادها تماما قبل أن تمتد إلى حيوانات السيرك وإلى مسرحى البالون والسامر المجاورين. ولهذا لا يسعنا أن نقيس القيمة الخبرية لحادث فردى إلا من حيث نوع الحادث. أما وطأة الحادث أو اثره أو عاقبته فإنها تقاس بسياق الحادث أى بملابساته وظروفه. فقد يقع حادثان متشابهان من حيث موضوعهما، فيمزق أحدهما نسيج الظروف تمزيقا هينا بينما يقطعه الآخر تقطيعا شديدا". وقد تتكرر حوادث الاختطاف او سقوط الطائرات، غير أن تمزيق هذه الحوادث للحالة القائمة لا ينحسر عن أنسجة متشابهة من الزاويا الإنسانية الخلابة، كما أنها لا تتساوى فى عواقبها الاجتماعية.

ويتضح من ذلك أن الأخبار ذات الزوايا الإنسانية إنما تنشأ عن حادث عادى تقاس أهميته الخبرية بمدى تغييره لحالة قائمة، وبما اصطلح عليه من قيم خبرية. أما هل تنشأ الأخبار على هذا النحو، أى أن تكون قصة ذات زاويا إنسانية لا خبرا عاديا مجردا، فإن ذلك يتوقف على الظروف التى يميط عنها الحادث اللثام بعد أن يمزق الحادث هذا النسيج. وأحيانا يبدو الحادث فى بعض الأحيان عامرا بالعواطف البشرية وبالمفارقات المختلفة التى تزيد أهميتها على أهمية الحادث نفسه، وفى هذه الحال تتضاءل أهمية الحادث فى حد ذاته. وكثيرا ما يسوق المحرر حوادث إخبارية مجردة ولكنه يضيف إليها بين الحين والآخر ملابسات من أضواء الزوايا الإنسانية ليجتذب اهتمام القارئ ويحمله على قراءة هذه الحوادث. فالزاوية الإنسانية اصطلاح مفيد يطلق على وصف المواد التى تتدفق من خلال الحادث، وهى قيمة روائية قصصية لا قيمة إخبارية، ويمكن اعتبارها رديفا للصراع والعاقبة والكارثة والتقدم والجدة والشهرة والوقتية وما إلى ذلك من القيم الخبرية. وكما يقول "جونسون وهاريس" فإنه ما من حادث إلا ويمكن معالجته من الزاوية الإنسانية إما معالجة كاملة، وإما معالجة جزئية، وإما معالجة تخلو من كل اعتبار للزاويا الإنسانية.

ثالثا، عنصر الضخامة:

لا يقصد بهذا العنصر التهويل أو المبالغة ونحو ذلك، ولكن يُقصد به إثارة اهتمام أكبر عدد من الناس. فمن الأخبار ما يمس جماعة قليلة من الناس فى المجتمع فلا يؤبه له كثيرا فى الصحف ووسائل الإعلام. ومن الأخبار ما يمس أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع، أو يمس مرفقا من أهم المرافق الحيوية فى هذا المجتمع، أو يمس مشكلة من أكبر المشكلات السياسية أو الخلقية أو الاقتصادية التى تهم المجتمع، وإذ ذاك ترى وسائل الإعلام تخصص لهذا الخبر الضخم مكانا ظاهرا فى صدرها.

وعنصر الضخامة يرتبط ارتباطا وثيقا بالدلالة الإعلامية، ومدى اهتمام الناس بها. تقول القواعد الأولى فى علم حساب الأخبار أن نبأ حادثة أصابت ألف شخص أهم من نبأ حادثة أخرىَ أصابت ١٠٠. وقرار قاض فى المحكمة أو تفسيره لإحدى مواد القانون إجراء فنى بحت، ولكنه فى الوقت ذاته يؤثر فى حياة الملايين. ويستطيع الصحفى أن يكتب موضوعا مثيرا يبين فيه نتائج القرار على حياة العامة.

وقد لا يهتم "زيدٌ" من الناس إذا قرأ أن شركة النقل العام على خلاف مع عمالها، ولكن إذا قال له المندوب إن العمال سوف يبدأون غدا إضرابا عاما؛ وأنه سوف يسير على قدميه إلى عمله أو سوف يدفع جنيهين إضافيين إذا أراد الركوب، فإن الخبر يدخل دائرة الاهتمام الشخصى فى كل بيت.. وأهمية الخبر لا تقاس بمدى ما يحدثه من تغيير واضطراب فحسب، وإنما بضخامته، أى عدد الأشخاص الذين يؤثر فيهم الخبر.

وإذا اجتمعت أهمية شخصية من الشخصيات مع أهمية الموضوع وضخامة عدد المهتمين به، فلابد أن يكون الخبر صالحا للنشر فى الصفحة الأولى، أو فى إحدى الصفحات ذات الأهمية الكبرى، ذلك أن **الأسماء تصنع الأخبار** كما يقولون، وأن **الأسماء اللامعة تصنع الأخبار الهامة**. فإذا سلمنا بصحة هذا القول، فكيف ينطبق مبدأ تغيير الحالة القائمة على هذه القيمة الخبرية التى يلوح أنها ثابتة غير متغيرة؟ يجيب "جونسون وهاريس" على ذلك بأن المبدأ يصح بالنسبة للأغراض السياسية وحدها. وإن لم يكن صحيحا مئة فى المئة، فإذا كانت الأسماء وحدها هى صانعة الأخبار لما احتاج الأمر إلى ترقبّ الأحداث حتى تساق الأسماء فى الجريدة، فلابد للرجل الشهير من أن يفعل شيئا يعدل به وضعا قائما إذا أريد لإسمه أن ينتشر فى

وسائل الإعلام، والسياسيون يدركون جيدا، حتى ولو لم يفطن إلى ذلك المندوبون والمحررون، أن أهمية الإسم اللامع ترجع إلى قدرة صاحبه على تغيير حالة قائمة.

الأسماء والشهرة: وقد تكون الشهرة مؤقتة سواء كانت لأشخاص أو أماكن أوأشياء أو حوادث تثير اهتمام القراء، مثل اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون أو معركة انتخابية، أو أحداث لبنان، وقد يستمر أثرها على الناس مثل قضية ووترجيت؛ أوقضية "مونيكا" أو موضوع تحديد النسل، وسيصر ملايين الناس على معرفة التفاصيل إذا وقع حادث لإنسان مثل "نيكسون" أو"جاكلين كنيدى" أو "أوناسيس" أو"كلينتون" أو "الأميرة ديانا".

وإذا قال "زيد" البقال: يجب إرسال كل السائقين السكارى إلى السجن، فليس فى هذا القول خبرا، لأن "زيدا" إنسان غير مسئول ولا يهم الرأى العام. ولكن إذا أعلن "عمرو" رئيس الشرطة فى المدينة هذا التصريح، أصبح خبرا ينشر فى مكان بارز.

وكل إنسان يحب الأبطال والساسة البارزين فى الهيئة الاجتماعية، وكذلك يحب الرياضيين والفنانين. وملايين من الناس يقبلون منهم على قراءة قصص المكتشفين والرحالة ومغامرات أصحاب الملايين.

يقدم لنا الأستاذ الحمامصى. مجموعة من المعادلات الطريفة التى تبين عناصر الغرابة والإثارة فى الخبر فيقول:

"رجل غربى تزوج من غير أن يطلق زوجته السابقة، ثم يستمر بعد ذلك فى عملية الزواج من واحدة بعد الأخرى حتى يصبح عدد زوجاته "أربعا"، ثم ينكشف أمره وتقف زوجاته الأربع أمام المحكمة شاكيات خروجه على الدين والقانون.. مثل هذا الخبر يتطور فى صحافة الغرب ليصبح قصة يتحدث عنها الناس جميعا، ويقاد صاحبها إلى المحاكمة وتتوسع الصحف فى النشر عنها، بينما مثل هذا الخبر فى أى بلد يدين أهله بالدين الإسلامى لا قيمة له لأن القانون والدين يبيحان للزوج أن يتزوج أربعا.

ولكن إذا حدث فى بلد إسلامى وجود امرأة تزوجت أكثر من رجل فأصبح العدد ثلاثة أو أربعة، هنا يمكن أن يتطور الخبر ليصبح قصة صحفية تشغل القراء!

ومعادلة أخرى:

نبأ عن صراف بنك + زوجة + ٧ أولاد = صفر.

بينما أن نبأ عن صراف بنك – ١٠ آلاف جنيه من الخزينة = خبرا.

أو نبأ عن صراف بنك+ زوجة+عشيقة–١٠ آلاف جنيه= خبرا أكثر أهمية.

ومعادلة ثالثة:

نبأ عن : رجل عادى عمره ٨٠ سنة +حياة عادية = صفرا.

ونبأ عن رجل عادى عمره ٨٠ سنة + رحلة مغامرة = خبرا.

رجل عادى عمره ٨٠ سنة + زوجة شابة ١٨ سنة = خبرا .

رجل عادى ٨٠ سنة + زوجة شابة ١٨ سنة +٣ توائم = خبرا أكثر أهمية.

ومن المعروف أن القبض على سكير فى الشارع ليس خبرا، ولكن إذا كان هذا السكير رئيس جمعية منع المسكرات صار خبرا. وقصة القروى الذى باع ترام العباسية لمصرى من أقاصى الصعيد قصة خبرية طريفة، وطبيعى أن للقصة ذيولا كأن يركب الصعيدى الترام ويحاول الحصول على الإيراد من الكمسارى، ومثل هذا النوع من القصص الطريفة لا يمكن أن يهمل بمجرد اختفاء العناصر الإخبارية الأخرى، بل يكفى أن يكون "غريبا" لكى يكون "خبرا" ذلك أن مثل هذا الخبر قد يعيش فى أذهان جمهور القراء أكثر مما يعيش خبر استقالة موظف كبير بسبب خلافه مع بعض زملائه فى العمل.

وتذهب بعض الصحف إلى أن عناصر التشويق والإثارة والطرافة والروعة من أهم سمات الخبر الجيد. وهناك تعريف للنبأ يقول إنه ما يخرج عن المألوف فيصبح بارزا. ويلاحظ الدكتور إمام أن عنصر التشويق ينطوى على الابتعاد عن الموضوعات الجافة المجردة، غير أن جوهر الفن الصحفى يكمن حقيقة فى تقديم الخبر الجاد، والموضوع المفيد، والمعلومات الدقيقة بأسلوب شائق ممتع مفهوم، مثير للفكر، وليس مثيرا للغرائز الدنيا. وذلك يتطلب بطبيعة الحال تنوع الموضوعات وشمولها حتى تجد كل فئة من القراءُ بغيتها.

خامسا: الدلالة الإعلامية :

ومعيار الدلالة الإعلامية يقوم على النظرية المتعلقة بجوهر الإعلام، كأساس عام للقيم الإعلامية، وكل ما له قيمة إعلامية مما يغير حالة قائمة أوينذر بتغييرها أو يترتب على حوادث وقعت فعلا أو هى بسبيل أن تقع، وهى حوادث تتميز بدلالة، تقوم على: الصراع ومراكز الاهتمام الإنسانى، ففى المجتمع ألوان شتى من الصراع، ولمعظمها أهمية إخبارية، فكلّ صراع فعلىّ - كما يقول جونسون وهاريس. إنما يمثل تعديلا ظاهرا لوضع قائم، وهو صراع ينذر فى شكله المادى بإحداث إصابات أو إلحاق ضرر، كالحرب والاضطرابات والحملات السياسية والمناقشات البرلمانية الحادّة، فإن لها فى صدر الصحف متسعا، ولكن تلاحم النظريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمناقشات التى تدور بين المفكرين والعلماء، قد تستحق إذا قيست بنتائجها وعواقبها أن يضفى عليها من القيمة الإعلامية أكثر مما يضفى عليها فعلا. وهناك أنواع عديدة من الأخبار التى يكون الصراع عنصرها الغالب أى الكفاح ضد قوى متفوقة مثل: صراع الإنسان مع الطبيعة، وصراع الفرد مع المجتمع المنظم، وصراع الكتل السياسية مع الكتل الاقتصادية بالحروب والحملات والإضرابات.

كما أن كل صراع يسفر عادة عن فوز فريق وهزيمة لفريق. وكثيرا ما ينجم عن ألوان الصراع الرتيبة فى الحياة، - والتى تفتقر فى حد ذاتها إلى عناصر التقويم الصحفى - نماذج من النجاح المشرق، كما نجد فى المخترعات وأساليب العلاج الجديدة التى تصدر عن المعامل ولكنها مع ذلك من أمارات التقدم.

وكذلك القصص التى تحملنا على التساؤل عما سيحدث؛ تستثير اهتمامنا باستمرار كقصص: العمال الذين أطبق عليهم المنجم وقصص المغامرات والاستكشافات. وبدهى أن الحادث ذا القيمة الصحفية هو الحادث الذى ينشئ سلسلة متصلة من الأحداث تؤثر فى كثير من الناس، أو الحادث الذى من شأنه أن يتسبب فى مثل تلك السلسلة. أى أن يكون حادثا كثير العواقب والنتائج. ومن الأحداث ما تزيد عواقبه على غيره. فتفسح لها الصحف مجالا أرحب من غيرها وتفرد لها العنوانات الضخام، لأنها أحداث ذات قيمة إعلامية. فقد اصطلح على أن للعواقب جميعا قيمة إعلامية.

وفى بعض الأحيان يساق الجنس بوصفه قيمة خبرية . ويبدو. على هامش الكلام كما يقول جونسون وهاريس - أن للجنس مقدرة كبيرة وشهرة ذائعة فى تغيير الحالة القائمة وإلحاق الاضطراب بها. وقد رأينا منذ أعوام كيف أن زواج أميرة من أميرات البيت المالك فى مصر إذ ذاك . هى الأميرة (فتحية) أخت فاروق من شاب مسيحى هو رياض غالى . أتاح للجرائد المصرية أثمن الفرص للكتابة الصحفية، على نحو ما نجد فى "أخبار اليوم". وكذلك ملابسات حادث مصرع الأميرة "ديانا" و"دودى الفايد" فى باريس؛ وما أشيع عن شروعهما فى الزواج".

فالدلالة الإعلامية هى أساس الانتقاء من الكم الغفير من القصص والأحداث التى تصل إلى الصحف، حيث لا تتوفر المساحة لنشر كل ما يصل إليها، لذلك يتحتم على المحرّر المسئول أن يتخذ قرارا فى اختيار ما ينشر وتحديد حجم المساحة المكانية المخصصة له، وأساس هذا الاختيار هو: **الدلالة الخبرية**، التى تشير إلى درجة أهمية كل حدث من الأحداث، ومدى الاهتمام الذى يستقبله به القارئ.

ويطبق هذا المقياس على الحدث نفسه، وعلى مدى تأثيره فى الزمان والمكان: فغرق أحد الأكواخ لا يعنى شيئا إلا بالنسبة إلى سكان الكوخ، محلياً، أما الفيضان، الذى يغرق إقليماً فى بلد ما، فينتقل صداه حتى يبلغ أبعد البلدان؛ فتبادر إلى إرسال المساعدات لإنقاذ الباقين على قيد الحياة، بعد فقدان محاصيلهم.

ومع أن جوانب مقياس الدلالة متعددة؛ فالتحليل السريع يؤدى إلى ملاحظتها بنسبة تكفى لتقرير ما إذا كان يجدر بنا نشر الحدث ام لا، والمغزى الذى يجب أن ننوّه به من خلال هذا الحدث. ولكن فى بعض الأحيان يختفى مقياس المغزى ولا يظهر إلا بعد الفحص الدقيق. فعلى الصحفى أن يكون على استعداد دائم لمواجهة هذا الموقف. وقد لا يضطر سكرتير التحرير لمواجهته إلا مرة فى اليوم أوفى الأسبوع، أما المندوب فقد لا يواجهه إلا مرة فى السنة. ولكن فى موقف كهذا تظهر حقيقة الصحفى الذى يجلّ نفسه عن الخطأ جهده، ولا نقول إنه لا يخطئ أبداً. ولكن على الصحفى أن يتمتع بدقة ملاحظة خارقة. كما يقول الأستاذ "جايار" ليتخيل" المضاعفات الدولية التى ستنتج عن اغتيال أمير نمساوى، فى يوم ٢٨ حزيران عام ١٩١٤، فى مدينة بلقانية. وينتظر من الصحفى أن يكون قادراً على القيام باكتشاف كهذا وبمعنى معاكس، قد نعطى لحدث

ما مغزى ليس له؛ كأن نعتقد بأن مظاهرة شعبية كبيرة ستغير وجه التاريخ؛ فى حين أنها ستنطفئ كانطفاء نار القش. والمخاطرة هنا أقل؛ لأن الحدث، فى هذه الحالة، له على الأقل مغزى مباشر وهو جدير بأن يكتب عنه، ولو كان شأنه عابراً.

ومعرفة مغزى الحدث، تتطلب من الصحفى ثقافة واسعة. فالمعرفة والتفكير النقدى سلاحان يجب أن يشحذا الحكم السريع. لأن الصحفى إذا لم يدرك مغزى الحدث قبل غد، أو قبل دقيقة من توقف المطبعة، يكون قد فاته الوقت، ولا فائدة من الخبر، الأمر الذى لا يمكن التسامح فيه صحفيا".

سادسا: معيار الأهمية:

وينبغى قياس المادة الصحفية بحسب أهميتها النسبية، كما يحدث عندما يتزاحم خبران فى الجريدة على مساحة معينة متاحة فيها، كذلك ينبغى قياس الخبر حسب أهميته الذاتية الأصلية حتى يستطاع تقرير المساحة التى تفرد له والموضوع الذى يبرز فيه. وقد تقاس أهمية الخبر بوطأته "أى بمدى ما يحدث من تغيير واضطراب) وبسعته "أى عدد الأشخاص الذين يؤثر فيهم الخبر، كما أن ارتهان الخبر بقرب مكان وقوعه وبوقته، إذا أخذ على أنه وصف للقيمة الإعلامية، يفيد بوجه خاص لا فى قياس طبيعة الخبر بل فى قياس أهمية نشره فى جريدة معينة. وثمة قيمة اعلامية أخرى هى نتيجة الحادث أو عاقبته. وبهذه القيمة تقاس أهمية الخبر لا طبيعته الجوهرية.. ومع أن القيم الإعلامية لا تقرر فى حد ذاتها أهمية الخبر بل تقرر طبيعته ليس إلا؛ فإن المشهود أنه كلما زادت القيمة الإعلامية لحادث ما، زاد اهتمام الناس به، وزادت بالتالى أهميته.

وفى قراءة السيد "زيد" – مثلاً – للصحيفة يتضح أنه فى بعض الأحيان يكتفى بمطالعة **العنوان** فقط وهو عنوان يقوم عادة على ٥ أو٦ كلمات تعطى تلخيصا موجزا لمحتوى الخبر. هذا **العنوان** فى الواقع له وظيفة هامة من حيث أنه قد يغرى القارئ بقراءة تفاصيل الخبر أو يدفعه إلى الانصراف إلى مطالعة خبر آخر. فالقارئ يتخذ قرارات فورية بأن يقرأ الخبر كله أو يكتفى بمقدمته. أولا يقرؤه على الإطلاق وينصرف عنه إلى خبر آخر. فلم يكن يهم هذا القارئ أن يقرأ تفاصيل أو حتى مقدمة خبر إضراب

عمال المناجم فى جنوب أفريقيا، فى حين اكتفى من المثال الثانى بقراءة مقدمة الخبر، أما المثال الثالث فقد قرأه كله بنهم، ولم يكتف بما أوردته الصحيفة؛ لأن ظمأه لمعرفة المزيد من التفاصيل لم يكن قد ارتوى، وكان يتمنى لو أن الصحيفة استمرت فى سرد المزيد من التفاصيل.

ومعيار الأهمية يرتبط بالحدث نفسه؛ وبموقف الجمهور منه، هذا الجمهور الذى من أجله يعمل الصحفى، فإذا أهملنا هذا المقياس، تصدر جميع صحف العالم متماثلة فى الشكل والمحتوى.. وأول مظهر من مظاهر مقياس الأهمية، هو المصلحة المباشرة والموضوعية، أى اهتمام الجمهور بخبر يدعوه إلى التحرك؛ كإصلاح التشريع التجارى أو القوانين المدنية، أو التعبئة أو الإعلان عن مظاهرة. وفى جميع هذه الحالات تكون مصلحة الجمهور واضحة، عدا الحالات التى لا يمثل الخبر فيها إلا المصلحة الفكرية، حتى لا نقول إنه لا يبالى بها واقعيا.

وفى حال احترام الخبر مصلحة الجمهور يكون قد اتصف بالأهمية والحالية، وإليهما يجب أن نضيف الصفة الدرامية للواقعة - كمكانة الذين قاموا بها - وهى نتيجة عكسية لما نسميه المسافة السيكولوجية بين مكان الحدث وجمهور الخبر. وهذه المسافة ترتكز على قاعدة البعد الجغرافى؛ فحريق متجر فى بروكسل يهم الجمهور الفرنسى أكثر مما يهمه حريق مخزن فى مانيلا. ولكن هذه المسافة السيكولوجية تتأتى أيضا عن معرفة الجمهور المثقف بمكان الحدث، وعن إلمامه بتاريخ بلد الحدث وآنيته. فجمهور جزيرة مدغشقر يهتم بانتصار رياضى فرنسى أكثر مما يهتم به الجمهور الإنجليزى لأن جمهور مدغشقر، نظراً لثقافته ولسياسة حكومته ولمصادره الإعلامية، يتتبع بانتظام الأخبار الرياضية الفرنسية؛ وهذا ما لايفعله المواطن الإنجليزى. كما أن الجمهور الكندى يهتم بالتغيير الوزارى فى الهند، إذ كان رئيس وزرائها يقوم بزيارة كندا، أكثر من اهتمامه بالتغيير نفسه لو حصل بعد شهر من الزيارة [1].

ومن هنا فإن التزام الصحفى بمعرفة جمهوره معرفة كاملة، أمر جوهرى، يساعده فى ذلك الاستطلاعات الدورية أو غير الدورية التى تقوم بها المؤسسات

(١) نفس المصدر ص ٤٠.

المتخصصة، كما تساعده رسائل القراء أو الاتصال الشخصي. وعلى الصحفى أن يتحرر من تقديره الخاص، وتقدير محيطه لأهمية الحدث، باستثناء الصحف الدورية التى يتوجه فيها التقنيون إلى التقنيين والذين تختلف مصلحتهم عن مصلحة الجمهور.

وعند وقوع أى حدث، يطلب من الصحفى أن يضع نفسه مكان القارئ، أو المستمع، ويسأل السؤال المزدوج التالى: "هل يهتم جمهورى بهذا الحدث؟" وعند الإجابة بنعم، يستطرد فى البحث عن العناصر التى تهمه أكثر من غيرها؟ وهذا لا يعنى أن يهبط الصحفى ليقرن مستواه بمستوى القارئ، ناسيا دور الصحافة التثقيفى.

وإذا تساءلنا: لماذا نقرأ الأخبار فى الوقت الذى نستطيع فيه أن نستبدل ذلك بشىء آخر؟ فإننا نجد أن السيد "زيد" - كنموذج للقارئ - يخصص جانبا من وقته لقراءة صحيفته الصباحية وللاستماع إلى نشرات الأخبار فى الراديو لأنه يشعر بأن ذلك يعطيه نوعا من المكافأة النفسية. ولكنه من أجل الحصول على هذه المكافأة ينفق قدرا من الجهد وقدرا من المال، فهو يدفع خمسين قرشا يوميا لشراء صحيفته، كما يتحتم عليه أن يقطع مسافة معينة على قدميه للحصول عليها، ومن ناحية أخرى فهو - يخصص جانبا من وقته لقراءة صحيفته على حساب بدائل أخرى يمكن أن تدخل إلى نفسه قدرا اكبر من السرور، مثل مشاهدة البرامج التلفزيونية الخفيفة أو الجلوس على المقهى أو زيارة الأصدقاء أو الأقارب، كما أن القارئ "زيد" يحتاج إلى راديو ترانزستور وإلى أن يتابع نشرات الأخبار فى مواعيدها المعلومة، ويقتضى ذلك منه تنظيم وقته ليتمكن من تلبية هذه الاحتياجات جميعا.

لذلك فإن اتجاه القارئ "زيد" او "عمرو"؛ لقراءة صحيفته أو للاستماع إلى نشرة الأخبار إنما يتحدد بما يُسمّى: **عنصر الانتقاء Fraction of Selection** يقول ويلبور شرام:

"نستطيع أن تزيد من قيمة عنصر الانتقاء من خلال التقييم لمدى الفائدة المرجوة التى تعود عليك من قراءة الصحيفة أو من الاستماع إلى نشرة الأخبار، ومن مدى الجهد الذى يتطلبه ذلك بالقياس إلى وسائل الاتصال الأخرى. من هنا يأتى دور المحرر الصحفى فهو يستطيع أن يقوم بدور معين لزيادة قيمة عنصر الانتفاء هذا لدى القراء، بمعنى أن يضمن أن المزيد من القراء سيقبلون على قراءة خبر أو موضوع صحفى يستمرون فى قراءته حتى النهاية.

على سبيل المثال يستطيع المحرر أن يزيد من العائد الذى يحصل عليه القارئ عن طريق تدعيم الأخبار ذات الصبغة العامة بأسماء شخصيات معروفة أو مشهورة مثل أسماء رؤساء الجمهوريات والشخصيات العامة ورجال الأعمال وكبار الأدباء والفنانين والفنانات وما إلى ذلك.

كذلك فإن الاهتمام بقراءة القصة الخبرية يزداد بتقديم جوانب من الحياة الشخصية والملامح الإنسانية للأشخاص الذين ترد اسماؤهم فى القصة. وتهتم الصحف الآن بنشر المزيد من هذه المادة والملامح الشخصية أكثر مما كانت عليه الصحف فى الماضى، وخصوصا فى مجال الأخبار الرياضية لأن الكثيرين من القراء يكونون قد شاهدوا المباراة الرياضية سواء فى الملعب أو عن طريق التليفزيون قبل ان يقرءوا عنها فى الصحف.

وتسرد الصحف أيضا المزيد من المعلومات عن الشخصيات التى تتضمنها الأخبار الرسمية كأخبار الحكومة أو السياسة الدولية. ومن جهة أخرى فإن المحرر يستطيع القيام بدور؛ للإقلال من كمية الجهد المطلوب من القارئ. فمثلا تستطيع الصحف أن تبرز فى صفحتها الأولى إشارات أو تلخيصات عبارة عن سطرين يتضمان العناوين أو بضعة أسطر تتضمن لبّ الخبر أو الموضوع الصحفى؛ مع إحالة إلى قراءة التفاصيل فى صفحة من الصفحات الداخلية. لأن بعض القراء فى هذه الحالة قد يهتمون بقراءة فقرتين فقط؛ وهنا يجدون الكفاية فى الإشارة المنشورة بالصفحة الأولى. أما إذا كانوا أكثر اهتماما فيمكنهم قراءة المزيد من التفاصيل فى الصفحات الداخلية. وفى ذلك تقليل لجهد القارئ"[(١)].

ويقصد "شرام" بالجهد الأقل ما يتضمنه الاصطلاح من معنى: وهو أن القارئ أوالمشاهد أو المستمع يتخذ أقل الطرق مقاومة فى سبيل اختياره لما يعرضه الاعلام. وقد ألف "جورج زيف" الأستاذ بجامعة هارفارد كتابا يثبت فيه ما أسماه "**مبدأ أقل الجهد**" ومبدأ زيف . بتعبير بسيط . هو أنه **عندما يقوم الشخص بحل مشكلاته المباشرة، ينظر إليها من خلال ما يعتقد أنها مشكلاته المستقبلة. وهو يحاول أن يقلل**

(1) Shramm: The press and Effects of Mass Communicrtion p. 19.

من **العمل** الذى يجب أن يعمله لكى يحل مشكلاته المباشرة ومشكلاته المستقبلة، ويعتقد زيف أن مبدأ **أقل الجهد أساسى لكل سلوك إنسانى**. ويرى "شرام" فى السلوك الاتصالى بضعة عوامل تؤدى إلى بذل أقل جهد:

والتوافر: هو أحد هذه العوامل. فعندما تتساوى كافة الظروف الأخرى يقوم المرء باستخدام وسيلة الإعلام التى تتوافر له. بحيث تصبح فى متناول يده، فالأسرة تكون أكثر ميلا لمشاهدة التليفزيون فى غرفة معيشتها الخاصة عن اخراج السيارة من "الجراج" وقيادتها إلى دار السينما، والبحث عن مكان لإيواء السيارات وشراء التذاكر ثم مشاهدة الفيلم، وسوف تفضل تلك الأسرة نفسها برنامجا واضح الصورة بطبيعة الحال، على برنامج صورته مهزوزة أو باهتة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن بعض أفراد الأسرة لا يهتمون اهتماما خاصا بالفيلم المعروض على الشاشة. وإنما يشاهدونه، لأن فى مشاهدته جهدا أقل من مغادرة الحجرة.

والزمن عامل آخر يتصل بمبدأ أقل الجهد، فوقت الفراغ يأتى فى فترات مختلفة بالنسبة لمختلف الأشخاص.. فبعض الناس يجد أن الترام مكان مناسب لقراءة الصحف، والبعض الآخر يرى فى ركوب السيارة من العمل وإليه وقتا مناسبا للاستماع إلى الراديو. كما أن ساعات النهار التى تكون الأسرة فيها خارج البيت وقت مناسب للكثير من ربات البيوت كى يستمعن إلى الراديو أو يشاهدن التليفزيون. ويعتبر جهاز التلفزيون جليسا إليكترونيا بالنسبة لكثير من الأسر، فى الفترة التى تسبق وجبة العشاء.

ويذهب إلى أن الأدوار الاجتماعية، والعادات ، والتقاليد، يمكن أن تؤثر أيضا فى اختيار وسائل الإعلام، لأن الاستمرار فى أنماط السلوك الاجتماعى، كما أن اختيار مواد الإعلام ليس، فى الحقيقة سوى مجرد فعل اجتماعى معتاد. ويفسر "شرام الفائدة المرجوة بأن الشخص يتخير من وسائل الإعلام المتاحة له، ما يعتقد أنه سوف يعود عليه بأكبر فائدة.. ويصنف الفوائد إلى نوعين كبيرين: **فوائد عاجلة وفوائد آجلة**، وقد يخفف المضمون الذى يعطى فوائده فورا من التوتر، أو يساعد على حل المشاكل، وهو يشتمل عادة على القصص المتصلة بالحوادث والفساد والجريمة والكوارث وشئون المجتمع والرياضة، وكلها تعطى إثارة تخيلية، دون التعرض لضغط المشاركة الفعلية. أما المضمون الذى يؤتى ثماره فى المستقبل، فقد يعد بمعلومات نافعة من أجل الفعالية

الاجتماعية، وهو قد يزيد من التوتر، بدلا من تخفيفه ولكنه يعد المرء باشباع حاجاته، وحل مشكلاته. وقد يشتمل ذلك على مواد حول الشئون الاقتصادية والمسائل العامة والمشكلات الصحية والاجتماعية.

الصدق الإعلامى ومبدأ الإنصاف:

عجب الأستاذ الزيات رحمه الله، فى "الرسالة" منذ أكثر من خمسين عاما، لابن آدم "المخلوق الوحيد الذى يرى الشىء الواحد بعينيه الاثنتين أبيض تارة وأسود تارة أخرى على حسب الصبغ الذى يلونه به الهوى. وضرب لذلك أمثلة شتى، منها أن "راديو بارى" أذاع آنذاك، أن فريقا من الطلاب الهنود تظاهروا فى "بمباى" فاعترضتهم فئة من الشرطة الإنجليز فتفرقوا فى شوارع المدينة بعد أن اصيب نفر منهم بجروح، ثم عقب المذيع على هذا الخبر بأن الاعتداء على المتظاهرين بالضرب ينافى المدنية، ويجافى الخلق، ويصم الذين ارتكبوه بالقسوة الوحشية والبربرية الأثيمة، ثم أعلن المذيع فى هذه الإذاعة نفسها أن مليونا من جنود المحور قد اقتحموا بالدبابات الثقيلة والطيارت المنقضة والسيارات المدرعة منازل ستالينجراد على الروس وفيهم النساء والأطفال والشيوخ والمرضى، فدكوا كل بناء وسحقوا كل حى، وركموا أشلاء القتلى فى الحجرات والطرقات على صورة لم يرها الراءون ولم يروها الراوون، ثم أخذ هذا البوق البشرى يهذى بفضل هذا النصر على المدينة، وينوه بعظيم أثره فى مستقبل الإنسانية". ويمكننا اليوم، أن تضيف آلاف الأمثلة فى هذا المعنى، مما نسمع ونقرأ ونؤكد شقاء الإنسانية بين العقل والهوى.. وإنه - على حد تعبير الأستاذ العقاد رحمه الله[١]. لشقاء باق لن يزول أبدا - ولن يزال الهوى يرينا الشىء شيئين واللون لونين ما دمنا نحس ونرى، وقد

أعيى الهوى كل ذى عقل فلست ترى

إلا صحيحا له حالات مجنون

وهذا نقص لا ريب فيه .. نتلمسه فيما نسمع وفيما نقرأ. فى الإذاعات وفى الصحف، وفى صور الحياة اليومية التى لا يخطئها من يرقبها: "فهل هو نقص لا يوازنه جانب الجمال؟ وهل هى آفة لا عزاء فيها لبنى آدم؟ وهل نغير ما طبعنا عليه من هذه

(١) عصر العقاد؛ صفحات مطوية فى تاريخ الصحافة المصرية؛ بالقاهرة؛ مؤسسة مختار.

الخليقة بما طبعت عليه سائر المخلوقات من توافق وتشابه حالات؟". إننا لا نستطيع للأسف لأن الإنسان - كما يقول العقاد[1] - لا ينقص إلا من حيث يزيد، فهو يعرف الخطأ لأنه يعرف الصواب ويختل فى هندسته من حيث يتقن النحل هندسته كل الإتقان، لأنه أعلم بالهندسة من النحل؛ لا لأنه أجهل منه بفنونها وأنواعها.. فهو يشترى الخطأ بثمن؛ لأنه لا يشترى الصواب إلا مخلوطا به مضافا إليه.. نحن نرى الشيء أشياء لأننا نرى.. كان العقاد يقول لبعضهم والألمان يدخلون باريس: إنهم سيهزمون وكان يقول بعضهم والألمان يتقدمون فى الأراضى الروسية إنهم سينهزمون. فكانوا يقولون: ولكننا نرى أنهم سينتصرون لأنهم منتصرون.. فيقول لهم: ما هذا برأى.. هذا لمس بالعين هذا ما تبصرونه كما تبصره كل عين حيوانية تفتح أجفانها، وإنما الرأى غير هذا الرأى ما يبصرك بالانهزام وأنت تنظر إلى النصر الملموس فإن لم يفدنا الرأى هذه الفائدة فلا خير فيه.. وهكذا يبصر الإنسان وجوه الرأى لأنه لا يرى الشيء على حالة واحدة ولا يستوفيه كله فى صورة حاضرة.. يقولون فى الصعيد: إن نواتيا سمع مضغا قويا فى مخزن الخبز الجاف من سفينته فأشفق من نفاد المؤونة فى الطريق وصاح مغضبا: من الذى يقضم فى الخبز قضم الحمار؟ فقيل له: ابنك حسن؟

قال: اسم الله عليه! هو الذى يقرش هكذا قرش الغوير؟.

والرجل قد صدق بعض الصدق فيما سمع من قضم حمار ومن قرش غوير، فإنّ أكلْ ابنه من الخبز يسره ولا يؤذيه. وإن انطلاق الغريب عليه يؤذيه ولا يسره، ويبقى أن يسمع المسافر الذى لا يسمع حمارا ولا غويرا ولكنه يسمع الصوتين على حسب ما عنده من الزاد[1].

ولا تختلف هذه الصورة كثيرا عن صورة الصحف، حين لا تتحرى الصدق والدقة والإنصاف فى جمع الأخبار وتحريرها وعرضها عرضا موضوعيا، وحين تعتمد على الشائعات، وتخلط الخبر بالرأى. إن على وسائل الإعلام انتقاء الجدير من الأخبار بالنشر، فى إطار مبدأ الأنصاف.

---

(١) المرجع السابق ص ٣٢٤.

والصدق الإعلامى ومبدأ الإنصاف يقتضيان نقل الخبر نقلا صحيحا وتسجيل المعلومات المتصلة به تسجيلا صحيحا كذلك. وغنى عن البيان أن الخبر أساس تصرفات الحكومات، والأفراد والهيئات، والشعوب، فضلا عن أنه من أهم مصادر التاريخ فى نهاية الأمر، وفى ذلك إلزام لوسائل الإعلام بتحرى الصدق والدقة فى الحصول على الأخبار من مصادرها الموثوق بها ثم المحافظة على سرية هذه المصادر متى رأى أصحابها ذلك، ثم الأمانة الكاملة فى نقل الخبر ذاته. ومعنى ذلك كما يقول الدكتور عبداللطيف حمزة رحمه الله . أنه ينبغى على الصحف حرصا منها على ما يسمى بالسبق الصحفى ألاّ تستهين بهذه الأمانة أو تعبث بسرية الأخبار. وينبغى أن نحذر فى وسائل الإعلام ، الشائعات التى تلبس ثوبا محترفا من التنكر بحيث تبدو كالمعلومات وذلك من أجل جعل الخبر يبدو أكثر تماسكا مما هو عليه بالفعل. وإذا ما سمع الشخص المعلومات المزعومة بوعى فإنه سيكتشف ضعفها الشديد فى حالات كثيرة. وهكذا فإن الواقع يثبت أن الصحف لم تكسب شيئا بالفعل من جراء الباس الشائعة ثوبا يجعلها صالحة للنشر؛ فليس هنالك من صحيفة تحترم نفسها تذيع الشائعة وهى تعلم أنها مجرد شائعة، ويجب أن تقتصر المعلومات الإخبارية على مواد يكون لديها من الأسباب القوية ما يجعلها تؤمن بصدقها، فى إطار من مبدأ : الصدق الإعلامى والإنصاف.

ويعنى هذا المبدأ الإعلامى، أن وسائل الإعلام مسئولة عما تذيع أمام السامعين وجمهور القراء، حيث لا يتحدث الإعلاميون بأسمائهم الخاصة، وإنما يتحدثون باسم هيئة قومية ، الأمر الذى يفرض أداء وظيفة الإعلام ، على النحو الذى لا يخل بمتطلبات الموضوعية والدلالة وثقة السامعين.

الصدق الإعلامى بين حَذام وخرافة:

فالخبر فى وسائل الإعلام، له قدسيته بمعنى أن تكون للحوادث فور وقوعها قدسية خاصة، وأن تعامل معاملة الحقائق التى لا تقبل التحوير والتزييف والتلوين والتغيير والتبديل، والإعلاميون أحرار بعد ذلك فى تفسير هذه الحقائق بما يتفق مع السياسة التى يرونها أو الهدف الذى يسعون إليه، ولكن فى أماكن أخرى، غير مكان الأخبار، ذلك أن أهمية الصدق الإعلامى فى الأخبار لا يختلف عليها اثنان فى القديم والحديث، نتيجة لما جربته الإنسانية من عواقب الصدق وعواقب الكذب.

فوسائل الإعلام . يمكن أن تقابل لفظ "**السفير**" فى القول العربى المأثور: "**إذا كذب السفير بطل التدبير**" والسفير هو الرسول المصلح بين القوم أى إذا لم يصدق فى البلاغ والإعلام بطل السعى، ويقال إن رئيس الولايات المتحدة الأسبق الرئيس روزفلت، عندما أعلنت أمريكا الحرب على ألمانيا وحلفائها؛ أوصى أهل الدعاية ألا يقولوا عن العدو غير الصدق، وهو فى ذلك كان يرى أن الصدق أحسن آخر الأمر عاقبة، والإنجليز أقرب إلى هذا الرأى. ولكن وقائع الحياة فى سلمها وحربها، كثيرا ما تكون أقوى من أن يثبت رجل عند نصيحة أو يصمد عند رأى، والمسألة عند الاثنين - كما يذهب إلى ذلك الدكتور أحمد زكى(١) - "من أمريكان وإنجليز، لم تكن ولن تكون مسألة أخلاق، ولكن مسألة منفعة". وهى أن يكسبوا ثقة سامعيهم من أهل الأرض، وهى فى السياسة أمر عظيم ،وهى فى الإعلام أوجب لأنها تقوم فى وظائفها على أساس من الحقيقة التاريخية والأخلاقية.

ونجد فى أقوالنا العربية: **لا يكذب الرائد أهله،** أى الذى يرسله القوم فى التماس النُّجعة، وهى الذهاب لطلاب الكلأ فى مواضعه.. وإذا كان "**ماكلوهان**" يذهب إلى أن وسائل الإعلام توسّع من حواس الإنسان، وأنها تعمل كامتداد له، فإننا نجد أنها ليست كذلك فحسب، ولكنها تقوم فى معنوياتها ووظائفها على أساس من الامتداد المعنوى والوظيفى فى تاريخ الإنسانية، ويتضح ذلك من تراثنا الميثولوجى، **فوسائل الإعلام - كالرائد لا تكذب أهلها**، ولكنها كذلك تقوم بدور "**حِذام**" **زرقاء اليمامة المشهورة**، حينما تتوخى الصدق الإعلامى، وتقوم بدور "**خرافة**" حين تتوخى الكذب الدعائى، "وحذام" هى التى زعم أنها كانت تبصر على مسافة ثلاثة ايام، وذكروا عنها أن حسان بن تبع الحميرى أغار على قومها بنى جديس وأراد أن يفاجئهم من حيث لا يعلمون فحمل أشجارا فى وجه جيشه لئلا تبصرهم الزرقاء فتنذر قومها، وكان "الخبر" قد نمى إلى جديس فصعدت الزرقاء إلى رأس حصن لهم ورأت الأشجار تسعى فقالت:

أقسم بالله لقد دبّ الشجر   أو حميْرُ قد أخذت شيئا يُجرْ

فلم يصدقوها حتى طرقهم حسان وفتك بهم فقيل البيت المشهور:

(١) مجلة العربى ١٠٩٤ . ديسمبر ١٩٦٧ .

إذا قالت حذام فصدقوها   فإن القول ماقالت حذام

ودور "حذام هذا فى الإعلام هو ماتؤكده الدراسات الحديثة، وتقارير اللجان المعنية بدراسة أثر وسائل الإعلام فى المجتمع، ونذكر منها ما ذهبت إليه لجنة حرية الصحافة من أن أولى وظائف هذه الوسائل فى المجتمع المعاصر هى إعطاء "تقرير صادق وشامل وذكى عن الأحداث اليومية فى سياق يعطى لها معنى، ويجب أن تكون وسائل الإعلام دقيقة، تميز بين الوقائع والآراء وتفصل بينهما ما استطاعت إلى ذلك سبيلا. وتقول اللجنة إنه فى المجتمعات البسيطة يستطيع الناس غالبا أن يقارنوا تقريرا ما عن الوقائع، بغيره من مصادر المعلومات ولكنهم اليوم لا يفعلون ذلك إلا بالقدر المحدود. ومن ثم فإنه لم يعد كافيا أن تروى الواقعة بصدق - كتقرير دقيق عن بيان أصدره سياسى مثلا. فمن الضرورى حاليا ذكر الحقائق حول هذه الواقعة - فنفترض مثلا دوافع السياسى ومصالحه والموقف السياسى الذى أصدر فيه البيان".

إن مشكلات الغد لن تكون هى مشكلات اليوم، ولكن وسيلة الإعلاميين لمنع تداعى المجتمع هى دائما القيام بدور "حَذام" العربية، التى ينبغى لها أن "تصدُق" أهلها فى تغطية الأخبار ذات الدلالة. وإذا أخفق الإعلام فى ذلك فإنه سيتحمل قسطه من المسئولية عن أية مأساة تحدث، كما فعل الإعلام المصرى عام ١٩٦٧ حين أدى بجماهيره إلى حالة من "الذهول" لأن وسائل الإعلام لم تقم بدور **"حَذام"** التى "تقول" فتصدق، وإنما بدور مناقض لهذا الدور ونعنى به دور **"خرافة"** الذى تشير إليه أساطيرنا، من أن رجلا من بنى عذرة أو من بنى جهينة يقال له خرافة اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب الناس منها فكذبوه، ثم صاروا يسمون كل حديث كاذب **"حديث خرافة"**. ومن أحاديث خرافة، فى وسائل الإعلام، يبين ما يسمونه **بالكذب المباح**، أوالكذب **"الملّون"** إلى آخر تسمياتهم، فى تبرير التغرير بالشعوب، كما كذب الحلفاء (الإنجليز ومن معهم) على رجال المحور (الألمان ومن معهم) بمثل ما كذب رجال المحور على الحلفاء. وتنتهى الحرب ونعلم أنها كان فرية حرب أذيعت لغاية! والألمان سمعوا بأن جماعة الإسكتلنديين نازلون إلى الميدان. وهم رجال يلبسون أشباها مما تلبس النساء جيبات أواسكرتات Skirts فزعم أهل الدعاية الألمان لجندهم أن هذا إنما كان للين فيهم يشبه أنوثة النساء، فلما التقوا بهم خاب ظنهم فيهم فقد أعطى الاسكتلنديون الألمان درسا قاسيا فى قسوة القتال ذكروه طويلا.

وحين تتحرى الصحف الحقيقة فإنها تغدو من "الوسائل" التى يوثق بخبرها، ولا يقدح فى صدقها، وتتجافى عن القول الزور، كما نتعلم من لغتنا العربية، التى لا تغدو فيها هذه التأكيدات من باب المترادف، وإنما لإحساس أهلها بقيمة الصدق الإعلامى، وهذا هو المقصود بأن وسائل الإعلام تقوم بدور **"حذام" العربية، حين لا تكذب أهلها.**

على أن **الكذب – حديث خرافة –** لا نقول مأذون به فى الدعاية ولكنه أمر واقع أو كما يقول الدكتور أحمد زكى . فإن الذى يمارسه كمن يمارس خلط طعام بسم، وهو قد يصنع الدعاية لأهله، فهو إن زاد قتل، وكان المقتول من أهله. والصدق لا يتجزأ كما أن الكذب لا يتجزأ وإن اتخذ ألوانا زاهية أو غير زاهية، فهناك **صدق إعلامى وكذب دعائى،** والكذب الدعائى قد يتوسل **بالحذف فى الخبر** وقد يكون أخطر ما فيه. وتسأل الداعى فيقسم لك بالله إنه لم يقل إلا صدقا؛ وقد صدق. ولكن أكثر الأمم تحاول أن يكون ما فى دعايتها من الصدق أكثر كثيرا مما فيها من تحوير وتزوير، وذلك إبقاء على قيمة الدعاية وقيمة مصدرها، وأن يبقى له احترامه، فقد تسوء الدعاية بالبعد عن الواقع، ولا سيما فى الدعايات الداخلية حتى يصبح فى الأمة من يقول: "لا يا أخى، هذا كلام جرائد، أو هذه كذا وكذا، والخير لك أن تنصت لإذاعة كذا ففيها الخبر اليقين.

وفى نظرية الإعلام المستفادة من الدعوة الإسلامية، يأمرنا الله - عزّ وجلّ - باستعمال الحق والصدق، ووصف نفسه بهما: فقال:﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا**﴾ ١٢٤/النساء. وحدثنا ﴿ **فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ**﴾ ٣٢/يونس وقال: ﴿ **وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ ٣٣/الزمر. و ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾ ٨١/الإسراء.

ويذهب ابن وهب(١) – إلى أنه " لو لم يكن فى شرف الحق والصدق إلا أن جميع الأمم على كثرتها واختلاف طبائعها وهممها تمدحهما وسائر الناس إنما يقصدون بقولهم وفعلهم إصابتهما، فلا ترى أحدا إلا وهو يريد أن يصدق فى قوله، وأن يصيب الحق فى اعتقاده وفعله، حتى أن الكاذب إنما يكذب ليُصدَّق على كذبه، فطلب الصدق قصده ونيله وبغيته، والمبطل إنما يقصد الحق فيخطئ فى الوصول إليه وطلب الحق قصده، وإن

(١) البرهان فى وجوه البيان ص ٢٢٦ وما بعدها .

كان من الموهين على الناس فإنما يزخرف لهم باطله حتى يقيمه مقام الحق الذى يقبل ويعمل به. وكفى بهذا فضيلة للحق والصدق ولمن عرف بهما ونسب إليهما، فإن الصادق المحق عظيم المنزلة عند الله . عز وجل وعند خلقه، والكاذب المبطل ساقط المحل عند الله - عز وجل - وعند خلقه فالعاقل حرى بلزوم شرف المنزلتين وطلب أعلى الدرجتين - إن شاء الله.

"ولما علم الله . سبحانه . أن الباطل والكذب قرينان مع طبائع كثير من عباده ، ملائمان لشهواتهم، مطابقان لمداراتهم، وكان طول استماع الكذب ومعاشرة أهله مخوفين على أخلاق الناس، خليقين بأن يصيرا عادة لهم على طول الملابسة، نهى الله . سبحانه . عن القعود مع المبطلين، كما نهى عن الخوض فى الباطل وذم مستمعى الكذب كما ذم الكاذبين، فقال عز وجل:﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ﴾ ١٤٠ النساء، وقال فى ذم قوم: ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ ٤٢/المائدة.

وقال الشاعر:

فسامع القول كمن قاله ومطعم المأكول كالأكل

وإنما أمر الله - عز وجل - كما نصح الحكماء بذلك؛ لما قدمناه من الاحتياط على الناس لئلا يصير ذلك عادة لهم، ولأن استماع الكذب والصبر على معاشرة المبطلين على باطلهم رضى بذلك، ومن رضى بالباطل فهو مبطل، ومن قنع بالكذب فهو كاذب، ويهرب من استماع كذبهم وباطلهم ما أمكنه ذلك، فإن اضطرته ثقته إلى حضور ذلك أو استماعه؛ صدف عنه ولم يرعه سمعه وكان كالغائب عنه، فإن ذلك أولى به فى اصطلاح أخلاقه وتأديب نفسه.

ويرتبط بمبدأ الصدق الإعلامى ما تسميه البلاغة العربية: بالحديث النافع، والنافع من الحديث ما كانت عواقب القول فيه والاستماع له والعمل عليه مفضية بسامعه إلى نفع عاجل أو آجل، والضار ضد ذلك. فمن النافع طلب الحوائج ومنه الشكر للمنعم، ومنه حفظ السر، ومنه معاقبة المذنب، ومنه التنصل من الذنب، ومنه السؤال ومنه الأخذ بشهود الحديث فى حكايته". وتأسيسا على هذا الفهم يذهب العلماء إلى

تحديد آداب مهنة التحرير وصفات الكاتب. ومن ذلك ما ذكر القلقشندى من أن **الكتابة صناعة روحية لا تتم إلا بآلة مادية** لتدل على معنى من المعانى امتلأ به ذهن الكاتب. والمقصود بالروحية: الألفاظ التى يتخيلها الكاتب فى وهمه، ويضم بعضها إلى بعض فى ذهنه ليؤلف منها صورة باطنة تقوم فى نفسه. والمقصود بالمادية هو الخط الذى يخطه الكاتب بقلمه، ويعيد به الصورة القائمة فى ذهنه حتى تصبح صورة محسوسة ظاهرة بعد أن كانت صورة باطنة.

ويتحدث القلقشندى عن **صفات خاصة فى الكاتب أو المحرر**، عد من هذه الصفات عشرا هى:

صفة الإسلام، وصفة الذكورة، وصفة الحرية، وصفة التكليف، وصفة الاستقامة، وصفة البلاغة، وصفة العقل، وصفة الهمة، وشرف النفس، وصفة العلم، وصفة الكفاءة؛ لأن غير الكفء من الرجال يضر بالملكة ويوهن قوى الدولة.

هذا كله فضلا عن صفات أخرى، منها أن يكون الكاتب قوى النفس حاضر البديهة، جيد الحدس، حلو اللسان، جرئ الجنان، ظاهر الأمانة عظيم النزاهة، كريم الخلق، مأمون الغائلة، مؤدب الخدم، مليح الزى عطر الرائحة، تظهر عليه النعمة، ويصدق فيه وفى إخوانه قول الشاعر:

وشمول كأنما اعتصروها   من معانى شمائل الكتاب

ويفيض القلقشندى فى موسوعته "صبح الأعشى فى صناعة الإنشا" فى ذكر آداب الكتابة والتحرير، فيرى أنها على ضربين:

الأول - حسن السيرة، بمعنى أن يتمتع الكتاب والمحررون بمجموعة من الأخلاق الكريمة وعلى رأسها تقوى الله فى السر والعلن، وقصد الآخرة فى كل ما يصدر عن الكاتب من رأى وعمل، ثم البعد عن مواطن الشبهات والريب، ولزوم العفة فى كل ما يتصل بالدولة من أشغال ومهام، والاعتدال فى طلب اللذة والاكتفاء منها بما يقيم المروءة، وذلك بالطرق المحمودة لا الطرق المذمومة، فإن هذه الأخيرة لا تناسب قدر الكاتب ومنزلته من السلطان أو منزلته من الرعية.. ومن هنا أوجب القلقشندى على الكاتب ان يتحلىّ بصفة الإخلاص، وصفة النصيحة، لأن السلطان ائتمنه على نفسه وملكه، فلا

ينبغى أن يستر عنه دقيقا ولا جليلا من أحوال الرعية ومنها: **كتمان السر، وصفة الشكر، وصفة الوفاء، وحسن اختيار الوقت الذى يصلح للعرض أو الطلب، وحسن الوساطة،** فيقول ما معناه: "ينبغى للكاتب أن يتوسط لمرءوسيه عند أميرهم أو سلطانهم، وعليه أن يتجنب القدح فى أكفائه ونظرائه ليكون ذلك داعيا إلى محبته والوثوق به وإمساك الألسنة عن الطعن فيه.

الثانى – حسن المعاشرة – يقول القلقشندى إنها على خمسة أضرب وهى: معاشرة الملوك والعظماء – معاشرة الأكفاء والنظراء – معاشرة الأتباع والمرءوسين – معاشرة الرعية على وجه العموم – معاشرة من يمت للكاتب بصلة أو بحرمة مهما كان نوعها.

وربما من أجل ذلك كله تذهب البلاغة العربية إلى **تقسيم الخبر** إلى قسمين، **يقين وتصديق**[1] فاليقين ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

"**أحدها خبر الاستفاضة والتواتر:** الذى يأتى على ألسن الجماعة المتباينة هممم وآراؤهم وبلدانهم، ولا يجوز أن يتلاقوا فيه ويتواطأوا عليه. فذلك يقين يلزم العقل الإقرار بصحته. وبهذا النوع من الأخبار ألزمنا الله . عز وجل . حجج الأنبياء . عليهم السلام . ونحن لم نشاهد ولم نر آياتهم ولم نسمع احتجاجهم على قولهم، وذلك من تسخير الله . عز وجل . الناس حتى تقوم الحجة ،وإلا فكل أحد من الناس يجوز عليه الصدق والكذب، فإذا تواترت أخبارهم كان ذلك حقا لما قدمنا، وليس التواتر فعلهم فيجوز أن يفعلوا ضده وإنما هو شاهد لصدقهم، ودليل عليه والدليل غير المدلول عليه، فقولهم محتمل للصدق والكذب، لأنه فعلهم وهم ممكنون مختارون. والتواتر والاستفاضة معنى آخر ليس من فعلهم ولا اختيارهم، وهو دليل الصدق إن وجد. وليس هذا فى أخبار العدول (المزكون المقبولو الشهادة) دون الفساق (أى الذين لا تقبل شهادتهم لعصيانهم وخروجهم عن طريق الحق)، ولا المؤمنين دون الكفار، لكنه فى أخبار الجماعة كلها، ولو كان لا يقبل من التواتر إلا ما أتى به أهل الإيمان لم يكن لأحد من المخالفين علوم ينقلونها، ولا أخبار يرثونها".

"**والثانى – خبر الرسل – عليهم السلام – ومن جرى مجراهم من الأئمة الذين قد قامت البراهين والحجج من العقل عند ذوى العقول على صدقهم** وعصمتهم وظهور

(١) ابن وهب : البرهان فى وجوه البيان ص ٨٨ وما بعدها .

المعجزات التى لا يجوز أن تكون بنوع من الحيل، وليس فى طبع البشر الإتيان بمثلها على أيديهم، فدلت من ليس علم المعقولات والتمييز بين المتشابهات من شأنه، على أن هذه الأشياء إنما أجريت على أيديهم ليعلم أنهم عن الله . عز وجل . نطقوا، وعليه فى أخبارهم عنه قد صدقوا ، فتعم الحجة الغافل والجاهل والمميز والعاقل، فلا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل".

والثالث: ما تواترت به أخبار الخاصة به مما لم تشهده العامة، فإن تواترهم فى ذلك نظير تواتر العامة وقد بين الله . تعالى لزوم ذلك ووجوب التصديق به فقال: ﴿ **أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ ١٩٧الشعراء. فجعل علم العلماء وهم الخاصة، به حجة على العامة.

وأما **خبر التصديق** فهو الذى يأتى به الرجل والرجلان والأكثر فيما لا يوصل إلى معرفته من القياس والتواتر ، ولا أخبار المعصومين، ولا يعلم إلا من جهة الآحاد، وذلك مثل الفُتيا فى حوادث الدين التى ابتلى بها قوم دون آخرين فسألوا عنها فخبروا بالواجب فيها، فنقلوا ذلك ولم يعرفه غيرهم، وليس يقع ذلك فى أصول الدين التى يتساوى الناس فيها وفى فرضها، والناس محتاجون إلى الأخذ فى معاملاتهم ومتاجراتهم ومكاتباتهم، فإن ذلك أجمع مما لا يقوم البرهان على صدق المخبر به من عقل ولا تواتر ولا خبر معصوم، وإنما يعمل فى جميعه على خبر من حسن الظن به، ولم يعرف بفسق ولم يظهر منه كذب".

الإعلام وعلم تمحيص الخبر:

وفى النظرية الإعلامية تبين لنا قيمة الصدق الإعلامى؛ حين ننظر فى تقويم الخبر، والإنصاف فى روايته.. ويقول ابن وهب أيضا [(١)]. إن الأشياء إذا بينت بذواتها للعقول، وترجمت معانيها وبواطنها للقلوب، صار إما ينكشف للمتبين من حقيقتها معرفة وعلما مركوزين فى نفسه. وهذا البيان على ثلاثة أضرب:

- فمنه **حق لا شبهة فيه،** ومنه علم مشتبه **يحتاج إلى تقويته** بالاحتجاج فيه، ومنه **باطل لا شك فيه.**

(١) نفس المرجع ١٠١ وما بعدها .

"**فأما الحق الذى لا شبهة فيه فهو علم اليقين**، واليقين ما ظهر من مقدمات قطعية؛ كظهور الحرارة للمتطبب عند توقد اللون، وسرعة النبض: أو **عن مقدمات ظاهرة فى العقل** كظهور تساوى الأشياء إذا كانت مساوية لشيء واحد، وكظهور زيادة الكل على الجزء. أو عن مقدمات خلقية مسلمة بين جميع الناس كظهور قبح الظلم، وكل خبر أتى على التواتر من العامة، أو التواتر من الخاصة، أو سمع من الأنبياء والأئمة وكل هذا يوجب العلم، ومن شك فى شيء منه كان آثما.

"**وأما المشتبه الذى يحتاج إلى التثبت فيه**، وإقامة الحجة على صحته، فكل نتيجة ظهرت من مقدمات غير قطعية ولا ظاهرة للعقل بأنفسها ولا مسلمة عند جميع الناس، بل تكون مسلمة عند أكثرهم ، أو يظهر للعقل تفسيرها وتغير الفحص عنها والاستدلال عليها. وأما **الباطل الذى لا شبهة فيه**، فما ظهر من مقدمات كاذبة مخالفة للطبيعة مضادة للعقل، أو جاء فى أخبار الكاذبين الذين يخبرون بالمحال وما يخالف العرف والعادة، وذلك مثل اعتقاد السوفسطائية أنه لا حقيقة لشيء من الأشياء وأن الأمور كلها بالظن والحسبان.. فإنهم مبطلون فى دعواهم .. ولما أن كان الله - عز وجل قد أمرنا أن نعتقد الحق ونقول به، وأن لا نعتقد الباطل ولا ندين به، فقال عز وجل ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ٢٩/الكهف.. وجب أن يحتاط العاقل لنفسه ودينه فلا يعتقد إلا حقا، ولا يكذّب إلا بباطل ولا يقف إلا عند شبهة حتى لا يكون ممن شهد بما لم يعلم، أو كذب بما لم يحط بعلمه".

ويستهل ابن خلدون مقدمته بفصل تحت عنوان فى "فضل علم التاريخ" يتحدث فيه عما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام ويذكر شيئاً من أسبابها، وهى نفس الأسباب التى يعزى إليها الكذب فى رواية الأخبار فى وسائل الإعلام اليوم، حين تعتمد على النقل غثا أو سمينا؛ دون أن تقوم أخبارها بمقاييس الحكمة أوالوقوف على طبائع الكائنات أو مقارنتها بأشباهها. ولقد أدرك ابن خلدون أن الكذب بطبيعته متطرق إلى الخبر نتيجة لما يلى:

١ - **التشيعات للآراء والمذاهب**: فإن النفس إذا كانت على حالة من الاعتدال فى قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر، حتى تتبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشيُّع لرأى أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع فى قبول الكذب ونقله.

وكلام ابن خلدون يشير إلى النقص الذى يحبه جماعة من أصحاب المذاهب الاجتماعية ويفرضون دوامه ويحضون على الاقتداء به فى فهم التاريخ وتوجيه الإعلام، ومن هؤلاء الذين يقول العقاد فيهم إنهم يجعلون الهوى فرضا لزاما فى معالجة كل حقيقة من حقائق الحياة، ويكتبون التاريخ فيذمون من لا يستحق الذم، ويثنون على من لا يستحق الثناء، لأنهم يستوحون المصلحة المذهبية، ويعلنون أن الخروج من هوى المصلحة فى تقدير الأمور مستحيل.

فأما أنه مستحيل فلا، كما يقول العقاد[1]. لأن الإنسان يعرف الفرق بين صوابه وهواه، وإن أحب هواه وآثره على الصواب، فإذا كانت له قوة خلق تصحب المعرفة غلب الهوى بالجمع بين معرفته وقوة خلقه، وأصبحت مصلحته نابعة لما يلزمها من جادة قويمة فى الرأيين. ولكن أصحاب الدعاية فى كل المذاهب الوضعية يغلبون هوى المصلحة، لأن الخروج منه مستحيل وإنما يغلبونه لأن تغليبه نافع لهم فيما يقدرونه ويفسرون به الأمور، وليس الشيوعيون وحدهم هم الذين يغلبون الهوى فى تفسير التاريخ وتصوير الحقائق والوقائع فى الإعلام فهذه خليقة شائعة بين جميع الناس ملحوظة بين أصحاب المذاهب فرضا لامناص منه ولم يجعلونه عيبا يصححونه، ويخجلون من إعلانه، وهذا هو الفارق الكبير بين الرايين.. فعلينا أن نعترف بالهوى ولا نجهل صنيعه فى الأمم والأفراد، ولكن علينا على الأقل فى وسائل الإعلام. أن نغالبه ما استطعنا كلما عرفناه . واقتدرنا عليه. وهذا هو الواجب فى كل عيب من العيوب أيا كان سببه وأيا كان الناظر إليه.

٢ - **الثقة بالناقلين وتمحيص الروايات.** ويرجع إلى التعديل والتجريح[2]. ولقد رأينا كيف أن وسائل الإعلام، لم يعد كافيا أن تروى الواقعة بصدق، حيث لم يعد فى مقدور الإنسان أن يقارن تقارير الوقائع بغيرها من المصادر، كما كان فى مقدوره فى المجتمعات البسيطة، ومن هنا نستعير اصطلاح **"التعديل والتجريح"** من علم **"الحديث"**، فى تمحيص الخبر الذى نقدمه من خلال وسائل الإعلام التى أصبحت تحل محل "الخبرة الأولية". وقد عنى نقاد كثيرون بعنصر الثقة فى هذه الوسائل منهم "أيروين" الذى قدم سنة

(١) فن المقال الصحفى فى أدب العقاد؛ هيئة الكتاب.

(٢) ابن خلدون وتحقيق الدكتور على عبدالواحد والى : المقدمة جا ص ٢٦٠ .

١٩١١ فى سلسلة من المقالات نموذجا لما أتى بعد ذلك من نقد كثير للصحف وكان جوهر الإتهام: أنك لا تستطيع أن تصدق ما تقرؤه أو تسمعه لأن المعلنين وكبار رجل الأعمال والحكومات يسيطرون على الصحافة والإذاعة.

والأخبار تتأثر بنظم الحكم السائدة، وهى فى هذا الأمر صنفان: **صنف فيه الدعوة والدعاية والاعلام استئثار واحتكار**، وصنف فيه **الدعوة حرة**، ولكن يركبها من سباع الغاب ذئب ونمر، على حد تعبير الدكتور احمد زكى. ولعلّ ذلك هو ما دفع بالكاتب الفرنسى جاك كايزر[1]. إلى أن ينعى صحافة اليوم فى كتابه "موت حرية" ذلك أن " التوتر الدولى يزداد بسبب الإعلام الكاذب المشوه الذى يستغل لصالح جهات معينة. وهذا الإعلام الكاذب من شأنه أن يقضى على الثقة المتبادلة بين الشعوب وبين الحكومات ويثير الأحقاد، ويغذى القوى التى تعمل من أجل الحرب".

فإذا كانت الأخبار لا بد أن تتصف بالجدة والطرافة وإثارة الاهتمام فإن علينا أن نحتاط فيه " بتصحيح المقدمات التى أنتجته، وحراستها من المغالطة.. فإذا صحت ميزناها على كم وجه تقال ان كانت مما يقع فيه اللفظ على معان كثيرة، وننظر أى وجه منها هو مراد المتكلم فى قوله. فإذا ميزنا ذلك استخرجنا فصولها التى تنفصل بها عن غيرها حتى يظهر الحد الذى يفرق بينها وبين مايباينها. فإذا فعلنا ذلك صححنا التشبيه والحقنا كل شيء بما يشبهه".. و "إن كان مما أتى من جهة الخبر عن الآحاد والجماعات القليلة العدد، احتيط فى ذلك أولا بعرضه على العقول، فإن باينها وضادها فهو باطل، وإن لم يباينها وكان مما يجوز فى العقل وقوع مثله تثبت فى أمر نقلها حتى لا تؤخذ إلا ممن ظهرت عدالته، ولم يتهم بكذب، ولا وهم فى خبره ولم يكن فيما أخبر به جارا إلى نفسه ولا دافعا عنها، ولم يعارضه خبر مثل خبره يبطل ما أخبر به.

"وبجميع ما ذكرناه قد جاء القرآن وجرت الأحكام، فقال الله عز وجل﴿ **وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنكُمْ** ﴾ ٢/الطلاق، وقال: ﴿ **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ ٦/الحجرات.

التعديل والتجريح: وإذا كانت الثقة بالناقلين والرواة من أهم عوامل الكذب فى رواية الأخبار" كما يذهب إلى ذلك ابن خلدون، فإن العلاج كما يرى، يرجع إلى التعديل والتجريح، وهو مصطلح مستفاد من علم الحديث الشريف.

(1) Jacques Kayser: La Mort d'une Libert'e, pp. 176-177.

وهذا العلم كما يعرف المطلعون من أنضج العلوم الإسلامية وأحكمها منهجا وأقواها علمية. لقد احتاط لفنهم وتشددوا فى شروط الراوى والمروى عنه، ولم يكتفوا بالقواعد المحررة لتصحيح السند كما توهم بعض الباحثين المحدثين رحمه الله. بل عنوا . كما يقول الأساذ سعيد الأفغانى . بنقد المتن عناية بالغة ووضعوا له من الضوابط والمعايير ما لم يسلم منها إلا كل حديث قوى بالغ الصحة، أما الأحاديث المكذوبة على رسول الله فقد رسموها بالوضع وألقوا فيها المؤلفات ليحذرها الناس.

إذا كان من منهج المحدث إذا وصل إليه الحديث الموضوع أن يطرحه أرضا ويمضى لطيته، فإن مهمة الإعلامى الباحث عن الأخبار أن يبادر إلى هذا المنهج والإفادة منه فى تسليط الأضواء الكاشفة حتى يهتدى إلى أجوبة عن أسئلته لكى تحقق وظائف الإعلام فى المجتمع على النحو السديد. والإذاعة مثلا تستقى أخبارها من المراسلين فى الخارج ومن المندوبين فى الداخل ومن المبعوثين الخاصين فضلا عما يرد على وكالات الأنباء القومية والأجنبية من أخبار وبرقيات وأنباء عاجلة أو خاصة، وقد تستقى الإذاعة بعض أنبائها من الإذاعات الأخرى. ويمكن الاعتماد على الصحف كمصادر لأنباء الإذاعة. وذلك فى حالة انفراد الجريدة بتصريحات خاصة، أو استقائها من مصدر مباشر. على أن هذه المصادر ينبغى أن تخضع أنباؤها جميعا لمنهج التجريح والتعديل تحريا للأمانة والدقة والصدق، وإذا كان المحرر عند صياغته الخبر، لا يذكر المصادر التى يعتمد عليها فى تحرير الخبر إلا إذا كان لديه من الأسباب الخاصة ما يدعوه إلى ذلك: :كأن يرغب فى زيادة تأكيد الخبر بذكر المصدر الذى ورد فيه، وذلك فى حالة نسبة تصريحات لمسئول أمريكى مثلا إلى مراسل وكالة أمريكية فى واشنطن حتى يزيد المحرر من عامل الثقة لدى السامعين فى صحة الخبر، ومع ذلك فإن ذكر مصدر الخبر لا يعفى الإذاعة تماما من مسئوليتها نحو الأخبار التى تذيعها الأمر الذى يجعل انتهاج منهج التعديل والتجريح، أمرا ضروريا فى الأخبار المذاعة، "إذ ليس من المحتم فى كل الأخبار أن يحشر المحرر فى صلب الخبر أسماء بعض المصادر التى اعتمد عليها، توخيا ليسر الاستماع من جانب ولتجنب ما يوحيه التكرار من عدم صحة الخبر من جانب آخر[١].

(١) محمد إسماعيل محمد : الكلمة المذاعة ص ٦٤ . ٦٥ .

وتذهب معظم الإذاعات إلى ضرورة أن يرمز المراسلون والمندوبون للمصدر الذى استقى منه الخبر كمرجع للعودة إليه عند الحاجة.

فوسائل الإعلام حين تحرص على الدقة فى الرواية الخبرية، تفيد كثيرا حين تستضئ بمنهج التعديل والتجريح، كما تفيد من تشديد علماء المسلمين على ضرورة الأمانة والدقة فى النقل، ففى مقدمة كتاب "**معجم البلدان**" يقول لنا **ياقوت** إنه كان ينقل عن المصادر بكل دقة وأمانة، وسواء أكان المنقول حقا أو باطلا فإن الصدق فى إيراده، كما يقول ياقوت، له أهميته فى البحث العلمى عند العلماء لأنه ييسر للطالب اطلاعه على آراء أهل الخبرة فى ذلك العلم[١]. وللعالم أن يؤثر مصدرا على غيره من المصادر، وعندما تناقض ترجمة رجل ما فى مؤلف ترجمة أخرى فى مؤلف آخر، فإن المصدر الأخير يجب ألا يعتبر خطأ تاريخيا لا قيمة له، بل بالأحرى يجدر بالعالم أن يذكر الروايتين [٢].

أما النقل عن الذاكرة فلم يكن يعتبر نقلا دقيقا. وإليك ما يقول **الصُولى** عن قيمة ذكرياته عن الخليفة الراضى: "... وما حكيت من ألفاظه التى مرت وما أحكيه من كلامه بعد، فهو كما أحكيه أشبه أو مقارب، إذ كنت لا أقدر على أن أحفظ لفظه على حروفه وإنما أحفظ معناه"[٣].

أما الروايات الشفوية التى كانت تدون فيما بعد التأليف، فبالرغم من أنها كانت لا تحتوى على جميع الكلمات التى وردت فى الأصل، وبالرغم من أنها كانت تختلف قليلا عن أسلوب العبارة الأصلية، فإنها احتفظت بالمعنى المقصود بكل دقة وأمانة[٤].

ويذكر روزنتال أن أصحاب الكتب التاريخية كانوا شديدى الحرص على ذكر المصادر التى يأخذون عنها. فإن السبكى الأب مثلا، كان ينصح المؤرخين بأن يذكروا المصدر كل مرة أتوا فيها على خبر تاريخى.

---

(١) ياقوت: معجم البلدان جـ ١ ص ٩. دكتور فرانتز روزنتال: ترجمة الدكتور أنيس فريحة: مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى ص ١٢٢ .

(٢) ياقوت: إرشاد، جـ ٥ ص ٢١٥ (ط مرجليوث، المرجع السابق ص ١٢٣).

(٣) عصر العقاد: ص ٢٣٦ .

(٤) أبو حاتم الرازى: كتاب أعلام النبوة. فى الرازى السابق ٢١٦.

وعلى مر الزمن ازدادت المصادر الأدبية ازديادا عظيما، وكذلك بعدت شقة الزمن بين العالم وبين المصدر الذى يأخذ عنه، ولذا كان يشعر بأن الوسيلة الوحيدة ليقى نفسه من سهام المنتقدين تتمثل فى أن يذكر المصدر الذى أخذ عنه بكل دقة وأمانة.وبهذه الأمانة العلمية (استطاع السيوطى) المتوفى سنة ١٥٠٥. أن يقول بكل ارتياح إنه ليس فى جميع مؤلفاته الكثيرة خبر أو رواية أو رأى لم يدعم بالاستشهاد. وكان المؤلفون الذين يحرصون على ذكر مصادرهم يشعرون بأنهم قاموا بما عليهم لأن العبرة فى صحة الخبر أو كذبه إنما تقع الآن على كاهل صاحب المصدر.

ونخلص مما تقدم إلى أن وسائل الإعلام ينبغى عليها أن تروى الأخبار، وليس عليها أن تصنعها. **وحذار من رواية نصف الحقيقة دون الحقيقة كلها**، وإلا حق على المندوب قول القائل: **"وما آفة الأخبار إلا رواتها"**. فالخبر لابد أن يكون **رواية صادقة كاملة دقيقة سليمة بعيدة عن الهوى لما وقع فعلا من أحداث** شهدها بعض الناس وصاروا بذلك رقباء على عمل المندوب. والخبر سواء أكان بسيطا مجردا أم طويلا مركبا، هو ما اجتمعت له عناصر الصدق والواقعية قبل أن تجتمع له مقوماته التى تقوم على الشقيقات الخمس. وتحتم علينا قواعد الإعلام فى التصور الإسلامى؛ مراعاة الصدق والدقة الموضوعية والإنصاف فى عرض وجهات النظر المتباينة وهى القواعد المستمدة من القرآن الكريم: **﴿إنا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين﴾**. والمستمدة أيضا من السنة النبوية، وأصول الحديث الشريف".

سياسة الصحيفة:

وأخيرا نصل إلى عنصر هام من عناصر التقويم الصحفى. وهذا العنصر هو سياسة الوسائل الصحفية، فضلا عن طبيعة كل وسيلة منها، ويجب أن يتفق الخبر مع السياسة العامة للتحرير سواء من حيث الموضوع أواللغة أوطريقة العرض، فالوسيلة الصحفية بالقياس إلى الجمهور تمثل شخصية اعتبارية، وهو يستشهد بها كما لو كانت شخصا من الأشخاص، ويسايرها ويقرها على رأيها أو يخالفها الرأى ويعنفها كما يفعل الصديق مع الصديق.

وأما ما يميزه الجمهور من ترابط وتطابق منسجمين فى مظهر الوسيلة وفى اجراءتها فى نشر الأخبار فينتج عما يسمى " سياسة التحرير الصحفية" ويقصد بها.

على حد تعبير توماس بيرى: الوجهة التى تختار الصحيفة اتباعها فى إجابتها عن سؤالين بالغى الأهمية:

١ - ماذا ستنشر؟

٢ - وكيف ستنشر ما تنشر ؟

أما هذه الوجهة فقوامها الإجراءات والقواعد والمبادئ التى أقرتها وسائل الإعلام لتستهدى بها فى عملها، وهكذا فإن سياسة التحرير الصحفية تهيمن على كل وجوه الوسيلة، من نوع الأخبار التى تنشرها إلى حجم الحروف التى تعتمدها فى الطباعة، فسياسة التحرير فى جريدة محافظة تحمل تلك الجريدة على أن ترفض موضوعا عن غراميات أحد الأشقياء، أما سياسة التحرير فى صحيفة شعبية فإنها تدفع هذه الجريدة إلى تصدير الموضوع وإبرازه ضخما وقد تكون الصحيفة شيوعية أويسارية أو يمينية، فتعتمد فى اختيار أخبارها على لونها السياسى فليس غريبا أن تكون أخبار الشيوعية وأحزابها فى العالم أهم الموضوعات فى الصحافة الشيوعية، فى حين أن الموضوعات الدينية تظفر باهتمام الصحف الدينية(١).

وهناك حالات كثيرة تؤثر فى تكييف سياسة الوسيلة الإعلامية، ومع أن بعض هذه الحالات أكثر أهمية من غيره، إلا أن لكل منها تأثيرها فى اختيار مواد النشر والإذاعة وفى الطريقة التى تعرض بها هذه المواد. ومن هذه الحالات. الأحوال المالية حيث يحتل الوضع المالى الصدارة فى جميع الأحوال التى تؤثر فى سياسة التحرير الإعلامية . وتفرض هذه الحالة إرضاء الجمهور من جميع المستويات، والسعى الدائب لتطعيم الوسيلة الإعلامية بعناصر جديدة من الاستهواء، وزيادة الجاذبية للاحتفاظ بالجمهور القديم واكتساب جمهور جديد.

وأما مسئوليات الإعلام، فإن سياسة التحرير تتأثر بهذا المفهوم تأثرا عميقا حيال المجتمع، والأفراد، والحكومة. فالوسائل الإعلامية تتباين عن غيرها فى مفهومها لما يجب أن تنشره وتذيعه وللكيفية التى تنشره بها وذلك وفق فهمها لتلك المسئوليات.

(١) د. إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ١١٨ .

ولكل وسيلة طابعها الخاص، الذى تتميز به لدى جمهورها، وهكذا فإن الصحيفة تصبح راديكالية أو يسارية، أو محافظة أو عملية، أو متزمتة. وقد تكون رفيعة المستوى، أو من الصحف التى تعتمد على الإثارة، الخ. على أن الطابع الخاص للوسيلة لا ينفصل عن الأحوال الأخرى التى تؤثر فى سياسة التحرير الإعلامية بل إن هناك علاقة وثيقة بين الطابع الإعلامى ونظرة الوسيلة إلى مسئولياتها. ويتاثر طابع الوسيلة الإعلامية بنوع الأخبار التى تنشرها أوتذيعها، والطريقة التى تكتب بها تلك الأخبار، وطريقة معالجتها للموضوعات، ونوع إخراجها الفنى. وليس فى مقدور إنسان أن يغفل أثر متطلبات جمهور الوسائل الاعلامية فى السياسة التحريرية، ولذلك تحاول الوسائل استقصاء رغبات القراء بعدد من الطرق، ومنها دراسة محتويات ومناهج أكثر الصحف أو الإذاعات نجاحاً الخ.ويؤثر الاجتهاد السياسى تأثيرا كبيرا فى السياسة التحريرية، لأن كثيرا من القضايا الكبرى التى ترد فى الأخبار تتأثر بالعمل السياسى، وبالتالى فإن جريدة ما حين تجد نفسها تعارض أو تؤيد فئة سياسية، تتخذ موقفا من تلك القضايا على نحو ما نجد الصحف المستقلة والصحف الحزبية، أما الأسباب الوطنية فهى أقوى العوامل تأثيراً فى سياسة التحرير الإعلامية، ولكن الدرجة التى تبدى بها وسيلة الإعلام ولاءها الوطنى تتراوح بين التمييز المعتدل والتعبير الصارخ الصارم. فهنالك صحف تسلك مسلك الوفاء والتحفظ فى التعبير عن ولائها الوطنى، تقابلها صحف ترفع بيارق ولائها على كل صفحة من صفحاتها، كما أن هنالك فارقا واضحا بين ولاء جريدة ما فى زمن الحرب وزمن السلم. ففى زمن الحرب تتبارى كل الصحف والوسائل الإعلامية فى الحماس الوطنى. وهكذا يتبين لنا كيف أن سياسة التحرير الصحفية – من أهم عوامل التقويم الصحفى. فى اختيار الخبر ومقوماته فتفضل واحدا على غيره وتهمل الآخر اهمالا تاما.

القابلية للنشر والإذاعة :

والقابلية للنشر والإذاعة مقياس من مقاييس التقويم الصحفى للخبر الجيد، والصحفى الناجح يدرك بحسه ومرانه أن خبرا من الأخبار له أحقية وأولية على خبر آخر وينبغى قياس الأخبار بحسب أهميتها النسبية، وفقا للجنس الإعلامى من جهة ومعيار الدلالة الإعلامية من جهة أخرى، كما يحدث عندما يتزاحم خبران فى الجريدة

على مساحة معينة متاحة فيها. ومن العنصرين الكبيرين: **الجنس الإعلامى والدلالة الإعلامية**، يتكون ما يسمى، بالقيم الخبرية، فإن وجدت هذه القيم أو أنتفت أمكن الحكم على ما للخبر من قيمة، وبالتالى على مدى ميل الجمهور إلى مطالعته أوالاستماع إليه: فهذه القيم الخبرية، كما يقول - جونسون وهاريس - نافعة فى قياس أهمية الأحداث، فإن طبقت تطبيقا سليما أمكن معرفة هل هذا الحادث أو ذاك يدخل فى عداد الأخبار أو لا يدخل فى عدادها.

على أننا يجب أن ننظر عند تقويم الخبر، إلى وسائل الإعلام، كنظام للاتصال البشرى، حيث تتخذ هذه الوسائل دلالة جديدة وكبيرة فى عالم تحل فيه "الاتصالات الثانوية" كالصفحة المطبوعة والراديو والتليفزيون والفيلم، محل الخبرة الأولية، على حد قول سى، رايت ميلز. وقد لعبت وسائل الإعلام دورا رئيسيا فى تحويل النظام الاجتماعى إلى مجتمع جماهيرى، وأكثر من ذلك يرى "ميلز" أن وسائل الإعلام أداة ذات أهمية متزايدة للسلطة فى يد الصفوة بالمؤسسات الحاكمة، وهى لا تقوم فقط **"بترشيح" خبرة الإنسان** عن الواقع الخارجى، وإنما تساعد أيضا على تشكيل تلك الخبرة، فهى التى تقول: من هو، وماذا يريد أن يكون، وكيف يستطيع أن يظهر أمام الآخرين؟ وهى تمده برصيد ضخم من المعلومات عما يحدث فى العالم، ولكنها تقدمها فى لغة وصور من الأنماط الجاهزة والرغبات.. ولذلك فإنها غالبا ما تحيط الفرد فى محاولاته للربط بين حياته الخاصة وحقائق العالم الخارجى الأكبر. ويترتب على ذلك أنه كلما اعتمد الإنسان أكثر فأكثر على وسائل الإعلام، للحصول على المعلومات والنصائح، تعرض أكثر فأكثر لما تقوم به التنظيمات الاجتماعية من استغلاله وتسخيره.

وعلى مر السنين، أخذ النقاد يقدمون الأفكار الرئيسية التالية، فى عبارات مختلفة [(١)]: تستخدم وسائل الإعلام قوتها الضخمة لخدمة مصالح ملاكها، الذين يروجون لوجهات نظرهم وخاصة فى السياسة والاقتصاد، فى حين يهملون وجهات النظر المعارضة، أو يقللون من شأنها.. وسائل الإعلام أداة فى يد المشروعات الاقتصادية الكبرى بوجه عام، ويتحكم المعلنون أحيانا فى سياساتها ومضمونها.. تقاوم وسائل الإعلام التغيير الاجتماعى، وتعمل على استمرار الوضع الراهن.. تهتم

---

(١) ريفرز وزميلاه: مرجع سبق ص ٢٥٧ وما بعدها .

وسائل الإعلام، عموما فى تغطيتها للأحداث الجارية، بالأمور السطحية والمثيرة أكثر من اهتمامها بالأمور الهامة. وهى تقدم الترفيه فى مادة تفتقر إلى المضمون، وتعوزها القيمة الفنية.. وتهدد وسائل الإعلام الأخلاق العامة بالخطر.تنتهك وسائل الإعلام، بلا مسوغ، حياة الأفراد الخاصة وتحط من كرامتهم ، وليست الصعوبة التى يلاقيها بعض المتهمين فى الحصول على محاكمة عادلة بسبب النشر، سوى وجه واحد لهذه المشكلة.. يسيطر على وسائل الإعلام أفراد من طبقة اجتماعية واقتصادية واحدة، ويواجه القادمون الجدد صعوبة البدء فى مشروعات إعلامية جديدة. ونتيجة لذلك، يتعرض سوق المعلومات المفتوحة والحرة للخطر. ويقول "أروين" أن الامتيازات التى طالب بها المعلنون كانت تصل أحيانا إلى حد التغيير الكامل فى سياسة التحرير، ولكن الامتياز الغالب كان يتعلق بنشر مواد لصالح المعلن وأسرته وشركائه فى العمل، وذهب النقاد الأوائل، إلى نتيجة رجع إليها العلماء بعد ذلك بعشرات السنين. وهى أن الكثير من عيوب الصحافة لا ينجم فقط عن التأثير الضار للإعلان، وإنما عن الطبيعة التجارية للنشر.

ومن النقاد الأوائل **أبتون سنكلير** الذى أصدر سنة ١٩١٩ كتابا بعنوان **"الصك النحاسى"** وهو عنوان يؤكد ما رآه من سلبيات صارخة فى الصحافة، وكان سنكلير قد اشتهر من قبل كمصلح، وفى سنة ١٩٠٤ وبعد عامين من انضمامه للاشتراكيين، أصدر **"الغابة"** وهى قصة طويلة تفضح أحوال مخازن شيكاغو. وقد كتب الخلود لقصة "الصك النحاسى" كما كتب الخلود لمؤلفها . ففى سنة ١٩٢٦ صدرت الطبعة التاسعة من الكتاب، وفى سنة ١٩٣٦ أعيد طبعه فى نسخة منقحة. النصف الآخر عبارة عن أقوال شهود آخرين عن الإساءة إلى الصحافة الحرة إساءة بالغة.

يقول سنكلير أن **إمبراطورية رجال الأعمال تتحكم فى الصحافة عن طريق أربع حيل:** أما الحيلة الأولى التى تمثل أسلوبا مباشرا فهى **ملكية الكثير من صحف الأمة.** والحيلة الثانية، هى **امتلاك أصحاب الصحف** وهى وسيلة مهمة للغاية، فباللعب بأطماع الناشرين وبممارسة الضغط على أسرهم، وباشتراكهم فى الأندية، وبعقد اتفاقيات ودية معهم، يستطيع كبار رجال الأعمال إحكام قبضتهم على الصحافة. والحيلة الثالثة التى يسيطر بها رجال الأعمال على الصحافة هى **الإعانات الإعلانية،** وهى وسيلة تجعل الناشرين مستعدين لحذف الأفكار المعادية لمصالح المعلنين، كحذف

الأخبار المحرجة لهم أو الضارة بهم. ويقول سنكلير إن رجال الأعمال يلجأون فى النهاية إلى **الرشوة الصريحة**، من أجل الترويج لوجهات نظرهم، وفرض رقابة على الأفكار المعارضة لهم. ويتفق مع **سنكلير** فى اعتقاده بأن المتآمرين يستغلون الصحافة فى تحقيق أغراضهم؛ **"جورج سلدز"** الذى يعتبر من أنشط نقاد الصحافة الأمريكية، وقد أرسى قواعد الفكرة الرئيسية التى بنى عليها انتقاداته التالية فى كتابه "حرية الصحافة" الصادر سنة ١٩٣٥، وشهد سيلدز بنفسه قوى الفساد فى مجالات المال والسياسة والاجتماع والإعلان وحاول إثباتها بالمستندات.

ويجد فريق من النقاد، ومن بينهم بعض الصحفيين قصورا فى المعايير السائدة لتقويم الأخبار، وفى بعض الأساليب الفنية، لعرضها، ومن الانتقادات المألوفة والمتكررة على مر السنين، أن الصحف تبرز المواد المثيرة والسطحية والساذجة على حساب المواد الجادة. فهى تعطى قدرا من المساحة والاهتمام بحادث قتل فظيع أو مشكلة زوجية أو مؤتمر للمرأة أو اغتصاب أمرأة، أكبر مما تعطيه لدورة هامة للأمم المتحدة. وهناك اتهام شائع أخر وهو أن الأسلوب الفنى لعرض الأخبار - كالعناوين، والبناء الهرمى المقلوب فى صياغة الأخبار والموضوعية الأسطورية - تمنع القارئ من رؤية صورة متسقة للأحداث الجارية.

وقد وجهت لجنة حرية الصحافة. فى سنة ١٩٤٧، اتهاما للصحافة بأن المواطن محروم، إلى حد بعيد، من المعلومات والمناقشات الضرورية، لأن الصحافة مشغولة بتغطية أخبار التفاهات والصراعات، وقد أدى اضطرار الصحافة إلى اجتذاب جمهور كبير إلى أنها أصبحت تبرز **"الاستثناء بدلا من العادى، والمثير بدلا من الجاد"**.

وتكمن كثير من الأنشطة ذات الأهمية الاجتماعية القصوى، وراء ما ينظر إليها تقليديا على أنها أحداث قابلة للتغطية الأخبارية، مثل الزيادة فى عدد الآلات المتحركة، والنقص فى عدد الأشخاص الذين يراقبون الآلات وطول ساعات وقت الفراغ، وزيادة الخدمات المدرسية بالنسبة لكل طفل، وانخفاض حدة التزمت، والمفاوضات الناجحة حول عقود العمل، والنهضة الموسيقية فى المدارس والارتفاع فى مبيعات كتب التراجم والتاريخ.

وتقول اللجنة، إنه بدلا من أن تقوم الصحافة بتغطية أخبار هذه التطورات تغطية وافية، فإنها تهتم اهتماما غير مناسب بالشغب والإضراب والقتل.

وقبل ذلك بكثير، كان **"والتر لبمان"** قد شكك فى القدرة الفنية للصحيفة على تغطية الظروف الاجتماعية الكافية وراء الأخبار الهامة، فيقول فى كتابه **"الرأى العام"** إن الصحف لا تفعل أكثر من تعيين مندوبين لها فى نقاط التسجيل. كمراكز الشرطة والمحاكم مثلا، حيث لا يلتقطون سوى الحالات الشاذة من الأحوال الاجتماعية، فقد يسترعى انتباه المندوب الصحفى رجل أعمال يعلن إفلاسه، مثلا ولكنه غير مؤهل لاكتشاف الظروف التى أدت إلى هذا الموقف، إلا بعد حدوثه فعلا، وفى رأى "لبمان" أن ذلك هو ما يحصل عليه القارئ من الصحيفة، عن الظروف الاجتماعية بصورة مشوهة وهى صورة تشبه كثيرا الكليشيه الظلىّ الذى يصورّ خلال شبكة واسعة للغاية.

ويوجه بعض النقاد اتهاما للصحف بأنها قد أخفقت فى إعطاء القارئ صورة متسقة للأخبار. ففى سنة ١٩٣٩، ناشد "سيدنى كوبر" الصحف أن تزيد من مقدار التغطية الإخبارية المتعمقة، قائلا: إن تغطيتها للأخبار السيارة محتاجة إلى مزيد من التطوير، فالمطلوب هو محاولة ربط نتائج العلوم الاجتماعية المتطورة سريعا بالصحيفة، حتى يستطيع القارئ أن يفهم، لا الحدث السطحى فقط، وإنما ما يكمن وراءه أيضا. وقد اقتبس عن "ايروين ايرمان"، أحد الفلاسفة بجامعة كولومبيا ملاحظة يستصوبها، وفيها يصف الصحيفة بأنها : "أسوأ طريقة ممكنة للحصول على صورة متسقة للحياة فى عصرنا.. فإذا أمكن تصوير عقل قارئ الصحيفة بأنها: "أسوأ طريقة ممكنة للحصول على صورة متسقة للحياة الصحفية بعد عشر دقائق من القراءة، فإن الصورة لن تكون خريطة وإنما تفجيرا".

ويقترح "هربرت براكز" لإعطاء القارئ صورة منظمة ومفهومة عن الحياة فى عصرنا أن **تعطى الصحف مزيدا من الاهتمام بالتفسير والمعلومات الخلفية، وأن يقوم محرروها بإعادة كتابة البرقيات الإخبارية من أجل اتساقها واستكمالها بالحقائق الإضافية المستمدة من إدارات البحوث التابعة لها**، ويوصى بالإضافة إلى ذلك، بأن تعنى الصحف عناية كبيرة بتنظيم الأخبار، لكى تكون مفهومة: فقد **تخصص الصفحة الأولى بأكملها للخصات موجزة، ولكنها وافية**، عن جميع الأحداث الكبرى، مصنفة بحسب الموضوع. **وفى داخل الصحيفة تقدم تقارير أكثر إسهابا**، تضم أحيانا بضعة أخبار مستقلة، وقد تقسم بحسب الموضوع، وهى طريقة تشبه إلى حد ما طريقة المجلات الإخبارية فى تجميع أخبارها.

ويذهب بعض النقاد إلى أن **العناوين المضلّلة** التى تكتب لاجتذاب القارئ العامى ولملء فراغ محدد، تسهم فى **التصوير المشوش للأحداث اليومية**. ويشكو كثير من الصحفيين من أن مقدمة الخبر التى تحتوى على الإجابات عن الأسئلة الخمسة المعروفة، ببنائها الهرمى المقلوب، رغم فائدتها العملية: تجعل الأخبار مملة ومكررة. وقد كتب "هربرت براكر" يقول: ربما أصبحت تلك الصيغة أكثر أهمية من الغاية المستهدفة أصلا، وأن المرء ليتساءل إذا ما كانت مزاياه فى التطبيق تبرر نتائجها الغريبة فى كتابة الأخبار "ويرى النقاد أن القارئ يُفاجأ بأهم الحقائق فى أول جملة أو فقرة، فيختل الترتيب المنطقى للأحداث. ويروى الخبر على أجزاء فى تكرار يضيع معه كل التشويق والإثارة.

والانتقاد الآخر الموجّه للصحف هو **تمسكها بالموضوعية وكأنها تميمة**. ويوجه الاتهام للصحفيين بأنهم يخافون من التعليق فى أعمدة الأخبار لدرجة أنهم يغشون القارئ. فهم إذ يقدمون الحقائق الموضوعية فقط بدلا من تفسيرها، يقدمون غالبا، أخبارا مشوهة وناقصة وغير مفهومة، وإذ يحاولون عرض كافة وجهات النظر بالنسبة لموقف جدلى، فإنهم غالبا ما يمنحون الكاذب المعروف بكذبه نفس الثقة التى يمنحونها للصادق المعروف بصدقه. ولذلك فإن الموضوعية التى يعتزون بها، ليست، فى أغلب الأحوال من الموضوعية فى شىء، وإنما هى نوع من التحريف، ويعترف النقاد بأن على الصحفى الذى يفسر الأخبار أن يسير فى طريق ضيق بين الحقيقة والرأى، ولكنه يجب أن يسير فى ذلك الطريق إذا أراد أن يضع الحقائق فى السياق الذى يعطيها معناها.

الفصل الرابع

بناء الرسالة وتحرير الخبر الصحفى

يراعى المرء فى قوله ثلاثة أشياء: **أولها**: وسائل الإقناع، **وثانيها**: الأسلوب أواللغة التى يستعملها، **وثالثها**: ترتيب أجزاء القول(١). "وهكذا يذهب أرسطو إلى تبيان أنواع الحجج التى تنتج الإقناع(٢)، ومقتضيات الأسلوب اللغوية وترتيب أجزاء الكلام. وقد عنى علم البلاغة الحديث بعملية الإقناع عناية كبرى توفر لها ما لم يتوفر لأرسطو من حقائق علمية توصل إليها علم النفس الحديث عن السلوك الإنسانى. وقد أجريت معظم التجارب السيكولوجية الخاصة بتغيير الاتجاهات خلال الربع الثانى من هذا القرن، ويرجع الفضل فى إضافة قدر كبير من المعلومات إلى "هوفلاند" وزملائه وتلاميذه فى جامعة "يل" الأمريكية، فقد ساعدته دراساته على بناء نظرية اتصال، وعلم بلاغة حديث؛ يقوم على أساس علمى(٣).

وحين نتحدث عن الأسس الإعلامية لتحرير الأخبار، فإننا نتحدث فى الحقيقة عن مصطلح "الرسالة الإعلامية" فى نظرية الاتصال، مدركين أن الشكل التحريرى لا ينفصل عن مضمون الرسالة بحال من الأحوال، الأمر الذى يحدد للمحرر الصحفى مثلا: الأدلة التى يعتمدها والتى يستبعدها، والحجج التى يفصل فيها القول وتلك التى يجب عليه استبعادها، ونوعية الاستمالات التى سوف يستخدمها ومدى قوتها، ذلك أن فن الخبر كرسالة إعلامية – إنما هو نتاج عديد من القرارات بالنسبة للشكل والمضمون على السواء. وأغلب تلك القرارات لا يمليها الهدف الإقناعى للرسالة الإعلامية – فحسب؛ وإنما تمليها أيضا خصائص الجمهور ومهارات المحرر وما إلى ذلك (٤). إذ لا يكفى **"أن يعرف ما ينبغى أن يقال، بل يجب أن يقوله كما ينبغى"** – على حد تعبير أرسطو فى "الخطابة".

ولكل كلام جزءان جوهريان هما: **عرض الحالة** ثم **البرهنة عليها**، ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما بالآخر، ولا تقديم ثانيهما على أولهما، لأن **البرهان** لابد أن يلى الحالة التى يراد أن يُبرهن عليها، وقد يزاد عليهما **مقدمة** فى البدء **وخاتمة** فى آخر الكلام، وبهذا تكون أجزاء القول عامة ثلاثة:

---

(١) أول الكتاب الثالث من الخطابة لأرسطو.

(٢) د. محمد غنيمى هلال: المدخل إلى النقد الأدبى الحديث ص ١١٧ . ١٢٨.

(3,4) Carl Hovland Communication and Persuasion: Psychological Studies of Opinion Changgem 1963, Ch 3, pp. 56-98.

١ - المقدمة.

٢ - الغرض - ويقصد به ما يشمل عرض الحالة والبرهنة عليها.

٣ - ثم الخاتمة.

وتقتضى وحدة العمل الفنى إدراك الموضوع، بما يتضمنه من أفكار، ثم تنظيم المعانى أو وحدات المضمون بحيث تكون مرتبة منسقة لتتجلى وحدتها. وفيما يخص النثر مثلاً، فقد أدرك العرب إدراكا عاما هذا الترتيب، كما فى الخطابة والرسائل.

إن الوحدات الأساسية فى أى رسالة إعلامية تتمثل فى المعلومات؛ والحقائق، والأفكار، وعناصر الأحداث، وما إلى ذلك مما يكون مادة الخبر ومضمونه، ثم تأتى المرحلة التالية لاستقاء الأخبار، وهى مرحلةُ صبّها فى الرموز اللغوية فى قالب إعلامى يمثل شكل الرسالة التى يستقبلها القارئ، أو المستمع أو الشاهد.

ويمكن التعبير عن مادة الخبر بألفاظ ورموز مختلفة، وعن طريق استخدامات متنوعة تتيح للغة فعالية أكثر فى تحقيق التأثير الإتصالى للرسالة الاعلامية، ولكن اللغة تظل مع ذلك أساسا من أسس التحرير الإعلامى، لأن الرسالة لا تقوم على اللغة وحدها وإنما تقوم كذلك على استخدام اللغة فى قوالب فنية؛ وأشكال تحريرية تشمل: الأسلوب، والاقناع، وتنظيم أجزاء القول جميعا فى بنْية الخبر الإعلامى ذاته.

وتشير نتائج الأبحاث إلى أن الإقناع يصبح أكثر فاعلية إذا حاولت الرسالة أن تذكر نتائجها أو أهدافها بوضوح؛ بدلا من أن تترك للجمهور عبء استخلاص النتائج بنفسه.. فقد وجد الباحثان "هوفلاند" و"ماندل" أن نسبة الأفراد الذين عّدلوا عن اتجاهاتهم إلى الناحية التى ناصرتها الرسالة، بلغت الضعف حينما قدم المتحدث نتائجه بشكل محدد، وذلك بالمقارنة إلى نسبة الذين غيروا اتجاهاتهم بعد أن تعرضوا لرسالة ترك المتحدث نتائجها ليستخلصها الجمهور. ولكن بعض الباحثين، يشيرون إلى أن نتائج "هوفلاند" و"ماندل" ترجع إلى الاختلافات فى فهم الجمهور للرسالة.

ويذهب هؤلاء إلى أنه بالسيطرة على مستوى الفهم لم يحدث اختلاف فى قدر تغيير الرأى الذى يسببه تقديم النتائج بشكل محدد؛ إذا قورن بتركها ضمنية، فقد أظهرت دراسات كثيرة أن الإعلام الذى يهدف إلى تغيير الاتجاهات ينجح حينما ينقل

الحقائق دون أن يحاول تغيير الاتجاهات التى كان المفروض أن تتغير بعد التعرض لتلك الحقائق. فى هذه الحالة، فإن المعلومات الواضحة، والحقائق التى تذكر بوضوح، يتم نقلها بنجاح أكبر، فى حين أن ترك هدف الرسالة ضمنى قد لا يحقق التأثير المرغوب. وقد وجد "كاتز" و"لازار سفيلد" أنه "كلما كان المضمون الذى يقدمه الاتصال محدداً ازداد احتمال التأثر به".

تنظيم أجزاء الرسالة:

ومما لاشك فيه أن المضمون الإعلامى وأساليب تقديمه، وتنظيم أجزاء الرسالة الإعلامية من أهم عوامل النجاح فى التحرير الصحفى. ومن التساؤلات الهامة فى هذا المجال: هل يجب أن يبدأ الفرد بالحجج القوية أم يحتفظ بها حتى النهاية؟ وهل المضمون المحدد الهدف بوضوح، أكثر فاعلية من المضمون الذى يترك هدفا ضمنيا ليستنتجه المتلقى؟

هناك فى حقيقة الأمر؛ عدد من الاعتبارات التى تكمن خلف اختيار هذا التنظيم أو ذاك، وهى تتصل بموقف الجمهور من الموضوع ودوافعه واهتماماته.

وفى دراستنا للتقويم الصحفى؛ تبين أن اختيار الأنباء أو الموضوعات الصحفية؛ إنما يقوم على أساس معايير؛ بمقتضاها يتم تحويل الحدث إلى خبر أوموضوع؛ ثم يحدد الصحفى مادة هذا الخبر أو الموضوع. والصحفى شاهد حىّ على الأحداث؛ ولكنه يقوم بعمل انتقائى فى المحلّ الأول؛ إذ عليه أن يبحث عن العناصر التى لا تأتى من تلقاء نفسها. وانتقائى، لأنه يختار ما يهم الجمهور.

وبما أن الأمر يتعلق بترجمة حقيقة الحدث إلى كلمات، فى أكبر قدر ممكن من الأمانة، لهذا وُجدت قاعدة أقدم من الصحافة نفسها، تحدد بنْية كل رسالة إعلامية، وهى سلسلة الأسئلة التى تعارفنا عليها منذ قرون: وهى: **من، ماذا، أين، متى، كيف، ولماذا**. فالإخبار هو الجواب عن هذه الأسئلة؛ وأهميتها النسبية تتغير وفقا للخبر؛ ولكن فى جميع الحالات يجيب الإعلام الأكثر تبسيطاً عن الأربعة أسئلة الأولى على الأقل، ولا يوجد إعلام متكامل دون الإجابة عن الأسئلة الستة.

إن البناء الموضوعى، الذى سنتعرف عليه فيما بعد، يمكن أن يتمّ بوسائل مختلفة، ولكنه يركّز دائما على تجميع المواد المشتملة على الأجوبة عن الأسئلة الستة.

ولقد تطور فن الخبر فى وسائل الإعلام مستجيبا لمتطلبات الحياة كما يحياها جمهور المتلقين يوميا، وأصبح يعتمد على عناصر الجدّة والأسلوب المباشر والسرعة والتنوع، إلى أنه يسعى إلى نقل المعلومات بشكل يتفق تماما مع سرعة عصرنا هذا، وأصبح يستهدف الإفضاء بالحقائق التى ينطوى عليها بسرعة ووضوح.

ويمكن تقسيم **أجزاء الرسالة الإعلامية** فى فن الخبر إلى قسمين رئيسيين هما: **المقدمة أو صدر الخبر ثم هيكل الخبر** وصلبه العام.ويضاف إلى هذين القسمين قسم ثالث لا يقل عنهما أهمية فى الخبر الصحفى ونعنى به "**عنوان الخبر**". وتعنى هذه العناصر جميعاً فى الرسالة الاعلامية بتحقيق غرض عام، هو نشر الأخبار بدقة ووضوح لمساعدة القارئ أو المتلقى على الفهم. وفى جميع الأحوال، يعبر الصحفىّ عن الحقيقة الموضوعية، ويبتعد تماما عن الذاتية فى اختيار الألفاظ أو فى بناء الخبر والإجابة عن الأسئلة الستة المعروفة. وكانت الأخبار فى القرن الماضى تروى بالطريقة الأدبية، فيسير الكاتب بالقصة رويدا رويدا نحو حل العقدة فى نهاية الخبر، ولكن الخبر الإعلامى الحديث له قوالبه الجديدة، القائمة على السرد المباشر وإعطاء كلّ الحقائق فى أقصر عبارات ممكنة، والابتداء بالعقدة، أو تقديم أهم عناصر الخبر فى البداية مباشرة، وهذا ما يسمى بأسلوب الهرم المقلوب.

وقد جاء هذا الأسلوب العام فى تنظيم أجزاء الرسالة الإعلامية متأثرا بعوامل تشكيل الهيكل الذى يتكون منه الخبر، وهى: **شكل الخبر والوقت والمساحة** المتوافران، لتسجيله، ومهارة المحرر.

الهرم المقلوب:

ويعتبر هذا الأسلوب من أقدم أشكال الأخبار وأكثرها ملاءمة وأعظمها نفعا وأقلها ضررا.. ويقضى هذا الأسلوب بأن نبدأ فى تحرير الخبر بالعناصر المهمة أولا، وهذه المرحلة تتطلب حاسة إعلامية ذواقة وتدريبا ومرانا طويلين. ولابد أن تحرك هذه البداية انتباه القارئ وأن تثير اهتمامه. والفرق بين المحرر الناجح وغير الناجح إنما

يكمن فى هذا الاختيار الدقيق لمقدمة الخبر، فقد يكون هناك تناقض فى موقف إنسانى مثير كالرجل الذى يلقى القبض عليه ليلة زفافه، أو العالم الذى يموت قبل استلامه جائزة الدولة التقديرية بعدة أيام، وهناك المقدمة التى تحتوى على تصريح مقتبس من رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء.

ويمكننا تصور هرميْن، واحداً فى وضع طبيعى، والآخر مقلوبا.. وهنا نجد أمامنا صورتين واضحتين للفروق الرئيسية بين **رواية الخبر والقصة الخيالية أو الأدبية**. فقاعدة الهرم المقلوب تمثل الفقرتين الأولى والثانية من القصة الإخبارية، إذ المقدمة هى أهم جزء فى الخبر، حيث تتركز عناصره .

وهذه الطريقة فى رواية الأنباء، قد جاءت نتيجة للتنافس على القراء ومحاولة لفت أنظارهم. وهناك ثلاث أسباب لاتباع أسلوب الهرم المقلوب فى تحرير الخبر الصحفى:

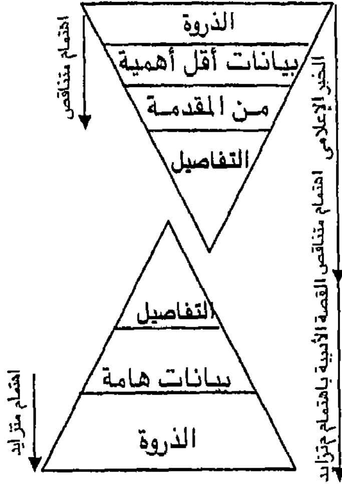
١ - الهدف الأول لوسيلة الإعلام صحيفة أو إذاعة الخ، هو تقديم الأنباء للرجال والنساء الذين ليس لديهم سوى وقت قليل لمعرفة الأحداث.

٢ - ويرى رؤساء التحرير - وهم على حق - أن المقدمة الخبرية تدفع القارئ إلى صلب الخبر، وهذا القارئ نفسه لا يهتم فى قليل أو كثير بالخبر إذا كانت المقدمة جافة لا حياة فيها.

٣ - والعامل الثالث هو ضيق المكان فى الصحيفة والحيز الزمانى فى الإذاعة والتليفزيون، فنظرا لكثرة المواد نجد أن كل موضوع يتعرض للاختصار طول رحلته؛ وهو ينتقل من مكتب إلى مكتب قبل أن ينزل إلى غرفة الجمع أو نشرة الأخبار. وقد تضطر الحاجة إلى اختصاره فى اللحظات الأخيرة، وفى هذه الحالات يمكن الاختصار من المؤخرة حتى لا تعاد كتابة الموضوع من جديد ويضيع بعض الوقت.

ومع ذلك فكثيرا ما ترى بعض الصحف تخرج على أسلوب الهرم المقلوب، ونجد المحرر يثير اهتمام القارئ ولا يشبع فضوله بمعرفة السر إلا فى الفقرة الأخيرة.. ولكن هذه الطريقة كما يقول كارل وارين - تتطلب معرفة فائقة. ومع ذلك فإن٩٠٪ من القصص الخبرية تتبع أسلوب الهرم المقلوب.

فالأسلوب الهرمى إذن، يختلف عن الأسلوب الأدبى فى القصة والمسرحية مثلا، ذلك أن الأسلوب الأخير يبدأ بالتفاصيل، ويتدرج فى سرد تفاصيل القصة، أوتطورات المسرحية حسب حبكة القصة حتى يصل فى النهاية إلى "الذروة": فالكاتب هنا يحاول أن يستدرجك معه من التفاصيل الأقل أهمية منتقلاً بك إلى التفاصيل المثيرة فى اهتمام متزايد، ليترك فى نفسك الرغبة فى معرفة ما ستصل إليه الذروة"[1]. أما الأسلوب الهرمى فى الخبر الصحفى فالوضع "مقلوب" كما رأينا. فنحن فى المقدمة نحاول أن نقدم أهم ما فى الخبر من معلومات فى صورة مركّزة، محددة بحيث تثير فى القارئ الرغبة الشديدة فى معرفة تفاصيل هذه الكلمات القليلة الهامة، ثم نحاول بعد ذلك أن نقدم للقارئ فى هيكل الخبر تفاصيل ما أجملنا وأبرزنا فى المقدمة الهامة؛ فى اهتمام متناقص.



على أن العاملين حديثا فى ميدان الصحافة والإعلام ، وبصورة خاصة أولئك الذين يسعون إلى تحسين العمل فى هذا الميدان، لا يكفون عن انتقاد أسلوب الهرم المقلوب، على أساس أنه يتضمن أخطاء فى التسلسل الزمنى لتاريخ الأحداث ... ويقولون إن هذا الأسلوب يرغم المحرر على ذكر القصة الإعلامية ثلاث مرات، مرة فى العنوان، وأخرى فى المقدمة وثالثة فى هيكل الخبر ذاته. وهم يصفون أسس هذا الأسلوب بأنه مضحك؛ لأنهم يعتقدون بأنه يعرقل رواية الخبر؛ طالما أن جوهره يأتى فى المقدمة بدلا من أن يأتى قبيل النهاية. وهناك انتقاد آخر يوجه إلى أسلوب الهرم المقلوب هو أن هذا الأسلوب لا يتقيد بتاريخ ولا يضيره أن تكون القصة قد حدثت قبل أيام من تاريخ صدور الجريدة.

وعلى الرغم من وجاهة هذه الانتقادات فإن أسلوب الهرم المقلوب الذى يقوم على أساس ترتيب الأحداث وفق أهميتها. ما زال يعتبر الأسلوب الوحيد القائم على الترتيب المنطقى، من الوجهة الإعلامية. ولهذا المصطلح فائدة فى التفرقة بين ترتيب

(١) جلال الدين الحمامصى: المندوب الصحفى ص ٩٤.

الأحداث حسب وقوعها وفق الترتيب الزمنى - وبين إعادة ترتيبها بمعرفة المندوب والمحرر. ثم أن المصطلح - كما يقول جونسون وهاريس - يحمل فى تضاعيفه معنى خافيا هو أن إعادة ترتيب الأحداث أمر لا يتم عشوائيا، بل يتم وفقا لخطة ومبدأ معقولين. والمبدأ الذى يتبع هو ترتيب الأهمية قياسا على ذوق الجمهور المتلقى. ولذلك فإن صدر الخبر أو مقدمته يمثل الواجهة الأساسية فى هذا الأسلوب الهرمى، لأنه يشتمل على أهم ما يحتويه الخبر من مواد.

ويرتبط استعمال الأسلوب الهرمى عند مراسلى الصحف عموما باختراع التلغراف وهو الاختراع الذى فرض إرسال الأنباء بسرعة ودقة، ولقد أدرك المحررون منذ سنوات أسباب القصور فى أسلوب الهرم المقلوب، الأمر الذى أدى خلال السنوات الأخيرة إلى اتباع أساليب جديدة فى كتابة التحقيقات والأخبار المحلّلة، والحملات الصحفية، والأخبار ذات الطابع الأقل أهمية، أو تلك التى تتميز بأهمية متوسطة.. ولقد استعارت الصحف بعض الأساليب المتبعة فى تحرير الخبر الإذاعى وكذلك الأخبار الأسبوعية والمجلات المصورة وغير ذلك من وسائل الإعلام، أما بالنسبة إلى هؤلاء الذين يريدون من الصحف أن تتخلى عن دورها الإعلامى كوسيلة لنقل الأخبار، تأسيساً على أن الراديو والتليفزيون أسرع من الصحف، فإن الدرس الذى تعلمناه فى ربع القرن الماضى، يدلنا على أن الجماهير ما تزال تريد قراءة كل ما تسمع أو تشاهد من أحداث. وليس هناك محرر يعتقد أن الجمهور يعرف كل شىء عن حادث معين لمجرد أن الحادث أذيع فى الراديو أو التليفزيون لمدة دقائق قليلة، قبل صدور الصحيفة.

وهناك الكثير من أساليب تحرير الخبر يمكن أن تكتشف وفقا لمتطلبات الجمهور، ولكن طبيعة الجنس الصحفى من بين أجناس الإعلام تحتم استخدام أسلوب الهرم المقلوب الذى يعتبر – حتى الآن – من أفضل الطرق لرواية الأخبار التى تتفق مع العنوان، فى الجنس الصحفى والإعلام الكلاسيكى.

أولاً: تحرير المقدمة أو صدر الخبر.

ولقد رأينا كيف تتكون الرسالة الإعلامية من جزئين أساسين. **أولهما:** المقدمة أو صدر الخبر، **وثانيهما:** الهيكل أو صلب الخبر.

والمقدمة فى الخطابة بدء الكلام، وهى نظير المطلع فى القصيدة، والمدخل فى المسرحية، والاستهلال فى الموسيقى.. وللملاحم كذلك مدخل مثل المأساة والملهاة ويهدف هذا المدخل إلى التمهيد للموضوع، حتى لا تبقى عقول السامعين مغلقة دونه، وليتسنى لهم متابعة ما يعرض عليهم من براهين وأحداث، فهوميروس يبدأ ملحمته "الإليادة" هكذا: "تغنى يا آلهة الغناء بغضب البطل.." وهو ما يشعر بموضوع الالياذة، وهو غضب أخيلوس. ويبدأ "الأوديسا"، هكذا: "قُصّى على، أى إلاهة الشعر من أخبار. " وهو ما ينبئ عن أن موضوعها معرفة أخبار أوديسوس فى عودته.

أما المقدمة الصحفية: فهى (صدر الخبر The Lead)، وهى تهدف إلى فتح شهية القارئ أولا، ثم إلى تشجيعه على الاستمرار فى القراءة ثانيا، ولا يخفى أن نجاح أية جريدة يقاس فى بعض الأحيان بالوقت الذى يقضيه القارئ فى قراءتها. لذلك يذهب علماء الصحافة إلى أن المقدمة والقدرة على كتابتها بمهارة ودقة وجاذبية، هى مفتاح النجاح فى تحرير الأخبار وبالتالى تحرير الموضوعات الإعلامية الكبيرة، ولهذا فإن ، المقدمة يجب أن تلقى عناية كبيرة فى التمرن عليها من كل صحفى ناشئ يرغب رغبة صادقة فى أن يتعلم التحرير على أصوله السليمة الصحيحة(١).

ولنفرض أن جمعا من الناس قد احتشد حول حطام سيارة فى إحدى زوايا شارع ما؛ خارج حديقة عامة، وجاء أحد المارة وأمسك بالسائق من ذراعه ووجه إليه السؤال التالى:

- مرحبا بك يا زيد.. ما الذى حدث ؟
- قتل طفلان .. قفزت السيارة من المنحنى.

وحقيقة الأمر أن سائق السيارة فى إجابته هذه قد قام بدور المحرّر الذى يلخص الأخبار؛ فهو قد أجاب على السؤال الهام الذى يمكن أن يوجهه إلى أى شخص يعمل فى

(١) جلال الدين الحمامصي: المرجع السابق ص ٥٨ .

تحرير الأخبار. ويمكن تشبيه حقائق الخبر الصحفى بمحطة للسكة الحديد ملأى بعربات من جميع الأنواع، والمندوب أو المحرر، هو عامل التحويلة المنوط به مهمة ربط العربات فى القطار فهو ينظر أمامه فى المحطة ويختار منها قاطرات تجر العربات؛ وهذه القاطرة هى **المقدمة**، وهى أهم جزء فى القطار، ثم يربط فيها بعد ذلك عربات الركاب والبضاعة والمراقبة والسبنسة.. التى هى صلب القصة.. وعندئذ يكون القطار معدا للسير.

وإذا كانت مقومات الخبر واضحة فإن المندوب لا يجد صعوبة كبيرة فى اختيار المقدمة ولا يحتاج الأمر إلى مهارة أو إلى خبر خاص لاكتشاف الخبر المشوق الذى يستهل به موضوعه. ولكن الأمر يختلف فى المثال التالى:

"تصادمت سيارتان فى طريق صلاح سالم .

"تهشمت السيارتان .

كان فى السيارة الأولى السيد زيد إبراهيم وحرمه، وفى الثانية السيد عمرو عبدالباقى، وكلهم من سكان مصر الجديدة.

"وما كادت سيارة زيد تسبق سيارة عمرو حتى انطلقت حصاة من إحدى عجلاته وأصابت عمروا فى وجهه.

"فاضطرب عمرو، واضطربت عجلة القيادة فى يده، وتصادمت السيارتان وتهشمتا وأصيب زيد وحرمه بجراح، وهما يرقدان الآن فى المستشفى". والآن نراقب أحد المندوبين وهو يستعرض أوراقه لاختيار أحسنها، وأمامه الحقائق التالية:

١ - تهشمت سيارتان على طريق صلاح سالم (مقدمة محتملة).

٢ - أصيب زيد وحرمه من مصر الجديدة بجراح (مقدمة أخرى).

٣ - زيد وحرمه فى مستشفى هليوبوليس وقد انكسرت أذرعتهما (مقدمة ثالثة قد تكون أفضل من سابقتيها).

٤ - حصاة أصابت عمروا فى وجهه فأفقدته سيطرته على السيارة (هذه هى المقدمة).

وهكذا يستهل المندوب موضوعه على الوجه التالى:

"حصاة صغيرة انطلقت من عجلة سيارة مسرعة فأرسلت اليوم شخصين إلى المستشفى، وعندما أصابت الحصاة سائق السيارة الثانية فى وجهه أفقدته السيطرة على عجلة القيادة والمصابون هم ...."

إن المندوب فى الواقع يحاول الإجابة على سؤال: ماذا حدث. لأن الإجابة على مثل هذا السؤال تتطلب إحصاءات وسجلات تجعل من لغة الخبر شيئا مزعجا. و مع ذلك فإنه فى حادث من هذا النوع يتحتم على المحرر أن ينقل القارئ إلى مسرح الحادث، حتى يجعله يراه، ويلمس آثاره، كما فعل المندوب فى المقدمة السابقة حيث نقل القارئ وجعله يتخيل ما حدث وكيف وقع الحادث، وكيف أنه يختلف عن حوادث الاصطدام الأخرى، فمقدمة من هذا النوع يمكن اعتبارها مقدمة خاصة لا عامة، لأنها استغنت عن الكثير من الأشياء غير الضرورية التى يمكن إيرادها فى صلب الخبر حسبما يقتضى الأمر. فالمقدمة فى الخبر الصحفى تقدم الحجج أو العناصر الرئيسية فى البداية وما يليها فى الأهمية بعد ذلك، فهى تتبع ترتيبا هرميا يقدم الحجج الرئيسية فى البداية Primacy. وقد أظهرت بعض الدراسات أن الحجج التى تقدم فى البداية تترك تأثيرا أكبر من تلك التى تؤجل لنهاية الرسالة الإعلامية، بينما أظهرت دراسات أخرى نتائج عكسية.. ولكن ما الذى يجعل العناصر التى تقدم أولا فى حالات النهاية أكثر فاعلية فى حالات معينة؟ إن فعالية الرسالة الإعلامية تتوقف على قدرة المتلقين على فهم المضمون وتذكره. وحينما لا يستوعب المتلقى أيا من العناصر المؤيدة أويتذكرها فالمعتقدات والتوقعات التى تنبنى عليها لن تتأثر بشكل عام، ولذلك تعنى الدراسات الإعلامية ببحث احتمال أن الفعالية المتنوعة لترتيب الذروة والترتيب الهرمى المناقض لها سوف يتوقف على أيهما ييسر إعلام المتلقين.

وتأسيسا على هذا الفهم فإن علماء الإعلام. يذهبون إلى أن المقدمة لابد أن تتصف بالمرونة الكافية بحيث تتشكل وفقا لنوع الحادث أو الخبر، مع الحذر من الحشو بالتفاصيل، وقد تكون المقدمة **اقتباسية** تحتوى على عبارة جرت على لسان مسئول كبير مثل "قرارنا هو القتال". وقد توجه المقدمة **إلى القارئ** نفسه مثل **"أنت الآن** مطالب بضريبة جديدة" وهناك المقدمة **التساؤلية** مثل: "هل تستأنف أمريكا تجاربها الذرية؟ أما **المقدمة الساخنة** فهى تحتوى على معلومات مثيرة تخطف الأبصار وتجعل القارئ مشوقا إلى متابعة الخبر.

الشقيقات الخمس:

ويراعى فى تحرير الخبر أن تشتمل المقدمة على الرواية كلها إن أمكن. فالسؤال الآن: **ما الذى تتألف منه "الرواية كلها"؟** ما الذى يريد الناس معرفته عن حادث إخبارى، وكيف يتسنى للمرء معرفة إن كان قد عرض جميع المعلومات الرئيسية أولا؟ فمثلا: فى حادث سطو على بنك .. ألا توجد هناك وقائع جوهرية تزيد على الوقائع الجوهرية التى يشتمل عليها حادث اصطدام سيارة؟ وألا يختلف كل حادث عن غيره من الحوادث من حيث نوعية المعلومات التى تساق فى المقدمة الخبرية؟ إن الأحداث وإن اختلفت وتباينت من حيث فحواها فإن لمقدمة الخبر مهمة محددة تؤديها. ومن حسن حظ المندوب والمحرر الصحفى أن العقل البشرى قادر على أن يوجه عددا محدودا من الأسئلة المختلفة. فليس لحب الاستطلاع - على حد تعبير جونسون وهاريس - إلا ستة أنياب أو مخالب يعض بها المجهول أو يمزق حجبه، وما تلك الأنياب الستة إلاّ أسئلة ستة موجزة منها خمس شقيقات هى: **من؟ ماذا؟ متى؟ أين؟ لماذا؟**، وأخت سادسة غير شقيقة هى: "**كيف؟**". ولعل السبب فى اعتبار "**كيف**" اختا غير شقيقة، يرجع إلى أن الإجابة عليها متضمنة فى حالات كثيرة فى إجابات الشقيقات الخمس الصريحة.

هذه الأسئلة الستة على طرافتها ووضوحها، تمثل العناصر البسيطة الواضحة من الناحية اللغوية: أى الموضوع والإسناد والخصائص والصفات وظروف الزمان وظروف المكان المتعلقة بالوقت والمكان والكيفية والسبب أو العلة. ويتبع ذلك أنه متى أمكن تقديم هذه العناصر جميعا تقديما سليما بليغا فى مقدمة الخبر، فإن هذه المقدمة تكون قد أدت مهمتها فى سرد الرواية كلها، سواء كانت تلك الرواية مطولة أو صغيرة، ويتبع ذلك أيضا أن بقية الرواية قد لا تعدو أن تكون توسعا فى حالة العوامل القليلة، يتناسب طولها مع ما يقتضيه الحادث الخبرى المعين.

ولقد كانت الصحافة العالمية قبيل الجزء الأول من ١٨٦٥ م تكتب أخبارها بلغة أدبية ودون مراعاة لقواعد معينة أو دراسات علمية.. وفى إبريل ١٨٦٥ م قتل الرئيس الأمريكى إبرا هام لنكولن، وكان أول تقرير خبرى كتبه مندوب وكالة الأنباء الأمريكية الأسوشيتدبرس فى واشنطن هو:

"أطلق الرصاص على الرئيس هذا المساء وهو فى المسرح ومن المحتمل أن تكون الإصابة قاتلة".

هذا الخبر البسيط، القصير، اشتمل على أغلب العناصر التى يمكن أن يبادر القارئ بطلبها:

من هو الذى أصيب؟ الرئيس ابراهام لنكولن.

أين أصيب الرئيسى الأمريكى؟ .. فى المسرح.

متى أصيب لنكولن؟ .. مساء اليوم .

وطبيعى أن القارئ يهمه أن يعرف بعد ذلك إجابة عن سؤال آخر هو:

ولماذا أطلق الرصاص على الرئيس الأمريكى؟

ومتى عرف القارئ السبب الذى دفع المتهم إلى إطلاق النار، فإنه يريد أن يعرف أيضا إجابة أخرى عن سؤالين آخرين هما:

ماذا حدث بالتفصيل؟ وكيف حدث؟

وعندما تكتمل كل الإجابات المطلوبة يحس القارئ أنه قد ألم بكل التفاصيل التى يهمه أن يعرفها، وما زاد على ذلك من بيانات إنما هو مزيد من التفاصيل التى لا يمكن لرواية إعلامية أن تكتمل بدونها، وهى فى نفس الوقت التفاصيل التى تميز الصحفيين بعضهم من بعض، والتى تتوفر نتيجة ليقظة المندوب الصحفى ومحاولته جمع أكبر قدر من التفصيلات.

والشقيقات الخمس والأخت السادسة - كيف - مما يندرج تحت باب **"الاستفهام"** وفى لغتنا العربية قد يكون – الاستفهام سؤالا عما لا تعلمه لتعلمه، فيخص باسم الاستفهام، ومنه ما يكون سؤالا عما تعلمه ليقر لك به، فيسمى تقريرا".

وتهدف الأسئلة الستة إلى تحقيق الغرضين معا، كما أنها ليست كل شيء فى "الموضوع الصحفى، ولكنها فى حقيقة الأمر المفاتيح اللازمة لفتح الأبواب المؤدية إلى كل التفاصيل - على حد تعبير الأستاذ الحمامصى - وليس كل موضوع صحفى مما تتوفر فيه الإجابة عن كل هذه الأسئلة فورا، فقد يصادفك حادث وليس فيه إلاّ إجابة

واحدة على استفهام واحد منها.. وهنا تقود الأسئلة الأخرى إلى معرفة بقية التفصيلات التى تعطى للموضوع وحدة إعلامية.

ويتطلب هذا الأسلوب فى كتابة المقدمة الصحفية أن نجيب، عن الأسئلة التى تخطر على بال أى شخص عادى يكون فى موقف يحتم عليه إعلان حدث ما.

وسواء كان الخبر مجرد خبر عادى أو خبراً ضخم الأهمية، فيجب أن تتضمن المقدمة: حقائق الرواية الجوهرية. ولقد ذكر أحد محررى الأنباء المحلية قواعد صناعة الأخبار من ألفها إلى يائها عندما صاح مجيبا عن سؤال مندوبه، قائلا "**أسرد الخبر كله فى الفقرة الأولى، وحافظ على التشويق طوال ما تبقى من العمود**".

على أن أفضل المقدمات الصحفية لا تكتفى بمجرد إشباع الفضول الأولى للقارئ فحسب، ولكنها تفتح شهيته إلى الاستزادة، من القراءة كما تقدم. ويمكن القول إذن أن على المحرر الصحفى أن يتأكد من أن مقدمته التحريرية تؤدى الوظائف الخمس التالية:

١ - تعرض ملخصا للموضوع الصحفى.

٢ - تكشف عن هوية الأشخاص والأماكن ذوى العلاقة بالموضوع.

٣ - تبرز الطابع المميز للخبر.

٤ - تعطى آخر الأنباء عن الحدث.

٥ - تثير اهتمام القارئ إذا أمكن لمتابعة قراءة الموضوع.

ويميل الاتجاه الحديث إلى تحقيق هذه الأمور كلها بأكثر ما يمكن من السرعة والإيجاز. ومع أن رودولف فليش، أحد مستشارى وكالة الاسوشيتدبرس فى "**الانقرائية" أو تيسير القراءة**، يصر على أن المقدمة المبنية على أساس الإجابة عن الشقيقات الخمس، قد اصبحت قديمة العهد، فهناك كثير من التقاليد العظيمة والقديمة التى ما تزال حية، وعلى الرغم من ذلك فقد كان من شأن نشرات الأخبار المذاعة من الراديو والتليفزيون ، ومن شأن المجلات الخبرية أن حفزت الصحف ونبهتها إلى ضرورة إدخال المزيد من الأساليب فى كتابتها ولتيسير القراءة، وتظهر آثار ذلك الاتجاه السائد الآن نحو الاختصار للفقرة الاستهلالية فى المقدمة الخبرية.

ويذهب "بوند". إلى أن المقدمة العادية ينبغى ألا تزيد فى مجموعها على الثلاثين كلمة، ويستطيع كتاب العناوين أن يرووا النبأ فى عشر كلمات.

ويشير هذا الاتجاه الحديث فى كتابة المقدمة إلى أهمية الخبر أو الموضوع الصحفى؛ ويعد ذهن القارئ للتفصيلات التى ستتبع.

وعملية إعداد ذهن القارئ تتوقف بطبيعة الحال على الشقيقات الخمس، أيهن أقوى أثرا وإثارة فى الحادث، فالذى لا شك فيه أن هذا الأثر يختلف باختلاف الأحداث وباختلاف أمزجة القراء. ومن هنا تبدأ النظرية الأولى فى كتابة الخبر بسؤال هو: **"أى الشقيقات أكثر أهمية كى نبدأ الإجابة عنه؟"**.

وتتوقف الإجابة عن هذا السؤال على عامل أساسى يتصل "بواقعية الخبر ذاته، وما فيه من وقائع، وأخيرا يرضى ذوق الجمهور.

١ - الإسم - (من؟)؟

مثال١ - "وجه الرئيس السادات أمس نداء عاجلاً إلى كافة أطراف الحرب الأهلية فى لبنان "يطالبهم فيه بوقف هذه المأساة الدامية التى تنذر بأوخم العواقب، ليس فقط على أطراف الأزمة اللبنانية، بل على الأمة العربية بأسرها".

فى هذا المثال نجد أن اسم الرئيس السادات جاء فى بداية الخبر. ومعنى ذلك أن الإجابة جاءت عن السؤال :"من؟".. ذلك أن الخبر حينما يتعلق بشخص أو مكان أو شيء مشهور فلابد من تصديره فى مقدمة الخبر، لأن الاسم كاف فى حد ذاته لتهيئة الذهن وجذب الاهتمام.

وما لم يتفوق عنصر غير "من" على سائر العناصر وجب أن تكون الأولوية للإسم الكبير. وعلى نفس القياس يمكن الاستهلال **"بما"** إذا تعلق الخبر بمكان أو بشيء ذى أهمية قصوى.

مثال ٢ - "يرتفع علم مصر ابتداء من ظهر اليوم فوق حقول بترول أبو رديس التى يدخلها الخبراء المصريون فى الساعة الثانية عشر ظهرا، ويزور هذه الحقول بعد غد المهندس أحمد هلال وزير البترول الذى يحضر شحن أول دفعة من إنتاج هذه الحقول إلى معامل التكرير بالسويس نحو نصف مليون برميل تبلغ قيمتها ٥ ملايين دولار".

٢ - الشىء - (ماذا؟) :

مثال ٣ - "اصطدم مقدما سيارتين فى طريق صلاح سالم فأدى ذلك إلى نقل سائق السيارة السيد زيد العامل بشركة (...) إلى مستشفى الحسين الجامعى، وهو فى حالة سيئة صباح اليوم.

يلاحظ أن خبر الحادث هو الذى تقدم على غيره من العناصر الأخرى فى المقدمة، لأن المندوب شاهد الحادث بنفسه، أى أن الاستفهام (بماذا؟) هنا أهم.

مثال ٤ - "كشف جواهر وحُلىّ داخل مومياوات الفراعنة" .. فقد تضمن تقرير البعثة المصرية الأمريكية المشتركة الصور التى التقطت بالأشعة للمومياوات الملكية أنها قد كشفت عن جعران كبير فى حجم الطبق وعلى شكل قلب، داخل مومياء الملكة نجمت (أى الجميلة) زوجة الملك حريحور فى الأسرة الـ ٢١ بالإضافة إلى ٤ تماثيل صغيرة أخرى داخل بطنها لأولاد الإله حورس".

وهذا الخبر كذلك يبدأ بالإجابة عن "ماذا اكتشف" فى بداية الخبر، لأن خبر الإكتشاف أهم من الإجابة عن العناصر الأخرى فى الاستهلال.

٣ - الزمان .. (متى؟) :

مثال ٥ - "بعد خمس عشر دقيقة من وضع علامة "الخطر" بمعرفة شرطة المرور عند تقاطع المبتديان مع مترو حلوان، أصيب السيد زيد السائق فى النقل العام إصابة شديدة فى حادث سيارة وقع عند ذلك التقاطع.

مثال ٦ - "خلال ٦٠ يوما من لحظة وقف القتال تسحب أمريكا كل قواتها من فيتنام وتفرج هانوى عن كل الأسرى.. أذيعت أمس فى كل من باريس وواشنطن وهانوى، نصوص اتفاقية "إنهاء الحرب واستعادة السلام فى فيتنام عند منتصف ليلة - السبت - الأحد".

فإذا كان عنصر الزمان قلما تفوق أهميته غيره من العناصر، إلا أن هناك من الظروف كما تبين فى المثالين السابقين، ما يجعل لعنصر الزمان شأنا كبيرا، فلعنصر الزمان أهمية واضحة فى حادث المبتديان، كما أن له أهمية تتصدر مقدمة الخبر

الثانى لتحديد موعد سحب أمريكا قواتها من فيتنام بعد حرب طال مداها، مما يسوغ وضع هذا العنصر فى منزلة الصدارة على ما عداه.

٤ - المكان .. (أين) !

مثال ٧ - "من أعلى برج الجزيرة، وقف شاب يهدد بإلقاء نفسه إذا لم تتحقق رغبته فى الحصول على وظيفة حكومية تقدم لها مع آخرين(١).

فلو أن هذا الشاب وقف مثلا فى نافذة الدور الثانى وهدد بإلقاء نفسه لما استحق تحديد المكان فى بداية الخبر، ولكن وجوده فى أعلى برج القاهرة . وقد يكون الحادث الأول من نوعه.. هذا السبب يفسح المجال للشقيقة "أين". المكان الأول فعنصر المكان يتقدم غيره من العناصر بسبب اختيار "مكان الانتحار" وذيوع شهرته.

٥ - السبب .. (لماذا؟) :

كثيرا ما يكون سبب الحادث أو الحافز عليه عنصراً من عناصر الخبر، فإذا عز على المندوب أن يتبين سبب الحادث أو علته، فقد تضيع عليه فرصة استهلال خبره بعنصر مشوق.. وللتمثيل على ذلك نورد المقدمة الاستهلالية التالية:

مثال ٨ - "بسبب إسراع السائق ليكون إلى جوار فراش أمه المحتضرة أصيب إصابة خطيرة فى حادث نقل على أثره إلى مستشفى الحسين الجامعى.. فقد اصطدمت مقدمة السيارة التى كان يقودها السيد زيد بسيارة أخرى واقفة عند تقاطع شارعى .. و...". وهكذا يحرص المندوب على أن يبرز سبب الحادث فى المقدمة الاستهلالية للخبر نظرا لأهمية التساؤل (بلماذا؟) فى هذا الحادث بالذات.

مثال ٩ - بأمر الجان .. نفذت سيدة حكم الإعدام فى صديقة لها عمرها ١٩ سنة زاعمة أنها تنفذ أوامر الجان والغريب أن الفتاة استسلمت للقتل دون أى مقاومة وأن السيدة قامت بإبلاغ الشرطة بجريمتها".

مثل هذا الخبر كان من الممكن أن يبدأ بالطريقة التقليدية "قتلت سيدة صديقة لها.." ثم نبدأ بعد ذلك فى رواية الأسباب .. ولكن من الواضح أن السبب قد تقدم غيره

(١) الحمامصى: المندوب الصحفى ص ٦١.

من العناصر، لأن السيدة المريضة توهمت أن الجان هم الذين أصدروا إليها حكم الإعدام فى صديقتها فنفذته على الفور!

ويمكن تسمية هذا النوع السببى من أنواع المقدمات بمقدمة **"الدافع"** حيث تكشف دائما عن الدوافع والأسباب فى حادث من الأحداث، تؤدى إلى نتائج معينة.

٦ - مقدمة الطريقة (كيف؟)!

والتساؤل "بكيف" يصلح أحيانا فى المقدمة الصحفية ليكشف عن **"الطريقة"** أوكيفية حدوث الحدث، ومن أمثلة ذلك:

مثال ١٠ - اندفع السائق من نافذة السيارة عقب اصطدام مقدمتها بسيارة أخرى فنقل إلى المستشفى فى حالة سيئة.. وقد وقع الحادث للسيد زيد فى طريق صلاح سالم.

وهنا يبرز المندوب "طريقة" وقوع الحادث للسائق، حين يقدّم عنصر الإجابة عن **"كيف"** على سائر العناصر المكونة للخبر.

التجديد فى تحرير
المقدمة الصحفية:

وفى تحرير المقدمات الصحفية؛ فى صدر الخبر؛ أو الموضوع الصحفى؛ وفنون المعالم من: تحقيق؛ وحديث؛ وتقرير؛ ومقال؛ يستطيع المحرر استهلال الخبر أو الموضوع عن طريق عدة أشكال تعتبر فى حد ذاتها نوعا خاصا من أنواع المقدمات الخبرية، لأنها لا تحرص على مراعاة استخدام العناصر الستة فى صدر الخبر، ولعل المقصود من هذه الطرق الجديدة هو أن تكون وسيلة من الوسائل التى يراد بها إضفاء الوضوح والتميز على طابع الخبر. ويلاحظ أن معظم الطرق الجديدة من المقدمات الخبرية يعتمد على عنصر الترقب والانتظار اعتمادا كبيرا لإثارة اهتمام القارئ من هذه الزاوية، وربما "ورد فى المقدمة عنصر من العناصر الاستفهامية الستة، غير أن بقية العناصر ترد عادة قبل أن يصل القارئ إلى نهاية الفقرة الثانية أو الثالثة من الخبر(١)".

وقد أثبتت عدة أشكال من هذه الطرق صلاحيتها للقراءة وأصبحت بمثابة قواعد قياسية تقريبا فى كتابة المقدمة، ولكنها لا تنفصل عن طبيعة المادة الخبرية بحال من الأحوال، ذلك أن هذه الطبيعة هى التى تملى على المحرر اختيار الطريقة الملائمة للمقدمة الخبرية.

١ – المقدمة الساخنة:

يقول "هوارتون": إذا استطاع المحرر أن يحتفظ فى أسلوبه بعامل الإثارة الذى أودعه العبارة الأولى، لكان أحد طلبة الجامعة من الكتاب الأفذاذ، فقد بدأ ذلك الطالب قصته: "بحق الشيطان.. قالت الدوقة وهى تشعل سيجارتها.. الخ.

وتقوم المقدمة الساخنة على أساس من حشد جميع عناصر الإثارة فى الجملة الأولى من الجمل التى يشتمل عليها الصدر، وهى الجملة التى تقوم مقام العنوان فى معظم الأحيان.

---

(١) د. حمزة : المرجع السابق ص ٩٧ .

مثال ١ – رئيس جمعية منع المسكرات يدخل السجن بتهمة ضبطه سكرانا فى الطريق.. قال له القاضي: لقد ارتكبت جريمة فادحة فى حق الأخلاق.. الخ.

هذا النوع من المقدمات يثير الاهتمام، فهو يعطى القارئ من المعلومات ما يكفى لتحريك شهيته إلى المزيد منها، لا أكثر.. وبعد المقدمة، تسرد القصة عادة حسب تتابع وقائعها الزمنية بحيث يحب القارئ أن يتابعها حتى النهاية. ليبلغ ذروتها. ويستعمل المحررون هذا النوع من المقدمات فى الأخبار القصيرة بصفة رئيسية على أساس النظرية القائلة بأن استعماله فى الموضوعات الطويلة يجعل القراء يحجمون عن الخوض فيها فقرة بعد فقرة.

مثال ٢ – "عاملان بالمطار يسرقان ملابس داخلية مصدرة للخارج من أجل استعمالها الشخصى.. فقد انتهز العاملان فرصة تكدس صناديق وأكياس الملابس بمخازن المطار وقاما بسرقة مجموعة من فانلات "جيل" المعدة للتصدير.. قام النقيب على فوزى بمباحث المطار بضبط المسروقات مخبأة داخل "الدواليب" الخاصة بالمتهمين وقد اعترفا بالسرقة وقالا إن الهدف من السرقة هو الاستعمال الشخصى وليس بقصد المكسب.. ومن المعروف أن هذا النوع من الفانلات غير متوافر فى السوق المحلى".

٢ – مقدمة الصورة:

من طرق التجديد فى صدر الخبر أن تعمد إلى رسم صورة حية للشخص الرئيسى فى القصة الخبرية، حتى تمكن القارئ من تخيل القصة بسهولة، دع القارئ يرى الشخص كما تراه ويتخيل الحادث كما رأيته بنفسك، .. وهذه المقدمة تفيد فى تحرير فنون المعالم؛ كما تستخدم فى الخبر أيضا:

مثال ٣ – كانت عيناه نصف مغمضتين وكان وجهه لا يعبر عن شىء عندما ارتمى عمرو عبدالباقى على المقعد والنائب العام يصفه بأنه قاتل لا قلب له".

مثال ٤ – "خطوات متزنة مثل نغمات موسيقاه الهادئة الرائعة، والأنظار كلها مركزة عليه، تقدم الطفل (وهنا يذكر اسم الطفل) إلى المنصة الكبرى فى قاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة ليصافح نائب رئيس الجمهورية الذى جاء إلى الحفل ليقلد هذا النابغة الصغير نيشان الفنون تقديرا من الدولة لنبوغه.. لم يلتفت الطفل

يمينا أو يسارا.. لم يهزه دوى التصفيق الذى انبعث من كل ركن فى القاعة الكبرى. نظرة واحدة هى التى جعلت الدموع تترقرق فى عينيه. إنها نظرة أمه إليه التى كانت تجلس إلى جانب نائب رئيس الجمهورية . لقد تقدم منها وقبل أن يقدم يده لمصافحة نائب الرئيس انحنى على يدها وقبلها قبلة الوفاء.. واحتضنته أمه.. ودوت القاعة بالتصفيق الذى لم تشهد القاعة مثله من قبل".

هذا التصوير "البسيط" فى ألفاظه - كما يقول الأستاذ الحمامصى - والذى روعى فيه أن يكون كل لفظ فيه معبرا ببساطة لا تعقيد فيها، هو الذى يحرك مشاعر الجماهير القارئة ويجعلها تحس أنها ترى ملامح "الصورة" الخاطفة التى مضت بين تقدم الطفل من مكانه إلى حيث طبع على يد أمه قبلة الوفاء..

٣ - المقدمة المقارنة :

من طرق التجديد كذلك: الاعتماد على المفارقات والتناقضات... وفى هذا النوع من المقدمات يقابل المحرر بين المفارقات والأضداد؛ كمقابلته بين الصغير والكبير، والملهاة والمأساة، والماضى والحاضر:

مثال ٥ - " أقيم هنا احتفال عظيم من خمسين سنة .. فقد احتشد الناس جميعا لمشاهدة عملية إرساء الحجر الأساسى لأول مبنى ارتفاعه ستة طوابق يقام فى المدينة. أما اليوم فلم يحفل بارساء الحجر الأساسى لعمارة "هالى" التى سترتفع إلى خمسة عشر طابقا.

فالمقابلة بين الأضداد تجد طريقا سهلا إلى قلوب القراء ونفوسهم فإذا وقف عملاق فى السيرك يصافح قزما فإن هذا المنظر يثير الجماهير أكثر مما يثيره منظر كل واحد منهم على حدة، ونفس الشىء ينطبق على فنون التحرير الصحفى.

مثال ٦ - "لقد كانت الوحوش الضاربة فى الغابة حيوانات أليفة يلهو بها (فلان) وهو يصيد النمور فى الأسبوع الماضى.. واليوم يرقد صاحبنا فى المستشفى بسبب فأر وليد ... .

مثال ٧ - "حصل عبد السميع إبراهيم أمس على جائزة مائة جنيه لأنه ساق سيارته التاكسى ٢٥ عاما دون أن يرتكب حادثة أو توقع عليه مخالفة مرور واحدة.. ويعد

أن غادر مكان الحفل فى طريق عودته إلى منزله ليحتفل مع أولاده بهذه الجائزة صدم طفلة صغيرة فى الطريق فماتت لفورها وبات ليلته فى السجن[1].

٤ – المقدمة التساؤلية:

اختلف علماء الصحافة فى هذه الطريقة فبعضهم يرى أن استهلال القصة الخبرية بسؤال فيه غموض على القارئ" ومعناه عدم نقل معلومات جديدة إليه، وإنه من واجب الصحفى أن ينقل الأنباء إلى القارئ لا أن يقدم إليه سؤالا.. ورغم وجاهة الحجة، فإن بدء القصة بسؤال قد يكون بداية ناجحة فى بعض الأحيان لإثارة اهتمام القارئ.

مثال ٨ – "هل من حق الزوج أن يصفع زوجته إذا رفضت أن تغلق الباب؟ تلك هى المشكلة التى واجهت القاضى (وهنا يذكر اسمه) فى محكمة الأحوال الشخصية. وقد قضى بالنفى[2].

وتعد الطريقة التساؤلية بعيدة الأثر متى كان قوام مشكلة من المشكلات التى يعز الاهتداء إلى علاج لها مثل:

مثال ٩ – "كيف يمكن إنقاص عدد ضحايا حوادث المرور؟

"هذا سؤال بحثه اليوم ثلاثة من كبار المسئولين فى المدينة هم: المحافظ ومدير المرور ونقيب السائقين بعد أن تلقوا نبأ وفاة شخص سابع نتيجة لحوادث المرور فى هذا الشهر[3].

وتستخدم المقدمة التساؤلية كذلك فى الأخبار ذات الصلة بواجب الجمهور إزاء بعض الإجراءات الحكومية وغير الحكومية ، مما يكسب الخبر نوعا من الجدية والأهمية.. حتى ولو لم يكن فيه سوى التنبيه فقط :

مثال ١٠ – هل دفعت الضرائب المطلوبة منك؟".

يذكر ابن وهب فى "البرهان" أن أنواع البحث والسؤال التى يمكن الإفادة منها فى المقدمة التساؤلية، تسعة أنواع:

---

(١) الحمامصى : المرجع السابق ص ٨٠.
(٢) كارل وارين : المرجع السابق ٦٠ .
(٣) جونسون وهاريس : المرجع السابق ص ١٢٤ .

أولها: البحث عن الوجود بـ **"هل"** تقول "هل كان كذا وكذا" فيقال .. "نعم" أو "لا" (وذلك فى الفقرة التالية للفقرة التساؤلية فى المقدمة بطبيعة الحال، كما رأينا فى الأمثلة المتقدمة).

والثانى: البحث عن أنواع الموجودات بـ "هل" كان كذا وكذا فيقال.. "نعم" أو "لا" (وذلك فى الفقرة التالية للفقرة التساؤلية فى المقدمة بطبيعة الحال، كما رأينا فى الأمثلة المتقدمة).

والثالث: البحث عن الفصل بين الموجودات بـ **"أى"** نقول: "أى الأشكال المربع؟" فيقال: "هو الذى تحيط به أربعة خطوط" .

والرابع: البحث عن أحوال الموجودات بـ **"كيف"** تقول: كيف الإنسان". فيقال: منتصب القامة".

والخامس: البحث عن عدد الموجودات بـ **"كم؟"**.

والسادس: البحث عن زمن الموجودات بـ **"متى"** تقول: "متى كان هذا؟ فيقال "فى زمن الرشيد".

والسابع: البحث عن مكان الموجودات بـ **"اين"** تقول "أين زيد؟ فيقال: "فى الدار".

و**"من"** لا تستعمل إلا فى المسألة عمن يميز ويعقل.

والثامن: البحث عن اشخاص الموجودات بـ **"من"** تقول "من خرج؟ "فيقال زيد".

والتاسع: البحث عن علل الموجودات بـ "لِمَ".

٥ – المقدمة الاقتباسية :

وقد تسمى **"مقدمة الحديث المنقول"**، ذلك أنه فى بعض الأحيان تبرز عبارة صغيرة أو جملة مقتضبة فى تصريح أو حديث خاص، وتظل وحدها أهم نقطة فى الحديث كله، ومثل هذه العبارة جديرة بأن تتصدر المقدمة الصحفية، ولكن يجب على المحرّر أن يشرح تلك العبارة فى صلب الخبر:

مثال ١١ – "أستطيع أن أقتل أى واحد منكم بثلاثمائة دولار" .

"هكذا أعلن رئيس البوليس (وهنا يذكر اسمه) على ثلاثمائة من أعضاء نادى (كذا) الذين اجتمعوا أمس. ثم استطرد رئيس البوليس يقول: "لقد هبطت أسعار القتلة المحترفين كثيرا فى العام الأخير[1]".

وفى معالجة الأخبار السياسية وغير السياسية ذات الصلة بالجمهور والتى قد يكون فيها تحديد مصائر وسائل معينة، ينبغى أن تبدأ المقدمة بجملة مقتبسة أوعبارة قوية:

مثال ١٢ - "قال وزير الخزانة إن قانون تعديل ضريبة كسب العمل سيصدر خلال أيام .. [2].

فمن الأفضل أن تبرز فى مقدمة الخبر كلاما "منسوبا" إلى مصدر مسئول.

مثال ١٣ - "إن ثقتى كاملة فى الوزير (وهنا يذكر اسمه) ولن يخرج من الوزارة".. بهذه الكلمات قال (وهنا يذكر اسم المسئول) كلمته الحاسمة فى مؤتمره الصحفى الذى عقده أمس[3].

وهنا يستشهد المحرر بقول هام موجز أفضى به صاحبه، والأغلب أن يكون شخصا، مسئولا أو مشهورا أو ذا حيثية:

مثال ١٤ - "السادات يعلن : "المصالحة الوطنية اللبنانية تمثل خطوة السلام القادمة" وذلك فى الكلمة التى ألقاها الرئيس السادات فى ختام أعمال المؤتمر الاستثنائى للقمة العربية".

٦ - المقدمة الوصفية:

وإذا كانت مقدمة **"الصورة"** نعنى **بالشخص** أو الأشخاص الذين اشتركوا فى صنع الخبر، فإن المقدمة **الوصفية** تعنى **بالمنظر** الذى وقع فيه الحادث إذا كان أهم من الأشخاص، وبوسع المحرر فى هذه المقدمة أن يعدّ المسرح لتمثيل قصته الصحفية، فيصف المشهد المعنى بالخبر أو الموضوع؛ وأكثر ما يكون ذلك فى الحفلات والمهرجانات والمعارض العامة، والحدائق، والأماكن التى تصنع فيها الأحداث ونحو ذلك:

---

(١) كارل وارين : المرجع السابق ص ٦١ .
(٢) الحمامصى : المرجع السابق ص ٨٢ .
(٣) الحمامصى : المرجع السابق ص ٨٢.

مثال ١٥ - " نفد منه الوقود، وليس عنده مظلة، ولكن الحظ حالفه، واستطاع طيار ذو أعصاب من حديد أن يهبط مضطرا ليلة أمس فى عاصفة ثلجية بالقرب من مطار (...) دون أن يصاب بأذى إلا من خدشات بسيطة فى جناح الطائرة.

مثال ١٦ - "بريق أخضر يخطف الأبصار أضاء ليلة أمس نصف المحافظة عندما شاهد الناس طريقا من نار يصل الأرض بالسماء ويسقط منه شهاب ملتهب فى بحيرة راكدة بالقرب من (وهنا يذكر أسم المدينة) [١].

مثال ١٧ - تحولت معارك سيناء - التى بدأت صباح يوم الأربعاء - إلى أكبر صدام، بالدبابات فى تاريخ الحروب فى العالم يدور فيه قتال شرس وعنيد بمئات الدبابات ومئات العربات المدرعة وبطاريات المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات وكذلك قوات الطيران والدفاع الجوى..

"وقد ذكر خبراء وزارة الدفاع الأمريكية الذين يتابعون المعركة. مع كل الدوائر العسكرية فى العواصم الكبرى . أن معركة الدبابات الحالية ربما تكون لها نتائج هامة فى سير القتال كله، وأضاف الخبراء أن هذه المعركة الضخمة قد لا تنتهى قبل بضعة أيام أخرى".

٧ - المقدمة الإذاعية :

ومن طرق التجديد فى صياغة صدر الخبر أو الموضوع الصحفى؛ أيضا الطريقة التى تسمى بالخطاب المباشر أى توجيه الخطاب إلى القراء مباشرة، غير أن هذه الطريقة . أقرب للإذاعة وبها أشبه، ولذلك نسميها بالمقدمة الإذاعية الشخصية التى تستثير الاهتمام. فالمحرر يخاطب القارئ مباشرة أو ضمنا، باستعمال ضمير المخاطب "أنت" ومن شأنه أن يحمل القارئ على التضامن معه بالنسبة إلى القول الذى يتبع.. وغالبا ما يبدأ هذا الأسلوب بعبارات مثل: **"لو أنك فكرت قط"** أو"لو أنك شاهدت أو قرأت قط".

مثال ١٨ - إذا كنت تظن أنك تتحمل الكثير عندما تضطر إلى الاستماع إلى شقيقتك الصغرى وهى تتمرن على البيانو، فارث لحال (فلان) الذى كان عليه أن

(١) كارن وارين : المرجع السابق ص ٦٠.

يستمع خلال الثلاثين سنة الماضية إلى ٢٠،٥٠٠ طفل وهم يعزفون على البيانو . ومع ذلك يحبّ عمله".

مثال ١٩ - لا تتوقع رحمة من خبير الأرصاد الجوية، لأنه يتكهن باستمرار موجة البرد.

وإذا كانت الأصالة تأبى النمطية التى تتعدى حدود القول العام. فإن طريق التجديد أمام المحررين الممارسين الذين يخترعون كل يوم جديدا فى كتابة صدر الخبر أو مقدمة الموضوع الصحفى؛ تقتضى من المحررين التفكير الدائب؛ ابتداء من جمع المعلومات عن خبر من الأخبار، وحتى لحظة كتابتها، لإيجاد مقدمة مناسبة: يختار لها هذا العنصر او ذاك؛ من العناصر؛ والذى يتقدم غيره فى الأهمية، حتى ليمكننا أن نذهب إلى أن الطريقة المثلى لاكتساب الخبرة التحريرية إنّما هى فى ممارسة تحرير المقدمات الصحفية.

ثانيا: حلقة الاتصال فى الهيكل الصحفى

بعد الانتهاء من كتابة المقدمة ووضعها فى صيغتها النهائية تبدأ المهمة الثانية وهى سرد الموضوع. ويشبه "وارين" المقدمة بالرأس والأكتاف من التمثال، والصلب بمثابة الجسم، وعلى المحرّر أن يلائم بين هذين الجزئين ملاءمة تامة.

ذلك أن فنون التحرير الصحفى تعتمد على لغة النثر، وهى فنون أقرب ما تكون إلى فن الترسل فى تراثنا، والترسل من : "ترسلت - أترسل - ترسلا" وأنا مترسل كما يقال "توقفت بهم - وأتوقف - توقفا، وأنا متوقف ولا يقال ذلك إلا فيمن تكرر فعله فى الرسائل... ويقال " أرسل - يرسل - إرسالا - وهو مرسل، والاسم "الرسالة" أو" راسل يراسل وهو مراسل، وذلك إذا كان ومن يراسله قد اشتركا فى المراسلة.. وأصل الاشتقاق فى ذلك أنه كلام يراسل به من بعيد، فاشتق له اسم الترسل، والرسالة من ذلك".

فإذا كنا نتفق على أن المحرر يقوم بدور "المرسل" فى نظرية الإعلام وأنه يقوم بتحرير "الرسالة" "الإعلامية" وهى هنا فن الخبر او الموضوع الصحفى، فإنه لابد كما يقول علماء البلاغة. أن يكون "عارفا بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين به، فلا يستعمل الايجاز فى موضع الإطالة فيقصر عن بلوغ الإرادة ، ولا الإطالة فى موضع الإيجاز فيتجاوز فى مقدار الحاجة إلى الإضجار والملالة"

ومن أجل ذلك عنى القدامى من الصحفيين بوضع قواعد يستطيع المحرر المبتدئ، إتباعها، فلا بد بعد كتابة المقدمة أن يعثر المحرّر على جسر يربطها دون افتعال أو التواء ببقية الخبر، وغالبا ما يكون هذا الجسر جملة أو جملتين على الأكثر:

مثال ١ - "وصف (تيرز) مدير إدارة الحدائق الاقتراح بأنه سخيف وليس فيه نوع من الاقتصاد، ورفض مشروعاً لبناء حديقة حيوانات صغيرة تكلف ٢٥ ألف دولار فى الجزء الشمالى من حدائق جرين ميدلز".

"وقد ناقش جرين المشروع مع أعضاء جمعية الحيوان فى المدينة أثناء مأدبة أقيمت فى فندق شيراتون".

"وكيف نحصل أولا على مبلغ ٢٥ ألف دولار؟ تساءل جرين... . وهكذا جاءت الفقرة الثانية جملة واحدة تربط بين المقدمة والموضوع وغالبا ما تكون هذه الفقرة جوابا عن أحد الأسئلة الستة، وعادة ما تكون جوابا عن سؤالى: أين .. ولماذا ؟

ومع أن الخبر قد لا يتطلب حلقة الاتصال هذه؛ إلا أنها فى الواقع كما يذهب إلى ذلك الاستاذ الحمامصى . تخدم واحدا من الأغراض الآتية:

(أ) أنها **"تكمل" بعض البيانات الأساسية** التى قد لا يكون لها مكان فى المقدمة خشية أن تسبب ازدحاما بها .

(ب) أنها **توفر المكان لابراز واقعة أو أكثر أهمية** من وقائع المقدمة.

(ج) إنها قد تفسح المجال أمام **تسجيل تصريح منسوب** إلى شخصية رسمية وهذا التسجيل يعطى قيمة للخبر، وفى نفس الوقت يدعم ما جاء فى المقدمة.

(د) **تفسر واحدة من الشقيقات الخمس**، وهى فى الغالب **"لماذا"**.

(هـ) **تلخص ما سبق حدوثه** فى فترة سابقة - إذا ما كان الموضوع الصحفى **تكملة لموضوع** سبق نشره فى اليوم السابق أو منذ فترة زمنية غير محددة.

ويذهب بعض العلماء إلى أن الجهد المستمر لتقصير الجمل إنما يكون فى الغالب على حساب الوضوح، ولذلك يجب على محرر الأخبار أن يكون أثناء معالجته لمادة خبرية، هادئا متجردا موضوعيا، فى معالجة الحقائق التى قد يكون جمعها بنفسه أوتلقاها من مصادر أخرى، وعلى أية حال عليه أن يختار أهم حقيقة فى مجموعة الحقائق المعروضة أمامه ليضع منها المقدمة، ويأتى بعد ذلك دور تحرير هيكل الخبر، وهنا عليه أن يشرح المقدمة. وأثناء هذه العملية كلها عليه أن يتذكر ضرورة استعمال الجمل القصيرة نسبيا، والمرتبة فى فقرات قصيرة، ومكتوبة بألفاظ مألوفة وكثيرة التداول، وبلغة واضحة قوية، كما يجب أن يكون الخبر فى مجموعه قصيرا.

والإصرار على ذكر مصدر الخبر - شخصا أو مؤسسة أو جماعة - يسبب للمحرر غير الخبير الوقوع فى حيرة تؤدى إلى تشويش مقدمته. وليس من الضرورى أن تذكر أسماء المصادر أو ألقابهم أو أماكن عقد المؤتمرات الصحفية فى المقدمة، ذلك أنها ستجد مكانها الطبيعى فى حلقة الاتصال التى تمثل الفقرة الثانية فى أغلب الأحوال.

وعلى الرغم مما يتمتع به الفن الصحفى من حرية فى نقل المعلومات، إلا أنه لا يجوز لأى محرر أن يضمن وجهة نظره الخاصة فى خبر ما، وإنما يحتفظ بها ليكتبها فى

مقال أو تعليق، ولذلك يلقى مبدأ فصل أعمدة الأخبار عن أعمدة المقالات الافتتاحية تأييدا عاما من جميع الأوساط الصحفية المسئولة. وإن لم توجد هناك اتفاقية عامة حول أين تبدأ هذه وأين تنتهى تلك. فالهدف واضح على أقل تقدير، وعندما يوضع موضع التنفيذ يصبح موضع معالجة خاصة(١).

ويرتبط اصطلاح **"التنويع اللطيف"** بحلقة الاتصال، وهيكل الخبر أو الموضوع الصحفى؛ بوجه عام اتصالا وثيقا، ويعنى به علاج الرتابة فى تحرير الأخبار والفنون الصحفية الأخرى، فمثلا كثيرا ما يلاحظ فى نشرات وكالات الأنباء أن كلمة "قال" استعملت فى كل فقرة من فقرات الخبر، ولما كانت كلمة "قال" هى الكلمة الصحيحة، وتمنع "التنويع اللطيف" فليس هنالك من سبب يحول دون استعمالها مرة بعد أخرى ولكننا يمكن أن نستخدم كلمات مثل **"صرح"** و**"أعلن"** و**"أكد"** الخ وفقا لطبيعة المعلومات المتضمنة فى الخبر بطبيعة الحال.

ويقوم تحرير الخبر على مبدأ وضع فكرة واحدة فى كل جملة، كوسيلة لتوضيح كتابة الأخبار، ومن المؤكد أنه لا توجد قاعدة سواء أكانت مكتوبة أومتفقا عليها، تجبر محرر الأخبار والموضوعات الصحفية؛ على تكديس كل المعلومات فى المقدمة، ولذلك فإن حلقة الاتصال تقوم بدور أساسى فى تحقيق هذا المبدأ، بحيث تظل أقوى المقدمات تأثيرا هى التى تقود اهتمام القارئ إلى هيكل الخبر أو الموضوع الصحفى.

وغالبا ما يكون اختصار فقرات الأخبار من المعضلات بالنسبة إلى محرر الأخبار عديم الخبرة، ولعله يكون قد اعتاد على الجمل الطويلة التى يبدأ المبتدأ فيها فى أول الصفحة، ولا يأتى الخبر إلا فى آخرها، ولذا فإنه يشعر بأنه من الصعب عليه فهم معنى الفقرة فى دنيا الصحافة، ولا يمكن أن يدرك بسرعة أن المقصود بالفقرة هو خلق انتباه عند القارئ.

وعندما يكتب الخبر بطريقة الفقرة الكاملة فإن كل فقرة باستثناء الأولى يمكن فصلها عن الأخرى. ويقصد من هذه الطريقة إتاحة الفرصة لاختصار الخبر من نهايته، ولو

(١) نفس المرجع ص ٨٤، ٩٢.

افترضنا أن المحرر المسئول عن الإخراج لم يكن منتبها وقطع فقرة من آخر الخبر فإن ذلك لا يسبب إلا مشكلة ضئيلة.. وأنه لتقليد متبع أن **تحرر الأخبار بصيغة الماضى للصحف، والعناوين بصيغة الحاضر فى معظم الأحيان.** وذلك بهدف **تحقيق صفة الفورية الإعلامية** على صفحات الصحف.

وإذا كان النقاد يذهبون إلى أن أسلوب الهرم المقلوب يرغم المحرر على ذكر القصة الخبرية ثلاث مرات أو أربع، مرة فى العنوان وثانية فى المقدمة، وثالثة فى حلقة الاتصال ورابعة فى صلب الخبر ذاته.. فإن هذا التكرار ليس عيبا فى الأسلوب الصحفى فى التحرير؛ كما يذهب إلى ذلك هؤلاء النقاد.

ونذكر هنا ما تذهب إليه البلاغة العربية من أن الإطالة مستحبة فى مخاطبة العوام، ومن ليس من ذوى الإفهام ومن لا يكتفى من القول بيسيره، ولا يتفتق ذهنه إلا بتكريره، وإيضاح تفسيره" .. والمعروف أن جمهور الصحافة جمهور عام وليس جمهورا خاصا .. يقول ابن وهب: "ولهذا استعمل الله عز وجل - فى مواضع من كتابه تكرير القصص، وتصريف القول، ليفهم من يبعد فهمه، ويعلم من قصر علمه، واستعمل فى مواضع أخرى الإيجاز والاختصار لذوى العقول والأبصار.

ويقول: إن الإطالة "تحسن وسط الكلام فى تفسير الجمل، وتكرار الوعظ، وإفهام العامة، ويليق ذلك بالأئمة والرؤساء ومن يقتدى به، ويؤخذ عنه".

ثالثا: الأنماط التحريرية فى بناء الهرم

وشكل الهرم المقلوب الذى توجد قاعدته إلى أعلى يصبح أسلوبا خبريا عاما، يقوم على مبدأ أساسى هو مبدأ **"الأهمية والدلالة الخبرية"** ولذلك تتضمن المقدمة **"أهم"** حادث أو حقيقة ، ثم يستمر بناء الهرم قائما على مايلى ذلك أهمية، سواء أكان حادثا أم حقيقة أم تفصيلا من التفصيلات ، ثم الأقل أهمية، فالأقل، وهكذا ..

على أن هذا الأسلوب الهرمى فى تحرير الخبر، يمكن أن يتضمن فى ثناياه، ثلاثة أنواع من الأنماط التحريرية ، تقوم فى منطلقها وصلبها على طبيعة المادة الخبرية ذاتها، فالخبر الذى يقوم فى جوهره على **الوقائع أو الحقائق** يصلح له: **النمط السردى.** والخبر الذى يقوم فى طبيعته على **"العمل"** أو **"الحركة"** يصلح له نمط **"القصة الخبرية"**

وأما الخبر الذى يتعلق **بتصريحات** أوأقوال منسوبة لأشخاص أو "**حديث منقول**" فيصلح له: "**النمط الاقتباسى**".

على أن هذه الأنماط التحريرية ليست قوالب جامدة تصعب على التجديد، ففى مقدور المحرر المتمرس أن يتبع نمطا جديدا يتفق وشخصيته، وطابع الخبر أو الموضوع الصحفى ذاته.

١ - النمط السردى:

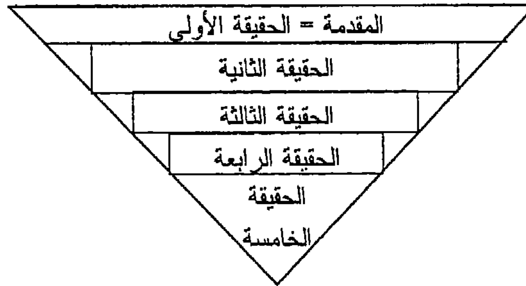
ويقوم هذا النمط السردى فى تحرير الخبر، على أساس من طبيعة الخبر كما تقدم، وهى هنا تقوم على "**الوقائع**" أو"**الحقائق**" المرتبطة برباط وثيق. ويتطلب هذا النمط التحريرى[١]:

(أ) التوفيق فى اختيار المقدمة وتطبيق ما درسناه حولها.

(ب) ترتيب الوقائع بعد ذلك حسب أهميتها - (وهذا هو الأهم).

(جـ) الربط بين هذه الوقائع أو الحقائق - ربطا متجانسا بحيث يخرج الخبر مستكملا فى نهاية الأمر؛ لكل الاعتبارات الفنية.

وهكذا نجد أن الأسلوب الهرمى فى هذا النمط السردى يتكون على النحو التالى:



فالأجزاء التى يتكون منها النمط السردى، هى المقدمة والتى تتضمن الحقيقة الأولى التى تمثل الأهمية الأكبر بين زميلاتها، ثم تليها الحقيقة الثانية وهى التى تمثل بعدها مكانا مهما، وهنا تتوسع فى سرد الحقائق .

(١) الحمامصى : المرجع السابق ص ٥٩ .

مثال ١:

المقدمة - الحقيقة الأولى:

"مصر تشهد اليوم أول انتخابات من نوعها لاختيار مجلس الشعب الجديد.. يتوجه اليوم ٩,٥ مليون ناخب وناخبة إلى ١٥ ألف لجنة انتخابية فى أول انتخابات من نوعها لمجلس الشعب يتم اجراؤها فى إطار التنظيمات السياسية الجديدة.

الحقيقة الثانية:

"وقد بلغ عدد المرشحين فى هذه الانتخابات ١٦٦٠ مرشحا يجرى التنافس بينهم لاختيار ٣٤٦ عضوا للمجلس الجديد الذى حدد يوم الخميس ١١ نوفمبر موعدا لعقد جلسته الافتتاحية.

الحقيقة الثالثة:

"ومن هذا العدد من المرشحين: ١٧١ من تنظيم الأحرار الاشتراكيين (اليمين) و ٥٢٧ من تنظيم مصر العربى الاشتراكى (الوسط) و ٦٥ من تنظيم التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى (اليسار)، و٨٩٧ مرشحا، الخ.

وهكذا لا نجد صعوبة فى تركيب النمط السردى القائم على الحقائق أوالوقائع، ومفتاح التنظيم الصحيح فى هذا النمط التحريرى هو تقدير قيمة المعلومات التى تم جمعها حسب ترتيب أهميتها، فى فقرات مختصرة مركزة يزيد الارتباط بينها من قوة الخبر وتسلسله، بحيث ينتقل الخبر من الحقيقة الأولى إلى الثانية إلى الثالثة وهكذا.

٢ - نمط القصة الخبرية:

القصص فى اللغة هو تتبع الأثر لمعرفة المكان الذى نزل به اصحابه وسلكوه، والمعنى اللغوى أقرب إلى الدلالة الصحفية للقصة كما سنرى. ومن هنا - كما يقول الأستاذ العقاد، رحمه الله، للحكاية عن القوم أنها قصة، لأن من يحكى عنهم يتتبع أثرهم ليعرف خبرهم فهو يقص سيرتهم فى الزمان كما تقص السير فى المواقع والجهات.

وقد وردت الكلمة فى القرآن الكريم بالمعنيين فى سورة واحدة. فجاء فى سورة الكهف: **"فارتدا على أثارهما قصصا"** بمعنى تتبع الأثر لمعرفة الطريق، وجاء فيها: **﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾** بمعنى تتبع الخبر فى التاريخ.

ويذهب العقاد[1]. إلى أن كلمة القصص فى القرآن الكريم تنصرف على عمومها إلى معنى الهداية إلى الأخبار والآثار الباقية من سير القرون الغابرة، وهى تساق فى الكتاب لمقاصد كثيرة تجمعها كلها هذه المقاصد الثلاثة:

فهى تساق **للعبرة والموعظة**، أو تساق **للقدوة وتثبيت العزيمة** أو **تساق للتعليم والهداية**.

وتُتلى قصص العبرة والموعظة فى القرآن الكريم لتذكير الأحياء بمصائر الغابرين من الأمم الأولى، وكانت توصف بأنها أساطير الأولين من الكلام المسطور أى المكتوب، وقد تكون الكلمة إحدى الألفاظ التى تعربت عن اليونانية لأن، **"الاستوريا"** عندهم بمعنى الخبر المسجل أو المعروف، ولا يبعد أن يكون اليونان قد أخذوها عن العرب، لأنهم أخذوا الكتابة عن الأمم السامية، وسبقهم عرب الشمال وعرب الجنوب إلى رسم الحروف، ولا تزال أسماء **"الألفا والبيتا والجما"** عندهم منقولة من الألف والباء والجيم، بل يرجح أن كلمة **"كلموس"** اليونانية أى **"القلم"** منقولة عن العربية، لأن القلامة أصيلة فيها ومن مادتها "القصم والقضم والقطم والقحم والقرم" وكلها تفيد القطع كما يفيده التقليم، وكذلك السطر والشطر بمعنى الخط أو القط فى العربية، يقال سطره وشطره وخطه وقطه بمعنى واحد، فليس من البعيد أن تنتقل هذه الكلمات مصاحبة للكتابة التى لا شك فى انتقالها من الأمم السامية إلى اليونان.

وقد ترددت فى القرآن الكريم أخبار الأولين على سبيل العبرة والموعظة وكان مدارها جميعا على تحذير الأمم الباقية من الاغترار بالمتعة.. كما اغترت بها الأمم الخالية، وكانت هذه العظات - كما يقول العقاد كذلك[2] - ألزم العبر لتلك الأمم التى آمنت بالأوثان والأرباب ولم تؤمن بالوحدانية، فإنها إذا علمت أن أربابها لن تحميها من الكوارث، ولا تقدر على إصاباتها بها، ذهب إيمانها بتلك الأرباب، ووجب عليها أن تبحث عن قوة إلهية تملك القدرة التى عجزت عنها معبوداتها.

وفى القرآن غير القصص التى تدعو إلى العبرة بمصير الكافرين أنباء تروى عن الأنبياء الذين أرسلوا إلى الأمم الغابرة فكذبتهم وتنكرت لهم، ثم ظهرت دعوتهم، وحاقت النقمة بمن كذبوهم وأنكروهم، وبقيت قدرتهم لينتفع بها من يعمل عملهم،

(١، ٢) فن المقال الصحفى فى أدب العقاد؛ القاهرة، هيئة الكتاب ص ٢٦٢.

ويقفو أثرهم، ويلقى من قومه مثل ما كانوا يلقونه من أقوامهم.. **"وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك"** كما جاء فى سورة هود .. وهذه على الجملة حكمة القصص، والتى جاءت فى الكتاب عن جهاد الرسل وعاقبة الصبر على الدعوة، تثبيتا للأفئدة وتبشيرا للدعاة والمصلحين بعاقبة الصبر على الجهاد.

والقصة الخبرية، لا تخرج فى دلالتها الحديثة، عن محاولة قصّ النبأ بالحق، ومن هنا كان الفرق كبيرا بينها وبين القصة الأدبية الخالصة، فالقصة الأدبية ليست مقيدة بقصّ الحقيقة، لأن مجال الخيال أمامها طلق فسيح، والوصف فيها أدبى من حيث الحياة والأشخاص ومجال الأحداث، وصراع الأشخاص النفسى، ولذلك كانت القصة الأدبية حديثة النشأة، تختلط فيها الحقائق الإنسانية بالأمور الخيالية فتبعد كثيرا عن حقيقة الواقع، لما يتميز به الأدب من ذاتية يستبعدها التحرير الصحفى الموضوعى من خصائصه.

وليست القصة الأدبية الحديثة تقريرا عن التجربة، كما نجد فى القصة الصحفية، ولكن الأدبية تصوير حى للتجربة، يوحى بمعان تعتمد على خيال الكاتب وتتراءى من خلال موقفه الخاص فضلا عن الموضوعية التى تتميز بها القصة الصحفية، فإن هناك اختلافا فى البناء الفنى بين النوعين القصصيين، فالنوع الأدبى يقوم على التسلسل من البداية حتى الوسط والذروة ، فى النهاية، أو كما يذهب أ.م فورستر فى كتابه عن "القصة" فإنها تقوم على السرد المجرد لعنصر أساسى وبدائى، وهو يسميه الإغراء الواقع تحت باب **"ثم"**. وهو يتقدم سواه على أنه الجوهرى الوحيد بينها، لأنه سيبقى دائما هو الجوهر فى رواية القصص والخيط الذى يربط بين مراحل السرد. فقد تحاشت شهرزاد بلوغ المصير الذى بلغته الفتيات لأنها عرفت كيف تحسن استعمال هذا السلاح. سلاح التشويق الذى هو، كما يشير إليه "فورستر" مرة أخرى ، الأداة الأدبية الوحيدة التى لها اثرها فى الطغاة والمتوحشين.. فهى لم تعش إلا لأنها عرفت كيف تجعل الملك شهريار حائرا بالاستمرار فيما سيحدث بعد ذلك..

وكانت تتوقف كلما يدركها الصباح، فى منتصف جملة ما وتتركه فاغرا فاه. فتسكت شهرزاد عن الكلام المباح.

وإذا كانت الصحافة يجب أن تفيد من هذا العنصر، فإن عليها أن تطوعه لطبيعتها وخصائصها واسلوبها المتميز، ونعنى به أسلوب الهرم المقلوب، حيث تبدأ

القصة الخبرية بالذروة فى بداية الهرم، على النقيض مما تفعل القصة الأدبية التى ترجئ الذروة إلى أن يدرك شهرزاد الصباح.

فالقصة الصحفية تنشر الفكرة الأساسية أولا، ثم جسم الخبر أو التفاصيل بعد ذلك، بمعنى أنها تورد أحدث تطورات الخبر فى المقدمة أو الصدر، ثم تتبعه بسرد بسيط يلتزم فيه المحرر جانب التتابع الزمنى بعد ذلك، والصحيفة حين تستعمل كلمة **"القصة"** كلفظ عام يشمل المواد الخبرية، فإنما تستخدمها بمعنى مختلف عن المعنى الأدبى للقصة، حيث تلتزم الصحيفة بالوقائع الحية التى تحدث بالفعل، فهى تحكى عن المجتمع متتبعة **"أثر"** كل **"عمل"** أو **"حركة"** تتميز بها الأحداث، وهى تقص "سيرة" الأشخاص والشهود وبيانات أخرى تفصيلية من الواقع اليومى المعاش. فهى إذن تجد مثلها الأعلى فى الدلالة القرآنية لقصّ **"النبأ"** بالحق، وتتبع الخبر والآثار تسوقها للعبرة والموعظة، والمقدرة، على تثبيت العزيمة، وللتعليم والهداية، أو هكذا نتصور رسالة القصة الصحفية فيما ينبغى أن تكون.

والقصة الخبرية على هذا النحو هى التى تروى "الأنباء" المتعلقة "بعمل" أو"حركة" الا أن طبيعتها تشتمل فى الغالب على الوقائع والأحداث ووصف الأشخاص، وشهادة الشهود والمذكرات وما إلى ذلك، مما يتصف بالحركة والحيوية فى واقع الحياة اليومية.

وفى بناء هذا النمط الخبرى لا ينبغى على المحرر أن يصوغها على أساس من النمطين السابقين، فيكتفى بكتابة المقدمة أو صدر الخبر، ثم ينتقل إلى سرد الموضوع بترتيب الحوادث دون اعتبار للمعلومات الهامة التى قد تتضمنها القصة أو تفسير تلك الحوادث وتصويرها، ولكن حرصا على ألا تفقد القصة أهميتها - يجب أن يحرص على أن يكون هناك رباط وثيق بين وحداتها المختلفة؛ حتى وإن كان على حساب تطور الحوادث فى بعض الأحيان.

وهنا ينهض سؤال هام هو: **كيف يستطيع المحرر أن يصوغ قصته متناسقة قوية الأسلوب ويبقى فى الوقت ذاته على الحقائق بارزة فى ذهن القارئ؟**

والجواب: أنه يمكن بلوغ هذا الهدف بسرد ملخص كامل للقصة فى المقدمة، أى يضع المحرر فيها كل النقاط الهامة، ثم يتبع ذلك بملخص أوسع، وفى النهاية يعرض،

التفاصيل. وكل جزء من هذا التصميم الثلاثى يمكن تشبيهه بمثلث يضيق من أسفل تدريجيا، ولكن فى نطاق الأسلوب الهرمى الذى يتميز به تحرير الأخبار:

الفقرة الأولى: مقدمة تمثل ملخصا كاملا للقصة.

الفقرة الثانية: تفاصيل جديدة.

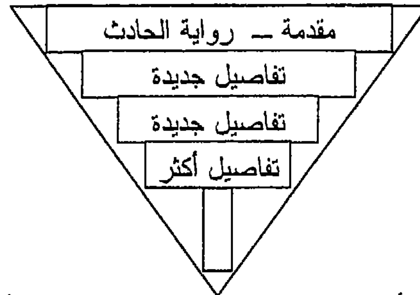
الفقرة الثالثة: تفصيل أكثر.

وهكذا تمضى الفقرات موضحة التفاصيل الجديدة الواحدة تلو الأخرى.

المقدمة ١ - رواية الحادث.

"فوجئ العالم أمس بنبأ اغتيال الملك فيصل بن عبد العزيز على يد ابن أخيه الأمير فيصل بن مساعد والذى وصفه البيان الرسمى السعودى بأنه "مختل العقل والشعور".

ومن الواضح أن هذه المقدمة على الرغم من إيجازها الشديد، قد وضحت ماذا حدث؟ ومن الذى اغتيل؟ ومن الذى اغتاله؟ وما هى صفته؟. وفى الإمكان بطبيعة الحال أن تتسع المقدمة لتشمل بيانات أكثر من ذلك.



ولكن - كما يقول الأستاذ الحمامصى، ليس من المصلحة أن نزيد فيما تتضمنه المقدمة من معلومات، مادامت قد اشتملت على الأهم، ذلك لأن رواية الوقائع الأخرى بعد ذلك قد تتطلب التوقف عن المضى فى السرد المسلسل، لأن ما جاء فى المقدمة نفسها يحتاج إلى مزيد من التفصيلات.

والصعوبة التى يواجهها المحرر بعد كتابة المقدمة هى كيف ينتقل منها إلى الفقرة الثانية إلى الثالثة وهكذا، ولكى يتغلب على هذه الصعوبة فإن عليه أن يجعل الفقرة الثانية مخصصة لتفاصيل جديدة تلى المقدمة فى الأهمية . فمثلا السؤال الذى يتبادر إلى الذهن بعد قراءة المقدمة هو:

"كيف تم اغتيال الملك؟ ولماذا سُمح للقاتل "المختل الشعور" باقتحام مجلس الملك "؟ وهنا يجب أن نحدد ما نكتبه فى الفقرة الثانية:

٢ - تفاصيل جديدة.

"وقد جرى حادث الاغتيال أثناء وجود الملك فيصل فى مجلسه الذى تعود أن يحضره صباح كل يوم ويستقبل فيه أفراد أسرته فى قصره بالرياض.

وكان الأمير القاتل أحد الذين حضروا هذا المجلس أمس وقد تقدم إلى الملك الذى كان يتصدر قاعة المجلس فتظاهر بالسلام عليه. ولكن ما أن اقترب منه حتى أخرج مسدسا أطلق منه الرصاص على الملك عدة طلقات، وقد نقل الملك على الفور إلى مستشفى الرياض فى محاولة مستميتة. لانقاذه إلا أنه لفظ أنفاسه هناك".

وهنا نجد أن هناك إعادة لرواية بعض ما جاء فى المقدمة. ولكن فى شىء من التفصيل، وخاصة فى الإجابة عن السؤالين الخاصين بكيفية الاغتيال ودخول القاتل إلى مجلس الملك، وكان من المفروض أن تأتى على سرد أسباب ارتكاب هذه الجريمة، ولكن صحيفة (الأهرام) التى نشرت هذا الحادث فى صفحتها الأولى تذكر فى الفقرة الثالثة:

٣ - تفاصيل أكثر

"ورغم أن الحادث كما ذكر أول بيان سعودى قد وقع فى الصباح فإن راديو الرياض الذى كان المصدر الوحيد للخبر الذى صدم الأمة العربية ومختلف العواصم لم يشر إليه إلا فى الساعة الثانية عشر ظهرا..

ولم يشر البيان الأول إلى موت الملك ولكنه أشار فقط إلى حادث الاغتيال ونقل الملك إلى المستشفى للعلاج؛ وأوضح أن البيان قد أكد على عدة نقاط اراد إبرازها هى:

- أن الحادث وقع أثناء وجود الملك فيصل فى مجلسه أى بحضور كل الذين تعودوا أن يحضروا هذا المجلس.
- أن مرتكب الحادث مختل الشعور.
- أنه قام بما قام به منفردا.
- أنه "ليس لأحد علاقة بما أقدم عليه".

ونلاحظ هنا أن الصحيفة قد أعادت رواية بعض ما جاء ذكره فى المقدمة، ولكن مع شىء من التوثيق والتفصيل، وخاصة حول علامات الاستفهام التى تدور فى الأذهان عند قراءة مقدمة وعنوان القصة الصحفية.

وبنفس الطريقة التى ينبغى فيها تحديد الوقائع التى وردت فى المقدمة فإن على المحرّر أن يختار منها الواقعة التى تلى ما سبق فى الأهمية ويزيدها تفصيلا، لتتضمنها الفقرة التالية وهكذا، إلى نهاية القصة الخبرية.

وهكذا نلاحظ أننا لا نمضى فى تسجيل الوقائع كما حدث، بل نقدم ونؤخر ما نشاء لنجعل القارئ على بينة من الظروف التى أحاطت بهذا الحادث، ونحن بهذه الطريقة - كما يقول الاستاذ الحمامصى - لا نسبب له ارتباكا، أو ننقله من واد إلى واد آخر، لأن كافة البيانات الهامة قد سجلت فى المقدمة، وهو بعد أن يقرأ قصة يرى فى تكوين هيكلها أن توافر البيانات التى تجعله يعيش فى الجو الكامل للحادث وما أحاط به من ملابسات قد يرجع تاريخ بعضها إلى أسابيع وإلى شهور مضت. ومع المضى بعد ذلك فى سرد ما تجمع لدى المحرر من بيانات تكمل القصة على أساس مراعاة الدقة فى جمع المعلومات.

فالمندوب - المحترف حين يستقى الأنباء المتعلقة بعمل أو حركة مثل الحوادث المفاجئة - الصدام - الحريق.. الخ.. يعرف أن مهمته هى جمع الحقائق واضحة بارزة، حقائق واضحة ملموسة. وعندما يذهب إلى مكان الحادث يلقى ضجيجا واختلاطا وهستيريا واشاعات. ولكنه يتخطى تلك العقبات كما يقول وارين. إذ أن عليه أن يحتفظ بتوازن تفكيره وأن يسأل كثيرا وينحى المبالغات والتحسينات جانبا، وأن يميز بين الحقيقة والكذب، ويجب أن يصل إلى الأشخاص الذين يستطيعون ذكر الحقيقة وأن ينقل أخباره إلى الصحيفة دون إبطاء، حتى يكون قد "قص الأنباء بالحق".

٣ - النمط الاقتباسى فى تحرير الخبر:

وطبيعة هذا النمط الاقتباسى فى تحرير الخبر او الموضوع الصحفى، تقوم على الخطب والبيانات والرسائل وإلى حد ما الأحاديث الخاصة والصحفية، والتى تعتمد جميعها على تسجيل المعلومات التى تذاع مكتوبة أو شفوية ويدونها المندوب فى

ملحوظات صغيرة. وهذه الأنباء جميعا يمكن وصفها بأنها تعتمد اعتمادا كليا على أقوال مقتبسة[١]. والاقتباس هنا ينصب على ما تضمنته البيانات أو الخطب أوالتصريحات، أو ما يرد في الأحاديث الصحفية.

وقد برز هذا النمط الاقتباسي في تحرير الخبر، قبل اختراع الراديو، لأن الصحف كانت وحدها هي الأداة التي تنقل إلى الناس الخطب العامة. وحتى الراديو كما يذهب إلى ذلك وارين. لم يستطع أن يقلل من اعتماد الجمهور على الصحف في هذه الناحية. لأن الصحف تلخص الخطاب وتركزه، فيقبل القارئ عليه.

وتعامل جميع الخطب على هذا النحو؛ سواء أكانت رسمية، ألقيت في مناسبات خاصة أم ملاحظات مرتجلة قيلت في اجتماع عادي.

وهناك ثلاثة عناصر لابد من مراعاتها عند تحرير النمط الاقتباسي:

١ - المتكلم.

٢ - السامعون.

٣ - الخطبة أو البيان.

وهناك اعتبار رابع هو ما قد يحتاج إليه أي من العناصر الثلاثة من تفسير أوشرح. أما نسبة كل من هذه العناصر الثلاثة في الخبر الاقتباسي، فإنها تتوقف على الأهمية النسبية لكل منها، ولكن لا تكمل الخطبة أو البيان ما لم يتوافر لها العناصر الثلاثة جميعا.

والأغلب أن تكون الخطبة أو البيان أهم هذه العناصر الثلاثة، فطبيعي أن يكون السؤال الأول الذي يعرض للمحرر عند الاستفسار عن اجتماع ما؛ هو:

"ماذا قال المتكلم؟ فإذا كان لكلامه أهمية، استحق النشر، ولم يكتف بايراد خبر موجز **عن عقد الاجتماع**. وكثيرا ما يكون خبر الاجتماع ذريعة - كما يقول جونسون وهاريس - أو سبيلا لنشر الخطبة أو البيان.

(١) الحمامصي: المرجع السابق ص ١٠٥.

والخطب العامة والمحاضرات والأحاديث والعظات والبيانات التى تذاع، بالراديو تعتبر مادة للصحافة لا تنضب ويعتمد عليها المحررون كثيرا. وقد أصبحت الخطب والمناظرات تلعب دورا هاما فى حياة الناس، ويستطيع الصحفى أن يجد فيها مادة لصحيفته، ولابد للصحيفة أن تختار أحسنها مثبتة بذلك نظرية داروين التى تقول إن البقاء للأصلح(١).

وتتطلب هذه المهمة من المندوب مقدرة على تدوين النقاط والملاحظات وجمع الحقائق الأخرى، فإن لم تكن لديه نسخة من الخطاب أو البيان تلقاها مسبقا وجب عليه أن يدون البيانات العامة ونقط التحول فى الموضوع وأن يلخص الحجج التى يسوقها المتكلم، مقتبسا أقواله حرفيا فى بعض الأحيان. يعتمد المندوبون الأذكياء على حديث خاص مع المتكلم بعد انتهاء حديثه، وقد يطلب منه معلومات أو احصائيات لمساعدة القراء على تكوين فكرة أوضح عن الموضوع.

وعند ترتيب المواد المتعلقة بخطاب أو بيان أو حديث الخ، يتعين على المندوب أن يبحث عن موضوع الحديث وعن أقسامه المنطقية وعن الأقوال المثيرة أو الغريبة الواردة فيه، لأن الحديث قد يشتمل على عنصر هام واحد أو أكثر من عنصر شأنه فى ذلك شأن بقية أنماط التحرير الصحفى.. والأحاديث الجيدة تدور عادة - كما يقول جونسون وهاريس - حول موضوع رئيسى ويشتمل على الحجج التى تؤيد هذا الموضوع، غير أنه ليس من عمل المندوب أن ينقل الخطاب أو الحديث كله، فمسئوليته أمام القراء تقتصر على كتابة خبر صحيح دقيق ذى أهمية خبرية. وقد يبرز المحرر فى صدر الخبر ما يراه باعثا على اهتمام القراء، وقد لا ينقل منه إلا الأجزاء التى يرى أنها تستحق النشر. على أن هناك اعتبارت كثيرة تحدد أهمية أى خطاب أو حديث هام: **أولها: شخصية المتحدث**، فكل كلمة يقولها رئيس الجمهورية تعتبر خبرا، بينما يصيح صبى المدرسة بأعلى صوته طوال النهار، وصياحه لا يهم الناس فى قليل أو كثير. فاذا قال الصبى: "يجب إبادة الذباب من الشوارع جميعا" فلن يهتم أحد بهذا القول، أما إذا قال هذا الكلام وزير الصحة مثلا فإن الصحف تنشر هذا التصريح - وحين يقول رئيس الجمهورية: "ليس أمامنا سوى التضامن والعمل الجماعى" فإن هذا القول يجب أن يتصدر الصفحة الأولى.

(١) كارل وارين: المرجع السابق ص ١٠٠.

هذا هو الاعتبار الأول.. أما **الاعتبار الثاني** فيتعلق بمدى اختصاص المتحدث فى الموضوع فحديث الشيخ الشعراوى عن الإسلام، وعالم الفلك عن الكواكب أو الشهب، وعضو البرلمان عن السياسة، ومغنى الأوبرا عن الصوت، ورجل الأعمال عن المنافسة التجارية.. كل ذلك يكون مادة للقراءة.

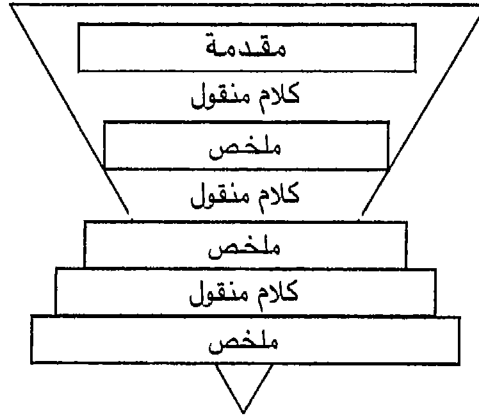
و**الاعتبار الثالث** هو عامل التوقيت، فإذا أصاب البلاد وباء الانفلونزا فإن بيانا لوزير الصحة عن طريق الوقاية والاحتياطات التى اتخذتها الدولة قد ينشر فى الصفحات الأولى، أما إذا تحدث فى نفس الوقت عن الطاعون البقرى فينشر حديثه فى سطور قليلة فى ذيل إحدى الصفحات الداخلية.

و**الاعتبار الرابع** هو الأثر الذى يتركه الحديث، فإذا وقف زعيم حزب اليمين يهاجم أو يسخر من زعيم حزب اليسار، وأثار هذا التصريح موجة من المناقشات كان لدينا موضوع هام. ولكن يجب على المندوب أن يتوخى الدقة والحذر فى مثل هذه المناسبات حتى لا يخرج بالموضوع عن غرضه الحقيقى. **وآخر هذه الاعتبارات** أن يطمئن المندوب أن الخطاب أو البيان الذى ينقله جديد إذ الملاحظ كما يقول وارين - أن بعض رجال السياسة خاصة يرددون خطبا قالوها من قبل فى أماكن أخرى.

وقبل أن نبدأ فى كتابة موضوع للصحيفة عن بيان أو حديث أو خطاب؛ نذكر ما سبق من قبل عن ربط عربات القطار، إذ ينطبق المثل على هذه الناحية. وأحسن الوسائل - وأقربها إلى قلوب القراء - هى ألا نقدم هذه التصريحات كما يوزعها أصحابها، بل وفقا للشكل الهرمى، فكثيرا ما نقرأ فى الصحف:

"أذاعت وزارة التموين البيان التالى، وفيما يلى نص البيان، ثم تنشر الصحف البيان بعد ذلك كله كما وزعته الوزارة بلا تدخل من جانبها؛ يهدف إلى "إراحة القارئ" عن طريق غربلة ما جاء فى هذا البيان، وتقديم الفقرات الهامة على الأقل أهمية مدعمة بما جاء فى بيان الوزارة من أقوال مقتبسة.. إن القارئ فى الحالة الأولى يحس فى ذلك إهمالاً من الجريدة وعدم تقدير له. فالذى لا شك فيه أن المحرر فى مثل هذه الحالة لم يفكر فى أن يقرأ البيان إلا لكى يشتق منه سطرا أو أكثر للعنوان، أو ربما قرأه ولكنه لم يفكر فى تقديمه للقارئ بالصورة التى تيسّر له طواعية القراءة وتجعله يضع عينيه مباشرة على ما يهمه فى هذا البيان.

والنمط الاقتباسي هو أصلح الأنماط التحريرية للخبر القائم على الحديث المنقول: تصريحا أو خطبة، أو بيانا، ويقوم هذا النمط على شكل مستطيلات كثيرة وصغيرة، ويمكن تبويبها فى: "**ملخص - وكلام منقول - وملخص - وكلام منقول .. وهكذا**" أى عبارات منقولة رأسا عن المتحدث تربطها فقرات تفسيرية.



ومن أمثلة ذلك ما نشرته صحيفة "الأهرام"(١).

المقدمة - ملخص:

أعلن الرئيس السادات أن نتائج مؤتمر القمة السداسى فى الرياض والتى جاءت عميقة ومدروسة وعلى مستوى المرحلة سوف تنعكس على القضايا العربية الرئيسية وسوف تنقل القضية العربية بالتأكيد إلى مرحلة جديدة.

وقد أدلى الرئيس السادات بهذه التصريحات قبل أن يغادر الرياض فى طريق عودته إلى أرض الوطن، حيث وصل إلى القاهرة بعد ظهر أمس يرافقه أعضاء الوفد المصرى. وكان فى استقباله لدى وصوله إلى مطار القاهرة السيد حسنى مبارك نائب الجمهورية وكبار رجال الدولة والمسئولين.

(١) ٢٠ أكتوبر ١٩٧٦ .

عبارة منقولة.

وقال الرئيس فى تصريحاته التى أدلى بها لوكالة الأنباء السعودية: "إن ما حدث فى اليومين الماضيين خلال اجتماع الزعماء العرب كفيل بالرد على كل من تصور أن الخلافات بين الأشقاء العرب قد عصفت بالاجماع العربى، وماحدث فى الأيام القليلة الماضية هنا فى الرياض، أمر لابد أن يلتفت له كل من حاول أن يرسم للعرب صورة غير صحيحة. وأظن أن الذى حدث فى اليومين الماضيين على المستوى العربى والمستوى العالمى كفيل بالرد على كل من تصور أن التضامن العربى قد انتهى".

ملخص.

وأكد الرئيس فى تصريحاته أن ما أسفر عنه مؤتمر الرياض لن يظهر أثره فقط على الأمة العربية أمام العالم الخارجى، بل سينعكس أيضا على قضايانا الأساسية فى العالم وهى قضية النزاع العربى الأسرائيلى.

عبارة منقولة:

وأضاف الرئيس أن "بقية القضايا الأخرى الخاصة بنا، وهى وجود بعض الخلافات بين بعض الأخوة والأشقاء، لابد أن تنتهى، كما انتهت فى الرياض فى اليومين الماضيين خلافات كثيرة. واتفقنا على بناء كبير وأسس كبيرة، ستعود بغير شك على لبنان وشعبه وعلى الفلسطينين بالخير. بمعنى أننا سنخرج من هذه المحنة الأليمة التى تعرض لها اللبنانيون والفلسطينيون خلال السبعة عشر شهرا الماضية وكان المفروض أن تخرج هذه القرارت فى هذا الوقت بالذات لكى يعرف العالم من هم العرب..".

ملخص.

وأكد الرئيس أنه كان فى قمة السعادة لأن القادة العرب فى الرياض، واجهوا العالم كله بحقيقة فهمهم للمسئولية سواء على مستوى الأمة العربية أو على مستوى العالم الذى نعيش فيه.

عبارة منقولة.

ثم قال الرئيس: "إنه بعد حرب أكتوبر أصبح العرب القوة السادسة فى العالم، ولكن البعض تصور أنه بالخلافات التى تحدث بيننا أننا فقد مركزنا، ولكنه قد ثبت اليوم أننا القوة السادسة وفى سبيلنا أن نتقدم لنكون أقرب من ذلك كقوة خامسة. كما نثبت لهم أنه مهما حدث ومهما كان فإننا عندما نجتمع كأخوة، فكل شىء يذوب ونعود أخوة متضامنين.

ملخص.

وكان الرئيس السادات قد غادر الرياض ظهر أمس، حيث كان على رأس مودعيه الملك خالد بن عبد العزيز والأمير فهد بن عبد العزيز النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وكبار رجال الدولة.

وهكذا يحس القارئ أن المحرر قد بذل جهداً فى تحرير التصريحات، واستخلاص النقاط الأساسية التى يهمه الاطلاع عليها، ثم إبرازها وتدعيمها بألفاظ وجُمل مستخلصة من واقع البيان. ذلك لأن الجمهور كما يقول الاستاذ الحمامصى. كلما رأى هذا الذى ترويه الصحيفة مدعما بكلام رسمى وجمل مختارة كلما ارتاح إلى ذلك، ولأن القارئ يهمه أيضا أن يحكم بنفسه وأن يقرأ الكلام الرسمى ويقسمه ويحلله، فالصحفى هنا يحلل البيان ويختار بياناته، ويقدمه للقارئ مجزءا، ثم يدعمه بالكلام الرسمى، فيعطى للقارئ ما يريحه، وفى نفس الوقت يقدم له ما يمكنه من الاطلاع على البيانات والأقوال الرسمية ليفسرها تفسيره الشخصى. ولهذا السبب فإن بعض الصحف لا تكتفى فقط بتقديم هذا الهيكل الهرمى للبيان، وانما تورد نص البيان بعد الانتهاء من وضع البيانات الهامة فى صورة الهيكل الهرمى. وعلى هذا الأساس فهناك حالتان:

الأولى: أن، نقدم الهيكل الهرمى من غير نص البيان، وفى هذا الحالة يتحتم أن يكون الهيكل متكاملا، كما رأينا فى النموذج المتقدم.

والثانية: أن نقدم البيان مع الهيكل الهرمى، وعندئذ فإن تقديم الهيكل الهرمى يكون ملخصا ومركزا منعا للاطالة والتكرار، كما نجد فى النموذج التالى:

قرار من مؤتمر الرياض

بوقف القتال فورا فى لبنان

٩ قرارات هامة يصدرها مؤتمر القمة السداسى

- قوة أمن عربية رادعة من ٣٠ ألف جندى تتولى تنفيذ القرار تحت اشراف الرئيس سركيس .

- وقف القتال تماما اعتبارا من بعد الخميس.

- لجنة من السعودية ومصر وسوريا والكويت لتنفيذ اتفاقية القاهرة فى ٩٠ يوما .

- رفض تقسيم لبنان واجراء حوار للمصالحة الوطنية.

- جدول زمنى لاعادة الحياة الطبيعية إلى لبنان.

أصدر مؤتمر القمة قرارا بوقف اطلاق النار فورا وإنهاء القتال بصورة نهائية فى لبنان. وطالب المؤتمر كافة الأطراف الالتزام بوقف القتال التزاما كاملا، كما قرر المؤتمر تعزيز قوات الأمن العربية ليصل عدده إلى ٣٠ الف جندى ولتصبح قوة ردع تعمل داخل لبنان تحت إمرة الرئيس اللبنانى الياس سركيس شخصيا.

وأجمع المؤتمر فى بيان رسمى صدر مساء أمس - بعد اجتماع ختامى عقده الملوك والرؤساء للتوقيع على القرارات التى اتخذها رؤساء الدول الست - على رفض تقسيم لبنان تحت أى صورة والحفاظ على وحدته، وعدم التدخل فى شئونه الداخلية، كما دعا البيان إلى اجراء حوار سياسى، يهدف إلى تحقيق المصالحة الوطنية الداخلية فى لبنان، وتم الاتفاق على تنفيذ اتفاقية القاهرة وملحقاتها التى أعلن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات التزامه الكامل بها.

وتقرر - تدعيما لذلك - تأليف لجنة تضم ممثلين من مصر وسوريا والكويت والسعودية، تتولى بالتنسيق مع الرئيس اللبنانى، كل ما يتعلق بتنفيذ بنود اتفاقية القاهرة، وذلك لمدة ٩٠ يوما تبدأ من تاريخ إعلان وقف إطلاق النار، كما جددت الدول العربية المجتمعة التزامها بمقررات مؤتمرى القمة فى الجزائر والرباط، بدعم المقاومة واحترام حق شعب فلسطين فى الكفاح.

وكان المؤتمر قد بدأ اجتماعه الأخير فى الساعة السابعة والنصف مساء أمس، للنظر فى البيان والقرارات التى أعدها وزراء الخارجية العرب، وأنهى المؤتمر الذى عقد حول مائدة مستديرة بقصر الضيافة بالرياض أعماله فى الساعة الحادية عشرة والنصف. وشهده الملك خالد بن عبد العزيز والوفد السعودى، والرئيس أنور السادات وأعضاء الوفد المصرى، والرئيس حافظ الأسد والوفد السورى، والرئيس اللبنانى الياس سركيس والوفد اللبنانى، والسيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وأعضاء الوفد الفلسطينى.

نص البيان الرسمى

وفيما يلى نص البيان الصادر عن مؤتمر القمة السداسى فى ختام جلسته التى عقدها مساء اليوم ، بناء على مبادرة من المملكة العربية السعودية ودولة الكويت.

اجتمع فى الرياض، فى الفترة من ١٦ إلى ١٨ أكتوبر، كل من الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية، والرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية، والرئيس الياس سركيس رئيس الجمهورية اللبنانية والسيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، وصاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير دولة الكويت وصاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية فى مؤتمر سداسى لبحث الأزمة فى لبنان ودراسة وسائل حلها والاتفاق على الخطوات اللازمة لوقف نزيف الدم فى لبنان، واللجوء إلى الحوار بدلا من القتال، والحفاظ على أمن لبنان وسلامته واستقلاله وسيادته، وحماية المقاومة الفسطينية، ممثلة فى منظمة التحرير الفلسطينية.

وقف إطلاق النار

وانطلاقا من موقع الالتزام بالمسئولية القومية والتاريخية، بوجوب تعزيز الدور العربى الجماعى، بما يكفل حسم الموقف فى لبنان - والحيلولة دون تفجره فى المستقبل، وانطلاقا من الحرص على تجاوز سلبيات الماضى ورواسبه، وضرورة التحرك إلى المستقبل بروح المصالحة والسلام والبناء والتعمير، وتوفير الضمانات اللازمة لاستقرار الحياة الطبيعية فى لبنان والحفاظ على مؤسساته السياسة والاقتصادية

وغيرها وصيانة السيادة اللبنانية واستمرار الصمود الفلسطينى، درس المؤتمر الوضع فى لبنان والخطوات والاجراءات اللازمة لاعادة الحياة فى اطار الحفاظ على سيادته واستقلاله وتضامن الشعبين اللبنانى والفلسطينى والضمان العربى الجماعى لكل ذلك.

وقرر اعلان وقف اطلاق النار وإنهاء القتال بصورة نهائية والالتزام به التزاما كاملا من كافة الأطراف، كما قرر تعزيز قوات الأمن العربية الحالية لتصبح قوة ردع تعمل داخل لبنان تحت إمرة رئيس الجمهورية اللبنانية شخصيا.

تنفيذ اتفاقية القاهرة

وقد اجمع المؤتمر على رفض تقسيم لبنان تحت اى صورة وبأى شكل قانونيا أوواقعيا، صراحة أو ضمنا، وعلى تأكيد الالتزام بالحفاظ على وحدة لبنان الوطنية وسلامته الإقليمية وعدم المساس بوحدة أراضيه أو التدخل فى شئونه الداخلية بأى صورة.

ودعا المؤتمر كافة الأطراف اللبنانية لإجراء حوار سياسى يهدف إلى تحقيق المصالحة الوطنية وتثبيت دعائم الوحدة بين أبناء الشعب اللبنانى وتم الاتفاق على تنفيذ اتفاقية القاهرة وملحقاتها التى أعلن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية التزامه الكامل بها، وفى هذا الصدد قرر تأليف لجنة تضم ممثلين عن المملكة العربية السعودية، وجمهورية مصر العربية، والجمهورية العربية السورية ودولة الكويت، تقوم بالتنسيق مع رئيس الجمهورية اللبنانية فيما يتعلق بتنفيذ اتفاقية القاهرة، وتكون مدتها تسعين يوما من تاريخ إعلان وقف إطلاق النار.

الالتزام بقرارات الرباط والجزائر

وقد أكد المؤتمر التزامه بمقررات مؤتمر القمة العربى السابع فى الرباط باعتماد منظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا لشعب فلسطين.

٤ - النمط المركب

والنمط المركب هو النمط التحريرى الذى يتناول وقائع متعددة. ولقد تناولنا فيما تقدم الأخبار التى تتعلق بحادث واحد فقط، سواء كان واقعة من الوقائع أوقصة صحفية تقوم على حركة أو عمل، أو خطبة أو تصريحا أو بيانا من البيانات. على أن

مهمة المندوب أو المحرر ليست دائما على هذا النحو اليسير، فقد يقف أمام خبر تتعدد فيه الحوادث الهامة أو الزوايا التى تتساوى فى أهميتها الظاهرة .. كيف يتسنى له أن يعالج الخبر المتعدد العناصر؟

إن النمط المُركّب فى تحرير الخبر هو الحل لهذه المعادلة الصعبة.

فهو يحتاج إلى تنسيق وقائع كثيرة، ويتضمن وحدات كثيرة كلها أخبار جديدة ووقائع كثيرة، وقد يتناول بعضها المستقبل، يضرب كارل وارين. مثلا على ذلك:

- مات أربعة سكان: إحدى المدن الكبرى بالأنفلونزا فى أربع وعشرين ساعة وقد فهم المحرر المسئول أن هذا المرض منتشر، فيكلف أحد المندوبين بمقابلة وزير الصحة، ويعلم المحرر المسئول أن هناك خمسين إصابة بالأنفلونزا وفى ذات الوقت يتقرر إغلاق مدرسة وعزل فندق ويجتمع المسئولون فى وزارة الصحة لبحث التدبيرات الوقائية.

- وفى يوم آخر تشتعل ستة حرائق فى حى من أحياء هذه المدينة نشبت اربعة منها بسبب خرق بالية مبللة بالكيروسين، ويعلم المندوب الصحفى أن البوليس قد عثر على قنابل حارقة يشتبه فى أمرها، وبينما كانت وابورات الإطفاء فى طريقها إلى أماكن الحريق انقلبت إحداها وأصيب سائقها وبعض من فيها.

وكل واحدة من هذه الحقائق - على الرغم من أنها تصل إلى مكتب المحرر المسئول بطرق مختلفة ومن مصادر مختلفة - تعتبر جزءا من موضوع واحد، ونشر كل منها على حدة ينتج عنه تكرار لا مبرر له وضياع لوقت القارئ، وشغل حيز أكثر من الورق، وقضاء على الموضوع فاهتمام القارئ لا ينصب على الحوادث فى ذاتها، بل على الربط بينها. وكثير من الصحف تضع عناوين ثابتة للأخبار المُركّبة التى تحدث بين وقت وآخر، فجميع حوادث السيارات تحت عنوان السرعة، والأخبار السياسية تحت عنوان السياسة، وأخبار البوليس تحت عنوان الجريمة، وأخبار التعليم تحت عنوان المدارس، وهكذا.

وإليك مثل عن خبر مركب[١] :

تعرضت مدينة. والمناطق المحيطة بها لأمطار غزيرة لا تنقطع منذ يومين، وقد بلغ اشده ليلة أمس، وفاضت مياه النيل وكلف أحد المندوبين بكتابة خبر تحت عنوان الفيضان.

(١) نفس المرجع ص١٢٨.

وعندما زار هذا المندوب منطقة الرياح وجد أن عشرات البيوت قد غرقت وأن مائة وخمسين شخصاً قد خرجوا من بيوتهم إلى العراء. وعلم أن رجلاً فقيراً كان ينام على حافة النهر قد غرق وهو يسبح طلباً للنجاة وأن سيارة تقل بعض السياح قد أشرفوا على الموت ولكنهم أنقذوا فى آخر لحظة.

ووجد المندوب أن خمسة وسبعين شخصاً من اللاجئين يقيمون الآن فى المساجد ومراكز الشرطة وأن الهلال الأحمر يتولى العناية بهم، وعلم أيضاً أن البوليس أقام دوريات تطوف أثناء الليل بالأحياء الغارقة وأن جثة الغريق قد وجدت وعرف صاحبها.

وتلقى أحد المراجعين بالصحيفة بالتليفون أن رجال الأعمال بدأوا حملة الاكتتاب بعشرة آلاف دولار لمساعدة الضحايا. ويتلقى مراجع آخر من مصلحة الأرصاد أن الطقس غداً سوف يكون صحوا وأن الأمطار سوف تتوقف، بينما تصل أنباء من المدن الواقعة عند أعلى النهر تقول إن المياه آخذة فى الارتفاع وأن ذروة الفيضان سوف تصل تلك المدينة ظهر غد.

وعندما يصل المندوب إلى مكتبه يتلقى المعلومات التى جمعها الآخرون ويجد رسائل تلقتها الصحيفة من مدن أخرى وقصاصات مما نشر فى الصحف المسائية. وعليه بعد ذلك أن يعرف المساحة المخصصة للموضوع ليبدأ فى صياغة قصة شاملة مركبة.

وكتابة الخبر المُركّب، لا تختلف عن كتابة الأنماط التحريرية الأخرى من حيث عنايتها بالمقدمة والهيكل الخبرى، ولكن **كيف يتسنى للمحرر أن يكتب المقدمة من مجموعة مختلفة من الزوايا؟**

هناك ثلاثة أنواع لمقدمات هذا النوع من الأخبار:

أولاً: تركيز جميع النقاط الهامة فى فقرة واحدة شاملة.

ثانياً: اختيار أهم نقطة للبداية بها.

ثالثاً: الربط بين الطريقتين الأولى والثانية، ونخلص منهما إلى مقدمة متكاملة.

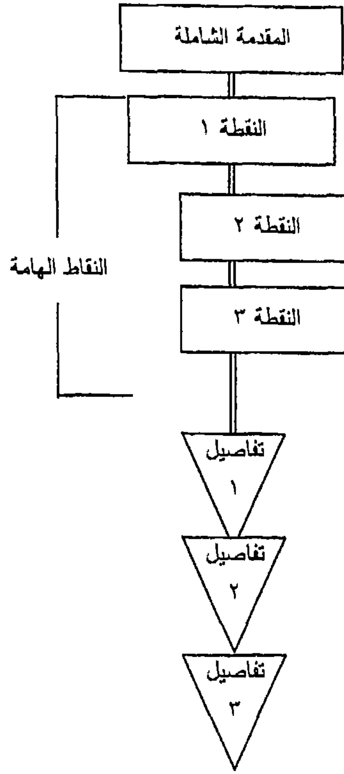
والمقدمة الشاملة: هى أكثر المقدمات شيوعاً، تستعمل عادة عندما تتساوى الأهمية بين جميع النقاط، كما يذهب إلى ذلك "وارين" مثلاً:

"قتل شخصان وأصيب أربعة بجراح فى سلسلة من حوادث المرور وقعت أمس عندما خرجت آلاف السيارات إلى الحدائق تقل الناس الذين جذبتهم شمس الشتاء الدافئة".

وهكذا نلاحظ أن المقدمة قد اتسعت، ولم تركز على حادث واحد، بل إنها ربطت بين الحوادث جميعاً، وتركزت حول الزاوية العامة؛ وهى حوادث المرور، وأوضحت النتائج الإجمالية؛ ثم تركت التفاصيل لهيكل الموضوع الصحفى نفسه.. أما عن هيكل الخبر الصحفى فيجب - كما يقول الأستاذ الحمامصى - أن يراعى فى كتابته الانتقال من المقدمة إلى إبراز النقاط الهامة التى جاءت فى المقدمة نقطة نقطة، ثم يعود إلى إبراز التفصيل الكامل لكل نقطة من هذه النقاط.

وهناك بعض المصاعب التى يواجهها المحرر المبتدئ تحرير الخبر المركّب على هذا النحو: فى هيكل الخبر تبسيط فى شرح النقاط التى وردت فى المقدمة، وقد يعمد المبتدئ بعد أن يهتدى إلى العناصر التى لها جاذبية فى المقدمة، إلى التخلى عن بعض تلك العناصر تماماً فلا يشير إليها بعد ذلك فى هيكل الخبر، أو لعله لا يعود إلى الإشارة إليها إلا فى موضع من الرواية سحيق. ويحذر "جونسون وهاريس" من ذلك لأنه يخل بالغرض المقصود من الهيكل الخبرى، وهو الإسهاب فى شرح عناصر المقدمة، كما أنه يخلّ بمبدأ الترتيب المنطقى.

وإذا كانت لعنصر ما قدرة على استمالة القراء سوغت تقديمه فى المقدمة وإبرازه فى صدر الخبر، فلا ريب فى أن ذلك العنصر يستحق أن يكون له موضع فى هيكل الخبر، وأن يكون الموضع ظاهراً "فلا يدفن تحت أطباق من الوقائع التى تقل عن هذا العنصر شأناً وأهمية".



ويقول جونسون وهاريس كذلك: إن جسم الخبر أو هيكله مجال لإضافة عناصر ثانوية وللتوسع فى إيرادها، وهى عناصر لم ترد مجملة فى المقدمة. ولتحقيق هذا الغرض يتعين على المندوب أن يكون قادراً على التفرقة بين تفاصيل العناصر التى ترد فى المقدمة من ناحية، والعناصر الثانوية الأخرى من ناحية أخرى. وحتى تتضح هذه التفرقة بجلاء، نجد أن القاعدة الثابتة فى هذا الشأن فحواها: أنه إذا كانت العناصر الهامة تلخص فى المقدمة قبل الاستطراد فى ذكر تفصيلاتها، فإن جميع العناصر الثانوية ينبغى تلخيصها عند تقديمها إلى القراء قبل الاستطراد فى عرض تفاصيلها. بعبارة أخرى، إن المقدمة ليست الموضع الوحيد الذى تلخص فيه عناصر الخبر، وأنه وجب تلخيص تلك العناصر فى موضعها المنطقى من هيكل الخبر قبل الاستطراد إلى ذكر التفاصيل.

أما المقدمة الثانية: فهى التى تقوم على اختيار أهم نقطة أو عنصر للبدء بها، وهنا يمكن إيراد العناصر الثانوية الأخرى ملخصة فى الفقرة الثانية، حيث لا يقتصر

الأمر فى هذا النوع على جملة استهلالية واحدة، أو اعتبارها "كتلة استهلالية" على تعبير "جونسون.. وهاريس".. ومتى أورد الخبر الفقرة المشتملة على تلخيص للعناصر الثانوية، عاد إلى العنصر الهام البارز فساق جميع التفاصيل المتعلقة به. ويراعى الترتيب المنطقى عند تناول كل من العناصر الثانوية والعنصر الهام البارز. والمثال التالى يوضح هذا المنهج[1].

أكد الملوك والرؤساء العرب فى البيان الذى صدر أمس فى ختام أعمال المؤتمر الاستثنائى للقمة العربية، التزامهم بالعمل على توفير الضمانات اللازمة لتثبيت وقف إطلاق النار فى لبنان والحفاظ على المقاومة الفلسطينية. كما أعلن الملوك والرؤساء رفضهم تقسيم لبنان تحت أى صورة وأكدوا الالتزام بعدم التدخل فى شئونه الداخلية.

وقد جاء بيان الملوك والرؤساء العرب متضمنا قرارات محددة فى ثلاث من القضايا العربية المصيرية وصفها الرئيس السادات فى خطابه فى ختام المؤتمر بأنها تشكل خطوة هامة ورئيسية على طريق التحرير واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى. والقضايا الثلاث التى تناولتها القرارات بالعلاج هى القضية اللبنانية، وقضية التضامن العربى، وقضية حماية المقاومة الفلسطينية.

أولاً :- القضية اللبنانية:

تفاصيل العنصر الهام البارز

١

١ - الترحيب بأعمال مؤتمر القمة السداسى فى الرياض، والمصادقة على قراراته.

٢ - التزام الملوك والرؤساء العرب بالعمل على توفير الضمانات اللازمة لتثبيت وقف إطلاق النار، واستعادة الحياة الطبيعية.. كما أكدوا على تعزيز قوات الأمن العربية ودعمها لتصبح قوة ردع تعمل تحت إمرة رئيس الجمهورية اللبنانية شخصياً.

٣ - رفض تقسيم لبنان، تحت أى صورة وبأى شكل، قانوناً أو صراحة، أوضمناً، وتأكيد الالتزام بالحفاظ على وحدة لبنان وعدم التدخل فى شئونه الداخلية.

٤ - درس الملوك والرؤساء الوضع فى الجنوب اللبنانى وأعربوا عن قلقهم البالغ إزاء الاعتداءات الإسرائيلية.

(١) جريدة الأهرام فى ١٩٧٦/١٠/٢٧.

٥ - التأكيد على تنفيذ اتفاقية القاهرة التى تنظم العلاقة بين المقاومة الفلسطينية والسلطة اللبنانية، والتى أعلن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية التزامه الكامل بها.

٦ - تشكيل لجنة تضم ممثلين عن المملكة السعودية وجمهورية مصر العربية والجمهورية العربية السورية، ودولة الكويت تقوم بالتنسيق مع رئيس الجمهورية اللبنانية فيما يتعلق بتنفيذ اتفاقية القاهرة وتكون مدتها ٩٠ يوماً من تاريخ إعلان وقف إطلاق النار.

٧ - مساهمة الدول العربية فى إعادة تعمير لبنان وإزالة آثار النزاع المسلح والأضرار التى حلت بالشعبين اللبنانى والفلسطينى.

٨ - إقرار إنشاء صندوق خاص للإنفاق على قوات الأمن العربية الرادعة على أن تساهم كل دولة من الدول العربية فيه حسب طاقتها.

ويشرف رئيس الجمهورية اللبنانية على الصندوق، ويضع - بالتشاور مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية والدول المساهمة بنسبة ١٠٪ على الأقل، نظاماً عاماً للصندوق يوضح طريقة الإنفاق منه وتصفيته عند انتهاء مدته. ويعمل بالنظام الحالى لقوات الأمن العربية إلى أن يتم وضع نظام جديد لها.

وقد تقرر تحديد مدة الصندوق بفترة ستة شهور قابلة للتجديد بقرار من رئيس مجلس الجامعة الذى ينعقد بطلب من رئيس الجمهورية اللبنانية.

(علم مندوب الأهرام أن نفقات قوات الأمن تبلغ ١٥ مليون دولار شهرياً وقد أعلنت السعودية إسهامها بـ ٢٠٪ من النفقات والكويت بـ ٢٠٪ والإمارات بـ ١٥٪ وقطر ١٠٪. وعلم المندوب أن مصر أعلنت مساهمتها بمليون دولار كما أعلنت موريتانيا مساهمتها بمبلغ ٢٥ ألف دولار).

ثانياً: القضية الفلسطينية:

تفاصيل العنصر الأول من العناصر الأخرى

١ - أكد الملوك والرؤساء العرب الالتزام بمقررات مؤتمر الرباط باعتماد منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً وحيداً لشعب فلسطين.

(٢)

٢ - مطالبة دول العالم وشعوبه بإدانة العدوان الإسرائيلى

المستمر فى الأراضى المحتلة، وأعمال الإرهاب والتشريد ومصادرة الأراضى وانتهاك حرمة المقدسات الدينية وخاصة الحرم الإبراهيمى.

ثالثاً: التضامن العربي:

تفاصيل العنصر الثانى من العناصر الأخرى

١ - دعم التضامن العربى بوصفه قاعدة أساسية لنجاح العمل العربى المشترك.



٢ - الالتزام الكامل بأحكام وقرارات مؤتمر القمة.

٣ - الالتزام بميثاق التضامن العربى الصادر فى قمة الدار البيضاء ووضعه موضع التنفيذ.

بيان المؤتمر ووثيقته

تفاصيل العنصر الثالث من العناصر الأخرى



فيما يلى نص البيان:

إن ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية، فى اجتماعهم بالقاهرة بمقر جامعة الدول العربية يومى ٢،٣ من ذى القعدة لعام ١٣٩٦هـ، الموفقين ٢٥،٢٦ من أكتوبر (تشرين الأول) لعام ١٩٧٦م.

وبعد أن تدارسوا الوضع الراهن فى لبنان، ونتائج أعمال مؤتمر القمة العربى السداسى بالرياض، الصادر فى ١٨/١٠/١٩٧٦، وأهمية دعم التضامن العربى يقررون ما يأتى:

أولاً : الوضع الراهن فى لبنان :

١ - المصادقة على البيان والقرارات وملحقاتها الصادرة عن مؤتمر القمة العربى السداسى بالرياض فى يوم ١٨/١٠/١٩٧٦، والموافقة بهذا (لم يوافق وفد الجمهورية العراقية على هذه الفقرة).

٢ - أن تساهم الدول العربية، كل حسب إمكانياتها، فى إعادة تعمير لبنان وتقديم الاحتياجات المادية المطلوبة لإزالة آثار النزاع المسلح والأضرار التى حلت بالشعبين اللبنانى والفلسطينى، وأن تبادر الدول العربية بتقديم العون العاجل للحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية.

ثانياً: دعم التضامن العربى :

تأكيد التزام الملوك والرؤساء العرب بأحكام قرارات مؤتمرات القمة ومجلس الجامعة فى هذا الشأن، وخاصة ميثاق التضامن العربى الصادر فى قمة الدار البيضاء فى ١٥/٩/١٩٦٥، والعمل لوضعها جميعاً موضع التنفيذ التام الفورى.

ثالثاً: تمويل قوة الأمن العربية:

توفيراً للموارد المالية اللازمة للإنفاق على قوات الأمن العربية فى لبنان، والمنصوص عليها فى القرار الثانى من مقررات مؤتمر قمة الرياض..

وبعد الإطلاع على تقرير الأمانة العسكرية لجامعة الدول العربية فى هذا الشأن..

يقرر مؤتمر القمة ما يأتى:

١ - إنشاء صندوق خاص للإنفاق على متطلبات قوات الأمن العربية فى لبنان.

٢ - تساهم كل دولة من الدول الأعضاء فى الجامعة العربية فى الصندوق بنسبة مئوية تحددها كل دولة حسب طاقتها.

٣ - يشرف رئيس الجمهورية اللبنانية على الصندوق ويضع، بالتشاور مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية والدول المساهمة بنسبة ١٠٪ على الأقل نظاماً عاماً للصندوق، يوضح طريقة الإنفاق منه وتصفيته عند انتهاء مدته، ويعمل بالنظام الحالى لقوات الأمن العربية إلى أن يتم وضع نظام جديد لها.

٤ - تحدد مدة الصندوق بفترة ستة شهور قابلة للتجديد بقرار من مجلس الجامعة الذى ينعقد بطلب من رئيس الجمهورية اللبنانية.

تفاصيل العنصر الهام البارز

١

السادات يعلن:

المصالحة الوطنية اللبنانية

تمثل خطوة السلام القادمة

وفى الكلمة التى ألقاها الرئيس السادات فى ختام أعمال المؤتمر أكد الرئيس على الحقائق التالية:

- أن القرارات التى صدرت عن المؤتمر بوقف نزيف الدم فى لبنان والحفاظ على المقاومة إنما تمثل خطوة هامة ورئيسية على طريق التحرير واسترداد حقوق شعب فلسطين الوطنية.

- أن الدعوة للمصالحة الوطنية اللبنانية إنما تمثل الخطوة التالية المنطقية فى مسيرة تحقيق السلام فى ربوع لبنان.

- أن قوة الردع العربى المقدمة إلى لبنان للمساعدة فى إقرار السلام فيه ودعم العلاقات اللبنانية الفلسطينية فى إطار اتفاقية القاهرة إنما هى دليل آخر على فعالية العمل العربى الجماعى فى مساعدة قطر عربى على النهوض من كبوته والحفاظ على المقاومة الفلسطينية.

- العدوان الإسرائيلى المستمر على جنوب لبنان يشكل تهديدا خطيرا للأمة العربية، ولن نسمح مطلقا للعربدة الاسرائيلية بأن تنطلق من جديد مهددة حياة أبنائنا وحقوق شعوبنا وسلامة اراضينا .

تفاصيل العنصر الهام البارز	نشاط واسع للرؤساء فى سلسلة المشاورات الجانبية
١	

وقد سبق الجلسة الختامية اجتماع عقده فى السادسة والنصف مساء ملوك ورؤساء سبع دول عربية هى مصر والسعودية والكويت وسوريا ودولة الامارات العربية والبحرين وقطر.

وعقد الاجتماع فى جناح الملك خالد بفندق هيلتون وذلك إطار سلسلة الاجتماعات والمشاورات الجانبية بين الملوك والرؤساء العرب. وكان الرئيس السادات قد اجتمع أمس فى إطار هذه المشاورات مع كل من الشيخ صباح السالم الصباح امير دولة الكويت والرئيس السودانى جعفر نميرى والرئيس اللبنانى الياس سركيس والرئيس الصومالى محمد سياد برى، والشيخ خليفة بن حمد أمير دولة قطر والشيخ عيسى بن سليمان حاكم البحرين والدكتور سعدون حمادى وزير خارجية العراق ورئيس وفدها فى اجتمع القمة. وحضر المقابلات جميعها السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية.

كما اجتمع الملك خالد بن عبد العزيز ملك السعودية مع الرئيس جعفر نميرى وحضر الاجتماع الأمير سلطان بن عبدالعزيز وزير الدفاع واجتمع الملك حسين ملك الأردن مع كل من الشيخ خليفة بن حمد أمير قطر كلا من الملك خالد ثم السيد سالم ربيع رئيس اليمن الديمقراطية . كما قام الشيخ خليفة بزيارة الملك حسين والرئيس حافظ الأسد.

جميع الفقرات الأخرى

٤ اجتماعات لوزراء الخارجية
لاعداد مشروع البيان والقرارات

وقد جاءت قرارات الملوك والرؤساء بعد ٣ اجتماعات لوزراء الخارجية العرب كان أطولها اجتماع أمس الذى وضح فيه اجماع كل المشتركين على التمسك بمقررات قمة الرياض وميثاق التضامن العربى كقاعدة للعمل العربى المشترك. كذلك استعرض وزراء الخارجية فى اجتماع امس الصباحى ورقة عمل قوات الردع العربية من حيث تشكيلها وتمويلها واستغرق موضوع التمويل وقتا طويلا طرحت خلال ٣ اقترحات.. اقتراح أول بأن تساهم كل دولة عربية فى تمويل القوات بقدر مساهمتها فى ميزانية الجامعة العربية. وكان معنى ذلك أن تتحمل مصر العبء الأكبر باعتبار حصتها فى تمويل ميزانية الجامعة.. ثم اقتراح بانشاء صندوق تساهم فيه كل دول عربية حسب قدرتها المالية، ثم اقتراح من الكويت باقامة صندوق تساهم فيه أساسا كل من الكويت والسعودية بنسبة ٢٠٪ باعتبارهما الدولتين الداعيتين إلى مؤتمر القمة المحدود، على أن تساهم الدول العربية الأخرى القادرة بالنسبة الباقية، وأسفرت المناقشات عن اقتراح وافق عليه الجميع بانشاء صندوق تساهم فيه كل دولة عربية حسب طاقتها حيث لا تقل المساهمة عن ١٠ فى المائة.

كما طرحت منظمة التحرير الفلسطينة وجهة نظرها فى نقطتنين أساسيتين هما:

١ - ألا يزيد تمثيل أية دولة فى قوات الأمن العربية عن الثلث.

٢ - أن تشمل قوات الردع قوات من أية دولة عربية راغبة فى المشاركة، فى حين أعلن وفد لبنان أن قوة الردع طبقا لمقررات الرياض لا تتبع أية هيئة أو دولة معينة وأنها تخضع للرئاسة الكاملة والمباشرة للرئيس سركيس ومن ثم فإن سلطات الرئيس اللبنانى فى إدارة شئون هذه القوات تعطيه الحق فى قبول أو رفض مشاركة أية قوات[1].

---

(١) الأهرام فى ١٣/١٠/١٩٧١ .

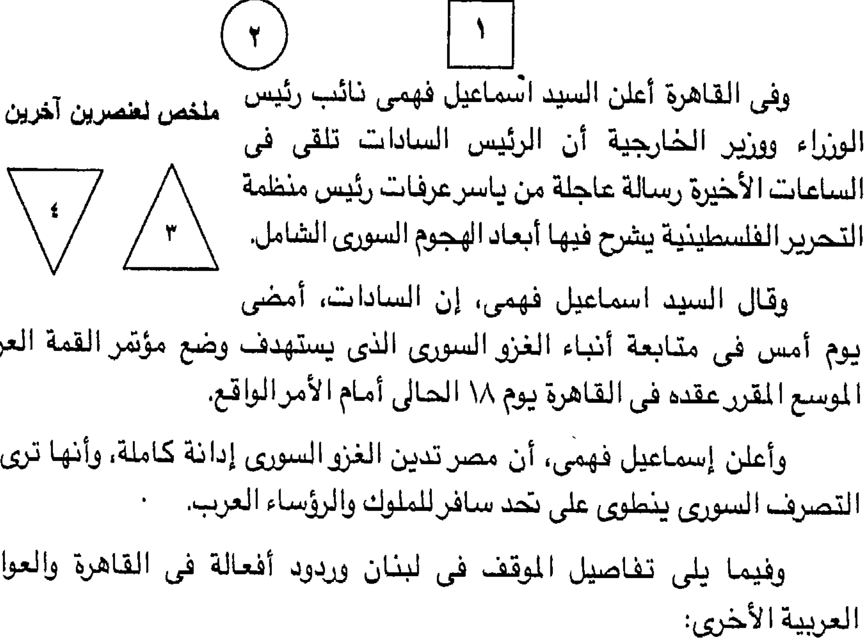
وأحيانا تكون العناصر الثانوية أقل شأنا من بعض التفاصيل المتعلقة بالعنصر الهام البارز وللمحرر فى هذه الحال أن يرجئ ايراد الفقرة المشتملة على تلخيص العناصر الثانوية ريثما يورد التفاصيل الخاصة بالعنصر البارز ما دامت تستحق التقديم.

أما المقدمة الثالثة وهى المزج بين البيان الشامل والحادث المعين، فإنها تستعمل عندما تبرز أهمية حادث واحد، ولكن أهميته لا تبرر إغفال الوقائع الأخرى، ويذهب الأستاذ الحمامصى، إلى أن هذا النوع يحتم على المحرر المكلف بكتابته وكتابة الموضوع الصحفى كله؛ الا يزحم المقدمة بالشرح، ذلك لأن الأصل فى هذه المقدمة، أنها يجب أن تكون قوية، جامعة، متماسكة، مرتبطة، مجردة من كل شئ الا المواجهة التى سنقدم بها القصة الكبيرة التى ستنشر؛ بعد المقدمة.

الرسم التوضيحى

المقدمة = ملخص لعنصرين وليس

للعناصر جميعا



وفى القاهرة أعلن السيد اسماعيل فهمى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية أن الرئيس السادات تلقى فى الساعات الأخيرة رسالة عاجلة من ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يشرح فيها أبعاد الهجوم السورى الشامل.

وقال السيد اسماعيل فهمى، إن السادات، أمضى يوم أمس فى متابعة أنباء الغزو السورى الذى يستهدف وضع مؤتمر القمة العربى الموسع المقرر عقده فى القاهرة يوم ١٨ الحالى أمام الأمر الواقع.

وأعلن إسماعيل فهمى، أن مصر تدين الغزو السورى إدانة كاملة، وأنها ترى أن التصرف السورى ينطوى على تحد سافر للملوك والرؤساء العرب.

وفيما يلى تفاصيل الموقف فى لبنان وردود أفعالة فى القاهرة والعواصم العربية الأخرى:

تفاصيل العنصرين

الأول والثانى

فى المقدمة





المقاومة: محادثات شتورا
كانت لعبة تمثيلية

بيروت فى ١٣ - وكالات الأنباء - تحركت صباح اليوم القوات السورية التى تعززها الدبابات المتمركزة فى الجبال جنوب شرقى بيروت، نحو ميناء صيدا (فى الجنوب) لشن هجوم كبير على الميناء، بعد أقل من ٢٤ ساعة من التوصل إلى اتفاق مبدئى لإنهاء الحرب الأهلية فى لبنان، وبعد مرور ١٢ ساعة على ماأعلنه الدكتور حسن صبرى الخولى المستشار السياسى للأمين العام للجامعة العربية، من أن وقف إطلاق النار على مشروع الاتفاق، الذى أرسل إلى الرئيس إلياس سركيس، والرئيس حافظ السد، وياسر عرفات للموافقة عليه .

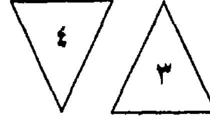
وأعلن متحدث باسم منظمة التحرير الفلسطينية أن وقوع هذا الهجوم بعد التوصل إلى اتفاق فى شتورا لانهاء البقتال، يؤكد شكوك الفلسطيين من أن محادثات شتورا بالنسبة للسوريين مجرد "لعبة تمثيلية".

وقد عقدت قيادة المقاومة الفلسطينة اجتماعا اليوم برئاسة ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وذلك فى أعقاب الهجوم: وذكرت المصادر الوطنية ان عرفات قد طلب عقد اجتماع طارئ لوزراء الخارجية العرب لبحث الموقف المتفاقم فى لبنان فى أعقاب الهجوم الجديد على جنوب لبنان. وذكرت المصادر أن قيادة المقاومة قد أجرت اتصالات بعد ظهر اليوم بحسن صبرى الخولى ممثل جامعة الدول العربية فى لبنان وطلبت منه التوجه إلى القاهرة للاعداد لعقد الاجتماع الطارئ.

وقد غادر الخولى بيروت اليوم متوجها إلى دمشق حيث من المتوقع أن ينتقل منها إلى القاهرة، وأعلن مصدر فلسطينى أنه قد تم الاجتماع الثلاثى اللبنانى السورى الفلسطينى الذى كان من المقرر عقده فى شتورا غدا الأربعاء وذلك بسبب الهجوم الذى شنته القوات السورية على جنوب لبنان.

وقد انهالت مئات القذائف الثقيلة على هذه المواقع، ولكن القوات المشتركة التى تدافع عنها، قاتلت بشراسة ضد قوات المشاة السورية المقدمة.

تفاصيل العنصرين
الثالث والرابع



جنبلاط: مقترحات مصرية
أمام القمة لوقف الغزو

علم مندوب "الأهرام" الدبلوماسى أن الرئيس السادات قد امضى يوم أمس فى بحث الموقف المتدهور فى لبنان بالاشتراك مع عدد من مساعديه وقد اضطر السيد اسماعيل فهمى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية إلى الغاء كل مقابلاته ليكون على اتصال دائم بالرئيس.

وكان الرئيس السادات قد استقبل أمس السيد كمال جنبلاط زعيم القوى الوطنية اللبنانية، وأعلن جنبلاط فى نهاية المقابلة أن الرئيس السادات يتابع أولا بأول أنباء الغزو السورى، وأنه بحث مع الرئيس السادات المقترحات التى يمكن أن يناقشها مؤتمر القمة العربى لوقف الغزو السورى.

وقال جنبلاط، إن الرئيس السادات أبدى اهتماما كبيرا بضرورة العمل على عودة المهجرين اللبنانين إلى مناطقهم فى إطار حل للمشكلة اللبنانية.

ومن المقرر أن يغادر كمال جنبلاط القاهرة اليوم إلى السعودية على طائرة خاصة لاجراء محادثات عاجلة مع المسئولين السعوديين، وسوف يطير جنبلاط من السعودية إلى عدد من دول الخليج لمحادثات مماثلة تتعلق بتدهور الأوضاع فى لبنان نتيجة تجدد الغزو السورى ثم يعود إلى القاهرة للالتقاء بالملوك والرؤساء العرب خلال مؤتمر القمة للتباحث معهم بشأن القضية اللبنانية.

ومن ناحية أخرى أبدت الدوائر المسئولة فى القاهرة دهشتها الكامنة من التصريح الذى أعلنه حسن صبرى الخولى ممثل الجامعة العربية فى لبنان والذى اعلن فيه أنه يتوقع تقدما فى محادثات شتورا بالرغم من الغزو السورى. وأكدت هذه الدوائر، أن المعلومات والوقائع التى تلقتها القاهرة - وتلقتها فى نفس الوقت عواصم

عربية أخرى - كانت تؤكد أن الغزو السورى سيقع قبل ٤٨ ساعة من اجتماع وزراء الخارجية العرب، وقبل ايام محدودة من اجتماع مؤتمر القمة.

وفى الكويت حذر ممثل منظمة فتح من التفاؤل الذى أبداه ممثل الجامعة العربية فى بيروت، ذلك أن سوريا لن تلتزم بهذا الاتفاق الذى تم خرقه بالفعل، وأشاد ممثل فتح بالدور الذى يقوم به الرئيس السادات لدعم نضال الثورة الفلسطينية ووقف المذابح فى لبنان.

وقد يجد المحرر المبتدئ صعوبة فى صياغة الموضوع يجد أمامه عناصر كثيرة، إنه يعرف أن هناك حقيقة واحدة ذات أهمية كبيرة، ولكنه يضع معها حقيقتين أخريين أوثلاثا لا يستطيع إغفالها فكيف يربط بينها؟ يذكر العلماء طريقة واحدة لمعالجة تلك المشكلة وهى **تحليل مادة الموضوع قبل الكتابة**. ويستطيع المحرر أن يدون على ورقة امامه **أهم العناصر فى الموضوع ويدرسها ويوازن بينها**. ثم **ينظم المعلومات حسب قراره فى أهمية كل واحدة منها** ويحرر الموضوع وفقا **للقواعد العلمية المدروسة**.

٥ - النمط التتابعى.

ويقصد بهذا النمط الأنباء التى تعيش فترة طويلة وتتوقعها الصحف مرة ومرات.. وتنقسم هذه الأنباء إلى ثلاثة أقسام[١]:

١ - الخبر القادم.

٢ - خبر اليوم.

٣ - الخبر التتابعى المستمر.

أما **الخبر القادم** فهو الذى تتوقع الصحيفة حدوثه فى موعد معين. وخبر اليوم يعالج حادثة جديدة غير متوقعة. أما الخبر التتابعى المستمر فهو الذى توالى الصحف معالجته فترة طويلة من الزمن.

وإذا كانت المهمة الأولى للصحافة هى إعلام القارئ بما سوف يحدث، فإنها بذلك تؤدى خدمة جليلة للجمهور، وأبلغ مثل على ذلك؛ تحديد مواعيد الجولات الانتخابية التى يقوم بها المرشحون وبرامجهم ووعودهم، ولولا "الصحيفة لذهب الناخبون إلى صندوق الاقتراع وهم لا يعلمون شيئا عن الشخص الذى سوف ينتخبونه، ولا عن برنامجه وسياسة الحزب الذى ينتمى إليه سواء أكان اليمن أوالوسط أم اليسار، والذى يحدث أن الصحيفة تستمر قبل موعد الاقتراع بأسابيع فى نشر كل شىء عن المعركة الانتخابية؛ وقد يذهب البعض إلى التنبؤ بنتيجة المعركة[٢]. ولقد وجدنا جريدة "الأهرام" يوم ٢٨ اكتوبر ١٩٧٦، أى يوم اجراء الاقتراع، تتوقع "**إجراء الاعادة فى دوائر كثيرة**" وأن "عددا كبيرا من المرشحين لن يحصل على الأغلبية المطلقة اللازمة للنجاح فى انتخابات اليوم بسبب كثرة عددهم فى معظم الدوائر يوم الخميس القادم". وقد صح تنبؤ هذه الصحيفة فظهرت النتائج مؤكدة **دور الصحافة التنبؤى** الذى لا يقتصر على المعارك الانتخابية؛ وإنما يشمل مجالات كثيرة كالرياضة. وفى كل صحيفة عدد من المندوبين الذين تخصصوا فى معرفة اتجاه النتائج الرياضية. واتجاهات التنسيق والقبول بالجامعات وهناك أخبار أخرى من هذا النوع ولكنها - أقل أهمية لتذكير القراء بما سيقع من أحداث فى بلادهم كأن يقول لهم مثلا إن غدا هو عيد السويس أو أن الجامعات ستفتتح يوم ٢٣

(١) كارل وارين : المرجع السابق ص ٩٤ .

أكتوبر أو إن تقول لهم أن احتفالا معينا سيقام يوم كذا أو(أن مسرحية لشوقى مثلا سوف تقدم على المسرح القومى يوم كذا).

ويجب أن يدرك المندوبون أنه لا يوجد شيء مؤكد فى هذا العالم، ولذلك يجب عليهم ألا يلبسوا ثياب العّرافين، فإذا كلفوا بمهمة استقصاء ما سوف يقع من أحداث؛ فعليهم التزام الحرص، وخاصة إذا كان الحادث يتناول أسماء وأرقاما وفى بعض الأحيان يلجأ الصحفيون الذين يكلفون بمهمة من هذا النوع إلى اقتباس قول شخص مسئول عن حادث سوف يقع، ثم يردفون ذلك القول بتحفظ لانقاذ الصحيفة إذا لم يتحقق ما قاله المسئول.

أما **الخبر التتابعي** المستمر فهو يبدأ عادة بحادث جديد. وعلى المندوب الذى روى الحادث مرة أن يوالى الكتابة عنه، فإذا حدث انفجار فى مدينة مثلا، وروى التفاصيل على النحو المعروف ، وعليه أن يجيب عن عدة أسئلة: كيف دخل الديناميت إلى المدينة؟ لماذا انفجر؟ كيف حال ضحايا الانفجار؟ .. وعليه أن يتتبع حالة كل ضحية فى المستشفى وتطور صحته إلى أن يخرج من المستشفى. ويضرب "وارين". مثلا لقصة جريمة من الجرائم؛ وتطوارتها:

٢٥ مايو لص يطلق النار على صاحب متجر ثم يفر.

٢٦ مايو يموت صاحب المتجر ويبدأ البوليس فى البحث عن اللص.

٢٧ مايو البوليس يقبض على المتهم.

٣ يونيو النيابة تحقق مع المتهم وتعد صيغة الاتهام.

١٧ يوليو تبدأ المحاكم أمام القضاء.

١٨ يوليو الشهود يدلون بأقوالهم وينسحب القضاء للمداولة.

١٩ يوليو يعلن القضاة قرارهم ويصدر الحكم.

١٠ أغسطس يقدم المتهم استئنافا.

٣١ أغسطس محكمة الاستئناف تؤيد الحكم.

٣ سبتمبر تنفيذ العقوبة على الجانى.

وعلى المندوب أن يرجع بين وقت وآخر إلى الأرشيف كلما عاود الكتابة عن الموضوع؛ حتى لا يخطئ فى سرد المعلومات. وقد يضطر فى بعض الأحيان إلى أن يعيد بعض وقائع القصة التى نشرت من قبل، وعندما يريد أن يضيف إليها معلومات جديدة لابد من أن يحكم على علم بالقصة وأن يضع فى اعتباره أن من القراء وأن بعضا آخر لم يقرأها بالمرة.. وهذا يتطلب أن يتضمن الجزء الجديد من الخبر التتابعى المستمر ملخصا قصيرا لما سبق سرده من حوادث هامة؛ فى الخبر. وفى بعض الحالات يضطر المندوب الصحفى إلى رواية معلومات غير جديدة، فى أكثر من فقرة.

ويتكون - على ذلك - النمط الخبرى التتابعى المستمر، على النحو المبين بالشكل.

على أن الصحفى المبتدئ قد يجد صعوبة فى تحرير الأخبار المتتابعة بسبب التعقيدات التى تنشأ عن الحاجة إلى ربط المعلومات القديمة بالحديثة، وقد يحاول بعض هؤلاء أن يحشد أكبر عدد ممكن من المعلومات القديمة بالحديثة، وقد يحاول بعض هؤلاء أن يحشد أكبر عدد ممكن من المعلومات فى فقرات الربط، وهذا يعوق تطور الحوادث، وما عليه إلا أن يسرد الحقائق عارية مجردة من العبارات الطنانة والمبالغات، ثم ينتقل إلى التطورات الجديدة فى بساطة طبيعية(١).

وحينما يجد الصحفى نفسه فى مأزق بين ضغوط مواد لا حصر لها حتى فى الاخبار البسيطة نسبيا وبين حدود ثابتة لحيز الصحيفة، فلا سبيل له إلى دفع هذا الضغط أو الافلات من تلك الحدود والقيود. وليس أمامه إلا سبيل التركيز والاقتصار على المعلومات الجوهرية الهامة وتحريرها وفق القواعد العلمية التى تنظم له أساليب التفكير وتجنبه مزالق الوقوع فريسة للسطحية الموقوتة.

(١) الحمامصى: المرجع السابق ص ١٢٤.

الفصل الخامس

فن الحديث الصحفي

فى كثير من مجالات العمل الصحفى؛ تمثل المهارة فى فن المقابلة أمرا لاغنى عنه. ذلك أن الصحفى شأنه شأن أى إنسان - يقابل الناس ويستقبل غيره من الناس. على أن الصحفى بالضرورة يجب أن ينمى مهارته فى هذه الوسيلة التى يمكن بها الحصول على كثير من المعلومات ووضع الكثير من خطط أعماله الصحفية. ذلك أن اكتشاف الحقيقة هو جوهر العمل الصحفى؛ والأحاديث الصحفية. ومقابلة الناس والتحاور معهم هى الوسائل التى تتيح للمندوب أن يعرف ما قد حدث، وما قد يحدث. ولذلك يذهب علماء الصحافة إلى أن "كل حوار صحفى يجىء إنّما بالتفاصيل التى تجعل الموضوعات جديرة بالثقة".

وتعتبر المقابلة من صميم التقرير الصحفى؛ ذلك أن كل تقرير يتضمن - فى الغالب - مقابلات مع أشخاص مطّلعين وأحاديث مع اختصاصيين؛ لكن دون ذكر أسمائهم. وفى المقابلة التى تعتبر نوعاً قائماً بذاته، يعطى الكلام للشخصية، وينحصر دور الصحفى فى حمل الشخصية على الكلام، والحديث معها بما يهم الجمهور.

والمندوب الصحفى لكى يحقق النجاح فى عمله اليومى؛ عليه أن يعرف كيف يُجرى الأحاديث مع الناس. فالمقدرة على الاستجواب؛ كما يقول علماء الصحافة؛ أمر ضرورى "لسبب واضح بسيط هو أن معظم الأنباء تُستقى مباشرة من الاتصال الشخصى. ذلك أن جميع الأخبار، بداية من المؤتمر الصحفى الرسمى فى القصر الجمهورى، ونهاية بالحديث مع عابر السبيل الذى شهد حادثة سيارة، هو إلى حد كبير استجواب لأناس من مختلف الأنواع وفى مختلف الأحوال. ونظراً إلى أهمية الاستجواب القصوى فى جمع الأخبار؛ فإن المندوب الصحفى يجتهد باستمرار من أجل تنمية قدرته فى هذا المضمار"(١).

وحين نتساءل: "لماذا ينبغى أن تصبح صحفياً يجرى مقابلات جيدة؟".. نقول مع شيرلى بياجى: "؟إن الموضوعات الصحفية الحافلة بالمعلومات والتى تشد القارئ إنّما تنبع من مقابلات صحفية يجرى الإعداد لها جيداً، ويتم تنفيذها أيضاً بصورة جيدة. ومن النادر أن يدرك قارئ الصحيفة أو مشاهد التليفزيون كم من المقابلات، وكم

(١) ص ١٣٩.

من الأبحاث ومن الوقت يمضيه الصحفيون وراء كل قصة صحفية. إن جميع الموضوعات الصحفية والبرامج التليفزيونية والإذاعية تنتج عن أنواع مختلفة من توجيه الأسئلة"(١).

والتميز فى إجراء المقابلات الصحفية من أهم أسس العمل الصحفى الناجح. وهو كذلك بالنسبة للكتابة الصحفية أيضاً: يقول "كريس جيلجر" الصحفى بجريدة "تايمز بيكايون": "إننى أعتقد أن معظم الصحفيين على قدر من الكفاءة يكفى لإجراء مقابلة صحفية. ولكن المشكلة تكمن فى المعلومات الناقصة فى المقابلة؛ إما لأن الصحفى سبق أن حدّد فى ذهنه ما الذى يريده من المقابلة. فينهيها قبل أن تتاح الفرصة للمتحدث لأن يدلى برأيه، أو لأن الصحفى ينقصه التعاطف وحب الاستطلاع للحصول على ما هو أكثر من الحقائق الأساسية فى القصة - مثل الوصف والتفاصيل، أو ما نسميه بلغة الصحافة: "لماذا وأين وكيف ومتى"(٢).

من "المقابلة إلى الحديث":

والعمل الصحفى يقوم فى جوهره على جمع المعلومات الكاملة؛ الدقيقة؛ الموضوعية؛ ولذلك فإن الصحفى الذى يُجرى مقابلات جيدة؛ إنما يبحث باستمرار عن شىء جديد؛ أو عن معلومات متعمقة؛ أو فكرة أو وجهة نظر تثير الاهتمام فى القصة؛ وتكون جديرة بالاستماع إليها وبحيث لا تكون شائعة أومعروفة من قبل.

وتعتبر "المقابلة الصحفية" مثل المحادثة؛ "نوعاً من تبادل المعلومات، والآراء، والتجارب، بين شخص وآخر. وفى أثناء المحادثة فإن السيطرة على المناقشة تنتقل من شخص لآخر مرات عديدة. ولكن فى المقابلة الصحفية فإن الصحفى هو الذى يتحكم فى سير المناقشة، ويحدّد اتجاه الأسئلة"(٣).

وحين يحرص الصحفى على "القول المصيب"؛ على نحو ما نجد فى التراث العربى؛ استلهاماً لقول الله عز وجل: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إلا

(١) شيرلى بياجى : المقابلة الصحفية.. فن، دليل عملى للصحفى، ترجمة كمال عبدالرءوف؛ ص١٥.
(٢) نفس المرجع ص ١٧.
(٣) نفس المرجع ص ٢٣.

مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ/٣٨]؛ فسيجد عونا من البيان العربى الذى يقول: ومن الصواب أن نعرف أوقات الكلام، وأوقات السكوت، وأقدار الألفاظ، وأقدار المعانى، ومراتب القول، ومراتب المستمعين له، وحقوق المجالس، وحقوق المخاطبات فيها، فنعطى كل شىء من ذلك حقه، وضمه إلى شكله، ونأتيه فى وقته وبحسب ما يوجبه الرأى لنا، فإنه متى أتى الإنسان بالكلام فى وقته أُنجحت طلِبتُهُ، وعظُمت فى الصواب منزلتُه، ولذلك ترى من له الحاجة إلى الرئيس رقب لها وقتاً يراه فيه نشيطاً فيكلمه فى حاجته، فيكون يسير القول منه فى ذلك القول منجحا، ومتى عجل وكلّمه وهو ضيق الصدر أو مشغول ببعض الأمر، كان ذلك سبب حرمانه وتعذر قضاء حاجته. وارتقاب الأوقات التى تصلح للقول وانتهاز الفرصة فيها إذا أمكنت من أكثر أسباب الصواب وأوضح طرقه. ثم متى سكت عن الكلام فى الأوقات التى يجب أن يتكلم، لحقه من الضرر بترك انتهاز الفرصة مثل ما يلحقه من ضرر الكلام فى غير وقته، ولذلك قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام "انتهزوا الفرص فإنها تمُرُّ كمَرِّ السحاب".

وحين تذهب "ساندرا تومسون" الصحفية فى جريدة "سانت بيترسبرج تايمز" إلى أن "المقابلة الصحفية ليست نوعاً من المحادثة"؛ فإنما تشير إلى تجنب وجوه المحادثة المرفوضة فى الهزل؛ والقبيح؛ والخطأ؛ ولذلك تنصح الصحفىّ بأن يكبت "أى نوع من حب الظهور عنده تماماً، وفى نفس الوقت يسيطر على الموقف بطريقة خفية" وهذا أمر صعب - كما تقول: "فأنت تراقب كل شىء يقال؛ وفى نفس الوقت تحاول أن تخلق جوًّا ودياً يدعو إلى الاسترخاء وعدم الشعور بالخطر من جانب المصدر. وفى الواقع فإن داخل عقل الصحفى جهاز "تيكرز" يدق طول المقابلة، وهو يتساءل: ترى ماذا سيكون سؤالى التالى، وما الذى تدلّ عليه حركات أيدى المتحدث، وماذا تشير إليه نبرة صوته؟

إن الذى يجرى المقابلة الصحفية عليه أن يصغى للمتحدث؛ ويراقب، ويتحرّى، ويستجيب ويسجل كل ما يجرى فى وقت واحد". وللسكوت: أوقات هو فيها أمثل من الكلام وأصوب، فمنها السكوت عن جواب الأحمق الهازل والمتعنت. وفى ذلك يقول الشاعر:

[من الوافر]

وأصْمُتُ عن جوابِ الجَهْلِ جُهْدى
وبعضُ الصَّمْتِ أبْلَغُ فى الجوابِ

وقال بعضهم: "رُبَّ سُكوتٍ أبلغُ من مَنْطق".

وقال آخر: [من الطويل]

وقد أسمعُ القولَ الذىّ كاد كلما
إذا ذكَرَتْه النَّفْسُ، قلبى يُصَدَّعُ
فأبدى لمن أبداه منى بشاشةً
وإنىَ مسرورٌ بما منهُ أسْمَعُ
وما ذاك من عُجْبٍ به غير أننى
أرى أنّ تَرْكَ الشرِّ للشرِّ أقطعُ

يقول "تيد كوبل" التليفزيونى فى محطة "A. P. C." : "فى بعض الأحيان أتحوّل إلى محقق؛ وفى أحيان أخرى أتحوّل إلى فراشة تطير حول المصدر وتزعجه. فى أحيان أحاول أن أوضح وأفسّر، وفى أحيان أخرى أتعمد أن أكون متغابياً. أما كيف تنجح فى مقابلاتك الصحفية فهذا يتوقف على مقدرتك فى أن تؤدى هذا الدور الصحفى".

وقد مدح الله - عزل وجل - الحلم، فقال:﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة١١٤] وسمى نفسه الحليم. وقال الشاعر: [من الطويل]

ولم أرَ مِثْلَ الحِلم زَيْناً لصاحبٍ
ولا صاحباً للمرء شَرّاً من الجَهْلِ

وقال الله - عزل وجل - فى وصف المؤمنين وتنزُّههم عن مقابلة الجاهلين: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾(٣)، وقال . عز وجل(٤): ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾(٥). وقال ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾(٦). وقال الشاعر: [من الوافر]

مُتاركةُ اللئيم بلا جوابٍ ∴ أشَدُّ على اللئيم من الجوابِ

ومما يستحسنه الأدباء، ويراه صواباً كثير من العلماء: الحلم عن النظير ممن هو دون النظير، لأنَّه يبين عن فضل الإنسان فى نفسه ويرفعه عن مقابلة من جهل عليه ووضع نفسه لأذيته. وقد قيل : "من عاجلِ نفع الحلم، كثرةُ أعوان الحليم على الجاهل".

يقول ابن وهب:

"وأما أقدار الألفاظ وأقدار المعانى، فهو أنْ يأتى بالمعنى فيما يليق به من اللفظ. "وأما مراتب القول ومراتب المستمعين له، فهو حسن التلطف فيه والإتيان به على تقدير وتمرين لسامعه، وحسن حيلة فى إيراد ما يقبل عليه، وتجنيبه ما ينكره. وأنْ لا يهجم منه عليه بما يغضبه، أو لا يحتمله قلبه، ولا يسعه صدره، ولا يليق به قبوله. ثم يزيده شيئاً بعد شىء حتى يبلغ به أقصى مراده منه فيكون فى ذلك مثل المربى للصبى؛ فإنه متى هجم عليه بالغذاء من أول مرة قتله، ولكنه يسقيه اللبن ثم ينقله فى الغذاء من حال لطيفةٍ إلى ما هو فوقها حتى يكمل تربيته، أو كالطبيب الحاذق الذى إذا رأى العليلُ يكره الدواء، ويمتنع من أخْذِه لطف له واحتال فى إقامة شىء مكان شىء، وخلط ما يستبشع طعمه بما يذهب بشاعته، والتدبير لذلك حتى يسهل عليه أخذه، ويبلغ مراده من نفعه. ولذلك بدأ الرسول - عليه السلام - فى أول النذارة بالدعاء إلى التوحيد بشهادة الإخلاص، فنظر، ثم لم يزل يزيدهم فريضةً بعد فريضة، وأمراً بعد أمر، إلى أنْ أكمل لهم الدين وانتهى فى ذلك. ولو هجم به عليهم فى أول وَهْلَةٍ، لاستثقلوه، ورفضوه، وخالفوه ولم يقبلوه. فيَنْبَغى للعاقل أن يكون بصيراً بترتيب قوله، عالماً بمراتب المستمعين له فى قبوله، فلا يأتيهم منه بما ينافر طبائعهم، ويكون سبباً إلى إعراضهم، ثم لا يزال يلطف لهم فى ذلك ويوفيهم من حال إلى حال فيه حتى يبلغ بهم مقصده، فإنَّ ذلك أصوْب فى الرأى وأوْلى بالقبول. وقد أوصى بعض حكماء العرب بنحو ما قلناه فقال : اعلم أنَّه لا يتهيأ لك نقل رَجُلٍ عن طريقته بالمناقضة والمكابرة، لاسيما إذا كان ذا سلطان أوْ ذا نخوةٍ، ولكنك تقدرُ أنْ تعينه على رأيه وتنبهه على إحسانه وتقربه من قلبه، فإنَّك إذا قربت منه المحاسن كانتْ هى التى تكفيك المساوئ، وإذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذى يبصّره الخطأ بألطف من تبصرك، وأعدل من قصتك، لأنَّ الصواب يؤيد بعضه بعضاً، ويدعو بعضه إلى بعض. وأما حقوق المجالس وحقوق القول فيها. فإن مجالس السلطان مخالفة لمجالس الرعية ومجالس العلماء مخالفة لمجالس الجهال، ومجالس الجد مخالفة لمجالس الهزل. فحق العاقل أنْ يعظم مجالس السلطان والعلماء، فلا يأتى فيهما بشىء من الخناء، ولا الهزل، ولا اللهو، إلا أنْ يشاء السلطان ذلك منه، فيأتى ما يأتى من ذلك

عن إذنه وطاعة لأمْره، وبحسب ما يحتمله نشاطه من غير زيادة على ما يخرج به عن حد الخلاف عليه والعصيان لأمره. ولا يملى لنفسه مع ذلك فى الاسترسال والجرى على عادة النفس فى الإهمال، وأنْ يكونَ فى مجلس السلطان بين ثلاثة أحول :إمَّا أن يكون مُنصتاً، أوْ معظماً لحقه عن الابتداء بالكلام فى مجلسه، أوْمُجيباً عمّا يسأل عنه من غير دخول فى جواب مسألة لغيره، أو مُنْهياً نصيحةً إليه فيما أصلح ملكه ورعيته من غير أنْ يشوب النصح بالسعاية به، أو يخلط المشورة بالنميمة والتحميل على الرعية، فالتوقير للرؤساء والأئمة مما قد أمَر اللّهُ - سبحانه - به حيث يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(١).

والنصيحة للأمة واجبة، فقد روى جرير أنّه بايع رسول اللّه - (ﷺ) - على السمع والطاعة والنصيحة. ورُوى عن رسول اللّه - (ﷺ) - :"إنَّ الدين النصيحةُ للّهِ، ولرسوله، ولأئمة المسلمين"(٢).

والسعاية والنميمة وتحميل السلطان على الرعية مذمومان عند الحكماء، وقد رُوى أنَّ أفلاطون أعرْضَ عن ارسطاطاليس لشىء بلغه عنه، فسأله عن سبب إعراضه فقال : "شىء بلَّغنيه الثقةُ عنك". فقال: "الثقةُ لا يكون نمّاماً". ورُوى أنَّ رجلاً سعى إلى الاسكندر ببعض أصحابه فقال: "إنْ أرَدْتَ أنْ أقبل قولَه فيك، فعلْتُ، وإلا فَدَع الشر يدَعْك".

وأنْ يكون فى مجلس العلماء فى أحد ثلاثة أحوال : إما سائلُ متعلِّم، أومنصت متفهم، أو مذاكر بالعلم للمتعلم، فقد روى: "كُنْ عالماً أو متعلما، أومنصتاً، ولا تكن الرابع فتهلك".

وأنْ توقرَ العلماء، فقد روى فى بعض الحديث: "ليس المَلَق فى أخلاق المؤمن إلا فى طلب العلم". ورُوى عن أمير المؤمنين - عليه السلام: "حق العالم أنْ لا تُكثِر عليه السؤالَ حتى تُضْجرَهُ، وأنْ لا تأخذُ بثوبه".

---

(١) سورة الحجرات، الآيتان ٢،٣.

(٢) فى النهاية ج٤ ص٣٥٨ : "ليس من خلق المؤمن الملق". والملق - بالتحريك- الزيادة فى التودد والدعاء والتضرع فوق ما ينبغى.

وإذا دَخَلتَ على قوم فسلم عليهم جميعا، وخُصَّهُ بالتحية واجلس بين يديه، ولا تغمز بعينك ولا تُشِر بيدك إلى مجلسه، ولا تكثر من القول : "قال فلان، وقال فلان"، خلافاً عليه. ولا تضجر بصحبته.

وأنْ يكون فى مجلس الجد جاداً فى مَنْطقه وقوله، غير مهجن بكلامه ونفسه باستعمال الهَزل والإفاضة فيه. فقد قيل: "لا يخلط الجد بالهزل فيُسْخِفُه، ولا يخلط الهَزْلَ بالجد فيكدره". وإنْ اضطرته حال إلى حال فجالس السفهاء وأهل الهَزْل فليكن بينهم متملساً[1]، وعن جَملتهم خارجاً، ولما هم فيه ماقتاً، وعته بسمعه معرضاً. وليكن فى استعمال ما لا إثمَ فيه من المَزح والهَزْل، وما لا يسقط مروءة، ولا يثلم ديناً ولا جاهاً قاصداً إلى ترويح قلبه وإجمامه لمعاودة ما فيه نفعه. فقد رُوى أنَّ فى حكمة إلى داود: "على العاقل ما لم يكن مغلوباً على أمره أن يجعل نهاره أربع ساعات: فساعة يناجى بها رَبَّه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يُفضى بها إلى إخوانه الذين ينصحون له ويصدقونه عن عيوبه، وساعة يخلى فيها : يخلى بين نفسه وبين شهواته ولذاته فيما يحل ويجمل، فإنَّ فى هذه الساعة له عوناً على هذه الساعات".

من هذا النّص التراثى، يتضح لنا أن لفن الحديث؛ الذى يضرب بجذوره فى التاريخ الإنسانى أصولاً وقواعد يجب أن تُرعى؛ وأن تستهدى بها الأجيال على النحو الذى يؤدى بنا إلى القول بأن فهم الطبيعة الإنسانية؛ هو الأساس الذى يبنى عليه فن الحديث الصحفى الفعّال؛ فى صورته المعاصرة.

الحديث الصحفى وحوافز السلوك الإنسانى:

والأسباب التى تكمن وراء بعض أساليب السلوك الإنسانى؛ أكثر ما تكون وضوحاً للمشتغلين بالصحافة، إذ يعتمد العمل الصحفى فى جوهره على فهم هذا السلوك. ولذلك يذهب الدارسون إلى أن إجراء الحديث الصحفى مهمة صعبة، وبخاصة فى هذا العصر الذى يميل فيه الأفراد إلى أن يكونوا شديدى الشك والارتياب حيث

---

(١) يقول الدكتور مصطفى جواد : "لعل الأصل (متملسا)، يقال : تَملس من الأمر : افلت وتخلص كما فى معجمات اللغة. وتملس الرجل من غيره : خرج من عهده، كما فى كتب الأدب". البرهان فى وجوه البنيان ص ٢٥٨.

ينظرون إلى كل شيء بشك بما في ذلك الصحافة. ومن ثم يجب أن يكون المتحاور مرناً مع. وبعض المواقف التي تحتاج إلى الجرأة والشجاعة؛ والبعض الآخر الذي يحتاج إلى التسامح. وهناك عنصران متصارعان يتحرك المتحاور في إطارهما: أولاً: من حق الناس أن يعرفوا كل الحقائق، وأنت أحق المسئولين عن تقديم هذه المعرفة لهم؛ ثانياً: لا أحد ملزم قانوناً بالتحدث معك، ومن ثم على الإنسان أن يلجأ إلى فهم السلوك الإنساني وطبيعته.

والحوافر اللاشعورية عامة تكون بصورة أقوى مما نتصور عن محاولاتنا لفهم الناس؛ فإننا في الأغلب نعمد إلى البحث عن أسباب سيكولوجية عميقة الجذور مرتبطة بانفعالاتنا وحياتنا الوجدانية. و"الدوافع قوى انفعالية. والأفعال التي تسيطر عليها هذه الدوافع لها أصلها الراسخ في الوجدان أكثر منه في العقل" على حد تعبيرّ أنيث جاريت" التي تشير لنا إلى الجوانب الذاتية والموضوعية في كل موقف. وأن المران والمهارة يؤديان إلى إدراك مدى الارتباط بين الناحيتين الموضوعية والذاتية. كما أن معرفة العوامل الذاتية قد تكون ضرورة ليمكن بعدها تصميم الخطط الموضوعية في الحديث الصحفي. ولذلك يذهب علماء الصحافة إلى أن ترتيب لقاء صحفي أشبه بعملية فك قنبلة. فأي إنسان في موقع القوة. ويمتلك الكثير من المال – وهم أكثر الناس حيطة ومعارضة للحديث معك – يكون في الغالب محاطاً بمجموعة كبيرة من مديري المكاتب والسكرتيرية ورجال العلاقات العامة. وفي أوقات أخرى ستتعامل مع نوعيات عانت الكثير من الإساءة والحرمان؛ لدرجة أنهم أصبحوا يتشككون في أي مخلوق يسأل أي سؤال.

وفيما يلي بعض الأساليب والطرق التي تمكنك من مواجهة هذه المواقف:[1].

الاتصال المباشر: ارفع سماعة التليفون واطلب الشخص الذي تريده. وأخبره بما تريد: "آلو، أنا السيد فلايد من صحيفة كذا، وأود التحدث معك بشأن الفواكه المصنوعة من البلاستيك".

الوسيلة المتاحة : في مكاتب الحكومة والمصالح تسعى السكرتيرية دائماً لصرفك بفظاظة من المكتب برغم أن رئيسهم يريد الحديث معك (إنها مجرد عادة لا أكثر).

(١) مدخل في الصحافة السابق ص١٤٤.

فاجعل من هذا السكرتير – أو من يحمى الرئيس – صديقاً وحليفاً لك، وأخبره "أن الأمر بالغ الأهمية، ويجب أن أتحدث إلى السيد فلان للأهمية القصوى". فإذا عطلوك بعض الوقت، فعد وذكّرهم مرة أخرى أن الأمر فى منتهى الخطورة. "لكن إياك والعواء والعويل".

لا مفر من المواجهة. إذا تكرر فشلك فى الاتصال بشخص ما تليفونياً أوإذا كان هذا الشخص محظوظاً ولا يملك تليفوناً.. قم على الفور باقتحام مخبئه وقدم العديد من الاعتذارات والأسف والندم لفعلتك هذه، ثم ادخل فى الموضوع مباشرة.

المكوث لفترة طويلة. إذا كنت بالفعل تريد لقاء شخص ما، وحاول السكرتير أو من يحميه إقناعك بأنه مشغول جداً جداً اليوم. ولن يتمكن من لقائك فقل لهم بهدوء: إنه لا مانع لديك من الانتظار ولا مانع أيضاً من إحضار وجبة الغداء معك، ليعرف الجميع مدى إصرارك على البقاء.

الهجوم. إذا حدث أن لمحت الشخص الذى تريد التحاور معه – وهو يرفض – فاندفع نحوه فى إصرار وقل له، لقد توافرت لدينا معلومات يمكن أن تدينك، فهل ترغب فى إضافة شىء؟

ولكن.. **كن لطيفاً.** فإن الناس الذين اعتادوا عنف الظروف تأسرهم الرقة كثيراً، وقل إننا نعرف أن هناك وجهين لكل قصة، ونحن تواقون لسماع القصة منك.

شارك وجدانياً: لا شىء يجدى مثل المشاركة الوجدانية. وقد يفرض على المندوبين أن يحاوروا مع نجوا من المآسى، ولكى تنجح معهم أبدأ بالتعبير عن عدم ارتياحك شخصياً لعملية توجيه أى أسئلة وأنك جد آسف على هذا، ولكن "من فضلك، نرجوك أن تخبرنا ما هو شكل (زيد)، وهل عندك صورة له؟".

غالباً ما ينجح الأسلوب المباشر فى إنجاز المهمة. حتى الناس الذين لا يقرأون الصحف يتأثرون جداً لفكرة أن هناك من يريد أن يسمع ما يقولون. كثير من الناس سيوافقون على الأقل على إجراء الحوار معهم. ولكن هذا لا يعنى أبداً أنهم سيتحدثون معك فور وصولك.

من المفيد جداً أن تعرف الكثير عن الموضوع الذى كلفت به قبل ذهابك إلى لقاء الصحفى. وقد يسكتك بعض المسئولين بقوله. "لقد تحدثت فى هذا آلاف المرات" أو"لقد

سبق أن أوضحت موقفى من قبل بخصوص هذا الموضوع". إن عملية البحث فى مكتبة الصحيفة تمكنك من معرفة وتقييم الشخص المراد التحاور معه. هل هو فى العادة شخص مكفهر ونكد دائماً؟ هل يحب الثرثرة؟ مثل هذه المعلومات تساعدك فى تحديد هل أنت مقبل على حوار عصيب أم على حوار مسلٍ.

التخطيط السليم يجعل هروب المتحاور صعباً: إن "ليونارد راى تيل"، خبير فى تغطية أخبار السجون ومحاور فذ اعتاد أن يحتفظ بقائمة بأسماء نزلاء السجون وبأوراقهم الدالة عليهم فى السجون. هذه المعلومات تحولت إلى أداة لها قيمتها تماماً حين ذهب يوماً لعمل لقاء صحفى مع مأمور السجن حول ما أشيع عن وجود مخبأ للأسلحة المصنعة داخل السجن والمخبأة داخل بعض الزنزانات بسجن أطلنطا. ولما كان مساعد المأمور معروفاً بعدائه للصحفيين، فقد أخبر تيل المأمور أنه غير موجود. فرد عليه بهدوء إنه لا مانع لديه من انتظاره. لكن مساعد المأمور عاد وقال إن المأمور فى مكان ما يتعذر الوصول إليه فى السجن. فرد "تيل" بأن المكوث طويلاً لن يضايقه وأخرج له حقيبة بنية اللون وأخبره أنه قد أحضر معه غداءه تحسباً لهذا، فأصر مساعد المأمور على موقفه. وعلى الفور قال له "تيل" حسناً ما دمت سأمكث هنا ولمدة طويلة فأرجو لقاء المسجون فلان رقم كذا وأخرج ورقة من جيبه وكتب عليها الاسم ونظر لمساعد المأمور، عادة يقدم الصحفى طلبه للقاء أى سجين قبل الموعد بأربع وعشرين ساعة. وبما أن "تيل" يعلم القوانين جيداً فقد كان يرجوا استثناء من القاعدة. وبعد أن أسقط فى يد مساعد المأمور، ذهب على مضض ليسأل السجين إن كان يرغب فى التحدث إلى "تيل". ثم عاد وأخبر تيل أنه قد رفض، وعلى الفور كتب "تيل" اسم سجين آخر ورقمه وأعطاه للمساعد. وفى غضب ذهب إلى الزنزانة المغلقة وعاد ليخبر "تيل" برفض السجين الثانى أيضاً. فأعطاه "تيل" اسماً ورقماً آخر وطلباً رسمياً كتبه على ورقة منزوعة من مفكرته. واستمرت هذه المحاولات على مدى ساعة كاملة إلى أن شعر "تيل" بالفعل بمقدم المأمور نحوه. فى الحقيقة كان المأمور بالفعل داخل مكتبه القريب من ذاك المكان وخرج لتوه للذهاب إلى الحمام. واقتنص "تيل" الفرصة والمأمور معاً. وحتى لا يشعر المأمور بالحرج أمام تيل فقد رحب كثيراً بإجراء الحوار معه وفى مكتبه. وخرج "تيل" بحديث صحفى بالغ الأهمية مزود بمجموعة من صور الخناجر التى تم صنعها داخل السجن.

إن الإلحاح فى حد ذاته قد لا يجدى دائماً، ولكنه على الأقل أفضل من عدمه. فبعد حوار تقليدى حزين مع والدى فتاة صغيرة قُتلت، علم "رون تيلور" أن الشرطة قد قبضت على أحد أعمام الفتاة ورفضوا ذكر اسمه. فى الحقيقة لم يكن "تيلور" هو صاحب فكرة الخطوة التالية وإنما أحد المخبرين السريين واسمه "باد سكينر" وكان صديقاً للمصور. وكان لهذه الخطوة أهميتها البالغة للموضوع. قال الرجل إن الأسرة ذاتها لن تتردد أبداً فى التصريح باسم العم. فذهبا إلى بيت الأسرة، ولم يحصلا على الاسم فقط، وإنما استطاع "تيلور" والمصور التقاط صور بالغة التأثير فى لحظات الغضب وجيشان المشاعر. صرخت إحدى العمات تقول "لقد جلس إلى مائدتنا وأكل من طعامنا". وهدد أحد أبناء العموم بأنه سيقتل العم فى أول فرصة تسنح. وهكذا انبثق هذا الموضوع المعبر عن مأساة إنسانية من داخل أسرة تسعى للانتقام بعد أن فجعت بحقيقة أن مرتكب هذه الجريمة البشعة هو أحد أعضائها.

فى مثل هذه القضايا جرى العرف أن تنطلق الأسرة التى مسها الكرب فى الكلام دون ضابط ما دامت قد سنحت لها هذه الفرصة، وكأنهم يسعون للتعبير عن مشاعر غضبهم لأى غريب.. مثل هذا الاتجاه المفاجئ، وغير المتوقع يستطيع أن يحول مسار أى مهمة صعبة. ذات مرة ذهب أحد مندوبى المهام العامة فى أطلنطا لإجراء حديث مع والدى أحد ضحايا سفاح فى "هيوستن". كان حزن الأبوين بالغاً لأن البوليس قد أرشدهم إلى جثة غير جثة ابنهم. وبدلاً من رفضهم لقاء المندوب الصحفى تحدث الوالدان إليه طويلاً وكأنهما يعبران عن ارتياحهما لوجود شخص يشاركهما فى لوعة القلب ومرارة الغضب.

وهذا ما حدث حين ذهب أحد الطلبة المتدربين فى "ميامى هيرالد" إلى إحدى المزارع للتحاور مع أسرة أحد عمال المزارع والمتهم بقتل فتاة فى العاشرة من عمرها. كان عليه أولاً العثور على البيت المتنقل وسط المزارع المترامية الأطراف. فاستغرق البحث قرابة الساعة. طرق الباب وأخبر السيدة التى ردت عليه أنه مندوب صحفى يريد أن يسمع منها الجانب الآخر من القصة. رفضت السيدة الحديث وأغلقت الباب فى وجهه، لكن بلطف، فعاد إلى سيارته واعتقد أن الموضوع قد انتهى عند هذا الحد. وجلس يفكر فيما ينبغى عمله إلى أن لمح شخصاً بالبيت يشير إليه ليعود. فعرف أن

أسرة المتهم قد دار بينها حوار انتهى بقرارهم بضرورة عرض الجانب الآخر من القصة. كان المتهم معروفاً بأنه جليس هذه الفتاة الطيبة. فظل المندوب يسمع على مدى ساعة كاملة. بعد ذلك قاد سيارته- وقد ثارت مشاعره – بحثاً عن أول تليفون يصادفه على الطريق الرئيسى ليتحدث إلى مكتب الصحيفة. وبفضل هذا الحديث الصحفى تم تعيين هذا المندوب تحت الاختبار فى وظيفة ثابتة بالجريدة فور تخرجه فى الجامعة. لقد مهد له نجاحه فى هذه المهمة طريق الاحتراف.

وإذا كانت الأخبار فى أبسط صورها هى خروج عن المألوف؛ فإن دقة الملاحظة لا تقل أهمية عن أى وسائل تدريبية أخرى بالنسبة للمتحاور. وأما المندوب فيجب أن تكون عيناه كعينى الصقر حين يلمح بسرعة حدثاً عابراً وسط الزحام ويركز عليه تماماً. وهذا ما يؤكده المندوبون المكلفون بكتابة موضوعات مختلفة الألوان"(١).

من هذا النّص المعاصر؛ يتضح لنا أن فن الحديث الصحفى؛ يتواصل مع أصوله فى التاريخ الإنسانى؛ الأمر الذى يقتضى على فهم حوافز السلوك البشرى وطبيعته.

كيفية القيام بالمقابلة وإدارة الحديث الصحفى:

على الرغم من أن المقابلة المثالية فى مظهرها تبدو مجرّد أخذ وردّ هادئ بين المندوب الصحفى ومحدّثه؛ فإن المهارة الصحفية لا تكتسب إلا بعد دراسة عميقة ومراحل متتالية من التدريب..

وعلى القائم بالمقابلة أن يكون دقيقاً حتى لا تفوته الهنات المختلفة قبل أن يتشبع بها فى استجاباته التلقائية، فهو فى مبدأ الأمر يعرفها. ولكنها بعد مدة تصبح جزءاً من مهارته بحيث يستطيع استعمالها استعمالاً طبيعياً فى كل خطوة من خطواته دون بذل أى مجهود. "فنحن نسمع كثيراً عن القائم بالمقابلة اللبق الذى يستشف الحقائق ويعرفها، ولكن تقبع وراء هذه المهارة دراسة عميقة للعمليات المختلفة والعلاقات المتشابكة فى المقابلة. فالمتزحلق على الجليد الماهر لا يلقى بالاً إلى الحركات الكثيرة المتكاملة التى يؤديها فى فقراته الرائعة، ولكنه قد ثابر على تعلمها قبل ذلك واحدة تلو أخرى ثم تعلم كيف يربطها معاً كوحدة متوافقة منسجمة"(٢).

(١) نفس المرجع ص١٤٧.

(٢) أينيت جاريت : فن المقابلة ص٥٨.

يقول صاحب المدخل إلى الصحافة: "إذا أردت أن تعلم شخصاً ما كيف يدير الحديث الصحفى فعلمه كيف يتحدث. كلنا نقوم بنفس العمل ولكن بصور مختلفة. فبعض الناس عدائيون وصريحون بالفطرة، وهذا له فائدته ولا يعنى هذا أن الخجل شئ معوق. فبعض الناس يرتاحون لإفشاء أسرارهم للشخص الخجول.

عليك أن تواظب على توجيه الأسئلة دائماً حتى ولو ضايق هذا المتحاور معه بعض الشىء. فإذا لم تكن بالطبيعة فضوليا ومحباً للاستطلاع فإن مهنة الصحافة لا تناسبك. وطرح الأسئلة هو نصف المهنة فقط لأن هدفك فى النهاية هو الحصول على الأجوبة. ومع ذلك فالأمر كله نسبى تماماً. فالصحفيون يسخرون ما يرون من الأساليب المناسبة حسب مقتضيات الظروف والمواقف. فالأساليب والمواقف تختلف دائماً.

إدارة اللقاءات الصحفية إذن، مثل ترتيبها، **أنواع:** فالمحرر الخبير يستطيع أن يقيم الشخص ذا الأهمية فى ثوان معدودة. هل هذا الشخص غريب الأطوار؟ هل هو أمين؟ فيم يخادع؟ ما الذى يحاول إخفاءه؟ هل يجعلك تحصل على الإجابة منه بصعوبة؟ إن ما تقرؤه فى عيون الناس وفى سلوكياتهم هو المفتاح الذى يرشدك إلى كيفية إدارة الحوار.

والتجهيز المسبق مفيد جداً: ومن الاقتراحات المفيدة للمندوب الصحفى المبتدئ أن يقوم بتجهيز عشرة أسئلة. وهى فكرة لا بأس بها. لكن ضع فى اعتبارك جيداً أن أى لقاء صحفى لا يسير فى الغالب طبقاً لما هو مخطط له. ففى الأحاديث التليفزيونية المتعجلة.. سنكتشف أن الأسئلة التى خططت لها قد انحرف الموضوع بعيداً عنها بما يقدمه المتحاور معه من عناصر جديدة أثناء الحديث. ومع ذلك دع الحديث يأخذ مجراه الطبيعى. وفوق كل الاعتبارات أنصت جيداً. قد تجرى حديثاً يؤدى بالمتحاور إلى السجن إن حاول الإجابة عن أسئلتك الاستفزازية برغم أن لديه دليل براءته. لا تدع سعيك لقصة صحفية كبيرة يؤدى بك إلى تجاهل الحقائق التى يفضون بها إليك. وسيمر عليك وقت تكتشف فيه أن لديك أفكاراً شاحبة عما تبحث عنه. وهذا يحدث فعلاً عندما تتناول الموضوعات ذات الملامح العريضة. ولا تخش من الاعترافات بأنك متخبط فى بحثك. فى مثل هذه الأحوال قم بسرعة بعمل تخطيط مختصر لموضوعك الرئيسى ولا تتردد فى التساؤل بسذاجة: "هل لديك أى شئ تخبرنى به يفيدنى فى مهمتى؟". وستدهش كثيراً

حين تكتشف أن مثل هذا السؤال يزودك بتفاصيل هامة جداً. وسر أو اثنان يمكن أن يضعاك على الطريق الصحيح الذى تتبعه فى بحثك.

وإذا كان فن التحاور يعتمد كثيراً على الفطرة، فإن الفطرة تحتاج دائماً للعون والدعم. لذا يقدم العلماء إليك عشر تلميحات عن عملية التحاور وإجراء الحديث الصحفى:

أولاً: حاول أن تصل فى الموعد المحدد: ستدهش حين تعرف أن كثيراً من الرجال المهمين لا عمل لديهم طول اليوم إلا الحديث إليك، إلا أنهم سيحاولون إيهامك بأن مسئولياتهم رهيبة. ومع ذلك فهم يبدون تبرمهم الشديد إن تأخرت عليهم.

ثانياً: أوجد مبررات مسبقة لوجودك هناك: ثم قم بإخطار الطرف بآخر تطورات الموضوع وبما تريد أن تعرفه بالتحديد. إلا إذا كان الموضوع حرجاً وحساساً إلى الدرجة التى تمنع إفشاء أى معلومات عنه. فإذا كان لديك معلومات لا يستهان بها حول الموضوع فالأجدر أن تخطره بها - ما استطعت - تجنباً للتكرار.

ثالثاً: يفضل أن تبدأ بسؤال كبير متشعب: وهذا طبعاً ليس أمراً مطلقاً وبخاصة إذا لم يكن لديك الوقت الكافى. ولكن مثل هذا الاتجاه يحقق غرضين :

١ - يهئ لك فسحة من الوقت لتقييم الإنسان أمامك وتنظيم تفكيرك.

٢ - يمنحك فرصة جيدة لتلقى معلومات لم تكن تتوقعها، وأن تستعد لأى اتجاه تفرضه المحادثة.

رابعاً: لا تقاطع المتحدث أبداً: إلى أن تشعر أنه يريد أن يلتقط أنفاسه. فإن تحولت المحادثة من بدياتها إلى شىء غير مريح؛ تفقد قيمتها على الفور، إلا إذا كان المتحاور يهوى المشاكسة، وتكون أنت قد حصلت على المعلومة التى تريدها فعلاً. لكن بشكل عام حين يشعر المتحدث بالارتياح إليك... يصبح أكثر نفعاً.

خامساً: التزم بالموضوع. يعتبر السماح للشخص بالتحدث عن أبنائه أو عن المجتمع مقبولاً إلى حد ما، ويساعد على خلق جو من الألفة. ولكن قد تكون هذه الثرثرة أيضاً خدعة لتجنب الموضوع. فإذا شعرت أن المتحدث قد حاد بك عن جوهر الموضوع،تخلّص برفق وبسرعة: وقل له "بمناسبة الحديث عن حديقة زوجتك.. ما هو الجديد بشأن مذبحة الأشجار التى تتعرض لها.

سادساً: عليك أن تبتسم من حين لآخر: فلا يحب أى إنسان أن يشعر أن حديثه متجاهل. أن تتظاهر بتدوين أشياء لا قيمة لها أو معلومات تافهة أمر له فائدته أيضاً. فهؤلاء الذين يتوهمون أنهم يدلون بمعلومات هامة وخطيرة يفضلون أن يتخيلوا أنه يتم تسجيل كل شىء.

سابعاً: عليك بالسيطرة على مشاعرك: لأنك ستتحاور مع أناس قد تبغض أفكارهم. وبرغم أن هذا قد لا يضيف الكثير إلى شهرتك كصحفى موضوعى إلا أنه سيفيد فى إتمام الموضوع.

ثامناً: أنصت.. أنصت.. أنصت: ذلك أن الاتصالات لن يجعل المتحدث يشعر بأنه على جانب من الأهمية والحكمة فحسب، بل يساعدك أيضاً على السيطرة على الحوار. فالمتحدث قد ينحرف عن نقطة ترى أنت أنها بالغة الأهمية وقد ينجرف إلى الثرثرة. فلو كنت تجيد الإنصات استطعت أن تعيده إلى الموضوع فيما بعد بأن تقول له : "بالمناسبة لقد قلت شيئاً من قبل عن الأيام التى قضيتها فى السجن. متى كان هذا على وجه التحديد؟.

تاسعاً: لا تنصرف قبل أن تتأكد أنك حصلت على الأساسيات: كيف يتهجى الشخص اسمه أو اسمها. ما هو اللقب الرسمى الذى ينادونه به؟ كم عمره؟ لا تفترض أنك تعرف كل هذه الأشياء مسبقاً. ومن الأفضل بشكل عام أن تبدأ حديثك معه بطرح مثل هذه الأسئلة فربما انصرف الشخص قبل أن تتمكن من سؤاله.

عاشراً: كن متفهماً: فلا أحد يحب تبلّد المشاعر. حتى اللصوص الذين تساعد فى إرسالهم للسجن لن ينسوا تعاطفك معهم.

ضع فى اعتبارك دائماً أن المتحاور معه يكون أكثر حدة وعصبية منك. حول الخطيئة أو المأساة التى جئت تحاوره بشأنها. والشخص الذى لم يسبق له الإدلاء بحديث صحفى يصبح أكثر توتراً، فساعده أنت على الهدوء والاسترخاء. ولا يتأتى هذا إلا إذا كنت أنت شخصياً هادئاً ومستريحاً، ولا يؤتى ثماره إلا إذا كنت طبيعياً. فإن شعرت بعقلك فجأة قد توقف عن العمل وسط المحادثة، فلا تجلس فجأة تضرب أخماساً فى أسداس، فأنت فى النهاية بشر. وعليك أن تقول ببساطة "معذرة لقد نسيت أين كنا ونسيت السؤال الذى كنت سأوجهه لك"(١).

(١) مدخل إلى الصحافة ص١٥.

مراحل إعداد الحديث الصحفى :

يقول "كلايتون": "إن على المندوب أن يكون له صفات البائع، فهو مضطر إلى أن يذيب شخصيته فى شخصية محدثه، وتلك صفة ضرورية لا يقصد بها إلا الإقناع فقط، ولكنها ألزم ما تكون فى الحقيقة لا يجاد المشاركة الوجدانية بينه وبين المتحدث، ونحن نعلم أن الطبيعة البشرية تجعل الناس يميلون إلى التبسُّط فى الحديث بحرية وصراحة مع أولئك الذين يشاركونهم عواطفهم ومذاهبهم، أكثر من أولئك الذين يعارضونهم معارضة ما فى كل ذلك، أو يقيمون من أنفسهم أوصياء على فكرة معينة، أو رأى معين".

وهنا يتعين على المندوب الصحفى أن يقف على أكبر قدر ممكن من المعلومات الخاصة من الأسئلة التى تلم بأطراف موضوع الحديث.

وقد نشرت مجلة الهلال مقالاً للأستاذ كريم ثابت بعنوان :

"كيف أحاوث العظماء

مهنة الصحفى وما فيها من تبعات ومفاجآت"

قدمت له بقولها:

"يندر أن يكون فى مصر أمير أو وزير أو زعيم أو كبير لم يحادثه الأستاذ كريم ثابت غير مرة وهذا علاوة على العظماء الأجانب الذين حادثهم كملوك العرب وأمرائهم والسنيور موسولينى وغاندى والرئيس ماساريك رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا والدكتور سترزمان وزير خارجية ألمانيا المتوفى والدكتور بينش والكونت ابونى السياسى المجرى الكبير والكولونيل هاوس صديق الدكتور ولسن ومستشاره الأمين والملكة مارى الرومانية والمسيو موتا الوزير السويسرى الشهير والمسيو هيمانس وزير خارجية البلجيك والرئيس الأول لجمعية الأمم المتحدة والملكة ثريا وغيرهم. وهو هنا يشرح لقراء "الهلال" الطريقة التى يفوز بها بأحاديثه وما يتخلل مهنة الصحفى من المفاجآت"

يقول كريم ثابت تحت عنوان : كيف تعد الأحاديث ؟ :

"يتاح للصحفى، بحكم الصناعة التى يزاولها، أن يجتمع بأشخاص كثيرين فى أثناء اشتغاله بالصحافة، وخصوصاً إذا كان من الذين يقضى عليهم نوع عملهم

الصحفى بغشيان الدوائر والمجتمعات، وقد أتيح لى فى السنوات الثمان الماضية، وفى مناسبات شتى، أن أجتمع بعدد ليس بيسير من الزعماء والعظماء ومشاهير الرجال، إما فى مصر أو فى الخارج، وفزت منهم بأحاديث منوعة نشر بعضها فى الصحف اليومية وأدرج البعض الآخر فى "الهلال" والمجلات التى تفرعت عن دار الهلال.

والسؤال الذى ما برح عارفىّ يوجهونه إلىّ عقب نشر أى حديث أعقده مع أحد العظماء هو السؤال التالى:

"كيف تحصل على أحاديثك؟"

وهم يريدون بذلك أن يسألونى "كيف أعد أحاديثى أو كيف أهيئها؟"

والواقع أن الرد على هذا السؤال لا يخلو من صعوبة لأننى لا أذكر أن الظروف التى أحاطت بحديث ما كانت مماثلة للظروف التى أحاطت بحديث آخر.

عدم تدوين أقوال المحدث:

"ولكن هناك مبدأ عاماً أستطيع أن أقول إننى أطبقه على جميع الأحاديث التى أعقدها، وهو أننى لا أدون شيئاً من أقوال محدثى فى أثناء كلامه معى.

ولذلك سببان، الأول أننى لحظت أن أشخاصاً كثيرين ينزعجون من رؤية صحفى جالس أمامهم يسجل عليهم كل كلمة تصدر عنهم، فإما أن يتجنبوا الكلام قصارى طاقتهم – وهذا ليس فى مصلحة الصحفى – أو أن انصرافهم إلى اختيار الألفاظ وتنميق العبارات يلهيهم عن لب الحديث نفسه فيضيع جانب كبير من طلاوته.

أما السبب الثانى فهو أننى لو عكفت على تدوين أقوال محدثى لما تيسر لى التفكير فى أقواله لانشغالى بالكتابة ولما اتسع لى الوقت فى ذهنى لاعداد سؤال أطرحه عند انتهائه من التكلم فى "النقطة" التى يكون الكلام دائراً عليها".

على أن تدوين الملاحظات جزء لا يتجزء من عملية إجراء الحديث الصحفى. ومرة أخرى نعود ونقول: إن الأسلوب هنا يخضع للشخصية. بعض المندوبين – لا يتركون التافهة ولا الجادة، يكتبون أى كلام ينطقه المتحدث. وكثيراً ما وجدوا فى دفاترهم الكثير من العبارات العميقة جداً جداً مثل: "قليل من الوقت ينقذ تسعه" و"لا

يهم أن تخسر أو تفوز" و "لا خوف إلا من الخوف ذاته"(١). ربما حظى بعض الصحفيين بشهرتهم فى كتابة مثل هذه العبارات بالاسترشاد بما يسمعونه من المتحاورين معهم. خلاصة القول كما يقول صاحب المدخل إلى الصحافة"(٢): إنك ستوفر على نفسك مشقة محاولة فهم ما كتبت إذا التزمت بتدوين الكلام الذى له صلة بالموضوع فقط. وهذا ليس متيسراً دائماً، وذلك لسببين:

١ - الناس يتوقفون أحياناً عن الكلام تلقائياً عندما تتوقف عن الكتابة.

٢ - أنت لا تعرف دائماً الكلام وثيق الصلة بالموضوع إلا إذا كتبته كله وراجعته بعد ذلك. إن تدوين قدر كبير من الملاحظات سوف يوفر عليك مشقة مكالمات تليفونية زائدة للتأكد من شيء كان من المفروض تدوينه فى اللقاء الأول. كما أنها تتيح لك فرصة لمراجعة الحديث الصحفى فيما بعد، بعد الاختصارات التى قد تبدو غير مفهومة.

ومع ذلك يفضل بعض المندوبين تدوين القليل، معتمدين على تذكرهم لكل ما سمعوه. قبل أن تفعل ذلك تأكد أولاً أن لك ذاكرة قوية جداً. أما أن تدعى أنك تتذكر عبارات معينة ثم تخطئ فى كتابتها فهذا معناه أنك أصبحت فى مأزق مهنى حرج. أما فيما يتعلق بصياغة الموضوعات الإخبارية التى تحتم تسجيل كل وقائعها فور حدوثها فيلزم أن تدون كل الملاحظات إذ أن عواقب القذف جدّ وخيمة.

وتدوين الملاحظات لأى موضوع مسألة تعتمد على الحس الغريزى. فأحياناً تدون ملاحظات أكثر من المعتاد لأنك تسعى للوصول إلى فهم اللهجة أوالتلميحات الذكية وراء عبارات المتحاور معه. وأحياناً أخرى تجد أنك لم تدون أى ملاحظات على الإطلاق، إذ قد يتركز الموضوع حول المزاج العام أو الموقع أو مدى إدراكك لموقف معين. من الصعب فعلاً أن تفقد ما تحس به.. برغم أن تدوين ملاحظات عن لون الثوب أونقوش على شاهد قبر لن تضر (برغم أنها قد تفيد فيما بعد أكثر من قدرتك على استيعاب الملاحظة ذاتها فى حينها).

(١) راى تيل : مدخل إلى الصحافة؛ جولة فى قاعة التحرير، ترجمة كمال عبدالرؤوف ص١٥٣.
(٢) نفس المرجع السابق ص١٥٣.

تعددت أدوات وأساليب تدوين الملاحظات بحلول عالم الترانزستور ورقائق الكمبيوتر. فالمندوب الذى اعتاد على الورق المكتوب بالاختزال أو القلم الرصاص بوسعه الآن أن يجلس ويرفع سماعة التليفون ويدون ملاحظاته بسرعة فائقة على آله كاتبة كهربائية أو بسرعة على جهاز عرض فيديو على بعد، وتلك عجيبة من عجائب عالم الكمبيوتر فى تخزين المعلومات لاستخدامها فيما بعد. (واحذر أيضاً فقد يفترس الكمبيوتر كل البيانات التى تقدمها له إذا حدث أى خلل فى نظامه الإليكترونى). وقد يحتاج المندوب لاستعمال سبابته ولا للكتابة على الآلة الكاتبة. وإنما ليضغط على زر المسجل الذى يقوم بتسجيل الملاحظات نيابة عنه.

ومع ذلك فالمندوب غالباً ما يُمَّيز بالقلم بين أصابعه ودفتر الكتابة المطبوع فوقه، "دفتر خاص بالمندوبين الصحفيين"، وذلك ليأخذ الشكل الرسمى!

وفيما يلى بعض النقاط الهامة التى تفيد فى تدوين الملاحظات بهذا القلم وفى دفتر المحرر كما لخّصها "راى تيل" و"رون تيلور":

أولاً: اكتب بأسرع وأفضل ما تستطيع: قليل من المندوبين يجيدون الاختزال. وكبديل عن هذا قم بالتدريب على الكتابة بسرعة بطريقة مميزة بما فى ذلك التدريب على الاستخدام المكثف للاختصارات والرموز مثل # بمعنى رقم و α بمعنى: (و).. وعموماً استخدم الرموز التى تفيد منها.

ثانياً: استخدام عقلك ويدك. فإن كان الشخص يقول ما لا قيمة له لا تكتبه. وأنصت جيداً لمداخل الجمل أو لمفاتيح الكلام الهامة. وفى أثناء الحديث يرفع المتحدث صوته أو يبطئ من سرعة الكلام حين يشعر - أو تشعر - أن الملاحظات التى يقولها أصبح لها أهميتها.

ثالثاً: أحياناً تفوتك تماماً بعض العبارات الهامة: لأنك لا تستطيع أحياناً كتابة كل شىء. فينبغى أن يكون دفتر المندوب مجرد تجميع لمفاتيح الكلمات والعبارات أكثر منه للجمل. فمن هذه الكلمات والعبارات يستطيع المندوب أن يكّون جملاً دقيقة. ستفشل أحياناً لكن يجب أن تبذل قصارى جهدك.

رابعاً: ضع عنواناً لملاحظاتك: اكتب على الأقل الاسم الأخير للشخص الذى تحاورت معه فوق الجزء الخاص به فى الدفتر، وإلا واجهتك مصاعب جمة فيما بعد إذا حاولت معرفة من قال ماذا. وبعض المندوبين يكتبون تاريخ اليوم الذى تمت فيه المقابلة.

خامساً: قم بترتيب ما لم يسعك الوقت لهجائه: فقد يبدو من الصعب جداً الربط بين الاسم والأقوال وبخاصة عندما تتحاور مع عدد كبير من الناس فى وقت واحد. ولكى تقوم بتدريب ممتاز: قم بكتابة اسم كل شخص عند بداية الكلام، وحدد لكل اسم رقماً. وبهذه الكيفية يمكن تحديد ما إذا كان المتحدث هو رقم واحد أواثنين أو ثلاثة. بعد ذلك اربط الرقم بالاسم عند مراجعة دفترك فى وقت لاحق.

سادساً: لا تفقد دفترك أبداً. فمن الصعب استعادة المعلومات التى تفقدها. قم بكتابة اسمك ورقم تليفونك على غلاف الدفتر حتى يتمكن أى إنسان يعثر عليه من إعادته إليك مرة أخرى.

أجهزة التسجيل أصعب فى فقدها من الدفاتر، وربما كان هذا سبب تفضيل المندوبين لاستعمالها. إن صندوق الثرثرة هذا والذى أصبح متوافراً الآن فى أحجام صغيرة يمكن حملها قد أحرز التفوق على "دفتر المندوب الصحفى" وقلمه للأسباب التالية :

- المسجلات تقدم لك العبارات حرفياً: وهذا له قيمة إذا كنت تتناول موضوعاً له حساسيته وبخاصة إذا حدث أن تراجع المتحاور معه فى كل ما قاله. وفى المقالات الخاصة يسهم المسجل فى التقاط اللهجات غير العادية التى تعطى للمقال مذاقاً خاصاً. كما أنه يفيد فى حالة تحدُث الشخص بسرعة أكبر من قدرة المندوب على تدوينها فى دفتره.

- يتيح لك المسجل فرصة مراجعة الحديث بدقة.

- أصبح استعمال المسجل أمراً تقتضيه الضرورة العملية فى الموضوعات التى تعتمد على الأسئلة والأجوبة. حيث ينبغى كتابة أسئلتك وإجابة المتحدث بدقة. ولهذا السبب كان من النادر أن يكتب المندوبون الأسئلة التى يوجهونها (١).

(١) نفس المرجع ص١٥٥.

"ومع ذلك فالمسجّل له عيوبه أيضاً. دفتر المندوب لا تنفد بطاريته ولا ينتهى الشريط أيضاً كما يحدث أحياناً فى المسجّلات. ولضمان تجنب مثل هذه العيوب يحسن أن تدّون أيضاً فى دفترك جنباً إلى جنب مع عملية التسجيل. ومن بين أكبر عيوب جهاز التسجيل: إغراقك بالتفاصيل المملة. فإذا كان التسجيل نقياً ونظيفاً فذلك يغريك بحشر كل هذه المعلومات فى الموضوع الذى تكتبه ويكون لديك أيضاً ميل لإعادة العبارات. لابد من عملية "تركيز الموضوع" فى أثناء النسخ، بأن تنزع منه الكلمات التى يشوبها الغموض، وذلك بدلاً من أن تقوم بعملية أصعب كثيراً وهى الشرح والتفسير. وعملية النسخ هذه فى حد ذاتها مشكلة عويصة. فأحياناً يمكنك كتابة ثلاثة موضوعات فى نفس الوقت الذى تستغرقه عمليه تفريغ أو نسخ حديث صحفى واحد على شريط تسجيل.

ولذلك لا يؤيد "راى تيل تيلور" عملية المسجلات هذه، إلا فى الموضوعات التى تعتمد على التحاور والأسئلة والأجوبة، أو فى الموضوعات النادرة التى يلزم نقل كل تعبير حرفياً على المسجل لخدمة الأجيال القادمة. ويذهبان إلى أن دفتر المندوب أداة عظيمة تجبر المندوب على حسن الإصغاء. فلا يمكن أبداً أن تكتب ما لا تسمع. ومع ذلك فإن الاتجاه العام يميل نحو المسجلات وبخاصة الحديث منها:

"إن أحد العناصر الهامة فى تدوين الأحاديث هو أن تعرف متى لا تدون الحديث. ذلك أن الهدف الرئيسى من الحوار الصحفى هو الحصول على الإجابات. فإذا شعرت أن منظر الدفتر أو المسجل قد أسكت المتحدث، فأبعدهما عن نظره. غالباً ما تكون المعلومة التى تحصل عليها (على الأقل تلك التى تتذكرها جيداً) أهم من أى تحد يمكن أن يواجه منهجك فى المهنة. قد يشعر بعض من لم يألف الحوار الصحفى بالقلق لرؤيتك تدون ما يقولون برغم موافقتهم المسبقة على هذا. إن المسجل يبدو معوقاً لانسيابية الحوار، وهذا أحد عيوبه أيضاً. أضف إلى هذا أن ذلك الصندوق السحرى قد ينقل المتحدث إلى حالة من الآلية أو يجعله يشعر بأنه مراقب.

ومن الممكن طبعاً أن يخفى المندوب أو المندوبة المسجّل عن الضيف الفزع، ولكن لا يجوز أخلاقياً. ومنذ وقت قريب أقدمت مندوبة الشئون التعليمية على هذه الفعلة فى أثناء التحاور مع رئيس إحدى الجامعات الأمريكية. الذى رحب جداً بإجراء الحوار

الصحفى معها، ولكنه كان يسقط فى هوة الصمت لمجرد رؤيته لأى مسجل، فجاءت النتيجة مشوشة. استطاع المسجل تسجيل بعض الفقرات الهامة، إلا أن بعض الفقرات الأخرى لم تكن واضحة تماماً لبعد المسافة بين الضيف وحقيبة يد المندوبة التى بها المسجل وفى وسط الحوار سمعت المندوبة الصوت الدال على انتهاء شريط التسجيل. ولكن من حسن حظها أنها كانت أيضاً تدون الحديث فى دفترها"(١).

فيتضح من حديث كريم ثابت عن العظماء الذين قابلهم؛ حين يقول :

هذه خلاصة التجارب فى الأحاديث الصحفية؛ فى نهاية القرن العشرين؛ إما عن هذا الفن فى النصف الأول من القرن والعظماء الذين أتيح لى مقابلتهم مصريون وأجانب، ولا مشاحة أن مقابلة المصريين منهم أسهل من مقابلة الأجانب لأن جميع الذين حادثتهم أو أحادثهم من المصريين هيأت لى صناعتى فرصة معرفتهم والاجتماع بهم غير مرة، فأصبحت ملماً بأخلاقهم عارفاً بميولهم، فصار من السهل على أن أكيف تصرفاتى معهم بما يطابق أمزجتهم ويلائم طباعهم فأحصل منهم على التصريحات والبيانات التى أرومها بدون مشقة كبيرة، وتهون مهمتى كثيراً عندما أتوجه لمقابلة شخص سبق لى أن عقدت أحاديث معه أوردته بعد ذلك بأمانة فى الصحف التى اكتب فيها لأن هذه الأمانة فى النقل والتصوير تكون قد ولدت فيه ثقة هى أثمن عدة يقتنيها الصحفى.

حديث ضريح سعد

ومما اذكره على سبيل الاستشهاد أنه لما اشتد الجدل على نوع الطراز الذى يبنى به ضريح المغفور له سعد زغلول باشا وهل يكون فرعونياً أو عربياً، كنت جالساً يوماً مع سعادة عثمان محرم باشا وزير الأشغال السابق، فسألته لماذا يرى أن يكون الضريح فرعونياً لا عربياً فبسط لى وجهة نظره فى هذا الموضوع بسطاً ضافياً رأيت أنه يحسن نشره لكى يطلع الجمهور عليه، فنشرت كلامه بشكل حديث فى مجلة "كل شىء" بدون أن أعرضه عليه لعلمى أن عثمان باشا ليس من الأشخاص الذين لا يأنسون فى أنفسهم الشجاعة الأدبية اللازمة للتمسك بوجهة نظرهم إذا أثارت ضجة حولها. فلما نشر الحديث اطلع عليه حضرة الزميل الأستاذ عبد القادر حمزة صاحب "البلاغ"

(١) نفس المرجع ص١٥٦.

فارتاح إليه واستصوب نقله فى جريدته الغراء فخاطب عثمان باشا بالتلفون وقال له إنه اطلع على حديث له فى "كل شىء" عن ضريح سعد باشا وأنه يحب نشره مرة أخرى فى "البلاغ" إذا كان ليس عند سعادته مانع. فقال له عثمان باشا : "ارسل لى الحديث أولاً لكى أطلع عليه" فارسله إليه، وبعد قليل خاطبه سعادته بالتلفون أيضاً ووافق على ايراد الحديث فى "البلاغ" كاملاً.

فى مقابلة أمير جليل

ومن الحادث المتقدم يتبين للقارئ مبلغ التبعة التى يأخذها الصحفى على عاتقه أحياناً. ومما أرويه بهذه المناسبة أيضاً أنه فى سنة ١٩٢٩ سافرت إلى الإسكندرية وتشرفت بمقابلة سمو الأمير الجليل عمر طوسن لأعقد معه حديثاً "للهلال" فتلطف سموه وقابلنى برقته وبشاشته اللتين اشتهر بهما فأوضحت له الغرض من زيارتى فأظهر استعداداً للرد على أسئلتى فأخذت اطرحها عليه الواحد تلو الآخر إلى أن اجتمع عندى "محصول" يكفينى لمقال كبير فانصرفت شاكراً داعياً. وبعد أيام ظهر الحديث فى "الهلال" فأرسلت عدداً من المجلة إلى سمو الأمير فلم ألبث أن تلقيت منه كتاباً رقيقاً ضمنه موافقته على الحديث.. وفى الصيف الماضى تشرفت بزيارة سموه فى الإسكندرية فابتدرنى بقوله باسماً : "اياك أن يكون حديثاً كالحديث الأول".

وهنا قد يتساءل القارئ لماذا لم أعرض الحديث على سموه قبل نشره إراحة لبالى، والجواب عن ذلك أن المقال كان يتضمن عبارات إعجاب وإطراء لسموه فى أكثر من موضع واحد، فكنت أخشى إذا اطلع عليها سموه أن يدفعه تواضعه إلى حذفها، فآثرت تحمل تبعة الحديث كله على حذف ما أعتقد أننى قلته فى سموه حقاً.

محمد محمود باشا وذكرياته

ثم انه يجب على الصحفى الذى يود أن يظفر بحديث من كبير أن يتحين الفرصة الملائمة لذلك، فقد يفضى إليك هذا الكبير فى ساعة انشراح وارتياح بأضعاف أضعاف ما قد يفضى به إليك فى ساعة انزعاج أو توعك مزاج، بل إنه قد يعتذر فى هذه الحالة عن إجابتك إلى طلبك فلا يفيدك إلحاح ولا الحاف فى الإلحاح. أذكر أنه لما كان دولة محمد محمود باشا رئيساً لمجلس الوزراء خاطبنى سكرتيره الخاص يوماً

بالتليفون وقال لى إن دولته يود مقابلتى فى داره فى الساعة الخامسة بعد الظهر فقلت له: "وما عسى أن يكون موضوع هذه المقابلة؟" فقال: "لا أستطيع أن أقول لك ذلك الآن"... وقبل الساعة الخامسة بقليل دخلت حديقة دار الرئيس فاستقبلنى أحد أفراد أسرته وأبلغنى أن دولته "غير موجود" ولكنه أوصى قبل انصرافه بأن أنتظره إلى أن يعود، ولم يدم انتظارى طويلا، فإنه بعد دقائق أقبل محمد باشا ودخل تواً إلى الحجرة التى كنت جالساً فيها فصافحنى ودعانى إلى الجلوس، ثم قال لى: "إننى عائد من السراى وقد تشرفت بمقابلة جلالة الملك لأبلغه أن جامعة اكسفورد أنعمت علىّ بلقب دكتور فخرى ولأستأذنه فى السفر إلى إنجلترا قريباً لكى أتسلم البراءة فى الاحتفال الرسمى المعتاد" فهنأت دولته بهذا التقدير الجليل من أشهر جامعة فى العالم. وفى هذه اللحظة شعرت أن دولته منشرح الصدر وأنه مستعد للكلام فقلت فى نفسى هذه فرصة من الصعب خلقها كل يوم، فرجوت من دولته فوراً أن يحدثنى عن أيامه فى أكسفورد وعن ذكرياته فيها، فطفق يحدثنى عن ذلك كله بإفاضة على منوال لم آلفه منه مع أننى كنت أقابله كل يوم تقريباً أثناء رئاسته للوزراء.

النحاس باشا ودخوله الوفد

ومن الحوادث التى أسوق ذكرها هنا للدلالة على أهمية "اختيار الفرصة" الملائمة أنه على أثر انتخاب دولة النحاس باشا رئيساً للوفد المصرى أخذت أتردد على بيت الأمة لعلى اظفر "بربع ساعة" من الرئيس فأختلى به واسأله أن يحدثنى عن الظروف التى انتظم فيها فى سلك الوفد المصرى وعن غير ذلك من الذكريات التى يتوق الجمهور إلى الاطلاع عليها. وذهبت إلى بيت الأمة لهذا الغرض غير مرة بدون أن أتمكن من تحقيق أمنيتى لأننى كنت أجد المكان غاصاً بالزوار فى كل مرة، وأخيراً صممت على التوجه إلى بيت الأمّة ليلاً، وفعلاً توجهت إليه يوماً فى الساعة السابعة مساء فلم أجد الرئيس، ولكنه حضر بعد قليل واطلع على بعض الأوراق المستعجلة التى عرضت عليه، ولما لم يكن هناك زوار فى تلك الليلة هم دولته بالانصراف فدنوت منه وحييته ورجوت منه أن يعطينى "دقيقتين فقط" من وقته فأجابنى إلى طلبى بوداعته المعروفة، ودخل حجرة السكرتيرية وجلس على المقعد الذى فى صدرها تحت صورة كبيرة للمغفور له سعد باشا، ودعانى إلى الجلوس إلى يساره ودعا الأستاذ عبد الرحمن الجديلى إلى

الجلوس إلى يمينه، وطفق يحدثنا عما استفسرت منه عنه، وكان الأستاذ الجديلى يصغى إلى حديث دولته بانتباه شديد فقلت له: "يا أستاذ جديلى هذه المعلومات لى ولا يحق لك أن تنشرها قبلى". فابتسم الرئيس وقال: "هذا حق" ومضى فى حديثه ولما انتهى منه ونهض منصرفاً شكرته على ما تفضل به على، فنظر إلى ساعته فإذا "بالدقيقتين" قد أصبحتا نصف ساعة وأكثر قليلاً فابتسم دولته وصافحنا وركب سيارته إلى داره.

كيف تحمله على الكلام

وفى أواخر صيف سنة ١٩٢٨ خطر لدار "الهلال" أن تعد عدداً خاصاً من "كل شئ" بمناسبة ذكرى ١٣ نوفمبر وتقرر أن يصدر هذا العدد بمقابلة كبيرة عن الظروف التى تألف فيها الوفد المصرى، وطلب إلىّ أن اعد هذه المقالة فكان لابد لى من جمع موادها من مصادر مختلفة، وكان يحضرة صاحب العزة أحمد لطفى السيد بك وزير المعارف إذ ذاك ومدير الجامعة المصرية المستقيل أحد تلك المصادر، وكنت أعرف حضرته معرفة يسيرة، فأخذت أفكر فى الطريقة التى أدبر بها فرصة ملائمة للحصول على المعلومات والبيانات التى أريدها منه. وكانت الوزارة لا تزال فى الإسكندرية يومئذ فسافرت إليها، وفى المساء ذهبت إلى فندق "سان استفانو"، حيث كان دولة محمد محمود باشا واحمد لطفى السيد بك نازلين؛ وسألت عن موضع المائدة التى يجلس إليها محمد باشا فى العشاء كما سألت عن موضع المائدة التى يجلس إليها أحمد بك لطفى السيد ولما عرفتهما طلبت من كبير الخدم أن يحجز لى مائدة للعشاء على مقربة من مائدة محمد محمود باشا ففعل، وكانت خطتى تتلخص فى أنى بعد العشاء أنهض للسلام على محمد باشا؛ وأسأله عن ذكرياته الخاصة بتأليف الوفد المصرى لما كان له من أثر فى تأليفه وبينما دولته يقص على ذكرياته فى هذا الصدد يقبل علينا أحمد بك لطفى السيد ويجلس مع الرئيس فينضم بحكم الحال إلى الحديث وقد كان ذلك، فإن حضرته أقبل علينا وأنا أصغى إلى بيانات محمد باشا ثم لم يلبث دولته أن طلب من أحمد بك أن يذكره بحادث من الحوادث فذكره له ومضى فى سرد الظروف الملابسة له فكان ذلك فاتحة الحديث معه.

فى حديقة جروبى

وكما أن هناك "ظروفاً" ملائمة يجب على الصحفىّ إعداد الجو لها، كذلك هناك "ظروف ملائمة" تحين من تلقاء نفسها فلا يطلب من الصحفىّ أكثر من أن يفطن إليها ولا يدعها تفلت منه. ومن ذلك أنه لما كان حضرة الأستاذ محمود فهمى النقراشى وزيراً للمواصلات كنت أقابله كل يوم تقريباً. وطالما حاولت الفوز بحديث منه فلم أفلح، حتى أنه اتفق مرة أن يحدثنى حضرته حديثاً طريفاً عن الطيران فنشرته ونسبته إليه فلما قابلته بعد ذلك عاتبنى وقال لى أنه كان يجب على أن أطلعه عليه قبل نشره فقلت: "لو فعلت ذلك لما وافقتم على نشره بشكل حديث" فابتسم، غير أنه حدث فى مساء أحد الأيام أن التقيت بحضرته فى حديقة محل جروبى الجديد، وكان قد ذهب إليها لمشاهدة السينما فى الهواء الطلق فتلطف ودعانى إلى الجلوس معه، ثم ابتدأت السينما فكان بين المناظر التى شاهدناها منظر يمثل حياة النفى، فقال الأستاذ النقراشى: "إن هذا الشريط يذكرنى بأيام الاعتقال والنفى فى أثناء الثورة.." وهنا أخذ حضرته يحدثنى عن بعض ذكرياته الخاصة بتلك الأيام، إلى أن اجتمعت عندى معلومات تكفى لمقال طريف، فاستأذنته فى نشر حديثه، فابتسم وقال: "برده؟" وأذن لى فى نشره.

مع صدقى باشا فى القطار

وفى شهر أكتوبر الماضى كنت بين الذين رافقوا دولة إسماعيل صدقى باشا رئيس مجلس الوزراء فى رحلته إلى واحة سيوه. وبينما كان القطار ينهب الأرض نهباً بين الإسكندرية ومرسى مطروح جلس الرئيس يحادث مرافقيه عن بعض الأمور التى تزعجه. فقال فى سياق حديثه إنه فى مقدمة الأمور التى تزعجه، أن يزوره شخص ليرجو منه أن يزيد مرتب موظف انتظم فى سلك الحكومة حديثاً، وهنا ذكر دولته أنه دخل خدمة الحكومة بمرتب لا يزيد على سبعة جنيهات فى الشهر، فانتهزت هذه الفرصة لاسأله عن الظروف التى التحق فيها بالحكومة وعن كيفية ترقيته بعد ذلك، فحدثنى عن ذلك حديثاً مسهبا هو فى الواقع ترجمة طريفة لحياته..

وصفوة القول أن هناك فرصاً كثيرة تعرض للصحفى، فيجب عليه أن يعرف كيف ينتهزها ويستفيد منها إذ أن بعضها لا يعوض أحياناً إلا بعد صعوبات جمة.

العلاقات الطيبة وتغذيتها

وأهم عامل يسهل للصحفى مهمته علاقاته الطيبة مع عظماء البلاد وأقطابها وكبار رجال حكومتها، ولذلك ينبغى له تغذية هذه العلاقات وتعهدها على الدوام؛ ولو أدى ذلك إلى بعض التضحيات الصحفية، كأن "يلف" خبراً عزاه إليهم أو "يصحح" حديثاً فاز به من أحدهم بشرط أن يتم ذلك بطريقة لا يكون فيها مساس بكرامته.

حدث مرة أن كان سعادة عثمان محرم باشا وزيراً للأشغال، فافضى إلىّ بحديث لنشره فى "المقطم" عن تعلية خزان أسوان وبعض مشروعات الرى الكبرى، ولما انتهى من الإفضاء ببياناته؛ حملتها إلى المكتب وصغتها ثم أرسلتها إلى المطبعة، وفى الساعة الثانية إلا خمس دقائق خاطبنى سكرتير الوزير بالتلفون وقال لى إن عثمان باشا ينتظرنى فى ديوانه لأمر هام ومستعجل فوافيته فى الحال فقال: "إننى أريد أن أعطيك حديثاً جديداً بدلاً من الحديث الأول، فقلت: إن الحديث الأول أعد فى المطبعة وأن آلة المقطم تشرع فى الطبع الساعة الثانية وربعاً فلا سبيل إلى حذف الحديث أوإبداله بغيره" فقال: إن المصلحة تقضى بعدم نشر بعض البيانات التى وردت فيه لأسباب قد تعرفها فيما بعد. فقلت إننى أحب أن اخدم سعادتكم، وخصوصاً إذا كانت المصلحة تقضى بذلك ولكن المقطم كما قلت لكم يطبع الساعة الثانية والربع، وليس فى استطاعتى انتزاع الحديث من المكان الذى وضع فيه لأن العمل انتهى، غير أن هناك شيئاً واحداً أستطيع عمله وهو أن أحذف عبارة "حديث مع وزير الأشغال" واضع مكانها "حديث مع موظف كبير فى وزارة الأشغال" فى كل موضع ورد فيه ذكر وزير الأشغال فى الحديث ثم أضيف إليه فى النهاية ثلاثة أسطر أقول فيها أننا سننشر غداً حديثاً هاماً لوزير الأشغال فى هذا الموضوع، فسر سعادته بهذه الفكرة وحل الإشكال على هذا المنوال.

مقابلة عظماء الأجانب

وقد ذكرت فى مستهل هذا المقال أن مهمة عقد أحاديث مع عظماء المصريين أسهل من مهمة عقد أحاديث مع عظماء الأجانب.

لماذا؟

لأن عظماء الأجانب الذين أعقد أحاديث معهم لا تكون بينى وبينهم معرفة سابقة، بل إن السواد الأعظم لا تكون عينى قد وقعت عليهم قبل اجتماعى بهم ساعة الحديث.

ثم إنه ينجم عن عدم "المعرفة السابقة" إن المقابلة تظل محاطة بالتقاليد والقيود الرسمية، ويقضى بعضها بألا تزيد المقابلة على دقائق معدودة.

ففى خلال هذه المدة القصيرة يجب على الصحفى أن يكتسب عطف العظيم، وأن يفطن إلى الطريقة التى ينبغى أن يوجه بها أسئلته إليه وأن يستوعب الأقوال التى تقال له.

أما اكتساب "عطف العظيم" فأمر مهم جداً لأنه إذا فاز الصحفى بتحقيق ذلك أمكنه أن يستخرج من محدثه أضعاف ما كان يتوقع استخراجه منه، وكذلك أمكنه أن يطيل مدة المقابلة إلى أقصى حد مستطاع.

ولاكتساب عطف العظيم وسائل شتى، كأن تقول له مثلاً: إنك قرأت عنه عدة كتب ومقالات فأعجبت بمشروعه الفلانى إعجاباً خاصاً؛ وقدرت أهميةِ مشروعه الفلانى الآخر، لما سيكون له من نتائج سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية... وصفوة القول إنه يتعين عليك "أن تضرب على الوتر الحساس" كما يقول بعضهم، إذ لكل عظيم "وتر حساس" مهما عظم شأنه ويمكنك أن تعرف ما هو "الوتر الحساس" من سؤال بعض أصدقائه وعارفيه أو من سؤال بعض معاونيه ومساعديه.

ومما لا ريب فيه أن الاطلاع على سير العظماء قبل مقابلتهم تفيد فائدة كبيرة، أولاً لأنك: تظهر لهم عندئذ بمظهر المهتم بهم حقيقة، وثانياً: لأن اطلاعك على سيرهم يفتح أمامك أبواباً كثيرة تستطيع بطرقها أن تحصل على بيانات طلية وكثيرة.

مهمة تسقط الأخبار

أما مهمة تسقط الأخبار واستقاء المعلومات، فتختلف عن مهمة الحصول على الأحاديث اختلافاً تاماً. وهى تقتضى قبل أى شىء أن يكون لك أصدقاء ومعارف فى جميع الدوائر تستطيع أن تقابلهم بسهولة؛ وأن تسألهم فى أى وقت كان؛ عن الخبر الذى تريده أو عن البيانات التى أنت فى حاجة إليها، وغنى عن البيان أن الأشخاص الذين تطرق أبوابهم لهذا الغرض قد لا يفضون إليك بما عندهم إلا إذا كانوا واثقين من أنك تعرف كيف تكتم اسم المصدر الذى استقيت منه خبرك؛ وهذه الثقة فيك لا تتولد بين عشية وضحاها.

ثم إنك تجد دائماً فى كل وزارة وفى كل هيئة أشخاصاً يتكلمون بسهولة أكثر من غيرهم؛ فهؤلاء الأشخاص يجب أن تعرفهم وأن تعرف الطريقة التى تحملهم على الكلام دون أن تجعلهم يشعرون بأنك تسجل عليهم ما يقولون. أذكر أنه لما كانت المفاوضات دائرة بين الحكومة المصرية والحكومة الإيطالية على مسألة جغبوب والحدود الغربية؛ كان بين أعضاء اللجنة المصرية كبير معروف بصراحته وبعدم ميله للإيطاليين، فكنا نذهب إليه ونستطلعه أعمال اللجنة فيعتذر عن الإجابة على اسئلتنا؛ "لأن أعمال اللجنة سرية" فنختلق إشاعة ليست فى مصلحة مصر، ونقول له إن الإيطاليين يشيعونها فينفعل ويقول إنهم يكذبون؛ والحقيقة كيت وكيت وهنا يندفع فى الكلام، ندعه يسترسل فيه إلى أن نفوز بطائفة من المعلومات "السرية" ثم يودعنا وهو يقول: "لا تؤاخذونى فإننى لا أستطيع أن أصرح لكم بشىء لأن أعمال اللجنة ومداولاتها سرية".

الاستفادة من المنافسة

ولا اخالنى أذيع سراً إذا قلت إنه فى كل دائرة من الدوائر وفى كل مصلحة من المصالح تجد أشخاصاً يتنافسون على السلطة؛ أو يدعون كل عمل لأنفسهم، فهؤلاء الأشخاص ينبغى أن تعرفهم؛ وأن تكسب صداقتهم؛ لأنك تستطيع أن تعلم من فريق منهم ما يعمله الفريق الآخر.

حدث فى عهد وزارة محمد محمود باشا أن اجتمع مجلس الوزراء يوماً ووافق على البرنامج الذى وضعه وزير الأشغال يومئذ، وكان إبراهيم فهمى كريم باشا، لمشروعات الرى الكبرى فى السنوات العشر المقبلة وبينها مشروع إنشاء خزان جبل أولياء بعد تعلية خزان اسوان. وفى اليوم التالى زرت أحد أعضاء الوزارة فسرد لى البرنامج كله من أوله إلى آخره فنشرته فى اليوم عينه.

أهمية "الحظ" فى مهمة الصحفى

ثم إن "الحظ" يخدم الصحفى الذى يتنسم الأخبار ويتسقطها أجلّ خدمة، فكم من مرة يذهب الصحفى إلى دائرة من الدوائر فلا يكاد يطأها حتى يقال له : "لقد جئت فى وقتك فهناك المسألة الفلانية..." وكم من مرة يكون الصحفى جالساً فى

مجلس دون أى غرض كان فيسمع خبراً هاماً أو يقف على معلومات تنفعه فى استطلاع بعض البيانات الخطيرة، وكم من مرة يكون الصحفى فى زيارة كبير؛ فيسأله هذا الكبير سؤالا عن مسألة لا علم له بها فيتنبه لها ويعيرها اهتمامه، ولو شئت أن أحصى للقراء عدد المرات التى خدمنى "الحظ" فيها خدمة جليلة لضاقت بها هذه الصفحات، ولما أتيت عليها كلها ولكن مما لا ريب فيه أن "الحظ" من أكبر عوامل النجاح فى مهمة الصحفى.

غير أنه ينبغى للصحفى ألا يعتمد على "الحظ" وحده بل لابد له من "شم" الأخبار كما يقول الأوربيون، وملكة "شم الأخبار" تنمو فى الصحفى بالتجارب وعلى مر الأيام. ويشعر الصحفى أحياناً بدافع خفى يدفعه إلى زيارة الجهة الفلانية أو الدائرة الفلانية الأخرى. وعندى أنه يحسن به دائماً أن يصغى إلى هذا الدافع فإنه لا يندم عليه فى معظم الأحيان. ومن أغرب ما أقصه على القراء من هذا القبيل أنه لما زارت جلالة الملكة مارى ملكة رومانيا القاهرة قيل إنها لا تقابل الصحفيين ولا تحادثهم لأن بعض الصحفيين اليونانيين عزوا إليها عند مرورها باليونان أقوالاً لم تفه بها، فلم أحاول بعد ذلك طلب التشرف بمقابلة جلالتها، غير أنه فى صباح يوم من الأيام شعرت بذلك الدافع الخفى يحثنى على التوجه إلى دار المفوضية الرومانية فتوجهت إليها ولما وصلت إليها استقبلنى وزير رومانيا المفوض وابتدرنى بقوله: "أنا عارف أنك مستاء لانك لم تقابل الملكة. ولكن من حسن حظك أن جلالتها ستتغدى هنا اليوم فإذا جئت الساعة الثانية أمكننى أن أقدمك لها"... وتم ذلك فعلاً وما كان ليتم لو لم أذهب إلى المفوضية... فهلا أو من بالحظ بعد ذلك؟ "

من هذا النّص فى تاريخ الصحافة المصرية؛ يتضح لنا أن فن الحديث الصحفى؛ إنما يتواصل مع : أصوله فى التاريخ الإنسانى، كما يتواصل مع نتائج الدراسة الحديثة فى الفن الصحفى وأنه - كما يقول أستاذنا د. حمزة رحمه الله":

"ليس صحيحاً ما يقال إن فن الحديث الصحفى من ابتكارات القرن العشرين، وابتداع هذا القرن وحده. فالذى نعرفه من تاريخ الصحافة فى إنجلترا - على سبيل المثال - أن الصحفى الإنجليزى المشهور ديفو Defoe استطاع فى القرن الثامن عشر أن يحصل على حديث صحفى من قاطع طريق اسمه جاك شبرد J. Shepherd وكان هذا قبيل تنفيذ الحكم عليه بالإعدام شنقاً ببضع دقائق.

بل إن الأستاذ ولزلى فى كتابه Explpring Journalism يرى أن حوار أفلاطون يعتبر نوعاً من الأحاديث. ذلك أن الأسئلة التى وجهت إلى سقراط حيناً، وإلى غيره من أصدقاء أفلاطون وتلاميذه حيناً آخر، كانت تحمل فى طياتها صفات الحديث الصحفى. ومثل ذلك كثير من أخبار الأدب العربى فى قصور الخلفاء والأمراء حيث كان الحوار يدور بينهم فى مسائل شتى".

بين "الحديث" و"الحوار":

وفى بيان أهمية الحديث الصحفى يقول "اميل لودفيج": يعتبر الحديث الصحفى من ألمع الفنون الصحفية فى الوقت الحاضر، ومن أكثرها استهواء للقارئ، وقد تظن أن الحديث الصحفى لا يزيد عن كونه مجرد تسجيل لمناقشة، أو حوار دار بين طرفين، غير أن حقيقة الأمر هى أن الحديث الصحفى أهم من ذلك، لأنه يتطلب قدراً كبيراً من المهارة والتفنن، ويحتاج إلى توافر صفات من نوع خاص فى المندوب الصحفى..

والأستاذ إميل لودفيج كاتب ألمانى شهير، قال ذلك فى مقالة له فى مجلة "ريفى دى بارى" عدد ديسمبر ١٩٤٦ - عن فن الأحاديث الصحفية وهو يرى أن هذا الفن من أمتع الوسائل الصحفية، وأنه ليس مجرد نقل حديث كما قيل حرفيا، بل إنه يحتاج إلى فن وأسلوب أكثر مما يعتقده القارئ العادى..

وأول خطوة فى هذا الفن هى إظهار البساطة، وذلك ما يمتاز به الصحفيون الأمريكيون. فإن مشاهير الرجالُ يؤثرون بأحاديثهم الصحفى البسيط على الرجل المتعلم الذى يناقشهم القول.

وذكر الكاتب أمثلة من حياته عندما كان صحفياً مبتدئاً أثناء الحرب العالمية الأولى، إذ عهد إليه التحدث إلى عدد كبير من الأمراء والقواد ورجال السياسة، وكان قليل العلم بأمور السياسة، فكان يوجه إليهم فى بساطة أسئلة يتحاشاها عادة العالم بالأمور. كأن يسأل أحدهم : لماذا تصرف أمس مثل هذا التصرف، فكان بمثل هذه الأسئلة البسيطة يفتح له القائد أو السياسى قلبه.

ويقول "لودفيج" إن من الواجب على الصحفى أن يدرس أخلاق العظيم الذى يريد أن يتحدث إليه بكل الوسائل الممكنة. والصور الفوتوغرافية هى ضرورة أساسية، ففيها

تظهر خصائص الرجل على وجهه بالرغم من إرادته. ومن الواجب على الصحفى أن يجذب إليه اهتمام المسئول، فلا يقنع بمجرد السؤال والجواب، إذ من الخير فى هذه الحالة أن نفضل الأسطوانة الحالية، فليس الغرض أن يذكر المتكلم آراءه، بل الغرض الحقيقى هو طريقة الحديث وحالته العقلية عند الإفضاء بالحديث. فقد لا يهمّنا سؤال ماركونى مثلاً: ما هى عواطفك عند اكتشافك التليغراف اللاسلكى؟ بقدر ما يهمنا سؤاله: كيف حدث أن قضيت أنت وغيرك من العلماء سنين عديدة إلى جانب هذا الاختراع؟

وذكر لودفيج أنه استطاع أن يمضى عدة أيام فى حديث مع "اديسون" المخترع الشهير، واخذ منه أجمل الإجابات، وذلك لأنه لم يحب قط الجانب الفنى. وقد وجد فيه رجلاً ذا شعور حساس، تكفى مجرد الإشارة ليفتح كنوز عقله. ففى ذات مرة كان يتحدث إليه بما كان من أمر "فاوست". وعلى حين فجأة أمسك بيد امرأته التى كانت جالسة إلى جانبه وقال ضاحكاً: "وهذه هى مرجريت"! ويجب ألا يتحدث الصحفى إلى الثرى الكبير فى أمر قيمة النقود، بل يدفعه إلى الكلام فى هذا الأمر بوسيلة أخرى. وروى لودفيج أنه دفع روكفلر مرة إلى هذا الحديث بأن قصّ مرة إلى ميلون الثرى الصموت وصاحب البنوك العديدة ولقبه فى اثناء الحديث بتاجر البندقية، فكأنه فك بذلك عقدة لسانه وسمع منه أبرع القصص عن بواخره وثروته.

فالواجب إذن على الصحفى المتحدث أن يظهر شيئاً من البساطة. وقد حدث للودفيج ذات مرة أن دفع هنرى فورد القليل الكلام إلى النطق بعبارة تسترعى النظر، فقد كانا سائرين فى الطريق، فرأى لودفيج سيارة صغيرة فأخذ يمتدحها، ولكنه سأل سؤال المتجاهل..: أظن هذه السيارة أكبر بعض الشيء من النموذج الذى تخرجه مصانعك..؟ فاستولى على "فورد" شعور الأم التى ترى تجاهل أبنائها فتحركت عيناه حركة خاصة، وقال : "إنها إحدى سياراتى.. لقد أخرجت ١٤ مليون مثلها" وفى هذه العبارة القصيرة وصف حياة جد طويلة تدل على خيال واسع..

ولعل الصحفى الذى خبر التأليف للمسرح والإذاعة يكون فى يده سلاح قوى، فالكتابة للمسرح تقتضى إدارة الحوار فى مهارة وبطريقة نفسانية، وإن كان المتحدث لا يذكر الحوادث الماضية كما يفعل المؤلف المسرحى. فقد ذهب لودفيج ذات مرة إلى لندن خاصة ليحادث "لورد جراى" وزير الخارجية البريطانية عندما أعلنت الحرب

١٩١٤ على ألمانيا، واجتمع به فى حفلة غداء، ودار الحديث على جلسة مجلس العموم فى اليوم السابق. وقد جاء فيه ذكر خلاف برز بين الوزراء، واخذ "لورد جراى" يشرح الموقف، فقال لودفيج وكأنه يتحدث لنفسه: "هذا شبيه بموقف يوليو سنة ١٩١٤" وقال: هذه العبارة فى صوت خفيض ولكنه مسموع، وإذ باللورد بعد الغداء ينتحى به ناحية ويتكلم فى إسهاب ليسوغ موقفه فى تلك الفترة الخطيرة، وكيف أنه لم يكن ليستطيع منع سير الحوادث إلى الحرب. ولو أن "لودفيج" ذكر هذا الخلاف رأساً "للورد" على صورة سؤال لتلقى رداً قصيراً فاتراً، ولما استرسل اللورد فى الحديث..

وكثيراً ما تكون العبارة القصيرة التى تلقى إلقاء أبّلغ أثراً من الأسئلة الطويلة فى اجتذاب الحديث. ولذلك ربما كان الصحفى الصموت القوى الملاحظة أنفع من الصحفى المدرب اللسان الذى لا يلاحظ الظروف. والواقع إن الأذن تخطئ أكثر من العين..

وتزداد أهمية الحديث الصحفى تبعاً لأهمية صاحبه، ومدى شهرته، وليس معنى ذلك أن الحديث الصحفى لا يجرى إلا مع المشهورين البارزين فى المجتمع وحدهم، فقد تكون الأحداث المثيرة التى تقع لبعض المغمورين من الناس سبباً فى الاهتمام الشديد بأحاديثهم وتصريحاتهم، وخاصة حين تكون مادة الحديث متصلة اشد الاتصال بموضوع من موضوعات الساعة.

والحوار فى الحديث الصحفى؛ هو أداة هذا الفن؛ كما أنه أداة المسرحية حين يعرض الحوادث؛ ويصور الأشخاص؛ ويقيم النّص من مبدئه إلى ختامه.. ويذهب أستاذنا "الحكيم" رحمه الله؛ إلى أن الصفة الضرورية فى الحوار هى: "التركيز والإيجاز؛ والإشارة التى تفصح عن الطبائع، واللمحة التى توضّح المواقف: وهذه الصفة لا تناسب كل الناس؛ ولا تلاصق كل الأدباء (والصحفيين أيضاً) فمنهم من خلق للإفاضة والتحليل والإسهاب، فإذا طلبت إليه أن يوجز أحسّ الضيق، وشعر كأنك حبسته أو حبسْت قلمه الفياض؛ وكتمت بيانه المسترسل؛ وحُلْت بينه وبين سليقته الميّالة إلى العرض والسّرد!.

"على عكس ذلك الأديب المسرحّى (والمحاور الصحفى أيضاً)؛ فكلاهما يضيق بالإفاضة والوصف؛ والاسترسال؛ ويحبّ إصابة الهدف بكلمة، أو رسم الشخصية فى إجابة أو الإحاطة بالمعنى فى عبارة".

هذه الصلة بين الأديب المسرحىّ؛ والمحاور الصحفىّ؛ نبتت فى الآداب القديمة؛ وتمثل الصحفىّ وظيفتها فى وسائل الإعلام الحديثة؛ امتداداً لها؛ وتكبيراً لأغراضها؛ فالحوار "باعتباره أداة المسرحية؛ ثم الحديث الصحفى تقع عليه أعباء كثيرة؛ بل عليه وحده تقع كل الأعباء..

فمنه تعرف قصة المسرحية أو قضية الحديث الصحفى، وما انطوت عليه من حوادث ومواقف، وهو لا يقصّها علينا حكاية وقعت فى الماضى، ولكنه يقيمها أمام أعيننا فى الحاضر حيّة نابضة تتحرك!..

"فالحوار هو الحاضر؛ هو ما يحدث فى اللحظة التى نحن فيها. حاضر أبدىّ لا يمكن أن يكون ماضياً أبداً"(١).

مهمة الحوار إذن - كما يقول حكيم الأدب العربى - ليست أن يروى ما حدث لأشخاص؛ ولكن مهمته "أن يجعلهم يعيشون حوادثهم؛ أمامنا مباشرة، دون وسيط أو ترجمان؛ فإذا قام الحوار بهذه المهمة فإن واجبه لم ينته بعد؛ فنحن لا يكفينا منه فى المسرحية أن يكشف لنا عن حوادث ومواقف، بل عليه - فوق ذلك- أن يلوّن لنا هذه الحوادث وهذه المواقف، باللون الموافق لنوع المسرحية؛ فإن كانت مأساة تخيّر من الألفاظ ما يثير فى نفوسنا الرهبة والجزع والجلال والخشوع، وإن كانت ملهاة انتقى من العبارات ما يشيع فى قلوبنا روح الفكاهة والمرح والسخرية والعبرة!".

وفى الحديث الصحفى؛ بعد **مرحلة المقابلة**؛ ينتقل المحرّر إلى مرحلة "التحرير"؛ وفى هذه المرحلة يستلهم المحرّر **مقوّمات الحوار**؛ التى تتيح له أن يقدّم نصًّا متميزاً؛ لا تقف مهمته عند **رسم الحوادث، وتصوير المواقف**، بل يضع نُصب عينه أن يؤدى وظائف الحديث الصحفى؛ وهذه الوظائف هى التى تحدّد:

أنواع الحديث الصحفى:

ذلك أن الحديث يتنوع؛ بتنوع وظائف الاتصال الصحفى، تأسيساً على أن الاتصال هو عملية بثّ المعانى بين الأفراد، ولذلك رأينا أن "الحديث" يضرب بجذوره

(١) توفيق الحكيم: فن الأدب؛ ص١٤٩.

في التراث الأدبي القديم؛ استجابة للحاجة الإنسانية المؤسسة على قدرة الإنسان على نقل نواياه ورغباته واحساساته ومعرفته وخبرته؛ من شخص لآخر.

وإذا كانت التطورات التكنولوجية الحديثة في وسائل الإعلام؛ قد يسرت شكلا جديدا من أشكال الاتصال الإنساني؛ فإن الفنون التحريرية؛ ومنها الحديث الصحفي في هذه الوسائل أيضا، إنما جاءت استجابة لوظائف هذا الاتصال؛ وهي الوظائف التي يحصرها "لازويل" في:

أولا: رصد البيئة ومراقبتها.

ثانيا: إيضاح العلاقة المتبادلة المتلازمة بين أجزاء المجتمع في رد الفعل نحو البيئة.

ثالثا: نقل التراث الاجتماعي من جيل إلى جيل، ويضيف إليها علماء الاتصال:

رابعا: الترفيه.

وتأسيسا على هذا الفهم؛ فإن أنواع الحديث الصحفي تكاد أن "تنحصر في الأنواع التالية":

١ - حديث الخبر (أو الحقائق) Information Interivew.

٢ - حديث الرأي Opinion Interview.

٣ - حديث المعلومات والتسلية والإمتاع Feature Interview.

٤ - حديث الجماعات Group Interview.

٥ - حديث المؤتمرات الصحفية Press Conference Interview.

وفي كل نوع من الأنواع الخمسة المتقدمة لابد من مراعاة الشروط التي روعيت في تقويم الخبر الصحفي من حيث هو، وهذه الشروط أو الخصائص المطلوبة هي[(١)]:

١ - الجدة من حيث الزمان Timeliness.

٢ - القرب من حيث المكان Proximity.

٣ - الضخامة (وهي اتصال الحادث بأكبر عدد من الناس).

(١) د. عبداللطيف حمزة : المرجع السابق ص٢٢٢.

٤ - قوة الدلالة Significance.

٥ - سياسة الصحيفة Policy.

ومعنى ذلك أن على المحررّ الصحفى أن يحقق هذه الشروط الخمسة عندما يشرع فى كتابة الحديث الخاص[١].

أولاً: حديث الخبر "أو البحث عن الوقائع":

وهو النوع الذى يعتمد عليه فى جمع الأنباء والمعلومات حول حادث معين، ويرجع فيه المندوب إلى "شهود العيان" أو المشتركين فى الحديث. وفى هذا يقول الصحفيون الإنجليز "إن القصد من هذا النوع من الحديث هو الحصول على ما يعبر عنه بينهم بهذه العبارة : "News not View" فكأن الهدف من هذا النوع هو الوصول إلى أوثق الأنباء، ومن الواجب على الصحفى فى الحالات المعتمدة على شاهد عيان ألا يعتمد على شهادة واحد فقط، اللهم إلا إذا كان هو وحده الذى شهد الواقعة. ويتوسل المندوب بهذا النوع من الأحاديث كذلك فى المتابعة الإخبارية، وفى المطارات والموانئ، والنواحى السياسية الهامة، وعودة المسئولين من الخارج.. الخ.

وهذا النوع الخبرىّ من أنواع الحديث؛ إنما جاء استجابة للوظيفة الإعلامية فى الرّصد والمراقبة وجمع المعلومات التى تتعلق بالأحداث فى البيئة داخل نطاق المجتمع وخارجه. فحديث الخبر أو البحث عن الوقائع؛ معنىٌّ - إلى حد كبير - بخدمة الأخبار؛ وأداء الوظيفة الأساسية التى تقوم عليها الصحافة؛ من أجل إخبار الناس بكل ما يقع من أحداث هامة داخلياً أو خارجياً، فى جميع ميادين الحياة؛ من سياسية أواقتصادية أو ثقافية؛ حتى يكونوا على علم "بمجريات الأمور، ويتابعوا المسائل العامة ويتعرّفوا على كل شيء يتعلق بوطنهم وبالعالم الخارجىّ من حوله أيضاً؛ وبذلك يشعرون أنهم يعيشون فى عصرهم حقا"[٢].

والمندوب الصحفى - على حد تعبير "جايار" إنما هو "شاهدٌ أو محقّق؛ إنه يشهد الأحداث المتوقعة ويجهد نفسه بملاحقة توالى وقائع حدث طارئ؛ ولكنه شاهد مهنى، أو

---

(١) نفس المرجع السابق ص٢٢٣.

(٢) د. حسنين عبدالقادر : الصحافة كمصدر للتاريخ ص٧.

محقق يؤدى حساباً للجمهور، وليس لأية إدارة أو مصلحة. وهذا يرتب عليه واجبات معينة ومنهجية فى العمل خاصة". على الرغم من ضغط الوقت فى هذا النوع الخبرى من أنواع الحديث الصحفى؛ الأمر الذى لا يتيح له الفرصة لإعداد أسئلته.

ومهما يكن من أمر؛ فإن هذا النوع الخبرى لا يشكل أوسع حقول الحديث الصحفى لأنه يمثل الجانب الأكبر من المواد المنشورة. ومع أن كثيراً من المقابلات قد يتم بواسطة مندوبين خارجيين (الوكالات البرقية، وكالات الأخبار والمقالات الصحفية والكتّاب غير المقيدين بجريدة معينة) فإن الموضوعات الإخبارية تنطوى أكثر مما ينطوى عليه أى نوع آخر من المواد المنشورة على أحاديث ومقابلات يجريها محررو الجريدة الأصليون. ويكون المندوب الذى يعالج موضوعا إخبارياً محكوماً، على العموم، بضغط الوقت الضيق كما تقدم، لأن معظم المادة التى يعالجها من الأخبار الوامضة ذات المدى الزمنى القصير. ذلك أن الأخبار تنتشر بسرعة. وعليه أن ينجز المقابلة بسرعة. وعليه كذلك أن يعمل فى جو من المنافسة الحامية مع مندوبى الصحف الأخرى ليقدم الخبر قبل الموعد المقترب بسرعة لعمل التحرير. ويترتب على ذلك أنه غالباً ما يضطر إلى القيام بالمقابلة، وهو يتفقد الساعة تفقداً حثيثاً من أجل أن يؤمّن فرصة النشر لمادته.

أما لماذا لا يتيح الحديث الصحفى- فى حالة الخبر الصرف - للمخبر أو المندوب إلا أقل علم مسبق؛ فإن ذلك يرجع إلى طبيعة الخبر ذاته. فثمة شطر كبير من الأخبار، كما نعلم، لا يتكشف عن نذير مسبق بأنه سيذيع وينتشر، وبالتالى فقد يجد المندوب نفسه يستجوب عدة أشخاص فور الاتصال بهم. ومن الأمثلة على هذه الحالات المقابلات مع ضحايا أحد المحتالين، والمقابلة مع موظفى البلدية الذين أقيلوا فجأة، وشهود العيان لحادث من الحوادث"(١).

وتعبير "**شاهد عيان**" - كما يقول الاستاذ الحمامصى(٢) تعبير يتردد كثيرا فى الصحف: قال (**شاهد عيان**). ويقصد به: أن المندوب الصحفى كان غائبا فى لحظة وقوع الحادث؛ ولهذا يستعين على بدء قصته الصحفية بأقوال من شهد بدايتها، أوبأقوال من يعرفون "**كيف وقع الحادث**". ومن الواجب على الصحفى فى هذه الحالة

(١) الصحافة اليوم ص١٤٦.

(٢) جلال الدين الحمامصى : المندوب الصحفى؛ السابق؛ ص ١٦٨ .

ألا يعتمد على شهادة واحدة فقط؛ اللهم إلا إذا كان هو وحده الذى شهد الواقعة. ذلك أن الشهود كثيرا ما يدلون بأقوال يلعب فيها التناقض دورا كبيرا. ولهذا فإن الوظيفة الإعلامية تقتضى أن يسال الصحفى أكثر من شاهد ضمانا للوصول إلى الحقيقة المجردة من خيال بعض الشهود".

تحرير الحديث الخبرى:

وتحرير الحديث الصحفى يقوم على مراعاة القيم الخبرية العامة: **الجدّة الزمنية - القرب المكانى - الضخامة - الدلالة - سياسة الصحفية**، من جهة، ويتسم **بالدقة والأمانة والصدق الإعلامى** من جهة أخرى.

وفى تحرير **حديث الخبر أو البحث عن الوقائع**، نفيد من الأنماط الخبرية فى التحرير الصحفى والنمط الاقتباسى خاصة، والذى فصلنا فيه الحديث. فى الفصل الخاص بالخبر الصحفى؛ وكذلك النمط التحريرى الخاص **بالقصة الخبرية**".

حيث يمكن صياغة "**مقدمة للحديث**" Lead؛ بحيث تحتوى على أهم النقاط الخبرية المثارة، مع تصوير جذاب لشخصية المتحدث. وفى "**صلب** Body" الحديث تصاغ الأسئلة والإجابات بطريق مباشر حينا، وباسلوب غير مباشر حينا آخر.

ويفيد المحرر كثيرا من **الوصف** فى صلب الحديث حتى يتسنى للمحرر توضيح وجهة نظر المتحدث، وإلقاء الأضواء على شخص محدثه.

ثانيا: حديث الرأى أو البحث عن الآراء:

وهذا النوع من الأحاديث الصحفية يغطى جانبا كبيرا من النواحى التى تبحث عن الحقائق التى تقابل من الجمهور برعاية واهتمام، لأنه كما يقول استاذنا جلال الدين الحمامصى رحمه الله - يجد فيه غذاء قويا ومتعة تجعله يحس أنه يشترك فى معركة من معارك الرأى. وهذا النوع من الأحاديث يمكن اجراؤه مثلا: عندما تسند وظيفة كبيرة إلى شخص ما فى الحكومة أو المؤسسات العامة، أو فى أى عمل آخر له صلة بالجمهور، وكذلك الشخص الذى يترك منصبه، والتعليق الذى يحصل عليه الصحفى من متخصص حول موضوع مثار، ثم الأحاديث التى يجريها الصحفى حول رأى معين فى قضية أدبية أو فنية أوعلمية أو سياسية.. الخ مع المتخصصين من كبار الشخصيات.

وهذا النوع من أنواع الحديث الصحفى؛ يؤدى إلى جانب الوظيفة الإعلامية: **وظائف الشرح والتفسير**؛ والتوجيه. وهى الوظائف التى أجملها د. محمود عزمى للصحافة فى قوله: إنها **"توجيه الرأى العام عن طريق نشر الأخبار والأفكار News + Views** الخيرة الناضجة معممة ومنسابة إلى مشاعر القراء خلال صحف دورية".

وحديث الرأى أو البحث عن الآراء والافكار؛ إذن؛ يسهم فى توضيح العلاقة المتبادلة بين أجزاء المجتمع فى رد الفعل نحو البيئة. وهذه الوظيفة فيما يرى "تشارلز رايت" ؛ تتضمن تفسير المعلومات المتعلقة بالمجتمع وترشيده، وتنويره بالآراء والأفكار إزاء الاحداث. ذلك أن الوظيفة الرئيسية للتفسير والترشيد هى أن تجنب الناس النتائج غير المرغوب فيها المترتبة على إذاعة الأخبار مثل تلك الانذارات بالأخطار التى لايفسّرها صاحب الرسالة؛ والتى قد تؤدى إلى إحداث الذعر لدى الجمهور، ومازال المثال الذى يردده الباحثون عن إذاعة "أورسون ويلز" عن غزو أهل المريخ لكوكب الأرض؛ يؤكد ذلك، فاعتقاد الناس بأن "راوية" أورسون ويلز ؛ كانت تقريرا خبريا واقعيا أدى إلى الذعر الشديد لدى الناس(١).

ومن النتائج المرغوب فيها؛ فى تحليل "رايت"؛ أنباء الأخطار فى المجتمع؛ ذلك أنها بدلاً من أن تؤدى وظيفة الإنذار يمكن أن تزيد من القلق فى نفوس الناس، والحرب النفسية مثال على ذلك. وكذلك الكثرة الزائدة من الأنباء قد تؤدى إلى التقوقع من جانب التلقى؛ أو الشعور بالسلبية واللامبالاة، وقد يتوهم أن المواطن المّطلع؛ هو نفسه المواطن النشط. وهذه الوظيفة العكسية أطلق عليها "لا زارسفيلد" و"ميرتون" صفة الإدمان.

وحين يؤدى حديث الرأى أو البحث عن الآراء؛ جانبا من جوانب الوظيفة التفسيرية فى الاتصال الصحفى؛ فإنه بذلك يسهم فى تجنيب القراء النتائج غير المرغوب فيها، ذلك أن الاختيار؛ والتفسير للأخبار؛ من الأمور التى يحرص عليها القارئ حرصه على الأخبار نفسها.

(١) ذلك أن الممثل السينمائى أورسون ويلز؛ كان قد أذاع برنامجا خياليا بالراديو تصّور فيه أن كوكب المريخ مسكون، وأن سكانه قاموا بغزوة لكوكب الأرض، فلما أذيع البرنامج فى الراديو ظنه الناس برنامجا "إخباريا" واقعيا. واستبد بهم الهلع فهجروا بيوتهم وخرجوا لا يلوون على شىء واعتصم بعضهم بالجبال. وعندما تبينت لهم حقيقة الأمر أحرقوا محطة الإذاعة، محمد فتحى، ترجمة: المنظور الاجتماعى للاتصال الجماهيرى تشارلز رايت ص.س.

ثالثا: الأحاديث المتصلة بالشخصيات:

وهى الأحاديث التى تستهدف تقديم الشخصيات التى تسلط عليها الأضواء، وقد يكون الحديث الواحد مجموعة من الأحاديث مع المحيطين بالشخصية بهدف إلقاء المزيد من الضوء عليها، مثل: وزراء جدد يدخلون الوزارة لأول مرة - رجل مشهور- الزوار المعروفون القادمون من الخارج - رجال كبار السن ويقومون بأعمال طريفة مثلا - شخصيات صنعتها الأنباء، مثل: رجال الفضاء؛ أو الحصول على جائزة عالمية أو محلية .. الخ.

وهذا النوع من الأحاديث يؤدى جانبا مهما من وظائف التثقيف؛ والتنشئة الاجتماعية؛ من خلال تقديم "نماذج القدوة "للأجيال؛ وبث الثقافة من جيل لجيل؛ أو مايسميه "رايت" تنمية الروح الاجتماعية، ثم الإمتاع والمؤانسة، ويطرح التحليل الوظيفى لهذا النوع من الأحاديث عددا من التنساؤلات: إلى أى حد يؤدى مضمون الحديث الصحفى إلى توحيد المجتمع بما يهيئ له من قاعدة عريضة للقيم؛ وأنماط القدوة؛ والتجربة الشاملة المشتركة عند الأفراد جميعا؟

أو إلى أى حد يكون فقدان التنوع الثقافى ناتجا عن بث فكر ثقافى موحد؟

تحرير أحاديث الشخصيات :

يقوم تحرير هذا النوع من الأحاديث الصحفية فى جوهره على ارتباط الشخصيات بحركة الأحداث؛ فى سياق عناصر التقويم الصحفى؛ كما تقدم ويعتمد فى بنائه على تصوير الشخصية تصويراً فنيا، وحتى لقد يجد دارسو الاجتماع وعلم لنفس الاجتماعى فى هذه الشخصيات التى تجرى معها الأحاديث الصحفية إجابة موضوعية عن التساؤلات التى يطرحها التحليل الوظيفى لوسائل الإعلام .

والأساس الأول لتصوير الشخصية فى الحديث الصحفى ألا تفقد هذه الشخصية صلتها بحركة الأحداث فى المجتمع؛ وبعالم الناس، والأساس الثانى: وحده الشخصية فى عمقها؛ هذا هو التعبير الحديث كما سماه أرسطو من قبل: التكافؤ المنطقى. وهذه الوحدة هى التى تسمح بأنواع من الاختلاف مع طبيعة الشخصية فى مجرى الحديث، فمواجهة قضية تنقصها فى مجرى الحوار الصحفى؛ خير تجسيم لفكرة "هيجل" وللنزعة الديالكتيكية بعامة" لتوليد قضية جديدة تتراءى من وراء تصارع الآراء. ولهذا يغدو الحديث الفردى Monologue معيباً إذا طال فى المقال الحديث.

وللمحرّر فى طريقة تقديم الشخصية؛ أن يصّورها من خلال حركتها ومواقفها فى الحوار الذى يجريه معه، والحديث الصحفى فى هذه الحالة ذو طابع مسرحىّ؛ لأن أبطاله (وهم هنا المتحاورون)؛ يصورون أنفسهم فى حركتهم؛ ويرتسمون أمامنا وهم يتحاورون؛ وبهم يكتسب الحديث الصحفى طابعا دراميا؛ إن جاز التعبير، وهو الطابع الذى نبه "أرسطو" أى قيمته فى الملحمة من قبل؛ ومدح "هوميروس" من أجله[1].

وقد يلجأ المحرّر فى تحرير حديثه إلى عنصر قصصىّ فى حكايتة؛ ثم إلى وصف المجال الذى يتحرك فيه محدثه؛ فهو تفسير بعض ما يقوم به من أفعال. وقد يعتمد المحرر فى شىء من ذلك على التقديم الدرامى - كما تقدم ؛ ولكنه يستقل بالحديث عنه خارج هذا التقديم.

ومنذ الواقعيين والطبيعيين أصبح المؤلف القصصى يقوم بهذا الوصف والتفسير؛ الذى يقوم به المحاور الصحفى، دون أن يظهر ظهوراً مباشرا.. فهو يذكر الحقائق والآراء من غير طابع وجدانى؛ وبحيث تظهر كأنها صادرة عن قاض محايد مصاحب للشخصيات، وقد تتطابق آراء المحاور مع الشخصية التى يحاورها فى الحديث الصحفى؛ ولكن دون أن يظهر ظهورا مباشرا، فعليه أن يسجّل الآراء فى السياق الذى يجعلها تبدو موضوعية خالصة.

ويستحسن فى تحرير الحديث الصحفى؛ ألا يتدخّل المحرّر تدخلاً سافراً بالشرح أوالتعليل مستقلاً فى ذلك عن الحوار. وينبغى أن يكون تدخله فى أضيق الحدود. كأن يقصد فى تدخله إلى الغوص فى أعماق الشخصية فى إجمال دون تفصيل.

والبنْية القصصية فى فن الحديث الصحفى؛ تقوم على تصوير الشخصيات؛ التى تثير كثيرا من المشاعر؛ وألوانا من العطف والتقدير؛ وتولّد الفكرة إثر الفكرة، والرأى إثر الرأى. ومن هنا كانت أهمية التشخيص القصصى Charaterization فى الحديث الصحفى. ولكى يستطيع المحرر أن يجعل القارئ متعاطفا وجدانيا مع الشخصية التى يجرى معها الحوار؛ يجب أن تكون هذه الشخصية كما هى فى سياق التقويم الصحفى.. شخصية متحركة فى التعبير والحوار؛ فالقارئ يريد أن يراها وهى تتحرك؛ وأن يسمعها وهى تتكلم، يريد أن يتمكن من رؤيتها رأى العين.

---

(١) د. محمد غنيمى هلال : السابق ص ١٤٤، ١٤٥ .

وكما يميز النقاد فى أنواع القصة؛ بين ما يعرف بقصة **"الحادثة"** وبين **"قصة الشخصية"**(١). فإن التحرير الصحفى يميز بين ما يعرف بحديث **القصة الخبرية** الذى يقوم على الحركة؛ وبين **حديث الشخصيات**؛ فالأولى تمثل **الوقائع**؛ والأخرى تمثل **المواقف**. ففى الأولى يكون الاهتمام **بالحادثة** أولا، ثم تختار **الشخصيات** المناسبة وفى الأخرى يكون العكس.

رابعا: حديث الإمتاع والمؤانسة:

ويهتم المندوب الصحفى فى هذا النوع من الحديث بشخصية المتحدث، وفلسفته فى الحياة أكثر مما يهتم بنوع اختصاصه، بهدف تقديم المعلومات والتسلية وإلقاء الضوء على الجوانب الخفية من حياة الشخصيات مثلا، على النحو الذى يؤدى وظيفة الإمتاع والمؤانسة فى الاتصال الصحفى.

وقد أظهرت الدراسات؛ أن الراشدين من قراء الصحف؛ يلتفتون إلى الموضوعات الخفيفة والأشرطة المتتابعة والرسوم أكثر من التفاتهم إلى المعلومات حول المسائل العامة أو الاعلانات. ومع أن المجلات قد أخذت تزيد من جديتها؛ منذ مقدم التليفزيون؛ فإن بعضها لا يزال يقدم التسلية أساساً، وبعض أجزاء المجلات الجادة ترفيهية صريحة .

على أن الترفيه ليس عنصرا سلبيا - كما يُظن.. لذلك يجب أن ننظر فى آثاره الإيجابية من منظور الإمتاع والمؤانسة "فى الاتصال الصحفى". ومن القلائل الذين استطاعوا الدفاع عن الترفيه بأسلوب أكثر وضوحا "تشارلين براون" من جامعة "ستانفورد" حين يقول: "إن الترفيه ضرورى لمنح الراحة التى تمكن البشر من مواجهة متطلبات الحياة الحديثة - أو حتى متطلبات الحياة فى عمومها فقط - وليس لنا جميعا نفس الأحاسيس. وصفوة المثقفين يفضلون أن يتخذ الترفيه عندهم أشكالاً مختلفة عن الأشكال التى يقلبها ذوو الثقافة المتواضعة؛ ومع ذلك فهو ترفيه مهما يكن أسلوبه الفنى أو مضمونه المثقل بالمعانى والناس بحاجة إلى الاسترخاء ونضيف إلى ذلك الصحبة والمؤانسة أيضا.

(١) د. عزالدين إسماعيل: الأدب وفنونه؛ ص ١٨٠ .

وليس معنى ذلك أن الصحف تهمل المضمون الجاد الذى يقدم بطريقة جادة؛ فمن المؤكد أنها تقوم بعملها فى هذا المجال؛ بطريقة أفضل مما كانت تفعله من قبل. ومع ذلك فمن الصحيح أن الصحف لابد ان تراعى القارئ دائما، عندما تقدم مناقشة جادة، أو معلومات. ونظراً لطبيعة عدم التجانس بين القراء، فلا ينبغى للصحفيين أن يترجموا الموضوعات والقضايا المعقدة إلى عبارات مفهومة لدى القراء فحسب، بل عليهم أن يفعلوا ذلك بطرافة أيضا. فالهدف الأساسى للتحرير الصحفى، قبل كل شىء هو أن يجعل ما يقدمه مقروءاً ويستهدف المحرّر المراجع جذب الانتباه بالعنوان.. فإذا ما كانت طريقة معالجة الموضوع وعنوانه يجتذبان القارئ إلى المادة الجادة ؛ فإن ذلك له ما يسوغه فى حد ذاته" على حد تعبير "ريفرز"؛ الذى يذهب إلى أن إيجاد جمهور كبير والمحافظة عليه، أحيانا وخاصة فى مجال المجلات ذات التوزيع المرتفع؛ كان من نتائجه الدمج بين وظيفة الترفيه ووظيفة التنوير. ومنذ الحرب العالمية الثانية قامت كثير من المجلات بتقصير موضوعاتها غير القصصية؛ على افتراضات أن القراء لم يعودوا يطيقون الموضوعات الطويلة؛ وإن كان هناك بعض المجلات التى تخصص بعض أعمدتها لموضوعات أطول وأكثر جدية. ومع ان بعض المجلات قد وجد أشكالاً قيمة بديلة عن المقال التقليدى؛ فإن الكثير من الكتاب لا يزال يطور مقالاته، وموضوعاته، لا عن طريق العرض المباشر، وإنما عن طريق تقديم بعض العموميات؛ أوالحوار؛ وايضاح كل منها بالعديد من الحكايات والأحاديث المسرحية.

وغالبا ما تكون النتيجة قليلا من المعلومات مغلفة فى كثير من الترفيه، وعندما اكتشفت بعض المجلات أن القراء يهتمون بالناس أكثر من اهتمامهم بالأفكار أخذت تستخدم الشخصيات كمشجب تعلّق عليه ما تقدمه من موضوعات عامة.

ويذهب "جوزيف ت. كلابار" فى دراسته لآثار وسائل الإعلام؛ إلى أن الناس يستخدمون الترفيه أحيانا للهروب من الشعور بعدم الإطمئنان؛ وذلك بتقمص الشخصيات الناجحة فى القصص والمقالات والأحاديث والأفلام والإذاعات. وإذ ييسر التقمص المشاركة الخيالية فى حياة الآخرين الطيبة؛ وانتصاراتهم؛ فإنه يمنح الإحساس بالهيبة؛ ويذهب "كلابار" إلى أن ذلك لا ضرر منه فى اسوأ الأحوال، كما أنه مفيد فى احسن الأحوال .

وتأسيسا على هذا الفهم؛ فإن المهم فى هذا النوع من أنواع الحديث الصحفى ليس **"ما يقال"** ولكن **"كيف يقال"** ؟

ولذلك فإن المتحدث هنا - كما يقول د.حمزة - هو "محور الحديث. إذ الغرض الأساسى فى الواقع هو تصوير هذه الشخصية الإنسانية بما فيها من طرافة أو غرابة أو تعقيد أو بساطة.. ولذلك يعنى المحرّر الصحفى بنبرات الصوت، وحركات المحدث ، وتعبيرات الوجه، ولون الملابس، وطريقة الجلوس وما إلى ذلك كله.

وباختصار . يهتم المخبر الصحفى فى هذا النوع من الحديث؛ بشخصية المتحدث، وفلسفته فى الحياة أكثر مما يهتم بنوع اختصاصه أو بنوع تجاربه وخبراته. وإذا عرض لشئ من ذلك فإنما يكون من اجل تصوير شخصيته اكثر من الاهتمام بما يصدر عنها من رأى"[(١)].

وإذا كان على المندوب أو المحرر أن يصنع ذلك فى مرحلة الإعداد للحديث؛ فإن مرحلة قيادة الحديث تتخذ خطوات أخرى هى: **استهلال الحديث، توجيه الأسئلة، للحصول على إجابات شافية - خطوة المراجعة.**

تحرير الحديث الصحفى :

وتحرير الحديث الصحفى يقوم على مراعاة القيم الخبرية العامة: الجدة الزمنية - القرب المكانى - الضخامة - الدلالة - سياسة الصحيفة - من جهة، ويتسم بالدقة والأمانة والصدق من جهة أخرى.

وإذا كانت الصحافة الحديثة قد عدلت عن طريقة نشر الأسئلة والإجابات نشرا حرفيا، فإنها اتخذت من النمط التحريرى الخاص " بالقصة الخبرية" نمطا فنيا لصياغة الحديث، وهو النمط الذى تحدثنا عنه فى كتاب "فن التحرير الإعلامى" بالتفصيل حيث يمكن صياغة "صدر Lead" الحديث بحيث يحتوى على أهم نقاطه المثارة مع تصوير جذاب لشخصية المتحدث "صلب "Body" الحديث تصاغ الأسئلة والإجابات بطريق مباشر حينا، وبأسلوب غير مباشر حينا آخر. ويفيد المحرر كثيرا من

(١) د. عبداللطيف حمزة : السابق ص ٢٢٧ .

الوصف فى صلب الحديث حتى يتسنى للمحرر توضيح وجهة نظر المتحدث، والقاء الأضواء على شخص محدثه.

وفى حديث الخبراء والبحث عن الوقائع، نفيد من الأنماط الخبرية فى التحرير والنمط الاقتباسى خاصة. وكذلك فى حديث الرأى - حيث نركز على الرأى الذى خرج به المتحدث فى المقدمة (النمط الاقتباسى خاصة).

والعناية بتحرير مقدمة الحديث تقتضى الإفادة من أنواع تحرير المقدمات التقليدى منها والجديد، وهى التى تحدثنا عنها تفصيلا فى الفصول السابقة من هذا الكتاب: الشقيقات الخمس - التجديد فى المقدمة: المقدمة الساخنة - مقدمة الصورة - المقدمة المقارنة - المقدمة التساؤلية - المقدمة الاقتباسية - المقدمة الوصفية - المقدمة الإذاعية.

نصوص للدراسة

أولاً: نماذج للحوار فى الأدب العربى القديم

والحِوارُ ضربٌ من الأدب عُرِف منذ الجاهلية فى خطب المفاخرات والمنافرات ولكنه مُنْذُ الإسلام أخذ هذا الاسمَ لما فى التسمية الأولى من ظاهر المخالفة للدين الذى نهى عن تفاخر الجاهلية وتنافرها، القائم على عصبيتها ونُعرَتها، والدعاء - عن جهلٍ وسفهٍ بدعوتها.

ولقد بقى ذا مكانةٍ وشرف طَوالَ القرنين الأولين من الهجرة تقريباً، وكانت قريش أحضَرَ العرب فيه بديهة، وأسرعَها عند السؤال جوابا، وقد أَسَالَتْ أوديته الخلافاتُ السياسيةُ والمذهبية. وبخاصةٍ فى عهد معاوية الذى فتح بابَه على مصراعيه لقيام سياسته على التغاضى عن القول والتحلم إزاء التَّزَيُّدِ فيه.

وفيما يلى نماذج فى العصر الأموى والصدر العباسى تتبين منها كيف كانت قوّة الحوار، وكيف تمثل رافداً من روافد تأصيل الحوار والحديث الصحفى فى العصر الحديث:

بين معاويةَ وعقيلِ بن أبى طالب.

لما اعتزل عقيلُ بنُ أبى طالب أخاه علياً كرم الله وجهه، إلى معاويةَ يطلب عنده الدنيا، قال له معاوية : أنا خيرلك من أخيك علىّ، فقال عقيل : صدقت، إن أخى آثر دينه على دُنياه، وأنت قد آثرت دنياك على دينك، فأنت خيرٌ لى من أخى، وأخى خيرلنفسه منك.

ما فَضَل لأبيك، وكان أبوك كذلك لأبى، ولكن من هَنَّأ أباك بإخاء أبى أكثر ممن هنأ أبى بإخاء أبيك، نصر أبى أباك فى الجاهلية، وحَقَن دمه فى الإسلام(١)، وأمّا استعمالُ علىّ إيانا فلنفسه دون هواه، وقد استعملت أنت رجالاً لهواكَ لا لنفسك : منهم ابن الحَضْرَمِىّ على البصرة فقتل، وبُسْر بنُ أَرْطَاةَ على اليمن فخان، وحَبِيبُ بن مُرَّةَ على الحجاز فرُدّ، والضَّحَّاكُ بنُ قيس الفِهْرِىُّ على الكوفة فحُصِب، ولو طلبتَ ما عندنا وقينا أعراضنا، وليس الذى يبلغك عنا بأعظَمَ من الذى يبلغنا عنك، ولو وُضِع

(١) يشير إلى ما كان من خروج العباس مع أبى سفيان يوم بدر، ثم إلى ما كان من شفاعته له يوم فتح مكة عند رسول الله (ﷺ).

أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمَحَقها، ولو وضع أدنى عذُرنا إليكم على مائة سيئة لحسَّنها، وأما خَذْلُنا عثمانَ فلو لزِمَنا نصرُه لنصرناه[1]، وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا فيه، وأما حربنا أيّاك بِصفّين فعلى تركك الحقَّ وادّعائك الباطلَ، وأما إغراؤك إيانا بتَيْم وعَدِيّ فلو أردْناها ما غلبونا عليها[2] وسكت[3].

بين معاوية وعبدالله بن الزُّبَير

دخل الحسينُ بنُ على رضى الله عنهما يوماً على معاوية وعنده جماعةٌ من قريش فيهم ابنُ الزبير فرحّب به وأجلسه على سريره وقال: ترى هذا القاعد - وأشار إلى ابن الزبير - فإنه ليدركه الحسدُ لبنى عبد مناف[4] فقال ابنُ الزبير لمعاوية : قد عرفنا فضل الحسين وقرابته من رسول الله (ﷺ)، لكن إن شئت أعلمتك فضلَ الزبير على أبيك أبى سفيان فعلت، فقال معاوية:

قاتلك الله يابن الزبير ما أَعْيَاك وأبغاك[5]! أتفخَرُ بين يَدَىْ أمير المؤمنين وأبى عبد الله[6]؟ إنك أنت المُتعَدّى لِطَوْرك، الذى لا تعرف قدْرَك، فَقِسْ شبْرَك بِفِتْرك[7]، ثم تعَرَّفْ كيف تقعُ بين عَرَانِين بنى عبد مناف[8]، أما والله لئن دَفَعْتَ فى بحور بنى هاشم وبنى عبد شمس لَتقْطَعَنَّك بأمواجها، ثم لَتُوهِيَنَّ بك فى أُجَاجها[9]، فما بقاؤك

(١) يعرض بمعاويةَ إذ كان أولى من بنى هاشم بنصرة عثمان لأنهما أمويان.
(٢) الضمير للخلافة.
(٣) فى هذه المحاورة يقول ابن أبى لهب :

كان ابن حرب عظيمُ القدر فى الناس ∴ حتى رماه بما فيه ابن عباس
ما زال يُهبطه طوراً ويصعده ∴ حتى استفاد وما بالحق من باس
لم يتركْن خطة مما يذلّهُ ∴ إلاّ كواه بها فى فروة الراس

(٤) عبد مناف الجد الذى يجمع بين بنى هاشم وبنى أمية فهاشم ابن عبد مناف وأمية ابن عبد شمس بن عبد مناف، أما آل الزبير فمن عبد العزى أخى عبد مناف بنى قصى.
(٥) ما أعياك : ما أعجزك.
(٦) كنية الحسين.
(٧) الشبر: ما بين طرفى الإبهام والخنصر، والفتر: ما بين الإبهام والسبابة.
(٨) العرنين فى الأصل الأنف أو ما صلب من عظمه وهو هنا السيد الشريف.
(٩) أوهاه : أسقطه والأجاج : الملح المر.

فى البحور إذا غمَرَتْك، وفى الأمواج إذا بَهَرَتْك[1]؟ هُنَالك تعرفُ نفسك وتندمُ على ما كان من جُرْأتِك، وتمَنَّى[2] ما أصبحتَ فيه من أمان، وقد حيلَ بين العَيْر والنَّزَوان[3].

فأطرقَ ابنُ الزبير مَلِيًّا ثم ربع رأسه فالتفت إلى من حوله وقال :

أسألكم بالله، أتعلمونَ أنّ أبى حَوَارِىُّ رسول الله (ﷺ)[4]. وأن أباه أبا سفيانَ حارب رسول الله (ﷺ)، وأن أمى أسماء بنتُ أبى بكر الصديق وأمّه هند آكلة الأكباد[5] وجدى الصديقُ وجده المشدوخُ ببدر ورأس الكفر[6]، وعمتى خديجةُ ذاتُ الخطَر والحسب وعمته أم جميل حمالةُ الحطب[7]، وزوج عمتى خيرُ ولد آدمَ محمد (ﷺ) وزوج عمته شر ولد آدم أبولَهَب، ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ وخالتى عائشة أمُّ المؤمنين وخالته أشقى الأشْقَيْنَ، وأنا عبد الله وهو معاوية.

فقال معاوية:

وَيْحَكَ يا بنَ الزبير؟ كيف تصفُ نفسَك بما وصفتها، واللهِ ما لَكَ فى القديم من رياسة. ولا فى الحديث من سياسة، ولقد قُدْناك وسُدْناك قديماً وحديثاً، لا تستطيع لذلك إنكاراً، ولا عَنْه فِراراً، وإن هؤلاء الحضورَ لَيَعْلَمون أنَّ قريشا قد اجتمعت يوم الفِجَار[8]. على رياسة حرب بن أمية، وأن أباك وأسرَتك تحت رايته راضون بإمارته غيرُ منكرين لفضله ولا طامعين فَى عزله، إن أمر أطاعوا وإن قال أنْصتوا، فأنزل الله فينا القيادة وعِزَّ الولاية، حتى بعث عزَّ وجلَّ محمدا (ﷺ)، فانتخَبه بين خير خلقه، من أسرتى لا أسرتك، وبنى أبى لابنى أبيك، فَجَحَدَتْه قريش أشدَّ الجحود، وأنكرته أشدّ الإنكار، وجاهدته أشد الجهاد، إلا مَنْ عَصَمَ الله من قريش، فما سَاد قريشاً وقادَهم إلا أبَو سفيان أبنُ حَرْب، فكانت الفِئَتَان تَلْتَقِيان ورئيسُ الهدى منا، ورئيسُ الضلالة منا،

(١) بهره بهرا كفتح : غلبه.
(٢) أصله تتمنى، ويروى وتمسى بمعنى تودّع.
(٣) العير: الحمار وغلب على الوحشى، ونزوانه : وثوبه، وهو مثل يضرب للقُوى تخور قواه.
(٤) الحوارى : الناصر أو ناصر الأنبياء.
(٥) يشير إلى ما فُعلته هند يوم أحد.
(٦) المشدوخ : المكسور المقتول وهو يعنى عتبة بن ربيعة جد معاوية لأمه.
(٧) هى زوج أبى لهب وفيهما نزلت السورة.
(٨) هى حرب هاجت بين قريش وكنانة، وبين هوازن.

فهديكم تحت راية مهدينا، وضالكم تحت راية ضالنا، فنحن الأرباب وأنتم الأذناب، حتى خلص الله أبا سفيان بن حرب بفضله من عظيم شركه، وعصمه بالإسلام من عبادة الأصنام، فكان فى الجاهلية عظيما شأنه، وفى الإسلام معروفا مكانه، ولقد أعطى يوم الفتح ما لم يعط أحد من آبائك، وإن منادى رسول الله (ﷺ) نادى "من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن" فكانت داره حرما لا دارك ولا دار أبيك. وأما هند فكانت امرأة من قريش فى الجاهلية عظيمة الخطر، وفى الإسلام كريمة الخبر، وأما جدك الصديق فبتصديق عبد مناف سمى صديقا، لا بتصديق عبد العزى، وأما ما ذكرت من جدى المشدوخ ببدر، فلعمرى لقد دعا إلى المبارزة هو وأخوه وابنه فلو برزت إليه أنت وأبوك ما بارزوكم ولا رأوكم لهم أكفاء، كما طلب ذلك غيركم فلم يقبلوهم، حتى برز إليهم أكفاؤهم من بنى أبيهم، فقضى الله مناياهم بأيديهم، فنحن قتلنا ونحن قتلنا، وما أنت وذاك؟، وأما عمتك أم المؤمنين فبنا شرفت وسميت أم المؤمنين، وخالتك عائشة مثل ذلك، وأما صفية فهى التى أدنتك من الظل، ولولا هى لكنت ضاحيا[١]. وأما قولك أنا عبد الله وهو معاوية، فقد علمت قريش أينا أجود فى الإزم[٢]. وأحزم فى القدم[٣]. وأمنع للحرم، لا والله ما أراك منتهيا حتى تروم من بنى عبد مناف ما رام أبوك، فقد طالعهم الذ حول، وقدم إليهم الخيول، وخدعتم أم المؤمنين ولم تراقبوا رسول الله(ﷺ)، إذ مددتم على نسائكم السجوف[٤]. وأبرزتم زوجه للحتوف، ومقارعة السيوف، فلما التقى الجمعان، نكص أبوك هاربا فلم يذ جه ذلك أن طحنه أبو الحسين بكلكله طحن الحصيد بأيدى العبيد[٥]. وأما أنت فأفلت بعد أن خمشتك براثينه[٦]. ونالتك مخاليبه، وايم الله ليقومنك بنو عبد مناف بثقافها[٧].

---

(١) يشير إلى أن شرف آل الزبير جاءهم من مصاهرة أبيهم لعبد المطلب فى ابنته صفية.

(٢) كعنب جمع أزمة وهى الشدة والقحل.

(٣) القدم بفتحتين : السابقة فى الأمر.

(٤) القدم بفتحتين : السابقة فى الأمر.

(٥) جمع سجف بالفتح ويكسر وهو الستر.

(٦) كل ما يحصد من زرع، وقد كان الطحن يوكل أكثر ما يوكل إلى العبيد.

(٧) الثقاف : حديدة تسوى بها الرماح.

أولتُصْبِحَنّ منها صباحَ أبيك بوادى السّباع(١). وما كان أبوك المُدْهَنَ حَدّه(٢). ولكنه كما قال الشاعر:

تناول سرحانٌ فريسةَ ضَيْغم ∴ فقَضْقَضَهُ بالكفّ منه وحَطّما

بين عبدِ الملك بن مروان ورجل من آل صُوحَان(٣)

خطب عبدُ الملك بن مروان يوماً فلما بلغ الغِلظَة قام إليه رجل من آل صُوحان فقال: مَهْلاً يا بنى مروان، تأمرون ولا تأْتمِرون، وتَنْهَوْن ولا تنتهُون، وتعِظون ولا تتعظون، أفَنَقْتدِى بسيرتكم فى أنفسكم، أم نُطيع أمرَكم بألسنتكم، فإن قُلتم اقتدوا بسيرتنا، فأنىَّ، وكيف، وما الحجةُ، وما المصيرُ من الله؟ أنقتدى بسيرة الظَّلَمَة الفسَقَة الجَورة الخونة، الذين اتَّخذوا مالَ الله دُولا(٤). وعَبيدَه خَوَلا(٥). وإنْ قُلْتم اسمعوا نصيحتنا وأطيعوا أمرنا، فكيف ينصح لِغَيره من يَغُش نفسَه؟ أمْ كيف تجب الطاعة لمن لم تثبتْ عِند الله عدالته؟ وإن قلتم خذوا الحكمة من حَيْثُ وجدتموها، واقبلوا العِظَة مِمّن سمعتموها، فعلامَ ولّيناكم أمرنا، وحكّمناكم فى دمائنا وأموالِنا؟ أمَا عَلِمتم أن فينا من هو أنطقُ منكم باللغات، وأفصحُ بالعِظات، فتخلَّوْا عنها وأطلِقوا عِقالها(٦). وخلُّوا سبيلهَا، يَنْتدِبْ إليها(٧). آلُ رسول الله (ﷺ) الذين شرَّدْتموهم فى البلاد، ومزَّقْتموهم فى كل واد. بل تثبُتُ فى أيديكم لانقضاء المدة، وبلوغِ المُهْلة، وعِظم المِحْنة،

---

(١) اسم موضع وهوا المكان الذى قتل فيه ابن جرموز الزبير بن العوام وهو قافل من وقعة الجمل.

(٢) الحد: البأس، والمدهن: المغشوش يريد أن يقول إن الزبير كان ذا شجاعة ولكنه طمع فى بنى عبد مناف وهم أشجع منه.

(٣) هم آل بيت عرفوا على شجاعتهم وجودهم بالفصاحة واللسن؛ قال معاوية لعقيل بن أبى طالب يوماً : ميز لى أصحاب على وابدأ بآل صوحان فإنهم مخاريق الكلام فقال "أما صعصعة فعظيم الشان؛ قائد فرسان، قاتل أقران، يرتق ما فتق، وينفق ما رتق، قليل النظر، وأما زيد وعبد الله فإنهما نهران جاريان، يصب فيهما الخلجان، ويغاث بهما البلدان، رجلا جد لا لعب معه، وأما بنوهم فكما قال الشاعر.

إذا نزل العدو فإن عندى ∴ أسوداً تخلس الأسد النفوسا

(٤) جمع دولة بالضم أى تداولوه بينهم دون غيرهم.

(٥) ما خولك الله وأعطاك من العبيد والإماء وسائر النعم.

(٦) الضمير للخلافة.

(٧) انتداب إلى الأمر: أسرع إليه.

إن لكل قائم قدراً لا يعدوه، ويوماً لا يخطوه، وكتابا بعده يتلوه، ﴿ لا يُغادرُ صغيرة ولا كبيرَةً إلا أحْصاها ﴾ ﴿وسيَعْلمُ الّذِين ظلمُوا أيَّ مُنْقلبٍ ينقلبُون ﴾.

بين خالد بن يزيد وعبد الملك بن مروان

جاء عبدُ الله بنُ يزيدَ بن معاويةَ إلى أخيه خالد فى أيام عبد الملك فقال: لقد هممْتُ اليومَ يا أخى أن أفْتِك بالوليد بن عبد الملك، فقال له خالد: بئس والله ما هممتَ به فى ابن أمير المؤمنين وولىِّ عهد المسلمين، فما ذاك؟

قال: إنَّ خيلى مرت به فَعَبِث بها وأصْغرَنى، فقال له خالد: أنا أكفيك، فدخل على عبد الملك والوليدُ عنده فقال: يا أمير المؤمنين إن الوليدَ ابن أمير المؤمنين وولىَّ عهد المسلمين، مرت به خيلُ ابن عمه عبدِ الله بن يزيدَ فعبث بها وأصغره، وكان عبد الملك مُطرقا، فرفع رأسه وقال: ﴿ إنَّ الْمُلُوك إذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أعزّة أهْلها أذلّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ فقال خالدَ: ﴿ وَإذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أمرْنَا مُتْرفِيها ففسقُوا فيها فحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاها تَدْمِيرًا﴾ فقال عبدُ الملك: أفِى عبد الله تُكلمنى؟ والله لقد دخل أمس علىّ، فما أقَام لسانه لحناً، فقال خالد: أفعلى الوليد تعوِّل يا أميرَ المؤمنين؟

قال عبد الملك: إن كان الوليدُ يلحَن فإن أخاه سليمان، فقال خالد: وإن كان عبدُ الله يلحن فإن أخاه خالد، فالتفت الوليدُ إلى خالد وقال له: اسكت يا خالد فوالله ما تُعَدُّ فى العِير ولا فى النفِير، فقال خالد: اسمع يا أمير المؤمنين، ثم التفت إلى الوليد فقال له : وَيْحَكَ فمن صاحبُ العِير والنفير غيرُ جَدِّى أبو سفيان صاحب العير، وجدى عُتْبة صاحبِ النفير(١)؟ ولكن لو قلت غُنَيْمات وحُبَيْلات، والطائف، ورحم الله عثمان، لقلنا صدقت(٢).

---

(١) العير: الإبل تحمل الميرة، والمراد هنا عير قريش التى كان يقودها أبو سفيان، وترصدها رسول الله، فساحل بها أبو سفيان وترك بدرا يسارا. والنفير: القوم ينفرون للحرب، وهم هنا مشركو مكة الذين خرجوا يستنقذون العير تحت رياسة عتبة بن ربيعة جد معاوية لأمه ولم يتخلف إلا بنو زهرة، فقيل فيهم المثل "لا فى العير ولا فى النفير".

(٢) يشير إلى ما كان من طرد رسول الله (ﷺ) الحكم بن العاص جد عبد الملك بن مروان بن الحكم إلى الطائف وإقامته هناك طريداً يأوى إلى حبيلات أى كريمات يستظل بها ويرعى غنيمات يشرب لبنها إلى أن آلت الخلافة إلى عثمان فرده للرحم بينهما، وقيل بأمر كان قد حصل عليه من رسول الله لو آلت إليه الخلافة.

بين عبد الملك وخالد بن عبد الله بن أسيد

جلس عبدُ الملك بنْ مروانَ يوماً وعند رأسه خالدُ بن عبد الله بن أسيد بن أبى العاص بن أمية وعند رجليه أميةُ أخو خالد، وأدخلت عليه الأموال التى جاءت من قبل الحجاج فوضعت بين يديه فقال :

"هذا والله التوفيرُ وهذه الأمانةُ، لا ما فعل هذا وأشار إلى خالد، استعملته على العراق فاستعمل كل مُلِطٍ فاسق(١)، فأدوا إليه العشرةَ واحداً وأدى إلىّ من العشرة واحدا. واستعملت هذا على خراسانَ وأشار إلى أمية فأهدى إلى بِرْذَوْنَيْن حَطِمَيْن(٢)، فإن استعملتكم ضيَّعتم، وإن عزلتكم قلتم استخفَّ بنا وقطع أرحامَنا. فقالَ خالد:

استعملتنى على العراق وأهلهُ رجلان، سامع مطيع مناصح، وعدو مبغضٌ مُكَاشِح(٣)، فأما السامع المطيع المناصح فإنا جزيناه ليزداد وُدًّا إلى وده، وأما المبغض المكاشح فإنا داريناه ضِغنه، وسَلَلْنا حقده، وكثَّرْنا لك المودَّةَ فى صُدور رعيَّتك، وإن هذا(٤) جَبَى الأموال، وزرع لك البغضاء فى قلوب الرجال فَيُوشِك أن تُنْبِتَ البَغضاء فلا أموالَ ولا رجالَ.

فلما خرج ابن الأشعث على عبدالملك قال عبدالملك : هذا واللهِ ما قال خالد.

بين عبد الملك وأحد عماله

بلغ عبدَ الملك أن عاملا مِن عُمّاله قَبِل هديةً فأمر بإشْخاصه إليه، فلما دخل عليه قال : أَقَبِلْتَ هدية منذ وليتك؟ قال يا أمير المؤمنين، بلادُك عامرة، وخراجُك موفور، ورعيتك على أفضل حال، قال، أجب فيما سألتك عنه، أقبلت هدية منذ وليتك؟ قال: نعم فقال له:

لَئِنْ كنت قبِلت ولم تعوِّض، إنَّك للئيم، ولئن أَنَلْت مهديَك لا مِنْ مالك أواستكْفيتَه ما لمَ يكن يُستكفاه، إنك لجائر خائن، ولئن كان مذهبُك أن تعوض المهدىَ

(١) لط حقه وألطه: جحده.

(٢) يقال فرس حطم كفرح : إذا هزل وأسن فضعف وتهدم.

(٣) المكاشح : الذى يضمر لك العداوة بين كشحيه ومثله الكاشح.

(٤) يعنى الحجاج.

إليك من مالك وقبلتَ ما اتهمك به عند من استكفاك وبسط لسان عائبك وأطمع فيك أهلَ عملك، إنك لجاهل، وما فيمن أتى أمراً لم يَخْلُ فيه من دناءة أوخيانة أو جهل مُصْطَنَعٌ، ثم نحاه عن عمله.

بين عبدِ الملك والعجّاج الراجز

دخل العجّاج بن رُؤْبَةَ على عبد الملك بن مروان فقال عبد الملك، يا عجّاج بلغنى أنك لا تقدر على الهجاء، فقال: يا أمير المؤمنين: من قدر على تشييد الأبنية أمكنه إخراب الأخبية. قال : فما يمنعُك من ذلك؟ قال إن لنا عزاً يمنعنا من أن نُظْلَم، وإن لنا حلما يمنعنا من أن نظْلِم، فعلام الهجاء؟ فقال: لَكلماتك أشعر من شعرك، فأنّى لك عز يمنعك من أن تُظْلم؟ قال : الأدب البارع، والفهم الناصع، قال: فما الحلم الذى يمنعك من أن تظْلِم؟ قال الأدب المستطرَف، والطبع التالد. قال: يا عجاج اقد أصبحت حكيما. قال: وما يمنعنى وأنا نَجِيُّ أمير المؤمنين؟.

بين الحجاج وكعبِ الأشْقَرى

لما هزم المهلّب بنُ صُفْرَةَ الأزارقةَ وقتل خليفتهم عبد ربه الصغير أوفد بذلك إلى الحجاج كعبَ بن مَعْدانَ الأشْقَرىَّ، فلما دخل عليه قال له الحجاج: أخبرنى عن بنى المهلب، فقال: المُغيرةُ فارسُهم وسيدهم، نار ذاكيةٌ، وصَعْدَة عالية[1]، وكفى بيزيدَ فارسا شجاعا، ليثُ غاب، وبحرٌ جَمٌّ عُبَاب، وجوادهم وسخيّهم قَبيصة، ليث المُغار[2]، وحامى الذّمار، ولا يستحيى الشجاعُ أن يفر من مُدْرِك، وكيف لا يفر من الموتِ الحاضر، والأسد الخادر، وعبد الملك سُمٌّ ناقع، وسيف قاطعَ، وحبيبٌ الموت الزعاف[3]، إنما هو طودٌ شامِخ، وفخر باذِخ، وأبو عُيَيْنَةَ البطل الهُمام، والسيف الحُسام[4]، وكفاك بالمفضّل نجدة، ليثٌ هذّار، وبحر مَوّار[5]، ومحمد ليثٌ غاب، وحسامُ ضِراب. قال: فكيف كانوا فيكم؟ قال: كانوا حُماة السَّرْحِ نهاراً فإذا أَلْيَلُوا ففرسان البَيَات[6]. فقال: فأيهم كان

(١) الصعدة : القناة تنبت مستوية مثقفة.

(٢) المغار: مصدر ميمى أى الإغارة.

(٣) الزعاف وبالذال أيضاً : السم القاتل لساعته.

(٤) الحسام القاطع : من حسم الشىء قطعه.

(٥) الموار: المضطرب بأمواجه.

(٦) السرح : السائمة تسرح المرعى، وأليوا : دخلوا فى الليل.

أنجد، قال: كانوا كالحلقة المفْرغة لا يدرى أيْنَ طرفاها، قال: فكيف كان لكم المهلب وكنتم له؛ قال: كان لنا منه شفقةُ الوالد، وله منابرّ قال: فكيف كان جماعة الناس؟ قال: على أحسن حال؛ أدركوا مارَجَوا، وأمِنوا مما خافوا، وأرضاهم العدْل، وأغناهم النفْل(١)، قال: فكيف كنتم أنتم وعدوُّكم؟ قال: كنا إذا أخذنا عفونا، وإذا أخذوا يَئِسْنا منهم، وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمِعْنا فيهم، فقال الحجاج: إنَّ العاقبةَ للمتقين، كيف أفْلَتكُم قَطَرِىٌّ(٢)؟ قال: كِدْناه ببعض ما كادنا به فصرنا منه إلى الذى نحب، قال: فهلاّ اتّبَعْتُمُوه! قَال: كان الحَدُّ عندنا آثرَ من الفَلّ(٣). قال: أكنتَ أعدّدْت لى بعض هذا الجواب؟ قال: لا يعلم الغيب إلا الله، فقال الحجاج: هكذا تكون والله الرجال، المهلبُ كان أعلَم بك حيث وجَّهك، وأمر له بعشرة آلاف درهم، وحمله على فرس، وأوفده إلى عبد الملك، فأمر له بعشرة آلاف أخرى.

بين الحجاج وسُلَيْك بن سُلَكة

دخل على الحجاج سليكُ بنُ سُلَكه فقال:

أصلح الله الأمير، أعِرْنِى سمعَك، واغضُضْ عنى بصرك، واكفُف عنى غَرْبك(٤)، فإن سمعت خطأ أو زللا فدونك والعقوبة، قال: قل. فقال: عصى عاص من عُرْض العشيرة، فَحُلِّقَ على اسمى(٥)، وهدِمَتْ دارى، وحُرِمتُ عطائى، فقال: هيهات أما سمعت قول الشاعر:

جَانِيك مَن يجنى عليك وربما ∴ تُعْدى الصحاحَ مباركُ الجُرْب
ولرب مأخوذٍ بذنب عشيرةٍ ∴ ونجا المقارفُ صاحبُ الذنب

قال أصلح الله الأمير ولكنى سمعت اللهَ قال غير هذا، قال : وما ذاك؟ قال: قال ﴿ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾ قال الحجاج: علىّ

(١) بفتح فسكون الغنيمة والهبة.
(٢) يريد قطرى بن الفجاءة وكان خارجيا كعبد ربه ولكنه فر من وجه المهلب وثبت عبدربه.
(٣) الحد : الحديد. والفل : المفلول المكسور يعنى بالأول عبد ربه والثانى قطريا.
(٤) غرب السيف : حدّه.
(٥) أدير عليه بحلقة من المدار ليبعد من ديوان العطاء.

بيزيد بن أبى مُسلم(١)، فأتى به فمثل بين يديه فقال له: أفكك لهذا عن اسمه واصكك له بعطائه(٢)، وابن له منزله، ومر مناديا ينادى فى الناس: صدق الله وكذب الشاعر.

بين سليمان بن عبد الملك ويزيد بن أبى مسلم

ودخل يزيدُ بن أبى مسلم على سليمان بن عبد الملك وكان دميما، فلما رآه قال: قبّح الله رجلا أجَرّك رسنَه(٣)، وأشركك فى أمانته، فقال له يزيد: يا أمير المؤمنين رأيتنى والأمرُ لك وهو عنى مُدْبر، ولو رأيتنى والأمرْ على مقبل لاستكْبرْت منى ما استصْغرت، واستعظمْت منى ما استحقرْت، قال: أترى الحجاج استقرّ فى قاع جهنم بعدُ؟ قال: يا أمير المؤمنين لا تقل ذاك فإن الحجاج وطّأ لكم المنابر، وأذل لكم الجبابر، وهو يجئ يوم القيامة عن يمين أبيك وعن يسار أخيك فحيث كانا كان.

بين خالد بن صفْوان وهشام ومسلمة ابنى عبد الملك

قال هشامُ بن عبد الملك لخالد بن صفوان بن الأهتم وعنده جرير والفرزدق والأخطل وهو يومئذ أمير : صفهم لنا يا بن الأهتم فقال:

أما أعظمهم فخراً، وأبعدهم ذكراً، وأحسنهم عُذرا، وأسيرهم مثلا، وأقلهم غزلا، وأحلاهم عَلَلا، الطامى إذا زخَر، والحامى إذا زأر، والسامى إذا خطر، الذى إن هدر قال، وإن خطر صال، الفصيحُ اللسان، الطويلُ العنان، فالفرزدق؛ وأما أحسنهم نعتاً، وأمدحهم بيتاً، وأقلهم فُوْتاً، الذى إن هجا وضع، وإن مدح رفع، فالأخطل؛ وأما أغزرهم بحراً، وأرقّهم شعراً، وأهتكُهم لعدوه ستِرا، الأغرّ الأبلق، الذى إن طالب لم يسبق، وإن طُلبَ لم يُلْحَق، فجرير، وكلهم ذكىّ الفؤاد، رفيع العماد، وارى الزناد.

فقال له مَسْلمةُ: ما سمعنا بمثلك يا خالد فى الأوّلين ولا رأينا فى الآخرين، وأشهد أنك أحسنهم وصفا، وألينهم عِطْفا، وأعفهم مقالا، وأكرمهم فَعَالا، فقال خالد: أتمّ الله عليكم نعَمه، وأجزل لديكم قِسَمَه، وآنس بكم الغربة، وفرّج بكم الكُربة، وأنت

(١) يزيد بن أبى مسلم كان كاتب الحجاج وكان كلاهما مُبَغضاً إلى سليمان بن عبد الله كما سيتضح من الحوار الآتى.

(٢) اكتب له صكا به.

(٣) الرسن: محركة الحبل وما كان من زمام على الأنف، وأجره إياه : أى سلمه له ليقوده والرجل المقصود هنا الحجاج وكان يزيد كاتبه كما تقدّم .

والله ما علمتُ أيها الأمير كريم الغِراس، عالم بالناس، جواد فى المَحْل، بسّام فى البذل، حليم عند الطيش، فى ذروة قريش، ولباب عبد شمس، ويومك خير من أمس، فضحك هشام وقال، ما رأيتُ كتخلصك يا بن صفوان فى مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتَهم جميعاً وسلمت منهم.

بين خالد بن صفوان وأخوال السفاح

دخل خالدُ بن صَفْوان على أبى العباس السفاح وعنده أخواله من بنى الحارث ابن كَعْب فقال: يا خالد ما تقول فى أخوالى؟ قال: هم هَامة الشرف، وعِرْنين الكرم، وغَرْس الجود، إن فيهم خصالا ما اجتمعت فى غيرهم من قومهم، لأنهم أطولُهم لِمَماً[1]، وأكرمُهم شِيما، وأطيبهُم طُعَما، وأوفاهم ذمما، وأبعدهم همما، الجَمْرة فى الحرب، والرِّفد[2] فى الجدب، والرأس فى كل خطب، وغيرهم بمنزلة العَجْب[3] فقال: وصفت أبا صفوان فأحسنت، فزاد أخواله فى الفخر، فغضب لأعمامه[4] فقال: افخر يا خالد على أخوال أمير المؤمنين وأنت من أعمامه فقال خالد:

وكيفَ أفاخر قوما بين ناسج بُرْد، ودابغ جِلد، وسائس قِرد، وراكب عَرْد[5]؟ دلّ عليهم هُدْهدُ[6]، وغرقهم جُرَذ[7]، وملكتهم امرأة[8]، فأشرق وجه أبى العباس.

بين خالِد بن صفوان ورجلٍ من بنى عبد الدار

فاخر خالدُ بنُ صفوانَ رجلا من بنى عبد الدار[9] فقال له العَبْدَرِىُّ: من أنت؟ قال: أنا خالد بن صفوان، فقال: أنت خالد ﴿ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ﴾ وأنت ابن صفوان

(١) جمع لمة بالكسر وهى الشعر المجاوز شحمة الأذن.
(٢) الرفد : بالكسر العطاء والصلة.
(٣) أصل الذنب ومؤخر كل شىء.
(٤) من مضر، وأخواله من قحطان.
(٥) العرد : الحمار وكانت تكثر باليمن الحمر وبسائر الجزيرة الخيل.
(٦) يشير إلى حديث الهدهد مع سليمان.
(٧) يشير إلى ما يزعمه المؤرخون من أن سبب سيل العرم كان قرض جرذ لسد مأرب.
(٨) هى بلقيس ملكة سبأ.
(٩) عبد الدار أحد أبناء قصى قيل إنه نشأ مضْعفاً دون إخوته فأعطاه أبوه دار الندوة ومفتاح الكعبة ليشرف بهما.

﴿ كمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ ﴾ وأنت ابن الأهْتم والصحيح خير من الأهتم[1]، فقال له خالد : يا أخَا بنى عبْد الدار أتتكلّم وقد هَشمَتْك هاشم، وأمّتْك أمية، وخزمتك مخزوم، وجمحتك جُمَح[2]؟ فأنت عبد دارهم تفتح إذا دخلوا، وتُغْلِق إذا خرجوا، فقام العبدرى محموما.

بين المنصور وجعفر الصادق

لما حجّ المنصورُ مَرَّ بالمدينة فقال للربيع الحاجب: عَلىّ بجعفر بن محمد، قتلنى الله إن لم أقتله، فلما كُشِف الستر بينه وبينه، تقرب جعفر وسلم فقال المنصورُ: لا سلّم الله عليك يا عدوّ الله، تعمل على الغوائل فى مُلكي، قتلنى الله إن لم أقتلْك، قال يا أمير المؤمنين إن سليمانَ صلى الله على محمد وعليه أُعطِى فشكر، وإن أيوب ابْتُلى فصبر، وإن يوسف ظُلم فغفر، وأنت على إرْثٍ منهم، وأحقُّ من تأسّى بهم، فنكس أبو جعفر رأسه مَلِيًّا ثم رفعه وقال لجعفر: إلىَّ أبا عبدِ الله فأنت القريبُ القرابةِ وذو الرحِمِ الواشِجة[3]، السليمُ الناحية، القليلُ الغائلة، ثم صافحه بيمينه وعانقه بشماله وأجلسه معه على فراشه، وانحرف له عن بعضه، وأقبل عليه بوجهه يحادثه ويسائله، ثم قال : يا ربيع عَجِّل لأبى عبد اللهِ كُسْوته وجائزته وإذنه.

بين المنصور والربيع بن يونُس

دعا المنصورُ بالربيع بن يونسَ حاجِبه ووزيره فقال له : سَلْنِى ما تريد فقد سكتّ حتى أنْطَقت، وخففت حتى ثقّلت، وقلّلت حتى أكثرت، فقال : والله يا أميرَ المؤمنين ما أرهبُ بُخْلك، ولا أستقصر عمرك، ولا أستصغر فضلك، ولا أغتنم مالك، وإن يومى بفضلك علىّ أحسنُ من أمسى، وغَدَك فى تأميلى أحسنُ من يومى، ولو جاز أن يشكرك مثلى بغير الخدمة والمناصحة لما سبقنى لذلك أحد، قال : صدقتَ، عِلْمى بهذا منك أحلّك هذا المحل، فسلنى ما شئت، قال : أسألك أن تقرّب عبدَك الفضل[4]. وتؤثِره وتحبه، قال: يا ربيع إن الحب ليس بمال يوهب، ولا رُتبة تبذل، وإنما تؤكده الأسبابُ، قال: فاجعل لى طريقاً إليه بالتفضيل عليه، قال: صدقت وقد وصلته بألفِ درهم، ولم

---

(١) الهتم : تكسر الأسنان من أصولها.

(٢) كل من ذكر من هامات قريش.

(٣) المشتبكة لشدة القرابة.

(٤) هو ابنه الفضل بن الربيع وقد وزر للرشيد بعد البرامكة ولابنه الأمين وبه يكني الربيع.

أصل بها أحداً غيرَ عُمومتى، لِتعلم ما له عندى، فيكون منه ما يستدعى به محبتى، ثم قال: فكيف سألتَ له المحبة يا ربيع؟ قال: لأنها مِفتاح لكل خير، ومِغلاق لكل شر، تُستَرُ بها عندك عيوبهُ، وتصير حسناتٍ ذنوبهُ. قال صدقت.

بين المنصور ومعن بن زائدة

دخل معنُ بنُ زائدةَ الشَّيْبَانىُّ على المنصور وقد أسنّ فقارب فى خطوه فقال له المنصور: لقد كَبِرَتْ سِنك يا معن. قال فى طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: وإنك لَجَلْد. قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين، قال: وإن فيك لَبَقِيَّة. قال: هى لك يا أمير المؤمنين، قال: فأىُّ الدولتين أحبُّ؟ هذه أم دولة بنى أمية، قال: ذلك إليك يا أمير المؤمنين إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحبُّ إلىَّ.

بين معن بن زائدة وأحد زُوَّاره

دخل رجل على معن بن زائدة فقال له معن: ما هذه الغيبة؟ قال: أيها الأمير ما غاب عن العين من يذكره القَلب، وما زال شوقى إلى الأمير شديداً وهو دون ما يجب له، وذكرى له كثيراً وهو دون قدره، ولكن جَفْوةَ الحجاب وقلة بشر الغِلمان منعانى من الإكثار، فأمر بتسهيل حجابه وأجزل صلته.

بين المهدى ووزيره يعقوبَ بن داود

لما سَخِطَ المهدىُّ على وزيره يعقوبُ بن داود أحضره فقال: يا يعقوبُ. قال: لَبَّيْكَ يا أمير المؤمنين تلبيةَ مكروب لموجدتك، شَرق بغصتك، قال: ألم أرفعْ قدرَك وأنت خامل، وأسَيِّرْ ذكرك وأنت هامل، وألْبسك منَ نِعم الله تعالى ونعمِى ما لم أجِد عندك طاقة لحمله، ولا قياماً بشكره، فكيف رأيتَ الله تعالى أَظْهَرَ عليكَ وردَّ كَيْدك إليك؟ قال : يا أمير المؤمنين إن كنتَ قلتَ هذا بِتَيَقُّن وعلم فإنى معترف، وإن كان بسعاية الباغين ونمائم المُعاندين فأنت أعلمُ بأكثرها، وأنا عائذ بكرمك وعميم شرفك. فقال : لولا الحِنثُ فى دَمِك لألْبَسْتُك قميصاً لا تشُد عليه أزراراً، ثم أمر به إلى السجن فتولى وهو يقول : الوفاء يا أمير المؤمنين كرم، والمودة رحِم، وما على العفو ندم، وأنت بالعفو جدير، وبالمحاسن خليق، ولكنه بقى فى السجن إلى أن أخرجه الرشيد.

بين الرشيد وأمّ جعفر بن يحيى

كانت أمُّ جعفر بن يحيى قد أَرْضعت الرشيد وكَفَلَته لأن أمه ماتت عن مهده، فكان الرشيدُ يشاورها مُظهراً لإكرامها والتبرُّك برأيها، وكان آلى وهو فى كفالتها ألا يَحْجُبَها، ولا استشفعته لأحد إلا شفَّعها، وآلت هى أن لا دخلت عليه إلا مأذونا لها، ولا شفعت لأحد مقترف ذنباً، وكان الرشيد قد احتجب بعد قتل جعفر وحبْس يحيى، فطلب الإذن عليه، ومتت بوسائلها إليه، فلم يأذن لها ولا أمر بشىء فيها، فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها، واضعة لثامَها، مُحتفية فى مشيها، حتى صارت بباب قصر الرشيد، فدخل عبدُ الملك بن الفضل الحاجبُ فقال: ظِئْرُ أمير المؤمنين بالباب[1] فى حال تقلب شماتة الحاسد إلى شفقة أمّ الواحد، فقال الرشيد: وَيْحَكَ يا عبد الملك أوَ ساعية! قال : نَعَم يا أمير المؤمنين وحافية، قال: "أدْخلها يا عبد الملك فربَّ كَبِدٍ غذتها، وكُرْبة فرّجتها، وعورة سترتها، فدخلت، فلما نظر الرشيد إليها داخلة محتفية قام محتفيا حتى تلقّاها بين عَمَد المجلس، وأكبَّ على تقبيل رأسها ومواضِع ثدْيَيْها، ثم أجلسها معه فقالت : يا أمير المؤمنين أيَعْدُو علينا الزمان، ويجفونا خوفاً لك الأعوان، ويُحْرِدك بنا البُهْتان"[2].

وقد رَبَّيْتُك فى حجرى، وأخذتُ برضَاعك الأمان من عدوى ودهرى؟ فقال لها: وما ذاك يا أمَّ الرشيد؟ قالت : ظِئْرُك يَحْيَى وأبوك بعد أبيك: ولا أصِفُه بأكثر مما عَرفَه به أمير المؤمنين من نصيحتِه وإشفاقه عليه وتعرُّضِه للحَتْف فى شأن موسى أخيه[3]، قال لها: يا أم الرشيد أمْرٌ سبق، وقضاءحُمّ[4]، وغضب من الله نفذ، قالت : يا أمير المؤمنين ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ قال : صدقت فهذا مما لم يَمْحُهُ الله، فقالت : الغيبُ محجوبٌ عن النبيين فكيف عنك يا أمير المؤمنين؟ فأطرق مليا ثم قال :

وإذا المنيةُ أنشبت أظفارَها ∴ ألفيتَ كلَّ تميمة لا تنفعُ

(١) الظئر : المرضعة ولد غيرها والعاطفة عليه.

(٢) أحرده : أغضبه.

(٣) تشير إلى ما كان من معاونة يحيى للرشيد فى التمسك بعهد أبيه أمام ما كان يريده أخوه موسى الهادى من نقل ولاية العهد عنه إلى ابنه.

(٤) حم : قدر.

فقالت بغير رويّة: ما أنا ليحيى بتميمة يا أميرَ المؤمنين وقد قال الأول[1]:

وإذا افتقرتَ إلى الذخائر لم تجدْ ∴ ذخراً يكون كصالح الأعمال

هذا بعد قوله عز وجل ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾، فأطرق مليا ثم قال: يا أم الرشيد أقول:

إذا انصرفتْ نفسى عن الشيء لم تكدْ ∴ إليه بوجهٍ آخرَ الدهرِ تُقبل[2]

فقالت يا أمير المؤمنين وأقول:

ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعتنى ∴ يمينك فانظرْ أىَّ كفٍّ تبدَّلُ

قال هرون: رضيتُ، قالت: فهبه لى يا أمير المؤمنين، فقد قال رسول الله (ﷺ): "من ترك شيئا لله لم يُوجدْه الله لفقده" فأكب هرون ملياً ثم رفع رأسه يقول: ﴿ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ قالت: يا أمير المؤمنين ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ واذكر يا أمير المؤمنين أليّتك[3] ما استشفعتُ إلا شفَّعتنى، قال : واذكرى يا أم الرشيد أليّتك أن لا شفعت لمقترف ذنباً، فلما رأته صرَّح بمنعها ولاَذ عن مطلبها أخرجت حُقًّا من زُمُرُّدةٍ خضراء[4] فوضعته بين يديه، فقال الرشيد: ما هذا؟ ففتحت عنه قُفْلاً من ذهب فأخرجت منه خفْضَته[5] وذوائبه وثناياه قد غَمَسَتْ جميعَ ذلك فى المسك، فقالت: يا أمير المؤمنين أستشفع إليك وأستعين بالله عليك وبما صار معى من كريم جسدِك وطيِّب جوارحك ليحيى عبدك، فأخذ هرون ذلك فَلَثِمَه ثم استعْبَر وبكى بكاء شديداً وبكى أهلُ المجلس، ومرَّ البشير إلى يحيى وهو لا يظن إلا أن البكاء رحمةٌ له ورجوعٌ عنه، فلما أفاق الرشيد رمى جميعَ ذلك فى الحُق وقال لها: لَحَسَنٌ ما حَفِظْتِ الوديعةَ، قالت: وأهلٌ للمكافأة أنت يا أمير المؤمنين، فسكت وأقفل الحقَّ ودفعه إليها وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ قالت: والله يقول: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ ويقول: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ

(١) هو الأخطل.

(٢) هذا البيت والذى بعده من لامية معن بن أوس المشهورة.

(٣) الألية : القسم.

(٤) الزمرد بذال ودال : حجر نفيس معروف.

(٥) خفضة الصبى : ختنه والأكثر استعالها للصبيّة واستعمال الختن للصبى.

إذا عاهدْتُمْ ﴾، فقال: وما ذاك يا أم الرشيد، قالت: أو ما أقسمت لى ألا تحجبنى ولا تمْتهننى؟ قال: أحب يا أم الرشيد أن نشتريه مُحكّمة فيه، قالت: أنصفت يا أمير المؤمنين وقد فعلتُ غير مُستقيلة لك ولا راجعة عنك، قال: بكم؟ قالت: برضاك عمن لم يُسْخطك، قال: يا أم الرشيد، أمالى عليك من الحق مثلُ الذى لهم؟ قالتْ: بلى يا أمير المؤمنين، أنت أعزُّ علىّ وهم أحبُّ إلىّ، قال: فتحكمى فى تمْنية بغيرهم، قالت: بلى قد وهبْتُكه وجعلتك فى حل منه، وقامت عنه وبقى مبهوتا ما يُحيرُ لفظه.

بين الرشيد وعبد الملك بن صالح

لما غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح اتهمه بالعمل على أخذ الخلافة وحبسه، كان يستحضره أحيانا ليسمع منه، فدخل عليه مرة فسلّم فلم يردّ عليه، فقال عبد الملك: ليس هذا يوما أحتجُّ فيه، ولا أجاذب مُنازعا وخصْما، قال: ولِم؟ قال: لأن أوله جرى على غير السنة، فأنا أخاف آخره، قال: وما ذاك؟ قال: لم ترد علىّ السلام، أنْصف نصفة العوام، قال: السلام عليكم اقتداء بالسنة، وإيثارا للعدل، واستعمالا للتحية، ثم التفت نحو سليمان بن أبى جعفر فقال: وهو يخاطب عبد الملك:

أريدُ حياته ويريد قتلى ∴ عذيرَك من خليلك من مراد [1]

ثم قال: أما والله لكأنى أنظر إلى شؤْبوبها قد همَع[2] وعارضها قد لَمَع[3]. وكأنى بالوعيد قد أدرى ناراً تسطع، فأقلع عن براجم [4]بلا معاصم، ورُءوس بلا غلاصم [5] فمهْلا مهْلا، فَبى والله سهُل لكم الوعْر، وصفا لكم الكدر، وألقت إليكم الأمورُ أثناء أزمّتها[6]، فنذار لكم نذار قبل حلول داهية خبوطٍ باليد، لبوطٍ بالرجل[7]، فقال عبد الملك: اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك، وفى رعيته التى استرعاك، ولا تجعل الكفر

---

(١) هذا البيت متمثل به وهو أبيات قالها عمرو بن معديكرب الزبيدى فى قيس بن مكشوح المرادى.

(٢) الشؤبوب : دفعة المطر. وهمع : هطل وهو يريد الفتنة التى كان يريدها عبد الملك.

(٣) العارض : السحاب والمراد برقه.

(٤) جمع برجمة : وهى مفصل الأصبع.

(٥) جمع غلصمة: وهى رأس الحلقوم.

(٦) أثناء الشيء : طاقاته واحدها ثنى بالكسر.

(٧) الخبط : الضرب الشديد. واللبط : الإسقاط على الأرض.

مكان الشكر، ولا العقابَ موضع الثواب، فقد نَخلْتُ[1] لك النصيحة، ومحضت لك الطاعة[2]، وشددتُ أواخِى ملكك[3] بأثقل من ركنَىْ يَلَمْلَم[4]، وتركت عدوك مشتغلا، فاللّه اللّهَ فى ذى رحمك أن تقطعه بعد أن بَلِلْتهُ[5] بظنٍ أفصح الكتابُ لى بعَضْههِ[6] أو ببغى باغ ينْهشُ اللحم[7] ويالغَ الدم[8]، فقد واللّهِ سهلتُ لك الوعورَ، وذللتُ لك الأمور، وجمَعْت على طاعتِك القلوبَ فى الصدور، فكم من ليل تمام فيك كابدته، ومقامٍ ضيق لك قمْته، كنت فيه كما قال أخو بنى جَعْفر بن كلاب:

ومقامٍ ضيّق فرّجته ∴ ببنانى ولسانى وجدل
لو يَقومُ الفيل أو فيّاله ∴ زل عن مثل مقامى وزَحَلْ[9]

فقال الرشيد : أمَا واللّهِ لولا الإبقاء على بنى هاشم لضربت عنقك، ثم أعاده إلى السجن، فلم يزل به حتى توفى الرشيد فأطلقه الأمين وعقد له على الشام.

ولما خرج من السجن وذكر الرشيد وفعله قال يُبَرئ نفسه:

واللّهِ أنّ الملكَ لشىءٌ ما نويته ولا تمنيته، ولا نصبتْ له ولا أردته، ولو أردته لكان إلى أسرع من الماء إلى الحَدُور[10]، ومن النار إلى يبس العَرْفَج[11]، وإنّى لمأخوذٌ بما لم أجْن، ومسئول عما لا أعرف، ولكنه حين رآنى للملك قَمِينا[12]، وللخلافة خَطيرا[13]، ورأى لى يدا تنالها إذا مُدّت، وتبلغها إذا بُسِطت، ونفسا تكمُل الخصالها، وتستحقها بفعالها – وإن كنتُ لم أختر تلك الخِصال، ولم أصطَنِع تِلك الفِعال، ولم أترشّح لها فى

(١) صفيتها.
(٢) أخلصتها.
(٣) جمع آخيه وهى العروة.
(٤) جبل على مرحلتين من مكة جنوبا.
(٥) لزمته.
(٦) بكذبه ونميمته.
(٧) يتناوله بمقدم أسنانه.
(٨) يشربه بأطراف لسانه.
(٩) زحل : زلّ.
(١٠) المكان المنحدر.
(١١) شجر.
(١٢) جديرا.
(١٣) عظيم القدر.

السر، ولا أشَرْت إليها في الجهر - ورآها تحِنّ إليّ حنين الوالدة الوالهة، وتميل إليّ ميلَ الهَلوك[1]، وخاف أن ترغب إلى خير مرغب، وتنزع إلى أخصب منزع، عاقبني عقابَ من سهر في طلبها، وجَهَد في التماسها، فإن كان إنما حَبَسني على أني أصلح لها وتصلح لي، وأليق بها وتليق بي، فليس ذلك بذنب جنيْته فأتوب منه، ولا تطاولتُ له فأحطّ نفسي عنه، وإن زعم أنه لا صرف لعقابه، ولا نجاة من عذابه، إلا بأن أخرج له من جَدّ العلم والحلم والحزم، فكما لا يستطيعُ المضياعُ أن يكون مصلحا، كذلك لا يستطيع العاقلُ أن يكون جاهلا، وسواء عليه أعاقبني على علمي وحلمي، أم عاقبني على نسبي وسني، وسواء عليه عاقبني على جمالي، أم عاقبني على محبة الناس لي، ولا أردتها لأعجلْته عن التفكير، وشغلْته عن التدبير، ولما كان فيها من الخطب إلا اليسير.

بين المأمون والفضل بن الربيع

لما ظفر المأمون بالفضل بن الربيع - وكان قد أغرى به أخاه الأمين - قال له: يا فضلُ أكان من حقّي عليك وحق آبائي ونعمهم عند أبيك وعندك أن تثلبَني[2] وتسبني وتحرضَ على دمي؟ أتحب أن أفعلَ بك ما فعلته بي؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن عذري يُحْقدك إذا كان واضحاً جميلا، فكيف إذا أخفته العيوب، وقبحته الذنوب؟ فلا يضيق عني من عفوك ما وَسِع غيري منك، فأنت كما قال الشاعر فيك: [3]

صفوحٌ عن الأجْرام حتى كأنه ∴ من العفو لم يعرف من الناس مُجرما
وليس يبالي أن يكون به الأذى ∴ إذا ما الأذى لم يَغْشَ بالكرْه مسلما

بين المأمون وإبراهيم المهدى

لما ظفِر بعمه إبراهيمَ بن المهدى[4] أمر بإدخاله عليه، فجئ به يحجُل في قيوده، فقال: السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته. فقال له المأمون: لا سلم الله عليك ولا حفِظك ولا رعاك ولا كلأك[5] يا إبراهيم، فقال له إبراهيم على رِسْلك[6] يا

(١) المتساقطة على الرجال.
(٢) تعيبني.
(٣) هو الحسن بن رجاء.
(٤) لما عقد المأمون ولاية العهد لعلى الرضا العلوى أنكر العباسيون عليه ذلك وخلعوه من الخلافة وبايعوا بها عمه إبراهيم بن المهدى فأسرع إليه المأمون فهرب وتوارى ولكن المأمون ظفر به بعد.
(٥) حرسك.
(٦) على هينتك أى أرود قليلا فهى كما تقول رويدك.

أمير المؤمنين، ولىّ الثأر مُحَكَّمٌ فى القصاص، والعفو أقرب للتقوى، ومن مُدَّ له الاغترار فى الأمل هجمت به الأناة على التلف، وقد أصبح ذنبى فوق كل ذنب، كما أن عفوك فوق كل عفو، فإن تعاقب فبحقك، وإن تعفُ فبفضلك، ثم أنشأ يقول:

ذنبى إليك عظيمٌ :. وأنت أعظم منه
فخذْ بحقك أو لا :. فاصفحْ بفضلك عنه
إن لم أكن فى فعالى :. من الكرام فكنه

فأطرق المأمونُ مليا ثم رفع رأسه فقال: إنى شاورت أبا إسحق والعباس[1] فى قتلك فأشارا علىَّ به، قال : فما قلتَ لهما يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت لهما: بدأنا له بإحسان ونحن نستأمره فيه، فإن غير فالله يغير ما به، فقال: أمَّا أن يكونا قد نصحاك فى عِظَم قدر الملك وما جرت عليه عادةُ السياسة فقد فعلا، ولكن أَبَيْتَ أن تستجلبَ النصر إلاّ من حيثُ عوّدك الله، ثم استعبر باكياً. فقال له المأمون: ما يبكيك؟ قال: جَذلا، إذ كان ذنبى إلى من هذه صفته فى الإنعام. ثم قال يا أمير المؤمنين إنه وإن كان جُرمى يبلغ سفكَ دمى فحلمُ أمير المؤمنين وتفضُّله يُبَلِّغانِنِى عفوه، ولى بعدهما شفاعةُ الإقرار بالذنب، وحرمةُ الأب بعد الأب، قال المأمون: القدرة تذهب الحفيظة[2]. والندم توبة، وعفو الله بينهما وهو أكبرُ ما يُحَاوَلُ، يا إبراهيم لقد حببت إلىّ العفو حتى خِفت ألا أوجر عليه، أما لو علم الناس ما لنا فى العفو من اللذة لتقربوا إلينا بالجنايات، لا تثريب عليك[3] يغفر الله لك، ولو لم يكن فى حق نسبك ما يبلغ الصفح عن زلتك لَبَلَّغك ما أملت حسنُ تَوَصُّلِك، ولطيف تنصلك، ثم أمر بردّ ما له وضياعه فقال:

رددتَ مالى ولم تبخلْ علىّ به :. وقبلَ ردك مالى قد حَقَنْتَ دمى[4]
فأُبتُ منك - وما كافأتها - بيَدٍ :. هما الحياتان من وَفْر ومن عدم[5]
وقام علمُك بى فاحتجَّ عندك لى :. مقامَ شاهد عدل غير متهم
فلو بذلتُ دمى أبغى رضاك به :. والمالَ حتى أُسَلَّ النعْلَ من قدمى[6]
ما كان ذاك سوى عاريّةٍ رجعت :. إليكَ لو لم تهبْها كنتَ لم تُلَم

(١) أبو اسحق أخو المأمون والعباس ابنه.
(٢) الغضب.
(٣) لا لوم.
(٤) حبسته أن يراق.
(٥) اليد : الصنيعة.
(٦) أسلبها.

بين إبراهيمَ بن المهدى وأحمد بن أبى دُواد القاضى

تنازع إبراهيمُ بنُ المهدى هو وبختيشوعُ الطبيبُ بين يدىْ أحمد بن أبى دواد القاضى فى مجلس الحكم فى عَقار بناحية السواد[1]، فزرى عليه إبراهيم[2] وأغلظ له، فأحفظَ ذلك أحمد بن أبى دواد فقال: يا إبراهيمُ إذا نازعْتَ أحداً فى مجلس الحكم فلا أَعْلَمَنَّ أنك رفعتَ عليه صوتا ولا أشرتَ إليه بيد، وليكنْ قصدُك أممًا[3]، وطريقك نَهْجا[4]، وريحُك ساكنة، وكلامُك معتدلا، ووفِّ مجالسَ الحكومة حقوقها من التوقير والتعظيم والاستكانة والتوجُّه إلى الواجب، فإن ذلك أشبهُ بك، وأشكلُ لمذهبك فى مَحْتِدِك، وعظيم خَطَرك[5]، ولا تعجل فَربَّ عجلة تهب رَيْثاً[6]، والله يعصِمك من الزلل، وخَطَل القول والعمل، ويُتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل إن ربك حكيم عليم، فقال إبراهيم: أصلحك الله، أمرتَ بِسَداد، وحَضَضْتَ على رشاد، ولست بعائد إلى ما يَثْلِم مروءتى عندك[7] ويُسقطنى من عينك، ويُخْرِجنى من مِقْدار الواجب إلى الاعتذار، فهأنا معتذرٌ إليكَ من هذه البادرة[8] اعتذار مُقِرٍّ بذنبه باخِع بجُرْمه، فإن الغضب لا يزال يستفزُّنى بموادِّه، فيردّنى مثلُك بحلمه، وتلك عادةُ الله عندنا منك، وحسبنا الله ونعم الوكيل؛ وقد وهبتُ حقى من هذا العقار لبختيشوع، فليت ذلك اليومَ يَعُولُ بِأَرْشِ الجناية[9] ولمَ يَتْلَفْ مال أفاد موعظة، وبالله التوفيق.

بين المعتصم وتميم بن جميل

قال أحمدُ بن أبى دُواد: ما رأينا رجلا عَايَنَ الموت فما هالَه ولا أذهله عما كان يجب عليه أن يفعلَه إلا تميمَ بن جميل[10] فإنه أوفى به الرسول بابَ أمير المؤمنين

---

(١) سواد العراق.
(٢) عابه.
(٣) قصداً : وسطا.
(٤) واضحاً.
(٥) قدرك.
(٦) بطئاً.
(٧) ينقص.
(٨) ما يبدر فى حدة وغضب من قول أو فعل.
(٩) الأرش : الدية.
(١٠) كان قد خرج على المعتصم بشاطئ الفرات فوجه إليه مالك بن طوق فظفر به وحمله إليه موثقاً.

المعتصم فى يوم الموكب حين يجلس للعامة ودخل عليه، فلما مثل بين يديه دعا بالنِّطْع[١] والسيف فأُحْضرا، فجعل تميمٌ ينظر إليهما ولا يقول شيئاً، وجعلَ المعتصمُ يصعِّد النظر فيه ويصوِّبه، وكان جسيما وسيما، ورأى أن يَسْتَنْطقه لينظرَ أين جنانه ولسانه من منظره، فقال يا تميمُ : إن كان لك عذر فَأْتِ به أو حجةٌ فأدلِ بها، فقال : أمَّا إذْ قد أذن لى أمير المؤمنين فإنى أقول :

﴿ الحمدُ للّه الَّذِي أحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ جَبرَ بك صدعَ الدين، ولَمَّ بك شَعَثَ المُسلمين، وأوضح بك سُبُل الحق، وأخْمد بك شِهاب الباطل. يا أميرَ المؤمنين إن الذنوبَ تُخْرس الألسنة الفصيحة، وتُعيِى الأفئدة الصحيحة، ولقد عظمت الجرِيرةُ، وانقطعت الحجة، وكبر الذنب، وساء الظن، ولم يَبْقَ إلا عفوك أو انتقامك، وأرجو أن يكون أقربهما منى وأسرعهما إلىّ، أولاهما بامْتنانك وأشبههما بخلافتك، ثم أنشأ يقول:

أرى الموتَ بين السيف والنطع كامنا ∴ يُلاحظنى من حيثما أتلفت
وأكبرُ ظنّى أنك اليوم قاتلى ∴ وأىُّ امرئٍ مما قضى اللّه يُفلِت
ومن ذا الذى يُدلى بعذرٍ وحجةٍ ∴ وسيف المنايا بين عينيه مُصلَت
يعزُّ على الأوس بن تغلبَ موقف ∴ يُسَلُّ علىّ السيفُ فيه وأسكت
وما جزعى من أن أموت وإننى ∴ لأعلم أن الموت شىء مُوَقَّت
ولكن خلفى صبيةٌ قد تركتُهم ∴ وأكبادُهم من حسرة تتفتت
كأنى أراهم حين أُنعَى إليهم ∴ وقد خَمَشوا تلك الوجوه وصوّتوا
فإن عشتُ عاشوا خافضين بغبطة ∴ أذود الردى عنهم وإن مت موّتوا
فكم قائلٍ لا يُبْعد اللّه روحَه ∴ وآخرَ جَذلان يُسَرّ ويَشْمَت

فتبسم المعتصم وقال: " كاد واللّه يا تميم أن يسبق السيف العذل[٢]، اذهب غفرت لك الصَّبْوة[٣]، ووهبتك للصبية" ثم أمر بفَك قيوده، وخلَع عليه وعقد له بشاطئ الفرات.

(١) النطع كحمل وشمس وسبب وعنب : بساط من أذيم، أحضر ليتلقى الدم.
(٢) العذل كسبب وشمس : اللوم، هذا مثل يضرب للشىء، يفوت أوانه.
(٣) جهلة الفتوة.

بين الواثق وابن أبى دواد

دخل أحمدُ بن أبى دواد على الواثق، فقال له الواثق : ما زال اليوم قوم فى ثلبك ونقصك، قال يا أمير المؤمنين: ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ[1] مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ والله ولىّ جزائه، وعقاب أمير المؤمنين من ورائه، وما ذلّ يا أمير المؤمنين من أنت ناصره، وما ضاق من كنت جاراً له، فما قلت لهم يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت يا أبا عبد الله:

وسعى إلىّ بعيبِ عزّةَ معشرٌ ∴ جعل الإلهُ خدودهن نعالها [2]

وقال له الواثق يوما متضجّرا بكثرة حوائجه: قد أخليت بيوت الأموال بطلباتك للّائذين بك، والمتوسلين إليك. فقال: يا أمير المؤمنين: نتائجُ شكرها متّصلةٌ بك، وذخائرُها موصلة لك، ومالى من ذلك إلا عشقُ اتصال الألسن بخلود المدح. فقال الواثق: " واللهِ لا منعناك ما يزيد فى عشقك، ويقوّى فى همتك فينا ولنا" وأمر فأُخرج له خمسة وثلاثون ألف درهم.

بين ابن دواد والجاحظ

كان الجاحظُ مختصاً بمحمد بن عبد الملك الزيات الوزير، مُنحرفاً عن أحمد أبى دواد القاضى، للمنافسة والشحناء بينهما، فلما نكَب المتوكلُ ابنَ الزيات حُمِل الجاحظ من البصرة مقيداً وفى عنقه سلسلة وعليه قميص سَمَل[3]، فلما دخل على القاضى أحمد قال له: والله ما أعلمك إلا مُتناسياً للنعمة، كفوراً للصنيعة، مَعْدنا للمساوئ، وما فَتَنْتنِى باستصلاحى لك، ولكنّ الأيام لا تُصلح منك لفساد طَويَّتك، ورداءة دَخِيلتك، وسوء اختيارك، وغالب طباعك، فقال الجاحظ: خفِّضْ عليك – أيدك الله – فواللهِ لأن يكون لك الأمرُ علىَّ خيرٌ من أن يكون لى عليك، ولأن أُسيئَ وتُحْسن، أحسنُ فى الأحدوثة عليك من أن أحسن وتسيئ، ولأن تعفو عنى فى حال قدرتك، أجملُ بك من الانتقام منى، فقال أحمد: والله ما عَلِمتك إلا كثيرَ تزْويق الكلام، وحَلَّ عنه الغلَّ والقَيد، وأحسن إليه وصدّره فى المجلس.

(١) معظمه.

(٢) من قول كثير عزة، وتمثل به.

(٣) كخلق.

بين ابن أبى دواد وأبى العيناء

قال أبو العيناء: دخلت على ابن أبى دواد يوماً فقلت له:

إن قوماً من أهل البصرة قدموا إلى سُرَّ مَنْ رأى[1] يَداً علىّ[2] فقال: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ فقلت: إن لهم مكراً فقال : ﴿ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إلا بِأَهْلِهِ﴾، قلت إنهم كثير، قال: ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾.

---

(١) مدينة المعتصم والعاصمة الثانية للدولة.

(٢) ضدى.

ثانياً : إبراهيم نافع
وحوارات للتاريخ

نقدم فيما يلى نماذج لفن الحديث الصحفى أجراها الأستاذ إبراهيم نافع مع الرئيس محمد حسنى مبارك. وقد ضمنها كتابة" "حوارات للتاريخ". يقول فى تصدير هذا الكتاب:

"الحوار الصريح والمباشر مع الرؤساء والملوك، ينقل صورة صادقة وعفوية عن فلسفاتهم واتجاهاتهم واهتماماتهم وهمومهم، قد تفوق كثيراً ما تنقله عشرات التحاليل المطولة والبيانات المسهبة، وذلك نظراً لما يتسم به الحوار من تلقائية وتركيز على الشواغل الآنية التى تهم الناس جميعاً. ويوفر هذا الحوار بدوره مادة خصبة للدراسة والتحليل واستخلاص النتائج، على نحو أكثر عمقاً وصدقاً، مع يجعل إصدار الأحكام بناء على ذلك أشد استناداً إلى الواقع والحقيقة.

وهذا الكتاب[1]. يرسم بانوراما عريضة لفكر وشواغل مجموعة مؤثرة من القادة والزعماء ذوى الدور المتميز فى حياة بلادهم وأمتهم، ويمثل شهادة للتاريخ تسجل المشكلات الأكثر إلحاحاً للمنطقة العربية والعالم، وموقف القادة من معالجتها، والنهج الذى يتبعونه فى التصدى لها، وحجم ما حققوه من إنجازات وما يسعون لتحقيقه من وعود وتعهدات، والقصد منه إلقاء الضوء على شخصية هؤلاء القادة وأهدافهم وأساليبهم فى العمل،الأمر الذى يساعد كثيرا فى فهم الاتجاه الذى تسير فيه الأمور فى المنطقة والفلسفات، التى تحرك القائمين على أمور الناس فى هذه البقعة المهمة من العالم بكل المقاييس. وهو ما أدعو الله أن أكون قد وفقت فيه، أولا بإجراء هذه الأحاديث، وبنوعية الأسئلة التى تضمنتها، والتى أرجو أن تكون قد أجابت على ما يهم الناس معرفته، وأخيراً بإصدار هذا الكتاب.

إبراهيم نافع

(١) إبراهيم نافع : حوارات للتاريخ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٩٧،

دور مصر إقليمياً وعربياً.

دائماً، فإن الرئيس مبارك، يدرك الثقل الذى يتميز به الدور المصرى إقليمياً وعالمياً. ولهذا فإنه حين يتحدث عن أزمة الديون التى ترهق الاقتصاد المصرى، فإنه لا يفكر فى الأوضاع المصرية وحدها، وإنما يتناولها فى إطار الدور القيادى الذى تلعبه مصر فى العالم الثالث، وفى إطار الأهمية الاستراتيجية التى تمثلها مصر بالنسبة لدول العالم الغنية، أو ما يسمى بالعالم الأول.

ودائماً، كذلك، فإن الرئيس مبارك لا يغفل الأوضاع الداخلية، وإنما هو يميل دائماً إلى اتباع سياسات عملية حتى ولو كانت تحتاج إلى نفس طويل.

وأهم ما يميز هذه السياسات العملية هو الاتجاه بها نحو طرح البدائل الممكنة.

ولهذا فإن أزمة البطالة – فى فكر الرئيس مبارك – يمكن أن تجد الحل التدريجى باتباع خطوات عملية.

فحين قرر الرئيس مبارك أن مصر فى حاجة إلى توفير ٤٠٠ ألف فرصة عمل سنوياً. فإنه اتجه إلى :

- **أولاً:** تمكين القطاع الخاص من توفير ٢٥٠ ألف فرصة منها.
- **ثانياً:** تشجيع الزراعة، بتجهيز الأرض بالمرافق وبيعها للاستزراع بسعر رمزى
- **ثالثاً:** نشر الصناعات الصغيرة بإضافة ٣٠ منطقة مجمعات صناعية جديدة.

وفى حوارى معه فى ١٩ ديسمبر ١٩٨٨:

- **قال الرئيس حسنى مبارك:** إن مشكلة الديون، وإعادة جدولتها، بالإضافة إلى التركيز على قضية التنمية فى مصر، سوف تحكم تحركات الرئيس الخارجية والداخلية على مدى العام الجديد (١٩٨٩).

وأكد الرئيس مبارك أن مشكلة الديون أصبحت تقلق وتزعج دول العالم جميعها الغنية منها والفقيرة، مع اختلاف ظروف كل منها بطبيعة الحال، وقال إن العالم الثالث، أو بوصف أدق الدول الفقيرة قد تعثرت خطوات التنمية فيها بشكل واضح وملحوظ على

مدى السنوات الثلاث الماضية، بسبب تزايد الديون وما تتطلبه خدمتها من فوائد. وأوضح الرئيس أن ديون الدول النامية قد ارتفعت فى هذه الفترة من ٩٠٠ مليار دولار إلى ما يزيد على ١١٠٠ مليار دولار، أى أن الزيادة فى مديونية هذه الدول ترتفع بمعدل يتراوح بين ٨٠ و ١٠٠ مليار دولار سنوياً، وقد يبدو من ذلك أن هناك تمويلاً جديداً، أو قروضاً جديدة تتدفق على الدول النامية، لكن الحقيقة - فيما قطع به الرئيس - أن ذلك غير صحيح على الإطلاق فربع هذه الديون فقط يمثل بالفعل تمويلاً جديداً، والباقى يمثل فى حقيقة الأمر زيادة فى المديونية بسبب تراكم فوائد الديون، بالإضافة إلى فوائد تأخير السداد.

أما بالنسبة للدول الغنية - **فيما أضاف الرئيس** - فقد بدأت تشكو هى الأخرى بسبب توقف الدول الفقيرة عن استيراد الآلات والمعدات التى تمثل نسبة ٤٠ فى المائة من إجمالى إنتاج المصانع فى الدول الغنية، وهو الأمر الذى يهدد استمرار هذه الصناعات، وتحقيق العوائد الاقتصادية منها، فضلاً عما يمكن أن يؤدى إليه هذا الوضع من كساد وبطالة.

على أن الأهم من ذلك كله، **فى رؤية الرئيس مبارك**، هو أن أغلب المنازعات الإقليمية التى تقع فى دول العالم الفقيرة التى كانت تستورد السلاح من الدول الغنية، قد أخذت طريقها إلى الحل، وكان توقفها عن الأرجح بسبب الظروف الاقتصادية الخطيرة لبعض أطراف هذه المنازعات، ومن ثم سوف تنخفض بالضرورة وارداتها من السلاح مما يضاعف من تخوف الدول الغنية المصنعة له من تأثيرات ذلك على مستقبلها الاقتصادى والمالى.. وبالقطع الاستراتيجى أيضاً. وبالتالى تعود الكرة من جديد إلى ملعب الدول الغنية.

وقال الرئيس مبارك إنه بالرغم من هذا الموقف الصعب والمعقد الذى يواجه العالم كله، غنيه وفقيره، فإن الدول الغنية لا تزال تصر على عدم زيادة مساعداتها أو تمويلها للدول الفقيرة، إلا إذا تلقت إشارة خضراء من المؤسسات المالية الدولية، تؤكد قبول الدول الفقيرة "الروشتة التقليدية" التى يفرضها صندوق النقد الدولى والتى يشارك فيها الآن معه، للأسف، البنك الدولى للإنشاء والتعمير. والغريب هو أن المؤسسات المالية الدولية تركز دائماً فى هذه "الروشتة" على الجانب المالى فقط الذى يؤثر بطبيعة الحال على البعد الاجتماعى فى البلد المدين.. وهو ما لا يمكن أن تتجاهله

الحكومات، حتى لو اعترفت بأنها قد تأخرت بعض الوقت فى السير على طريق الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى؛ بما كان واجبا عليها اتخاذه من إجراءات، فنجد أن هذه المؤسسات - فيما ذكره الرئيس على سبيل المثال - تركز على خفض العجز فى الموازنة عن طريق إقرار الحكومات المدينة لإجراءات صعبة كتجميد الأجور أو رفع الدعم عن السلع والخدمات المختلفة، أو زيادة الأسعار للحصول على موارد أكبر. وجميع هذه الإجراءات تلقى بالضرورة بعبء إضافى على كاهل المواطنين.

ضرورة الاستمرار فى التمويل مع خفض فوائد الديون

لذلك فإن إيجاد حل لمشكلة الديون أصبح فى رأى الرئيس مبارك هدفاً أساسياً لكل من الدول الفقيرة والغنية أيضاً، ليس حباً فى الدول النامية، ولكن تحقيقاً لمصلحة الدول الغنية بالدرجة الأولى، لكى تتمكن من زيادة تصدير السلع للدول الفقيرة، وحتى تتمكن الأخيرة من مواصلة تنفيذ خطط التنمية لكى تزيد من صادراتها، وبالتالى تضاعف من دخلها من النقد الأجنبى، الذى تستعيد به قدرتها على سداد الديون. وتحقيق هذا الهدف الذى تفيد منه الدول الغنية يفرض على المؤسسات المالية الدولية - فيما يطالب به الرئيس مبارك - الاستمرار فى تمويل الدول الفقيرة دون تمسك بالشروط القاسية التى لا تطيقها، بسبب تأثيرها الحتمى على الاستقرار الاجتماعى بها. على أن يقترن استمرار التمويل بضرورة خفض فوائد الديون وإعفاء الدول النامية من جزء منها على الأقل. وهذا ما نادت به الكويت باعتبارها أكبر دول العالم الدائنة، ووافقت عليه بعض الدول الغنية وفى مقدمتها فرنسا واليابان.

يطالبون مبارك برئاسة منظمة الوحدة الإفريقية.

وفى ضوء هذه الرؤية المتكاملة لحل مشكلة الديون الذى أصبح مطلباً حتمياً لدول العالم بغير استثناء، يتوجه الرئيس مبارك إلى زيارة إفريقيا فى يوليو القادم، لحضور مؤتمر القمة الإفريقى الخامس والعشرين باعتبار أن مشكلة الديون سوف تكون الموضوع الأساسى فى جدول أعمال المؤتمر، بعدما أخذت المشكلات السياسية الحادة التى تواجه الدول الإفريقية طريقها إلى الحل. وهناك قيادات إفريقية كثيرة تطالب الآن الرئيس مبارك بأن يرأس منظمة الوحدة الإفريقية إيماناً بأهمية وتأثير دور مصر فى الفترة القادمة، وبالأخص فيما يتعلق بحل مشكلة الديون.

ودفعاً لقضية التنمية اللصيقة التى تمثل المحور الثانى لحركة الرئيس مبارك خارجياً وداخلياً خلال العام الجديد، يزور الرئيس أيضاً فى الأشهر القليلة القادمة بعض دول الشرق الأقصى بدءاً باليابان والصين والهند، وبعض الدول الأخرى، يقوده فى هذه الزيارات ثلاثة أهداف رئيسية تهم مصر: الإسهام بأكبر جهد فى انطلاقة حركة عدم الانحياز التى تعود الآن إلى سابق عهدها، والتى ينتظر أن تنمو وتنطلق أكثر فى العام الجديد، وثانياً: نقل التكنولوجيا من الدول التى يزورها إلى مصر، وخاصة فى مجالات الزراعة والإنتاج الغذائى، وتأتى فى هذا الإطار تجربة الهند الخاصة فى زيادة إنتاجية الأرز، فضلاً عن دراسة الخبراء الذين يرافقون الرئيس فى زيارته القادمة لدول الشرق الأقصى لأوجه التقدم فى مجالات الصناعات الصغيرة التى يهم الرئيس نشرها فى مصر على أوسع نطاق، ثم يتجه الهدف الثالث للزيارة إلى استثمار علاقة مصر الجيدة مع اليابان فى مناقشة خططها لمساعدة دول العالم الثالث، ومدى إفادة مصر.

استثمار العلاقات الممتازة لمصر مع الشرق والغرب.

ويتحقق هذا التحرك المرتقب للرئيس مبارك، بما يخدمه من أهداف، فى ضوء العلاقات الممتازة التى أصبحت تربط مصر فى السنوات الأخيرة، ولأول مرة فى تاريخها، مع كافة دول الشرق والغرب على السواء، بغير تعارض مع العلاقة الخاصة بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية، والتى من المنتظر فى إطارها أن يكون الرئيس مبارك من أوائل رؤساء العالم الثالث الذين يجتمع بهم الرئيس الأمريكى المنتخب "جورج بوش" عقب تقلده مهام منصبه، لبحث أبعاد التحرك مع الإدارة الأمريكية الجديدة، وسوف يقترن ذلك - فيما أعلم - باجتماع الرئيس مبارك مع رئاسة صندوق النقد الدولى لبحث مشكلة الديون وإعادة جدولتها وخفض سعر الفائدة عليها.

وفى توقيت لاحق، يخدم أيضا قضيتى الديون والتنمية، يزور الرئيس فرنسا فى ١٤ يوليو القادم فى مناسبة احتفالها بعيدها القومى، وهو ذات التوقيت الذى يعقد فيه مؤتمر بباريس لرؤساء الدول الصناعية الكبرى السبع - أمريكا واليابان وفرنسا وإنجلترا وألمانيا وكندا وإيطاليا - وسوف تكون بالقطع فرصة طيبة لكى يناقش الرئيس معهم مشكلة الديون فى الدول النامية، واحتياجاتها لنقل التكنولوجيا من هذه الدول الصناعية الكبرى لزيادة عائدات التنمية من النقد الأجنبى الذى يعينها على سداد الديون.

وهذا البرنامج المتوقع لزيارات الرئيس الخارجية خلال العام الجديد، لا يمنع بطبيعة الحال أن يقوم الرئيس مبارك بزيارات لبعض الدول الأوروبية الأخرى وبعض الدول العربية، وفى ذهنه أهمية تنشيط دور الصناديق العربية فى مجالات التنمية فى مصر وزيادة الاستثمار فيها.

طريقان لخفض تكدس العمالة فى القطاع الحكومى

على أن الأولوية الأولى فى كافة تحركات الرئيس خلال العام الجديد سواء الخارجية أو الداخلية والتى سوف يواصل بها زياراته المستمرة لمواقع الإنتاج، ستظل تتركز فى القضيتين المتلازمتين : حل مشكلة الديون، والإسراع بمعدلات التنمية..

فالمؤكد فى حسابات الرئيس القائمة على الدراسة الدقيقة لاحتياجاتنا أنه لابد خلال السنوات القليلة المقبلة من خلق ٤٠٠ ألف فرصة عمل سنوياً وهو يعلم أن الحكومة والقطاع العام مجتمعين لن يتمكنا من توفير أكثر من ١٥٠ ألف فرصة عمل كحد أقصى، ولابد للقطاع الخاص أن يوفر ٢٥٠ ألف فرصة عمل الباقية، والرئيس يرى أن تحقيق ذلك لا يتم إلا عن طريق تشجيع الزراعة والصناعات الصغيرة، ويرى أن تشجيع الزراعة يكون بتوفير المرافق الرئيسية بتمهيد الطرق وشق ترع الرى وإقامة محطات الكهرباء، ثم بيع الأرض المستصلحة بمرافقها بأسعار رمزية لاستزراعها. وفى مجال نشر الصناعات الصغيرة يرى الرئيس أن هذا يتطلب أساساً زيادة عدد مناطق المجتمعات الصناعية المماثلة المقامة حالياً فى مدن العاشر من رمضان والعامرية والسادات، بحيث تصل على الأقل إلى ٣٠ منطقة للمجتمعات الصناعية، وبهذا فقط يمكن تصويب الوضع الفريد للعمالة فى الحكومة والقطاع العام، والتى تقول الإحصاءات الأخيرة إن هذين القطاعين يضمان ٥ ملايين من العاملين يمثلون عُشر المجتمع المصرى، من بينهم ٣ ملايين و٣٠٠ ألف يعملون فى الحكومة بما يمثل ٧ فى المائة من تعداد السكان فى مصر، وهى أكبر نسبة للعمالة الحكومية فى دول العالم، فى حين أن الدول الشيوعية ذاتها غالبية أبنائها فى القطاع العام.

على أن هذا التوجه - الذى يطالب به الرئيس - إلى الزراعة والصناعات الصغيرة لا يمنع، فيما يراه، أن توفر الدولة التمويل اللازم لمساندة جهود الأيدى المصرية

التى تتجه إلى العطاء فى الميدانين، وضرورة أن يقترن التمويل بالمرونة الكافية فى منحه لتيسير التشغيل والتمكين من الاقتحام والمواجهة مع فرص الإنتاج الجديدة.

وفى زيارات الرئيس المتتابعة لمواقع الإنتاج فى مصر برزت إيجابيات عديدة لقيت منه التقدير، وتكشفت سلبيات تابعها بالتقويم، فضلاً عما أتاحته هذه الزيارات – وهذا جانب هام لها – من فرص لتعرف المواطنين على إنجازات ومشروعات عديدة فى كافة مجالات الإنتاج والخدمات، فلم تكن الغالبية منهم تعرف على سبيل المثال أن هناك مشروعات ضخمة نفذت تحت الأرض للتليفونات ومياه الشرب والصرف الصحى الذى شق له نفق هائل بامتداد ١٨ كيلو مترا تحت الأرض. ونذكر هنا أنه فى ٣٠ يونيو القادم تنتهى مشروعات للكهرباء طاقتها ١٥٠٠ ميجاوات، وهو ما يعنى إضافة طاقة خلال عام واحد تماثل طاقة الكهرباء التى ينتجها السد العالى والتى تبلغ ١٦٠٠ ميجاوات.

التوجه العربى عقيدة ومبدأ:

التوجه العربى لدى الرئيس مبارك يرقى إلى درجة العقيدة والمبدأ، دون إغفال الدواعى السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تدفع إلى مزيد من التقارب والتماسك الوفى لصالح كافة الشعوب العربية.

وقد شهد عام ١٩٩٠ جهداً مكثفاً فى هذا الصدد، وهو العام الذى شهد شهر أغسطس منه أكبر حالة انقسام عربى حادة وشاملة بدأت بأزمة الخليج؛ وما تداعى منها من زلزال هز العالم العربى بشدة عنيفة.

ويذكر للرئيس مبارك – أولاً – أنه أعاد مصر إلى دورها العربى، وأعادها إلى موضع القيادة.

ويذكر له – ثانياً – أنه استطاع أن يتجاوز حالة الانقسام العربى التى ورثها من حكم الرئيس السادات، والتى نتجت من الخلاف حول السلام مع إسرائيل.

ويذكر له – ثالثاً – أنه صاحب فكر عربى استراتيجى يمكن تلخيصه فيما يلى:

– **أولاً:** تحقيق قدر أكبر من التماسك فى الجبهة العربية، وذلك بتخفيف حدة الخلافات بين الأقطار العربية.

- **ثانياً**: وضع خطة عربية أو برنامج عمل عربى متكامل للتحرك على صعيد الأمن القومى بمعناه الشامل.

- **ثالثاً**: التخلص من الأخطار التى تهدد أمن واستقرار الأقطار العربية فى الداخل والخارج، بما فى ذلك محاولات التقسيم القانونى أو الواقعى التى يتعرض لها بعض الأقطار.

وقد جرى الحوار فى ٦ نوفمبر ١٩٩٠ على النحو التالى:

لابد لنا كعرب أن نكون على مستوى التحدى لمواجهة التطورات الدولية:

السؤال الأول: ما هى أولويات العمل العربى فى التسعينات، وكيف ترونها بترتيب أهميتها وأى طرق الاقتراب منها تجدونها كفيلة بتحقيق ما تتطلعون إليه فى عالم متغير؟ أو بمعنى أدق: ما هى القضايا التى ترونها جديرة باهتمام الأمة العربية فى ظروف مستحدثة تماماً ليس علينا فقط وإنما مع اتساع العالم كله؟ وأى الوسائل وأساليب العمل سوف تكون الأقدر على توجيه فعل الأمة العربية فى حقبة التسعينات؟ وكيف يجب أن يتجه الخطاب العربى إلى أطراف العالم المؤثرة فى تشكيله الجديد؟

الرئيس: لا شك أن الأوضاع الدولية تتغير بإيقاع غير مسبوق فى هذه الفترة الدقيقة من تاريخ العالم، ولست بحاجة إلى أن أتطرق إلى الحديث عن هذه التطورات ومدلولاتها وانعكاساتها العميقة، ويكفى أن أشير إلى أن باحثا أمريكيا متخصصاً وصف تلك التطورات فى عبارة موجزة حين قال إنها تعنى "نهاية التاريخ". ومن المؤكد أن هذا التغير الرهيب يفرض علينا فى مصر، والوطن العربى على امتداده، أن نواجهه بأسلوب متطور، يمكن أن يكون على مستوى التحدى. ولكى نحدد الأسلوب الذى نختاره للتعامل مع هذا الموقف الجديد، علينا أن نشير إلى أهم ملامح التغير الذى يشهده العالم فى العقد الأخير من القرن العشرين ومطلع القرن الجديد، وهى:

أولاً: اختفاء حدة الصراع الأيديولوجى والاستقطاب الدولى اللذين سيطرا على المسرح الدولى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وتسببا فى فرض سياسات وأولويات معينة على كافة دول العالم فى الشرق والغرب، والشمال والجنوب.

وتمثلت هذه السياسات أساساً فى سباق التسلح وتخصيص ميزانيات ضخمة لحيازة الأسلحة المتطورة ومنها السلاح النووى، والإعداد لحدوث مواجهة نووية سوف يترتب عليها إنهاء كافة صور الحياة على الأرض، وهو ما جعل معظم سكان العالم فى رعب من المستقبل ويفتقدون الشعور بالأمن والطمأنينة رغم التكتلات العسكرية المزودة بأحدث الأسلحة.

ثانياً: الاتجاه نحو إقامة الكيانات الاقتصادية الكبيرة التى تزيد من قدرة الدولة على مواجهة المشاكل والمطالب المتصاعدة.

ثالثاً: صعود التحدى الاقتصادى إلى قمة الأولويات الداخلية فى جميع الدول، لا فرق فى هذا بين الدول الصناعية المتقدمة والدول النامية التى تعانى من مشاكل طاحنة. وقد اقترن هذا التحدى بعنصرين أصبحت لهما صفة العالمية، **أولهما** هو ضرورة استيعاب التكنولوجيا الحديثة فى الإنتاج الزراعى والصناعى والخدمات، **والثانى** هو عامل البيئة وضرورة حمايتها من الأخطار المحدقة بها والتى أصبحت تهدد الحياة على الكرة الأرضية.

خطة عربية متكاملة لتطوير الإنتاج ومواكبة الطفرة **التكنولوجية**:

وإذا عدنا للسؤال الذى طرحته، فإننى أضع أولويات العمل العربى فى العقد القادم على النحو التالى:

أولاً: تحقيق قدر أكبر من التماسك فى الجبهة العربية، وذلك بتخفيف حدة الخلافات القائمة بين الأقطار العربية، بحيث يكون الوطن العربى قادراً على التصدى بقوة وفعالية للتحديات المستجدة، وطالما أن العالم سوف يشهد قريباً ظهور تجمعات قوية فى أمريكا الشمالية وأوروبا الموحدة - بدرجة أو بأخرى - والشرق الأقصى، فإن قدرة الدول العربية وغيرها من بلدان العالم الثالث على التعامل مع هذه التكتلات سوف تتوقف إلى حد كبير على حجمها والثقل الاقتصادى والسياسى الذى تمثله. وباختصار فإنه لن يكون هناك مكان يذكر للكيانات الصغيرة، ويعنينا بالدرجة الأولى فى هذه المنطقة أن نزيد من قدرتنا عى التعامل مع الكيان الأوروبى الذى يتحرك بسرعة فى اتجاه الوحدة، حتى إذا كانت هناك قيود أو حدود معينة لهذه الوحدة، وإننى أتساءل كيف تستطيع دولة من دول جنوب حوض البحر المتوسط أو البحر الأحمر أو

الخليج أن تتعامل وحدها مع هذا العملاق الجديد الذى لن يقتصر على دول السوق الأوروبية، بل إنه سوف يمتد إلى دول شرق أوروبا عاجلاً أو آجلاً.

ثانياً: وضع خطة عربية أو برنامج عمل عربى متكامل للتحرك على صعيد الأمن القومى بمعناه الشامل، وتطوير وسائل الإنتاج وتنمية الموارد الطبيعية والبشرية وتطوير نظم التعامل بما يمكن الوطن العربى من مواكبة الطفرة التكنولوجية والتقدم العلمى الهائل الذى نشهده فى الحاضر والمستقبل القريب.

ويجب أن نحرص على ألا تكون هذه الخطة العربية خطة نظرية تعتمد على العبارات الإنشائية والبلاغة اللفظية، وأن تبتعد عن إطلاق الشعارات المستهلكة التى جربتها الشعوب وفقدت كل مصداقية لديها، وإنما يجب أن تعتمد الخطة منهجاً عملياً، وأن تشترك فى إعدادها الحكومات والمتخصصون والمثقفون، بحيث تأتى معبرة عما يشبه الإجماع القومى العام، وتكون خلاصة رؤية شاركت فى صياغتها جميع الفئات القادرة.

ثالثاً: التخلص من الأخطار التى تهدد أمن الأقطار العربية واستقرارها فى الداخل والخارج، بما فى ذلك محاولات التقسيم القانونى أو الواقعى التى تتعرض لها بعض الأقطار العربية الشقيقة مثل لبنان.

مصر تقوم بدور نشيط فى مواجهة المشاكل العربية والإفريقية

السؤال الثانى: ما هو الدور الذى يستطيع وطنكم بالذات أن يؤديه فى تحقيق هذه الأولويات؟ وما هى الاشتراطات الواجبة له حتى يستطيع تحقيق هذا الدور؟ وبالتالى ما الذى يجب أن يتوافر وما الذى يتحتم على أمته العربية أن توفره له؟

الرئيس: مصر جزء من الأسرة العربية الكبيرة، كما أنها دولة تضطلع بدور هام داخل منظمة الوحدة الإفريقية وحركة عدم الانحياز، وهى قادرة بحكم تاريخها ورصيد شعبها النضالى على القيام بهذا الدور الطليعى، ليس عن طريق فرض سياستها أوخياراتها على أحد، بل بالأساليب الآتية:

أولاً: بتقديم النموذج الصالح لاقتحام المشاكل ومواجهة التحديات، فى ظل مناخ من الاستقرار الاجتماعى والاقتصادى.

ثانياً: القيام بدور نشيط فى مواجهة المشاكل التى تظهر على الساحتين العربية والإفريقية، وبالتعاون والتنسيق مع الأقطار الشقيقة المعنية بهذه المشاكل والمنازعات، ونحن ننطلق فى هذا الدور من حقيقة أنه ليس هناك نزاع بيننا وبين أى قطر عربى أوإفريقى، وليس لدينا حسابات نريد تسويتها أو ارتباطات تتعارض مع مصالح الأقطار التى هى طرف فى المنازعات. كما أن مصر لا تؤمن بسياسة المحاور على الصعيد العربى أو الإفريقى ولا ترى مصلحة فى التفريق بين دول معينة المفروض أن مصلحتها واحدة.

ثالثا: القيام بدور حلقة الوصل بين المناطق العربية المختلفة، فمن جهة، تعتبر مصر هى الجسر الذى يربط بين عرب المشرق وعرب المغرب. إن جاز هذا التعبير - ومن جهة أخرى تقوم مصر بدور خاص للربط بين المجالس العربية الثلاثة التى قامت فى العامين الأخيرين، باعتبار أنها مجالس لم تنشأ كتكتلات إقليمية منفصلة، بل هى قنوات للتنسيق داخل مجموعات متقاربة بهدف إعطاء دفعة للعمل القومى الشامل فى إطار جامعة الدول العربية التى هى فى حاجة إلى تعزيز فى المرحلة القادمة.

أما فيما يتعلق بالإمكانيات التى يجب توفيرها لمصر حتى تتمكن من الوفاء بهذا الدور فهى العمل الجاد الحثيث، والجهد الصادق، ونحمد الله أن الإخوة العرب جميعاً يحيطون مصر بثقتهم وتأييدهم، ونحن لا نشعر بأننا وحدنا فى مواجهة أى تحد.

لابد أن تكون للوفاق امتداداته على العالم الثالث:

السؤال الثالث: تشهد الساحة العالمية، وبالتحديد فى الاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية، تحولات كبرى يمتد أثرها إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، وهذه التحولات سوف تؤثر بالتأكيد على التركيب الدولى كما عرفناه فى نصف القرن الأخير. فكيف تتصورون شكل التركيب الدولى الجديد وعلاقات القوى بين أطرافه، وقوانين أو قواعد الحركة فى هذه الظروف الهائلة؟

الرئيس: من المؤكد أن العلاقات بين هذه القوى سوف تحكمها قواعد وقوانين جديدة تختلف جذرياً عن القوانين التى حكمت مرحلة الحرب الباردة، وأهم الاختلافات التى حدثت فى هذا الشأن هو أن الصراع بين الشرق والغرب لم يعد ينظر إليه باعتباره صراعاً حتمياً يقوم على أساس مفهوم الصراع الطبقى أو توازن قوة

الرعب النووية كما كان الحال فى العقود الثلاثة السابقة، وإنما يتحول هذا الصراع تدريجياً إلى منافسة سلمية تكون رحاها هى التقدم الاقتصادى والتكنولوجى والقدرة على الإبداع المستمر.

ويهمنا فى هذا المجال بصفة خاصة أن نضع تصوراً معيناً لانعكاس هذا التطور على القضايا والمشاكل الإقليمية، فليس من المعقول أو المقبول أن يقتصر الوفاق والانفراج على القوى الكبرى ولا تكون له امتداداته على دول العالم الثالث التى تمزقها الخلافات والصراعات، مع أنها أحوج ما تكون إلى كل قرش فى حوزتها فى عملية التنمية والتطوير الاقتصادى والاجتماعى.

ولكى تتحقق هذه النتيجة المرجوة، فلا يجوز أن يقتصر دور هذه البلدان على المطالبة بأن تشملها الموجة الجديدة التى تجتاح العالم فى هذه المرحلة، بل يجب أن تركز على التعبير عما هى مستعدة لتقديمه لإنجاح هذه الحركة والإسهام فى تطويرها لأن العالم الذى نعيش فيه اليوم وغداً ليس عالم عواطف ومشاعر، بل هو عالم مصالح يتحدد فيه دور كل دولة بقدرتها على الفعل والمساهمة.

الجفوة مع السودان:

ما هى رؤية الرئيس حسنى مبارك للحدث السودانى الكبير (ثورة الإنقاذ)؟ وماذا عن حقائق حالة "الجفوة" التى انتابت علاقات شطرى الوادى خلال الفترة القريبة التى سبقت إمساك القوات المسلحة السودانية بزمام الأمور؟

قال الرئيس مبارك : لابد أن يكون واضحاً تماماً أن علاقتنا بالسودان ظلت طول عمرنا طيبة للغاية.. ولو أن زعيماً من أحد البلدين حاول فى وقت من الأوقات أن يخلق مشكلة بين الشقيقين... فإنهما يستحيل أن ينفصلا يوماً عن بعضهما... ومن جانبى ظللت بطبعى أتعامل مع السودان على أفضل وجه... وذلك من منطلق فهمى الكامل للسودان ومختلف ما يتعلق به... وقد ظلت لى دائماً علاقات طيبة مع السودان... حتى منذ كنت فى القوات الجوية... ثم وأنا نائب للرئيس... واستمرت وأنا فى فترة الرياسة الأولى... ومن بعدها الثانية... وهنا ينبغى أن أشير إلى حقيقة أخرى راسخة... وهى أننا فى مصر لم نعتد أبداً ولم نعرف عمرنا التدخل فى الشئون الداخلية

لأية دولة... ولا نعمل على إزاحة زعيم... أو إعادة أو تعيين زعيم... هذا خيار الشعب السودانى... ونحن نتفهمه تماماً... ونتعامل مع الشرعية... صحيح أن علاقتنا مع نميرى كانت طيبة جداً... ولكن ليس لشخص نميرى... ولكن لأنه كان رئيس السودان... وكان من الأشخاص الذين يساعدون على حسن العلاقات... وكنا نتشاور معه باستمرار للمصلحة العامة المشتركة بين مصر والسودان... وحينما وقعت انتفاضة سوار الذهب... وجاء نميرى إلى هنا... سألناهم فى الحال : هل نبعث إليكم بنميرى أو نقنعه بذلك... وأجابوا بالرفض... واعترفنا على الفور بشرعية الوضع... لأنه خيار السودان وليس قرارنا... ونحن لا نتدخل فى شئون السودان ولا فى شئون غيره... وبعدها جاء خيارهم التالى لحكم الصادق المهدى... وقلنا خيراً... ولم أكن أعرفه... ولا تقابلت معه من قبل... ولكن كنت أسمع عنه فقط... وأنا اعتدت ألا أحكم على إنسان من سماعى عنه... ولكن من خلال ما ألمسه بالفعل من أعماله... فمن طبائع البشر أن يأتيك من يسمعك الكثير عن فلان الفلانى... وتسرع باتخاذ موقف منه... لكنى أوثر دائماً انتظار الأفعال... فإما أن تؤكد ما سمعت... وأما أن يكون هراء لا أعول عليه... والحقيقة أن تصرفات الصادق المهدى بدت لنا غريبة... ففى أول مرة قابلته فيها فى أديس أبابا فى يونيو من عام ١٩٨٦... أمضى ساعة وربع الساعة فى حديث عن علاقاته الخارجية ومدى رغبته فى أن تكون طيبة جداً... وقلت له إننى أحاول أن تكون لمصر علاقات طيبة مع جميع دول العالم... ثم وجدته يؤكد لى أنه سوف ينهى مشكلة الجنوب... والمشكلة الاقتصادية... على آخر ديسمبر... أى بعد ستة أشهر من لقائنا... أقول لك الحق... أنا دهشت... كيف يمكن أن يحقق ذلك فى ستة أشهر... لكننى تمنيت من كل قلبى أن يصبح ما يقوله حقيقة... فكلما كان السودان بخير... ارتحنا وسعدنا كثيراً... .

قلت للرئيس: سيادتكم تكلمتم مع الرئيس الأثيوبى مانجستو... وأظن أنه قال لكم – إن كان ما أعلمه صحيحا – إن الصورة مختلفة بالكامل عن التى رواها الصادق المهدى...

الرئيس مبارك: حينما قلت لمانجستو – وكنا نتحدث معاً فى أديس أبابا وتطرق الحديث إلى موضوع السودان – إننى علمت من رئيس وزراء السودان أن سوء التفاهم الذى قام بين أثيوبيا والسودان قد زال تماماً وأن مشكلة الجنوب سوف تحل نهائياً على شهر ديسمبر على أكثر تقدير... رد بقوله : أنا آسف... الصورة مختلفة تماماً

عما قيل لك... قلت له : غريبة... واستطرد مانجستو يؤكد لى حقيقة الموقف... قال: الرواية ليست بهذه السهولة... إلا إذا كان الصادق المهدى سهلها لنفسه وهذا موضوع آخر.. ولم أشأ أن أعقب وظللت أستمع لكلام مانجستو.. ولم تكن وساطتى لديه إلا من أجل خاطر السودان أساساً... كانوا يطلبون منى ترتيب مقابلة بينه وبين الصادق المهدى وكنت أتحدث مع مانجستو حول طلبهم ويستجيب الرجل بصدر رحب... ويؤكد أنه مستعد للمقابلة... ولكن يحدث قبل موعد عقد المقابلة ببضعة أيام... أن يصدر الطرف الثانى تصريحاً يعقد الموقف ويعيده إلى ما كان... ثم يعودون بعدها ويرجون أن أتحدث مرة أخرى مع مانجستو.. ولم أكن أتأخر عن إجابة رجائهم رغم ما كان يحدث... وبعدها استطاع الصادق المهدى بأسلوبه فى التعامل أن يعادى كل الأمة العربية تقريباً... زار بلاد العالم وزار إيران وكان المنظر سيئاً للغاية... وآخر دولة زارها مصر.. وكان قد قام بتحسين علاقاته مع ليبيا. ورغم أننا لم نكن لنا علاقات مع ليبيا وقتها.. قلت له من المصلحة العامة أن تكون لك علاقات وحسن جوار مع ليبيا... وليته يأتى وقت نعمل فيه على أن تكون علاقاتنا أيضاً طيبة... نحن لا نريد أكثر من هذا... أى أننى لم أقل له مثلاً لا لتحسين علاقتنا مع ليبيا... المهم أن يضع الإنسان فى اعتباره مصلحة بلده قبل كل شىء... لكننا اختلفنا حول موضوع نميرى... قال لى إن الشعب السودانى يطلبه... لأنه ارتكب أشياء كثيرة... ويفهم من بقية كلماته أن نميرى سوف يحكم عليه بالإعدام... أو شىء من هذا القبيل... فقلت له : اسمع... أنا أولاً لا أستطيع أن أسلمه لأن الدستور يحرم ذلك... ثم ثانياً.. أنا عرضت أن أبعث إليكم يوم الانقلاب ورفض المسؤولون وقتها... وكان أمراً بالغ الغرابة بالنسبة لى... بل أصابنى ذهول حين سمعت أن الصادق المهدى رفع قضية ضدى فى مجلس الدولة... قلت له: حسنا أنت اخترت القضاء... فلننتظر كلمته... ولا تكلمنى فى هذا الموضوع... والمهم أنه لم يجاملنى القضاء... قضى بالحق وحده... لا بالمجاملة... ولا باتصال أحد بالقضاء... ونحن لا نفعل هذا أبداً... لأننا نريد لقضائنا أن تكون له دائماً استقلاليته وأن يكون له كيانه... لكيلا تقال كلمة عن قضائنا فى أية قضية فى الخارج أو فى الداخل. وانتهت المقابلة مع الصادق المهدى على هذا النحو.. ومضت فترة طويلة قبل أن يزور مصر.. ومصر دائماً سند السودان... فى أى مجال... ليس معنى هذا أننا نعطى له كل شىء... لكننا نحاول المساعدة بالإمكانيات المحدودة لظروفنا الاقتصادية... وبالاتصال بإخواننا فى العالم

الغربي أو العربي.... وأحياناً نوظف اتصالاتنا لمصلحة السودان وشعب السودان... أى أننا نساعد بقدر ما نستطيع... وحين جاء المهدى وزار مصر... أكرمته أكثر من أية شخصية أخرى إلى حد أن دعوته على الإفطار فى بيتى... وربما لم أفعل ذلك إلا مع قلائل... وعاد الصادق المهدى إلى السودان... ولكن لا فائدة... ذات الهجوم على مصر مستمر... كلام عن اتفاقية الدفاع المشترك... التقيت به مرة وقلت له : يا أخى الغها... وأنا سوف ألغيها بعدك بدقيقة... لكنى لا أريد أن أكون البادئ... لأنكم فى السودان سوف تهاجمون مصر... وتقولون مصر ألغت الاتفاقية... ومصر تخلت عن مسئوليتها الخ. أنت أولاً وأنا ألغى من بعدك... ولن أغضب فليس فى ذلك شيء إطلاقا... ولكن لا فائدة... وهذا الموضوع ظل مستمراً من عام ١٩٨٦... وأخيراً فقط قام بإلغاء الاتفاقية... وأرسل لنا خطابا بذلك منذ شهر لا أكثر قبل أن يترك مكانه...

سألت الرئيس مبارك: أهم ما تضمنه خطابه من قضايا؟

الرئيس مبارك: بعث يقول إن الاتفاقية من عهد بائد... ودهشت... ما علاقتى بذلك... هل تسب لى السودانيين فى خطابك... الخطاب مرفوض... لا ترسله لى... ابعث إلى رئيس الوزراء وقل له إنكم ترون الاتفاقية لا تحقق المصلحة... أو قل فى حديث الأشقاء إلى بعضهم : إن الظروف فى الجنوب تقتضى إلغاء الاتفاقية لأنهم يطلبون ذلك... ونرجوكم يا أشقاءنا فى مصر أن تقدروا هذا... لتسهلوا لنا إنهاء مشكلة الجنوب... وبالقطع لن تعترض مصر... لأننا تهمنا مصلحة السودان... وقال المهدى إن هذه الاتفاقية عقدت بصورة فوقية وأنها لم تحقق شيئاً للسودان... وقلت إنه الأسلوب الذى عقد به اتفاقياته قبل ذلك... أى نقول له لا تتكلم كلاماً إعلامياً... أو كلام مصالح... أنت لم تفعل شيئاً جديداً... ولا شيئاً على الإطلاق معنا... بينما كنا حريصين على أن نساعد... وقال نلغى التكامل... وألغينا التكامل... وقلت أنا لا يهمنى... فعندما أقمنا التكامل والدفاع المشترك... كانوا هم الذين طلبوا ذلك من السادات من أجل السودان وليس من أجل مصر... ومعاهدة الدفاع المشترك هذه تلقى على عاتق مصر بالتزامات عديدة... وبالقطع لن نتأخر حتى لو لم تكن هناك اتفاقات... وعندما طلبوا فرقاً ودورات للعسكريين... لم نتأخر... اعتبرنا مصيرنا واحدا... وشرياننا واحد... الذى نقدر عليه لا نتأخر عنه... والذى لا نقدر عليه... نحاول أن نساعدهم فيه شرقاً وغرباً...

عربياً وإسلامياً... ودولياً... لا نتأخر عنهم أبداً... بينما كان المهدى كلما يحدث شىء فى السودان يزج باسم مصر فى جملة مفيدة... وكأن مصر هى سبب التدهور فى السودان... وحتى عندما بعث له الضباط قبل ذلك بمذكرة علقها على مصر. ولست أفهم ما علاقتنا بذلك... وكأنه يقول للشعب السودانى اكره مصر... وهو لا يعى أنه يجعل الشعب تتملكه حالة قرف من الحكام... لأن الشقيقين مدركان تماماً لأبدية العلاقة بينهما... ولا أريد أن أخوض فى أمور عديدة غير طيبة تتابعت بعد ذلك... مثل موضوع قوارب الصيد وحبس الصيادين البسطاء بدون داع... قلت إننا لا نمسك بأحد... قالوا واحد دخل الحدود بدون إذن... قلنا حسن... ألا يدخل السودانيون ويخرجون هم وجمالهم من أيام درب الأربعين وحتى الآن دون أن نمسك بسودانى واحد ونسأله كيف دخلت؟ إن هذا لم يحدث أبداً... فضلاً عن أن طائراتهم تجىء وتعود مليئة ولا نقول شيئاً... وليس بيننا وبينهم تأشيرات دخول ولا شىء من هذا إطلاقاً... وحدث فى وقت من الأوقات أن أصدرنا تحقيق شخصية مصرياً سودانياً أيام نميرى وأقول لك الصراحة... إنه من التدهور الرهيب الذى كان يجرى فى السودان... كانت لدى حاسة سادسة بأنه لابد أن يحدث شىء فى السودان... لأن البلد كان مستمراً فى الانهيار من سيئ إلى أسوأ... الحقيقة أنا ليس لى دخل بالشئون الداخلية للسودان... لكن المهدى كان على أية حال جارى... ولذا قبلت التشاور معه... لكن كل مشكلة عنده كانت مصر.. وحين نتوسط بينه وبين نميرى... يقول للبعض هى مصر حتلعب لعبة الوساطة. أنا سوف أحرجها وأطلب منها طلبات.. وفاته أنه حينما يطلب منى طلبات فوق طاقتى سوف أعتذر.. وحينما أعتذر يقول الناس إننى لا أريد أن أعطى... أى أنه يضحك على الشعب... لكن الشعوب ليست غبية... ومن هنا قلت له: أنا صريح وواضح . . . الذى أستطيعه لك سوف أفعله والذى لا أستطيعه سوف أقول لك. آسف لا أقدر بغير غضب... لكى تبحث عن طريق ثان... وإن كنت أملك مساعدة لك فيه فسوف أبادر بها لأنك شقيق... لكن الحقيقة أنه لم يكن يريد أن يحل ولا يريد أن يساعده أحد على الحل... فقط عندما يواجه الاختناق... يظهر للناس أنه يستخدم مصر للوساطة مع مانجستو.. لكنه يختلف عن مقابلته مرتين وثلاث مرات... واشتكى لى مانجستو مر الشكوى وكان محقاً فى شكواه. وكنت أقول لإخواننا السودانيين الذين يأتوننى بتكرار طلب الوساطة... هل يعقل أن يحدث اتفاق فى نوفمبر من العام الماضى ساعدنا عليه بكل طاقتنا بين

الحزب الاتحادى وجارانج، وكنا سوف نقوم بنفس الدور لو أن حزب الأمة هو الذى ذهب إلى أديس أبابا وطلب المساعدة... لأننا لا نتعامل مع حزب واحد... ونترك بقية الشعب... هل يعقل أن يعقد هذا الاتفاق فى نوفمبر.. ولا يوافق عليه مجلس الوزراء واللجان الدستورية... إلا فى أواخر مارس... خمسة شهور تمضى والقتال مستمر.. لمصلحة من هذا؟... وكم ماتوا؟... وكم استهلك القتال من نفقات؟ لو أن النية كانت صادقة وحقيقية فى الإفادة من الاتفاق لتم التوقيع عليه فى اليوم التالى له... قلت لقيادتهم : هل لأن الاتحادى عقد الاتفاق... حزب الأمة يؤخر الموافقة عليه... ولو كان الأمة هو الذى عقده يقف أمامه الاتحادى بذات الأسلوب... يا جماعة هناك بلد اسمه السودان... لكن بدا لى أن السودان فى انهيار مستمر.. انشغلوا كلية بالحديث عن الديمقراطية... والديمقراطية إن لم تكن لصالح الشعب... يكفر بها الشعب... وقد كفر بها فعلاً... وقامت الثورة... نحن لا دخل لنا بها... وقد سمعت بنبأ الانقلاب صباح يوم الجمعة مثل أى مواطن. أبعدوا قيادات... وجاءوا بقيادات... قلت خيراً... دم جديد يوقف من الانهيار الذى حدث... لكننا لا نتدخل... ولا نسهم فى أى انقلاب... كينا نساعد أية حكومة تتولى السلطة ونعتبرها إرادة الشعب... ولو سئلنا فى نصيحة نقول رأينا... يأخذ به قادة الثورة أو لا يأخذون... هذه مسألة ترجع إليهم... لأن السودان دولة مستقلة ذات سيادة لا نتدخل فى شئونها.

قلت: وتصور سيادتكم لمستقبل العلاقات مع مجلس قيادة الثورة فى السودان وقد شهد بدوركم وتحرككم السريع للوقوف بجانب السودان؟

الرئيس مبارك: حتى الآن.. **العلاقات** طيبة... وارجوا أن تتحسن. نحن نساعد السودان بقدر ما نستطيع... رغم ظروفنا الصعبة... ونحاول أن نساعدهم فى المحافل الدولية... ونساعدهم مع إخواننا العرب... وكان أغلب العرب - إن لم يكن جميعهم بالأخص فى دول الخليج - قد وصلوا إلى حالة توتر بينهم وبين السودان... وبسبب تصرفات السيد الصادق المهدى مع إيران التى يكرر زياراته لها... فضلاً عن إحضار أعداد من الإيرانيين عنده... بينما إيران تضرب فى العراق والكويت. ورغم هذا ساعدنا بقدر ما نستطيع... .

التأهب للقرن الحادى والعشرين.

مع اقتراب القرن الحادى والعشرين بكل ما يحمله من تحديات والتزامات، كان لابد من أن أجرى مع الرئيس محمد حسنى مبارك حواراً عم يتم للتأهب لدخول هذا القرن بكل تبعاته ومسئولياته، وكيف يجرى حشد الهمم والطاقات من أجل الوفاء بتطلعات وآمال المواطنين.

كذلك كان لابد أن أطرح على الرئيس أسئلة أخرى لا تقل أهمية، مثارة على صعيد الرأى العام العربى، خاصة أن المنطقة تموج من حولنا بأزمات كبيرة وتوترات عنيفة.

وقد نشر إبراهيم نافع هذا الحديث فى الأهرام يومى ١٥ و١٦ أغسطس ١٩٩٧، وكذلك فى مجلة الأهرام العربى التى تصدرها مؤسسة الأهرام.

- **سيادة الرئيس:** باق ثلاث سنوات تقريباً وندخل القرن الحادى والعشرين.. ما الذى تخطط وتعمل له سيادتكم لنصل به معكم إلى هذا القرن؟

- **الرئيس مبارك:** كل ما نقوم به هو من أجل المستقبل.. عملية الحياة مستمرة لا تقف عند عام ألفين.. نحن نقوم بتطوير أنفسنا فى الصناعة والزراعة، ونزيد صادراتنا، ونضبط ميزانيتنا، ونقلل العجز والتضخم، ونفتح الاستثمار، ونحسن إنتاجنا فى هذا النظام العالمى المفتوح.. كل هذا يجعلنا ندخل القرن الجديد بثقة كبيرة فى التقدم. التنمية ستكون قد زادت لكى نوجد وظائف أكثر.. ونحن نقوم بأقصى جهد لإيجاد وظائف. هناك من يقولون إن عندنا بطالة. نعم عندنا بطالة، ولكن ليس بالنسبة الكبيرة الموجودة فى الدول الأخرى. ونحن نقوم بأقصى ما يمكن لاستيعاب أكبر حجم من البطالة، ولكن لابد أن يغير الناس نمط حياتهم. أمريكا الدولة العظمى بها بطالة ٥٪ ، أسبانيا ٢٣٪، فرنسا ١٣٪، ورغم كل هذا فإن لدينا من يعمل بالقطاع الخاص، ويضع نفسه فى خانة البطالة لأنه يريد العمل فى الحكومة رغم أن لدينا ٥ ملايين موظف فى الحكومة. ولاحظ أن المرتبات زادت (كل سنة بنسبة ١٠٪) بأكثر من نسبة التضخم، ولا مانع لدينا من الزيادة بأكبر من هذا، وهذا يقتضى أن تزداد الموارد، نسبة الـ ١٠٪ سنوياً نعنى مليار جنيه تقريباً، وإذا أردت الزيادة إلى ٢٠٪ فمعناه ٢ مليار جنيه، من أين نأتى بهذا المبلغ.. هل نطبع أوراق البنكنوت.. هذا معناه قفزة فى أسعار السلع، ولن

يتحملها أحد.. هل نفرض ضرائب جديدة على المستثمرين ورجال الأعمال والموظفين.. أبداً لن يتحملوا.. إذن من أين الموارد؟ في عام ١٩٨٣ كانت جميع المرتبات في الدولة ألفين وخمسمائة مليون جنيه، النهارده ٢٥ مليار جنيه (الموازنة ٨٠ مليارا) أي أكثر من ربع الموازنة. ولاحظ أن عدد الموظفين في الحكومة ضخم جدا.. قلت إنه ٥ ملايين موظف مع أننا لا نحتاج لأكثر من اثنين أو ثلاثة ملايين، ويمكن أقل من هذا. هؤلاء يتقاضون مرتبات من الدولة. كما لا يمكن الاستغناء عن بعضهم، مثلما طالبت بعض الأصوات.. نحن نعمل أقصى ما في جهدنا لإيجاد الوظائف.. الاستثمارات.. توشكى وغيرها هدفها إيجاد فرص عمل..

عموماً لسنا وحدنا الذين نعاني من البطالة أو يوجد لدينا فقراء.. إن أغنى البلاد تعاني هذا.. أمريكا نفسها بها فقراء، ومرضى بلا علاج مع أنها دولة غنية.. هذه سمة في العالم كله

ومع ذلك، فإن سيادتكم تضعون البعد الاجتماعي في مقدمة أولوياتكم..

الرئيس مبارك: في كل خطوة ستجد البعد الاجتماعي.. بقدر ما أستطيع وحسب الإمكانات المتوافرة، وراعينا هذا في خطوات الإصلاح الاقتصادي.

بعد ذلك أتساءل ما هي مشكلتنا؟ إنها زيادة السكان، كنا ٤٣ مليون نسمة عندما توليت الحكم.. النهارده نحن ٦٢ مليون نسمة. الفرق ١٩ مليوناً، أي تعداد دولة في حد ذاته. نحمد الله أننا - بكل هذه الزيادة السكانية - قادرون على العيش ونجد المأكل والملبس.. لا أحد يبيت جوعان.. هل يوجد في مكان آخر بالعالم رغيف العيش بخمسة أو عشرة قروش؟

- ماذا بشأن اجتماع اللجنة العليا للتصدير؟

- **الرئيس مبارك:** سنجتمع بعد أغسطس نظراً لظروف سفر الأعضاء في الصيف. إن طوحاتنا في التصدير كبيرة جداً.. لقد قلت للجنة إنني لا أريد زيادة الصادرات باثنين أو ثلاثة مليارات جنيه، أنا أريد أن اصل بحجم الصادرات إلى رقم ضخم، هناك بلاد وصلت إلى ٨٠ مليار دولار وهي مثلنا عالم ثالث، وبعضها ٢ أو ٣٠ مليارا.. طلبت من الأعضاء أن يدرسوا كيف ارتفع بالصادرات التي هي مستقبلنا.

والحمد لله السياحة جيدة هذا الصيف.. فى شهر يوليو الماضى وحده دخل مصر حوالى ٤٥٠ ألف سائح.

- هل نستطيع القول بأن شعار دعم الصادرات مسألة حياة أو موت..؟

- الرئيس مبارك: هذا صحيح.. العالم كله يقاتل من أجل زيادة الصادرات.. هذا ما تفعله الآن أمريكا وفرنسا وإنجلترا.. وكل مجهودات حكوماتها فى هذا الاتجاه (زيادة التصدير) لكى تفتح خطوط إنتاج وتوجد وظائف. الهدف فى النهاية إيجاد وظائف، مع ملاحظة أن هذه الدول لا تحدث بها زيادة تقريباً من ناحية السكان. وعظيم جداً بالنسبة لنا أننا نقوم بكل هذه الاستثمارات فى ظل الزيادة السكانية التى تصل كل عام تقريباً إلى حوالى ٩٠٠ ألف نسمة.

٨٠٪ من الاستثمارات مصرية.

- بالنسبة للائحة التنفيذية لقانون الاستثمار. هل تتوقعون بعدها مزيداً من الاستثمارات المصرية والعربية والأجنبية؟

- الرئيس مبارك: الاستثمارات المصرية قائمة ومستمرة.. و٨٠٪ من الاستثمارات الموجودة مصرية والـ ٢٠٪ أغلبها عربى، والأجنبية محدودة، ويلاحظ أن المستثمرين العرب يزداد عددهم الآن، لأن مصر أربح لهم من أى مكان آخر للاستثمار، فى توشكى هناك أكثر من مستثمر يرغب فى العمل، وهناك مصانع مشتركة مع بعض المستثمرين العرب.

- أقصد أن هناك أكثر من شهادة دولية بنجاح مناخ الاستثار.

- الرئيس مبارك: هذه الشهادات الدولية أحد العوامل التى تشجع المستثمرين.. ولكننا نسعى إلى زيادة الاستثمار بطرق كثيرة جداً. وهدف ذلك إيجاد فرص عمل للمواطنين الذين يزدادون دائماً..

- كلمة البلطجة أو ظاهرة البلطجة التى تسىء للشارع المصرى، بجانب ظاهرة التسيب والإهمال من جانب بعض الموظفين.. هل يتم مواجهة ذلك فعلاً بتشريعات؟

- **الرئيس مبارك:** دعنى أقل لك شيئاً.. لقد لاحظت أنه عندما ظهر اثنان من البلطجية وجدت أنكم كلكم بدأتهم تكتبون فى موضوع البلطجة، وكأن البلد كله بلطجية، هناك أفراد مجرمون والبوليس يعرفهم جيداً.. وعندما قيل لى عن موضوع فى شارع الهرم كلمت رئيس الوزراء ووزير الداخلية، ومحافظ الجيزة، وقلت لهم هذا الموضوع لابد أن ينتهى. وتم هذا بالفعل، ولاحظ أن وزارة الداخلية تقوم الآن بالقبض على مثل هذه النوعية فى كل مكان، وليس فى شارع الهرم وحده.

ثم إننا سنعدل التشريعات لكى ندخل فيها أموراً معينة، لسد بعض الثغرات فى القانون التى يستغلها هؤلاء المنحرفون. هذا الأمر يجرى بحثه الآن، وسنتعامل مع هذه الظاهرة بكل حسم.

وجدنا رجل أعمال يستخدم سيارة بها "ثلاثة أو أربعة فتوت" وراه.. ما هى الحكاية.. تحمى نفسك من إيه؟! عندما تطردهم سيعملون ضدك.. هل هذه حراسة؟! لذلك أنا أطلب من رجال الأعمال البعد عن مثل هذه التصرفات الغريبة وأقول لكم منهم: ممن تحرس نفسك.. هؤلاء لن يحرسوك.. الذى يحرسك هما الدولة والقانون.

- متى نجد سياسة تعليمية مستقرة فى مصر خاصة فى التعليم الأساسى؟

- **الرئيس مبارك:** تطوير التعليم ليس مسألة سهلة، لأن البعض فى شعبنا يقف فى وجه أى تطور إذا وجده ليس فى مصلحته الخاصة.. خذ مثلاً الثانوية العامة بنظامها الجديد.. لقد قامت "ضجة" كبيرة ضدها مع أنها تخفف الضغط على الطلاب وأسرهم.

وزير التعليم الدكتور بهاء الدين وضع سياسة تعليمية للمراحل المختلفة ويمضى فى تنفيذها بالتدريج. يقوم بتحديث التعليم وتطوير المناهج، وإدخال الكمبيوتر فى المدارس، إلى جانب أن هناك تطوراً فى نظام "الفترات".

- لاحظنا أن بعض الاتجاهات الحزبية تحاول افتعال أزمة بالنسبة لقانون العلاقة بين المالك والمستأجر فى الأراضى الزراعية..

- **الرئيس مبارك:** هذا القانون أنتم تعرفون جيداً.. أنه ظل ٥ سنوات - قبل أن يدخل مجلس الشعب مفتوحاً لكل الآراء، وجمعوا كل الاتجاهات وبلوروها. والذين لم

يوافقوا عليه فى المجلس، هم ضمنا موافقون نفسياً، ولكنهم يعملون "حساباً" للزراع الذين يستأجرون منهم الأرض لكى يضمنوا أصواتهم الانتخابية، وأما القانون فقد تم بحثه بشكل مستفيض، وأعطى فرصة ٥ سنوات للتطبيق، ولم يعترض أحد.. وعندما جئنا للتنفيذ، كل القوى التى تريد الإثارة والتهييج وجدتها فرصة للتحرك. أنا أرى أن القانون يتسم بالعدالة الكاملة، كما أن الحكومة أكدت أن من سيترك أرضه ستدبر له بديلاً فى أراضى الإصلاح أو غيرها، فماذا يريدون أكثر من هذا، هذا مع ملاحظة أنه حدث توفيق بين الملاك والمستأجرين فى حوالى ٩٠٪ من الأماكن. وبعد ذلك نرى أن بعض العناصر من حزب العمل يقومون بإثارة الناس.. على غير أساس. إذا كنت حريصاً على مصلحة الوطن، فليس هذا هو الأسلوب، إن محاولة التأليب والإثارة سيدفع ثمنها الشعب.

الموقف من بناء الكنائس.

- هل تنوى الحكومة اتخاذ خطوات تشريعية لتعديل القوانين المتعلقة ببناء الكنائس لإزالة أسباب الشكوى التى استغلها البعض فى الخارج باتهام الإدارة المصرية بسوء معاملة الأقباط؟

- الرئيس مبارك: أولاً نحن لا نعامل الأقباط معاملة بمثل هذه الادعاءات والافتراءات التى يتهموننا بها، هذا كله تشنيع، وعدم فهم.. والبابا شنودة يتكلم بصراحة ويرد عليهم. ثم إن هناك بعض أمور قد استقرت منذ فترة طويلة مثل القيام ببعض الإصلاحات أو التعديلات فى الكنائس نحن نسمح بها. وبالنسبة لهذا الموضوع عموماً أريد تأكيد أن الأمور الخاصة بالنسبة لبناء كنيسة واضحة جداً، وهى ضرورة من أجل مراعاة ألا يصطدم بعض المتشنجين بعضهم ببعض.. ولم يحدث أن رد طلب بناء كنيسة، ولم نوافق عليه. هذا كله من أجل عملية "التأمين"، وليس من أجل السيطرة على الأقباط. لقد أعطيت أذونا ببناء كنائس جديدة أكثر من الأذون التى حصلوا عليها أيام السادات وعبدالناصر بكثير، ولم تحدث مشكلة لأننا نتفاهم. أنا فى الواقع لا أرى مشكلة بين المسلمين والأقباط فى مصر. وإذا كانت هناك مشكلة فهى بين متشددين من الطرفين، وأما الغالبية العظمى فالعلاقات بينها طيبة جداً.. أنا طول عمرى لى أصدقاء مسيحيون.. آخر رئيس تدريب للقوات الجوية كان مسيحياً وفى منتهى

الكفاءة.. أنا شخصياً لا أفاضل بين مسيحى ومسلم، المعيار عندى هو الكفاءة لأنه مصرى.. مسلماً كان أو مسيحيا، فالكل أبناء وطن واحد، لا فرق بين مسيحى ومسلم. والذى يزايد يكون صاحب غرض أو مطمع أو هوى!!

- هل هناك عقبات حقا بالنسبة للخصخصة فى شركات قطاع الأعمال العام؟

- الرئيس مبارك: ليس هناك عقبات. لا نريد أن نرمى بعض الشركات بأنها خاسرة ويدخل البعض ليشتريها بثمن رخيص.. ما يجرى هو تقويم دقيق وليس عقبات. ما زالت لدينا بعض شركات قطاع الأعمال لم تتم خصخصتها.. هل إنجلترا أو فرنسا خصخصت كل شىء.. أبداً.. لدينا قطاعات أساسية لا نستطيع خصخصتها.

وليست القضية فى صيغة البيع، وإنما نحن نهتم أولاً بأن تكون هناك الأموال مقابل البيع، فإذا كان على الشركة ديون نقوم بالتسديد للبنوك، ثم نستخدم ما يتبقى من ذلك، لأن شركات القطاع العام تخسر كثيراً، وعليها مديونية كبيرة للبنوك.. وكمثال فترسانة الإسكندرية عليها ديون حوالى ٩٠٠ أو ألف مليون جنيه، ثم يتساءلون أين سنذهب بالأموال، لو قمنا ببيعها الآن فلن تفى بثمنها ولا بالديون المستحقة عليها.

- بالنسبة لقضية الإسكان، وتوفير المسكن المناسب للشباب.. هل ستستمر هذه العملية، وأيضاً هل هناك جديد فى مسألة العلاقة بين المالك والمستأجر فى المبانى السكنية؟

- الرئيس مبارك: فيما يتعلق بإسكان الشباب، أؤكد أنه سيستمر. وأما قضية المالك والمستأجر فستأخذ وقتها لأنها تمس فئة كبيرة من المجتمع التى هى فى مستوى دخل أقل من المتوسط، والمالك يتحدث عن ظلم.. هذه قضية - مثل قضية الأراضى - لابد أن تأخذ حقها من الدراسة الكاملة حتى لا نصدر القانون ونكتشف أن به مشكلات، وهى متروكة للرأى العام للنقاش، حتى تتم بلورتها بدقة. أنا لست من أنصار الدخول بقانون فى قضية تمس قطاعاً كبيراً من الناس "لأضيرهم"، أنا مهمتى أن أساعد الناس..

وأعود لقضية الشباب، وأقول إننا نقوم بالبناء.. ولا تنس أننا فى الـ ١٥ عاماً الماضية بنينا أكثر من ٣ ملايين مسكن مع ملاحظة الزيادة فى عدد السكان.

- ماذا يرى الرئيس فى المسئولية الملقاة على وزارة التنمية الريفية؟

- **الرئيس مبارك:** عندنا حوالى ٤ آلاف قرية.. ولذلك فإن التنمية الريفية والأسر المنتجة يجب أن نعطيها اهتماماً كبيراً جداً. هذه الوزارة أنشئت فى إطار الاهتمام بالريف. أريد التركيز على تطويره بأقصى طاقة ممكنة.

- هل توافقون سيادتكم على تطبيق قانون الطوارئ على الفئات المنفلتة؟

- **الرئيس مبارك :** أى شىء يمثل خطورة على المجتمع لا أتورع فى استخدام هذا القانون ضده.. أنا عادة أترك الأمور للقانون العادى، ولكن الأمور الاضطرارية التى تهدد أمن المجتمع لا يمكن أن أتركها.. اتخذ معها جميع الإجراءات.

- هل ترى سيادتكم اتخاذ تكليفات جديدة للحكومة والمحافظين حتى يتحقق التعاون المطلوب لخدمة جماهير الشعب؟

- **الرئيس مبارك:** الحكومة تمضى فى عملها ومهامها بسرعة.. وأنا بالطبع أنشد التحسن.. والمحافظون يعملون بالفعل على إزالة العقبات. وما أؤكده بالنسبة لهم أن المحافظ لابد أن ينزل إلى الشارع، وأن يستمع لشكاوى مواطنيه. قد يكون بعضها مراً، ولكن لابد عليه أن يشرح للمواطن الموقف. قد يحتاج التنفيذ لوقت طويل، ولكن لابد من وضع المواطن فى الصورة، وألا "نضحك عليه".. نحن جميعا نعمل من أجل الشعب من رئيس الجمهورية لأصغر واحد.. المحافظ له دور شعبى، لابد أن يمر على المواطنين، ويسأل عن احتياجاتهم. قد لا يمكننا تلبية كل المطالب، ولكن نسعى بأقصى ما نستطيع أن نوفر الاحتياجات الضرورية للمواطنين... فقط عليهم تقليل الزيادة السكانية.

ضرورة الإعداد لأى قمة.

- ما هى الترتيبات اللازمة التى يجب أن تسبق عقد قمة مصغرة لتحريك عملية السلام تضم مثلاً نيتانياهو رئيس وزراء إسرائيل، والرئيس الفلسطينى ياسر عرفات، بحضور سيادتكم، والملك حسين ملك الأردن؟

- **الرئيس مبارك:** لم يتقرر بعد أى شىء فى هذا الموضوع.. والذى تحدثت عنه الصحف ليس له أساس.. ولكن إذا كانت هناك فكرة لاجتماع فلابد أن يتم الإعداد له جيداً، وإلا فإنه سينعقد دون أن تكون له نتيجة، وفى هذه الحالة سيكون العائد سلبياً،

وسيؤدى إلى زيادة الإحباط. فلابد إذن أن نتفق مسبقا على الهدف المرجو من الاجتماع، وأن نتأكد من أنه ستكون له نتائج إيجابية، لأن الرأى العام العربى والعالمى سيكون فى انتظاره، وسيتوقع أن يصدر عنه شىء له وزنه وتأثيره، وعندما لا يسفر عن نتائج، فإن ذلك سيؤدى إلى إحباط شديد للجميع، وسيزداد النقد للإقدام على تكرار خطوة كهذه مستقبلاً.

- **سيادتكم رفضتم اجتماع واشنطن...**

- **الرئيس مبارك:** الحقيقة لم تكن حكاية رفض.. لقد تحدثت مع الرئيس الأمريكى فى الموضوع، وقلت له لن تخرجوا بنتيجة، إلا أن الإدارة الأمريكية كان لديها إصرار، وكانت متوقعة أن نيتانياهو من الممكن أن يفعل أو يقدم شيئا.. من جانبهم اعتبروا أنهم قد نجحوا من حيث إقناع عرفات ونيتانياهو بالاجتماع أوالجلوس معاً، ولكننا كنا نتوقع أن يخرج الاجتماع بنتائج تختلف عن هذا.

- **تواصل إسرائيل الآن اتخاذ إجراءات أمنية مشددة تشمل فرض عقوبات جماعية على الشعب الفلسطينى. ألا يمكن أن تؤدى هذه السياسات إلى حدوث أعمال عنف أخرى فى إسرائيل تؤدى بدورها إلى تصعيد الموقف الإسرائيلى؟**

ثم إلى متى نمضى فى هذه الحلقة المفرغة حتى نصل إلى عملية السلام؟

- **الرئيس مبارك:** بالنسبة لهذا الحصار، أبلغت وزير خارجية إسرائيل بأننى أخشى من أن يكون استمرار الحصار عقاباً للشعب الفلسطينى كله. وعقاب الشعب ومنع الأدوية عنه من أخطر ما يمكن، لأن الشعب عندما يجوع سيكون فى وضع خطير للغاية.. وثورة الجياع رهيبة جداً ولا يستطيع أحد وقفها.. فما بالك بشعب هو بلا دواء أو طعام.. وأؤكد أنه يُخشى من استمرار هذه العملية إذ أنه من الممكن أن يؤدى إلى عنف أكثر من ذى قبل، ولن يوقف الإرهاب. وأكرر ما سبق أن قلته: الذى يوقف الإرهاب والعنف هو التقدم فى عملية السلام.. انظر مثلاً فى عهد رابين كانت تقع أحداث من هذا النوع فيقول الإسرائيليون: سوف نستمر فى عملية السلام.. ولكن الأمر اليوم يختلف تماماً، ومن جانبى اتساءل: ما هى الحكمة فى إيقاف عملية السلام؟ وما يخشى منه المرء فعلاً.. أن العنف لن يقف عند جزء بعينه فى المنطقة، وإنما سيشملها كلها ويمتد إلى كل من يتعاملون مع عملية السلام.

- الخطورة ليست فى الطعام والدواء فقط بل فى الاقتصاد أيضاً..

- **الرئيس مبارك:** نعم.. فى التجارة ومنع انتقال العمال وتشريد من لهم أعمال أو تجارة.. هذا معناه أن حركة الحياة ستقف كلها، وإذا وقفت بهذا الشكل وطالت المدة.. فهنا مكمن الخطورة.. هذا ما أوضحته جيداً لوزير الخارجية الإسرائيلى. وأعتقد أنهم تفهموا الوضع الآن ولذلك بدأوا فى فتح المنافذ "رفح وجسر الملك حسين..."، ويمضون فى إلغاء هذه الأوضاع بالتدرج.

- سيادتكم أبديتم مخاوفكم من محاولة إضعاف عرفات.. ما هى المخاوف التى يمكن أن تنجم عن ذلك؟

- **الرئيس مبارك:** عرفات يلفت حوله كل الفلسطينيين، ويثقون فيه. لو ذهب عرفات، فستندلع مشكلات رهيبة بين المنظمات الفلسطينية وهى منظمات كثيرة. لن يكون هناك "زعيم" كبير يستطيع كل الفلسطينيين الالتفاف حوله. أنت تسمع اليوم مثلاً أن هناك منظمات فلسطينية تقول لا تفاوض مع إسرائيل، وبالمقابل هناك منظمات أخرى تريد التفاوض مع إسرائيل، عندئذ من الذى ستكون له الغلبة.. سنجد أنفسنا أمام حالة فوضى، والفوضى مثل العنف تماماً.. ستضرب عملية السلام فى مقتل.

- نيتانياهو دائماً يتكلم عن الخطوات التى يجب أن يتخذها عرفات، ولكنه لا يتحدث أبداً عما يجب أن تقوم به إسرائيل لإعادة الثقة فى عملية السلام.. هل يعتبر هذا موقفاً متوازناً؟

- **الرئيس مبارك:** لا.. هذا ليس موقفاً متوازنا. إذا كان نيتانياهو يقول لعرفات عليك أن تفعل كذا وكذا، فهو أيضاً عليه أن ينفذ التزاماته. إن لم ينفذ نيتانياهو التزاماته فلن يكون هناك توازن على الإطلاق.

لقد أثارت مسألة "جبل أبو غنيم" ضجة، وعلى الرغم من ذلك فقد عادوا ليقولوا إنهم سيبنون فى "رأس العامود".ز هذا كله تحد للرأى العام.

- ما هى وجهة نظر أمريكا التى جعلتها تحجم عن القيام بدور فعال فى الفترة الماضية؟

- الرئيس مبارك: شوف.. الإدارة الأمريكية تقول: أنا لا أضغط على أحد، ولكن من جهة أخرى هى ترى الموقف واضحا، حيث لن ينفذ نبتانباهو التزاماته، وهناك اتهامات متبادلة بين الجانبين : الفلسطينى والإسرائيلى.. أمريكا لا تريد أن تضغط لأنها تواجه ظروفا داخلها.. هناك الكونجرس الذى لا أدرى ما إذا كانت المعلومات التى لديه صحيحة ودقيقة أم لا؟ ومن هو مصدر هذه المعلومات ومدى صحتها؟.. الجميع يضغطون على عرفات، ولكن الضغط على جانب واحد لن يحل المشكلة.

ولكننى أتصور أن الخطاب الذى ألقته مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية كان إيجابياً، وكذلك كلام الرئيس كلينتون كان إيجابيا.. وأعتقد أن الرئيس كلينتون من الأطراف التى تريد إيجاد حل فعلاً، وعندما قابلته هنا كانت لديه آمال كبيرة للحل.. وحل عادل.. إلا أن ظروفاً وأحداثاً كثيرة وقعت عقدت الأمور.. ولكننى أعتقد أن خطاب أولبرايت جيد للغاية، وهناك أنباء عن أنها ستأتى للمنطقة فى أواخر هذا الشهر، أو أوائل الشهر القادم بعد أن تكون الصورة قد اكتملت أمام الإدارة الأمريكية، حتى توفق بين الطرفين الفلسطينى والإسرائيلى لكى تمضى علمية السلام.

التنسيق الأمنى ليس كل شىء.

- جهود المنسق الأمريكى دنيس روس منصبة على التنسيق الأمنى و"مكافحة الإرهاب".. فهل هذا يجعل الفلسطينيين يوافقون على اللقاء مع الإسرائيليين؟

- الرئيس مبارك: لا أعرف رأى الفلسطينيين.. ولكن أرى أن التنسيق الأمنى ليس هو كل شىء.. هو فقط من أجل العمل بقدر الإمكان لتفادى عمليات العنف..

- ولكن الضغط الأمريكى على الفلسطينيين - خاصة ضغط الكونجرس - يضعف فى الواقع دور الإدارة الأمريكية فى عملية السلام بالمنطقة.

- الرئيس مبارك: فى أمريكا.. هناك - كما قلت - ظروف معينة تتعلق بالضغط الأمريكى على الفلسطينيين، وأنا لا أتفق معهم فى هذا الموضوع.. من جهتى أفضل دائماً أن أكون "عادلاً" فى هذا الأمر.. الإدارة الأمريكية تضغط على الفلسطينيين فقط، بينما يتعين عليها فى الوقت نفسه اتخاذ موقف مماثل مع الإسرائيليين.. واتساءل: ما هو الهدف من الضغط على الفلسطينيين وليفعلوا ماذا؟.. وما هو المطلوب تنفيذه؟.. المنطق يقول إذا كان الطرف للآخر ينفذ تعهداته فهم - أى الفلسطينيون .

سينفذون تعهداتهم. نحن أمام موقف حرج: الطرف الإسرائيلى لا ينفذ ومطلوب من الفلسطينيين أن ينفذوا.. هذا موقف غير عادل.

- هل هناك أمل فى تغيير موقف حكومة نيتانياهو من قضية الجولان ومفاوضات السلام مع سوريا؟

- **الرئيس مبارك:** أنا لا أفهم الكلام الذى يصدر من إسرائيل.. مرة يقولون إنه ليس لديهم مانع.. وبعدها بيومين أو ثلاثة يقولون إن الجولان إسرائيلية.. إن سوريا لن تقبل أن تبدأ علمية السلام إلا إذا فهمت فى النهاية • بطريق مباشر أو غير مباشر أن المفاوضات لابد وأن تنتهى بعودة الأرض.. لن تتنازل سوريا عن شبر من الجولان، ولا يملك الأسد أو أى أحد أن يقبل التنازل عن شبر من أرضه.

- مرة أخرى، سيادة الرئيس، هل هناك حاجة إلى عقد قمة عربية فى ضوء المستجدات التى طرأت؟

- **الرئيس مبارك:** فى الوقت الحالى.. العقيد القذافى كان قد ذكر لى - عندما كنت فى زيارته - أن الرؤساء العرب وافقوا له على عقد قمة، وكان سؤالى له: هل أنت متأكد؟.. فكان رده : أنه متأكد، فقلت له: بناء على ما توافر لديك من موافقات سنبعث للرؤساء بهذا المعنى، وإننا نطلب الاتفاق على موعد للقمة. وفعلاً تم ذلك، وكانت ردودهم أنهم موافقون على القمة من حيث المبدأ، ولكن يجب أن توضحوا لنا أجندة القمة، العقيد القذافى لم يعجبه مطلب تحديد جدول الأعمال، ويرى أن هذا معناه عدم الحضور للقمة، وفى الواقع القذافى لم يعجبه مطلب تحديد جدول الأعمال، ويرى أن هذا معناه عدم الحضور للقمة، وفى الواقع إننى كنت متوقعاً هذا من أول الأمر، لأن القمة يجب أن يكون لها تحضير مسبق، وإلا فلن تحقق النتائج التى نسعى إليها، وهذا ما يقوله إخواننا العرب، وأنا أوافقهم عليه. وهذا ليس وقت إثارة الخلافات بين بعضنا بعضا.

الموقف من قمة الدوحة.

- هل حددت مصر موقفها من قمة الدوحة؟

- **الرئيس مبارك:** ما زلنا ندرس الموضوع على ضوء الموقف بالمنطقة قبل هذه القمة.. نحن فى شهر أغسطس وباق وقت طويل.. حتى نوفمبر.

- يميل الموقف مع السودان إلى الهدوء فى الفترة الأخيرة.. ما هى آخر التطورات التى شهدتها العلاقات المصرية - السودانية؟

- **الرئيس مبارك:** لا جديد.. نحن لا نفتعل أية مشكلة مع السودان.. هم الذين بدأوا.. أغلقوا المدارس، وطردوا الموظفين، وأخذوا مبانينا وأغلقوا فرع جامعة الخرطوم الذى كنا نقوم بالإنفاق عليه من الألف إلى الياء.. علاوة على إيواء الإرهابيين.. ما الذى جنوه من هذا الموقف؟.. إنهم يعانون من التدهور.. وماداموا على هذا الخط فستزداد حالتهم سوء، وللأسف فإن من يدفع الثمن هو المواطن السودانى. وأنا فكرتى الراسخة عن الشعب السودانى أنه شعب طيب لا يعرف العنف أو الإرهاب.. ولذلك ذهلت لهذه الظاهرة الجديدة التى أوجدها الترابى وأعوانه. الشعب السودانى شعب طيب نثق فيه، ولكنى أعود وأقول إن الغالبية العظمى من الشعب مغلوبة على أمرها.

- وهل هناك أمل فى حدوث انفراج فى العلاقات المصرية - السودانية؟

- **الرئيس مبارك:** هذا يتوقف على النظام السودانى وليس علينا.. نحن طول عمرنا علاقاتنا بالسودان جيدة جداً، وحدودنا مفتوحة لهم.. وعندما جاء الترابى "لخبط العلاقات كلها" ليس معنا فقط، ولكن مع إريتريا ومع أثيوبيا وأوغندا وغيرها.. قطع الخيوط حتى مع العقيد القذافى.. لا تصدق أن العقيد يثق فيه..

- ما هو المطلب الأساسى لعودة علاقات طبيعية؟

- **الرئيس مبارك:** يلتزمون بالطلبات التى قدمناها لهم.. يقومون بتسليم الإرهابيين الذين لديهم، ووقف أن تكون بلادهم مرتعاً للإرهاب. هذا هو الأساس الذى بناء عليه ننظر فى الموضوع.. وكذلك أن يعيدوا كل ما أخذوه..

فى مصر لدينا ما بين ٤ إلى ٥ ملايين سودانى.. لهم رابطة كبيرة جداً.. وهم موجودون فى الساحل الشمالى.. ووجدتهم فى العريش.. كلهم يعملون..

- سيادتكم استقبلتم المهدى والميرغنى أخيراً.؟

- **الرئيس مبارك** : أستمع لهما فقط..

- ولكن هل جد جديد؟

- **الرئيس مبارك** : لا.. لا.. أنا أستمع فقط لأنه مضى وقت لم أرهما فيه.

وبالنسبة للبشير والترابى لا جديد أيضاً.. الترابى اعتقل ابن الصادق المهدى، ووالده قال لى إنهم اعتدوا عليه بالضرب، وجاء ليحكى لى الموقف.. فقط أنا أستمع لهما.. هو والميرغنى.. لقد وصفا لى موقفهما الراهن ونشاط التجمع الذى يربطهما وأنا أستمع ولا أحرض أحدا على الآخر.

- فى رأى سيادتكم.. إلى أى مدى سيستمر الحصار المفروض على ليبيا وشعبها؟.. هل هناك محاولات مصرية لفك هذا الحصار؟

- الرئيس مبارك: هذا الموضوع حيرنا كثيراً.. وعندما نتحدث فيه تقول بعض الأوساط فى أمريكا إن مصر تدافع عن ليبيا.. عليهم أن يقدروا أن ليبيا جار عربى، وأن لنا نصف مليون مصرى يعملون هناك (بعائلاتهم يصبحون ٣ ملايين مواطن) فلا تطلب منى المستحيل.. وكثيراً ما أوضحت أننا لن نخالف القرارات الصادرة عن مجلس الأمن على وجه الإطلاق، شأن باقى الدول، كما أننى لا أستطيع الضغط على ليبيا بأن تسلم أفراداً لأن الليبيين لهم اعتباراتهم الداخلية.

الجديد بشأن السوق العربية المشتركة.

- فكرة السوق العربية المشتركة.. ماذا يجرى بشأنها؟

- الرئيس مبارك: أولاً هناك دراسات تجرى فى الجامعة العربية، وهناك بعض الاقتراحات من مجموعة الدول الثمانى التى ستجتمع فى سبتمبر المقبل.. ومن جانبنا نعمل على إقامة مناطق حرة بيننا وبين الدول الأخرى، ستهيئ لإقامة السوق كنواة، فليس من الضرورى أن تدخل كل الدول العربية السوق، وإنما نشكل نواة تتسع فى المستقبل.

وبالنسبة لدول مجلس التعاون الخليجى، فإنها خطت خطوتين فى طريق إقامة سوق بينها وسنرى ما فعلته لكى ننضم إليها.

- السعودية تبارك هذه العملية..

- الرئيس مبارك: إنها لم تعترض.. وعموماً علاقاتنا بكل دول الخليج العربية ممتازة.

هل سيزور الشيخ زايد رئيس دولة الإمارات مصر قريباً؟

- الرئيس مبارك : نعم.. سيصل فى أواخر أغسطس أو أوائل سبتمبر.. هو فى إنجلترا، وأعتقد أنه سيزور أمريكا لإجراء فحوصات طبية ثم يزور مصر فى طريق عودته إلى بلاده..

- وبالنسبة للاتصالات بين مصر والسعودية؟

- **الرئيس مبارك:** علاقاتنا بالسعودية لا غبار عليها إطلاقاً. ليست هناك أية مشكلة بيننا وبين السعودية.. هناك بعض الأوساط تحاول افتعال مشكلة، ولكن هذا كلام فارغ لا أساس له.. فعلاقاتنا بالسعودية وبقية دول الخليج العربية علاقات ثابتة وراسخة وغير قابلة للابتزاز.

- ما زالت قضية تحالف تركيا مع إسرائيل تشغل الرأى العام العربي.. ما الذى ستقولونه لديميريل عندما يزور مصر فى الشهر القادم؟

- **الرئيس مبارك:** نحن لا نعترض على قيام علاقة بين تركيا وإسرائيل، ولكن نحن ضد أى أحلاف.. الشكل كما هو معروف أن هناك تركيا وإسرائيل وبينهما سوريا.. ولأن العالم العربى متعاطف مع سوريا فإنه يشعر بأن ما يجرى موجه ضدها.

كانوا سيقومون بمناورة مشتركة، وقلت لهم إذا تمت المناورة بالإضافة إلى دخولكم أراضى العراق فهذا معناه أن المقصود طرف ما فى العالم العربي.. أظن أن المناورة تأجلت حتى نلتقى مع الرئيس ديميريل.

- هل ستناقشون كل هذه القضايا معه؟

- **الرئيس مبارك:** طبعاً.. ونحن حريصون على علاقاتنا بتركيا ونتناقش كأصدقاء من منطلق أننا نسعى إلى استقرار المنطقة وإقامة علاقات طيبة..

- بعد تولى الرئيس الإيرانى الجديد، محمد خاتمى، السلطة فى طهران.. هل ستشهد الفترة القادمة تقدماً فى العلاقات المصرية ـ الإيرانية؟

- **الرئيس مبارك :** لا أستطيع أن أقول لك شيئاً الآن.. الرئيس الإيرانى الجديد تولى السلطة منذ فترة قصيرة جداً، ولا أستطيع القطع بأى موقف.

- أقصد التساؤل عن الموقف الإيرانى تجاه العرب... إلخ؟

- **الرئيس مبارك:** ليس هذا فقط، هناك قضايا كثيرة تجعلنا نتريث لنى التغير فى التوجهات الجديدة.. إنهم حتى الآن عندهم شارع باسم "خالد الاسلامبولى".. لقد قلت لولاياتى - عندما زار مصر - تتحدثون عما تسمونه بدولة كامب ديفيد.. وأنتم الذين نصحتم السادات بأن يقوم بالمبادرة ويذهب إلى إسرائيل.. وكان رده: لن نكن نحن.. فكان قولى : وهل كنا نعرف من الذى سيأتى إلى السلطة عندكم أم من يبقى؟

- فى العلاقات الأمريكية - المصرية هناك فى الواقع تساؤلات وقضايا عديدة.. لقد لوحظ على سبيل المثال فى الفترة الأخيرة أن هناك عناصر داخل الكونجرس تعتبر معادية تعمل ضد العرب ومصر، وامتدت موجة العداء إلى التدخل فى أدق الشئون الداخلية لمصر، ومحاولة فرض نوع من الوصاية على الحرية الدينية، وحقوق الأقباط وما إلى ذلك.. ماذا وراء كل هذا؟ وما الذى يمكن عمله لمواجهة هذا الموقف العدائى؟

- الرئيس مبارك: شوف... على قدر علمى أن هناك أشخاصاً داخل الكونجرس يهاجموننا لأسباب نعرفها جيداً، ومع أن العضو الذى طرح اقتراح تخفيض المعونة يتفهم الأوضاع جيداً، لذلك عاد وأعلن أنه يسحب الاقتراح.. على الرغم من هؤلاء، فإن لدينا أصدقاء كثيرين جداً يعلمون الحقيقة تماماً، وهذا هو ما أفشل كل المحاولات.. ونحن نعلم طبعاً أن هذه المحاولات لها أسباب سياسية داخلية عندهم لا أود التطرق إليها، وفى الوقت نفسه نحن حريصون على العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، وعلاقاتنا معها متينة للغاية رغم كل هذه المهاترات التى نعلم أسبابها، ولذلك لا نرد عليها.. أصدقاؤنا هناك هم الذين يردون عليهم.. كما أن الإدارة الأمريكية كان موقفها إيجابياً.. قالوا إن مصر لا تلبى عملية السلام فردوا عليهم بأن مصر هى التى صنعت السلام.. نحن أول من بدأ عملية السلام، وتحملنا الصعاب من أجلها.. ليس من الكياسة القول إن مصر ابتعدت عن عملية السلام.

- اسمحوا لى أن أتساءل مرة أخرى.. هل هناك فتور فى هذه العلاقات؟

- الرئيس مبارك: لا.. لا.. هناك بعض الأوساط فى أمريكا • لأنها تحب الدفاع عن إسرائيل واليهود - تقوم بافتعال مثل هذه الأمور، ولكن علاقاتنا جيدة.

- وإذا كنت تريد الكلام عن المعونة، فقد قلت لهم مراراً إننى لا أتوقع استمرار هذه المعونة إلى الأبد، بل يمكن أن تنخفض فى أى وقت، ولن تكون المعونة مصدر ضغط علينا فى قرارنا إطلاقاً، لم تكن كذلك.. وأن تكون سبب ضغط.. فالعلاقات بين البلدين تقوم على مصالح مشتركة.

شكراً سيادة الرئيس.



الفصل السادس



التحقيق الصحفي

نقرأ فى معاجم العربية فى مادة (ح ق ق) :

"قال أبوزيد : حقّ الله الأمر حقًا : أثبته وأوجبه. وحق الأمرُ بنفسه حقًا وحُقوقاً. وقال الكسائى : حقّقتُ ظنّه، مثل حقّقته. وأنشد :

فبذلت مالك لى وجُدْت به
وحقّقت ظنىَّ ثم لم تخب

وحقّقتُ الأمر وأحققْتُه: كنتُ على يقين منه

وحقّقْتُ الخبر فأنا أحُقُّه: وقفتُ على حقيقته

ويقول الرّجل لأصحابه إذا بلغهم خبر فلم يستيقنوه: أنا أحقّ لكم هذا الخبر، أى أعلمه لكم وأعرف حقيقته. فإن قلت : فما وجه قولهم: أنت حقيقٌ بأن تفعل، وأنت محقوقٌ به، وإنّكِ لمحقوقةٌ بأن تفعلى، وحقيقةٌ به، وحققْتَ بأن تفعل، وحُقّ لك أن تفعل؛ قلت: أما حقيقٌ، فهو من حقق فى التقدير، كما قال سيبويه فى فقير : إنّه من فَقّر مقدّرا، وفى شديد من شدُد، ونظيرهُ خليقٌ وجديرٌ من خلُق بكذا وجدُر به؛ ولا يكون فعيلا بمعنى مفعول؛ وهو محقوقٌ لقولهم : أنتِ حقيقةٌ بكذا، وهذه امرأةٌ حقيقةٌ بالحضانة. وأما حققْت بأن تفعل، وأنت محقوقٌ به، فبمعنى جُعلتَ حقيقاً به وهو من باب فعلتُهُ ففَعُل. ويجوز أن يكون من حقّقْتَ الخبرَ أى عُرِّفت بذلك. وتحقّق منك أن تفعله أن تفعله لشهادة أحوالك به. وهذا قول حقّ. والله هو الحقّ. وأحقّ الرّجلُ : إذا قال حقًّا وادّعاه، وهو مُحِقٌّ غير مُبطل. وأحقّ اللّهُ الحقّ: أظهره وأثبته ﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾. وحقّق قوله وتحقّقْتُ الأمر، وعرفتُ حقيقته؛ ووقفتُ على حقائق الأمور.

وثوبٌ مُحقّق النسج: مُحكمُه، وكلامٌ مُحقّق: مُحكم النّظم. وفلانٌ حامى الحقيقة، وهو من حُماة الحقائق؛ أى يحمى ما لزمه الدفاع عنه من أهل بيته. قال لبيد:

أتيتُ أبا هندٍ ومالكاً
بأسماءَ أنّى من حُماةِ الحقائق

وهكذا تظهرنا الدلالة اللغوية لكلمة "التحقيق"، على أنها تسعى إلى "اليقين" من الأمور؛ وإلى الوقوف على حقيقة الخبر؛ وهى الدلالة التى تشير إلى أن تعريب المصطلح Reportage بفن "التحقيق الصحفى"؛ تعريبٌ يعود بهذا الفن إلى وظيفته الجوهرية؛

فى لغتنا العربية؛ وفى اللغات الأوربية؛ التى تستخدم هذا المصطلح للدلالة على الفن التحريرى الذى: "**يتناول خبراً أو قضية أو فكرة بنوع من الشرح والتحرير والتفضيل وسرد البيانات والمعلومات والآراء ووجهات النظر المختلفة للوصول إلى قرار أو حل أو رأى فى القضية أو الموضوع المطروح.** وهكذا يغدو "**التحقيق الصحفى**"؛ فنًا من فنون الوصول إلى الحقائق حول موضوع من الموضوعات، وعرض هذه الحقائق على القارئ بالكلمة والصورة"[1] ويعود مصطلح التحقيق أيضاً إلى مصطلح أساسى فى التحرير؛ ونعنى به مصطلح "**التقرير الصحفى**"؛ الذى يشير إلى وصف الأحداث الجارية بالتفصيل، وتطوراتها، ونتائجها وملابساتها حتى يتضح على ضوء المضمون والوقت والفراغ (تقريباً). وفى عمله هذا، يستفيد التقرير الصحفى من مختلف مناهج تقديم المعلومات (مثل الرد التقريرى والوصف).

ويتشابه التقرير الصحفى مع الفقرة الأخبارية وظيفياً، بينما يقترب من التحقيق الصحفى (الريبورتاج) من ناحية المضمون والمنهج. فالوظيفة الأساسية للتقرير الصحفى هى نقل الأحداث شديدة الأهمية والحيوية أو النموذجية بطريقة كاملة نسبياً، وكذلك العمليات الاجتماعية الكبرى وهكذا:

"ولا يقدم التقرير الصحفى نتيجة الحادثة فقط"، وإنما يعطى تفاصيل الظروف الزمنية المؤدية إليها (فهو لا ينقل مثلاً نتيجة مؤتمر فحسب، وإنما تطوراته أيضاً). ووجود عدد كبير من فقرات المعلومات الفردية (التفاصيل) التى يربطها جانب مركزى واحد (فكرة أساسية) يمكن المتلقى من تقييم أى حادثة فى سياقها على نحو صحيح.

إن أصالة التقرير الصحفى، وكذلك طريقته التوثيقية الأصلية فى التقديم عنصر جوهرى من عناصر فاعليته. وباعتبار الكاتب وكيلاً نائباً للمتلقى، فهو يقوم بوظيفة المراقب وشاهد العيان لاى حادثة (كالحادثة الرياضية أو المؤتمر).

وهناك نوعان أساسيان من التقرير: **التقرير المتصل بالموضوع**، والتقرير **المتصل بالتجربة** (اعلان الحقائق، ونقل التجارب، على التوالى)، ويركز اعلان الحقائق على الوقائع دون اهتمام خاص بموقف كاتب التقرير. فالمهم هو الواقعة نفسها، وليس

(١) د. كرم شلبى : معجم المصطلحات الإعلامية؛ ص ٨٢٥.

التجربة التى تعكسها للكاتب. وتبعاً لذلك فإن الكاتب يجمع ويختار ويرتب التفاصيل. وهكذا يعبر عن وجهة نظره فى الواقعة. ومن السمات الأخرى للتقرير المتعلق بالموضوع اهتمامه بتفصيل الحادثة. وفى تقرير التجارب، لا يعبر الكاتب عن الموضوع فحسب، وإنما عن وجهة نظره الشخصية وموقفه، فهو يتطلع إلى أن ينقل إلى المتلقى مباشرة مدركات وانطباعات معينة خبرها بنفسه. ويتحقق هذا عن طريق التصوير التفصيلى للأماكن والملابسات، والأشخاص المشتركين، وبتعميمات تهدف إلى كشف جوهر العملية التى يكتب تقريراً عنها.

ولابد أن تكون التفاصيل المنقولة صحيحة بصفة عامة، ووثيقة الصلة بالموقف المعطى. وتنتج الأنشطة الاجتماعية المختلفة بمتطلباتها المعينة من ناحية المضمون أشكالاً خاصة من التقارير الصحفية التى تتضح فيها واحدة أو أخرى من الصفات المنهجية المميزة (كالتقرير القانونى، والكتابات الرياضية، وتصوير الأسفار والرحلات) [1].

أما **التقرير المكثف**: Pony Service فيشير إلى أحدث الأخبار اللاسلكية المنقولة بالهاتف أو البرق من وكالات الأنباء إلى الصحف المحلية.

التقرير المصور: Picture Story

يقصد به "الجمع بين الصور والنص فى التقارير المكتوبة حول الأحداث الجارية أو الحقائق، وهو نوع مختلف من أنواع التقارير، ففيها تعبر مجموعة من الصور عن التشابه على ضوء زمان ومكان المكونات الأساسية للموضوع المصور. بينما يشرح النص المعلومات التصويرية ويقيم علاقات، ويفسر الخلفية ويكمل جوانب الحادثة المصورة التى لا يمكن ظهورها فى صورة، ويعلق على الصور إذا لزم الأمر.

والمكونات الأساسية للتحقيق المصور هى العنوان، والصورة الرئيسية، والصورة التكميلية، والنص الأساسى والتعليقات، مع تعديلات معيَّنة ممكنة فى واحد أو آخر من هذه العناصر. ويشير هذا خصوصاً إلى الفرق بين **الصور الأساسية، والصور التكميلية** التى يمكن أن تكون ممتعة بدرجة متساوية، فى الحقيقة، حتى أنه لا يمكن التمييز بينهما.[2]

---

(١) قاموس الصحافة، ترجمة محمد أحمد حمد ص٧٥.

(٢) نفسه ص٧٦.

من المصطلح إذن؛ يتبين لنا أن فن التحقيق ينبع من طبيعة عمل الصحفى فى ملاحقة الأحداث التى تحتاج إلى **"تحقيق"** لبعض جوانبها الخفية؛ كما أن الصحفى - كما يقول "جوبار"(١) قد يصنع الحدث بنفسه "دون أن يحدّ نفسه بما يحدث، كأن **يثير بعمق القضايا الكبرى: الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية والثقافية.** وينطبق هذا، على الصحف الأسبوعية. كما ينطبق على الصحف اليومية التى تهتم بإكمال الحدث الذى ينقله الراديو أو التلفزيون، كما هو، ثم الكشف عن أسبابه والدوافع إليه.

التحقيق الذى يعالج موضوع الساعة أو الريبورتاج الكبير، هو ذلك النوع الصحفى حيث الموضوع لا يرتبط بالآنية. ووجوده يضفى قيمة خاصة على الصحيفة، لكن غيابه "يسىء إلى مركزها إلى حد كبير".

وتشبه طريقة **معالجة التحقيق الصحفى**، طريقة معالجة التحقيق الاجتماعى (البحث). أى أن المبادئ هى ذاتها، لكن الوسائل تختلف، مما لا يتيح الوصول إلى الدقة المطلوبة كما نريدها. ومن المهم، قبل بدء التحقيق، **دراسة ما نشر عن الموضوع واستشارة الأخصائيين، قبل وضع خطة العمل.** وبعد، فإن **اختيار الأشخاص، الذين سنقابلهم، يراعى فيه اختيار أخصائيين وأشخاص على علاقة مباشرة بالموضوع.**

فالتحقيق الصحفى يتخذ من البحث منهاجاً فى التفكير؛ ويسلك لنفسه طرقاً صحفية فى التعبير. والطابع البحثىّ للتحقيق الصحفى يعنى عمليات مستمرة فى التعرف على المشكلات والقضايا المطروحة فى المجتمع، وفى تكوين الفروض والحلول المختلفة، وفى الحصول على البيانات وتصنيفها وتبويبها واستخلاص النتائج؛ وفى النهاية تحرير هذه النتائج تحريراً صحفياً.

والدلالة اللغوية للتحقيق؛ تصل بينها وبين البحث؛ باعتبارها عملية من **عمليات تقصّى الحقائق ومعانيها وتطبيقاتها بالنسبة لمشكلة معينة.** ومعنى ذلك أن التحقيق الصحفى عملية فحص دقيقة محايدة وغير متحيزة لمشكلة من المشكلات. وتبنى هذه العملية وتقوم على تقصى الوقائع، والبيانات؛ والتصريحات؛ وتحريرها بدقة؛ وتبويبها وتحليلها والوصول إلى "نتائج من هذا التحليل قد تؤدى إلى إظهار حقيقة المشكلة وأسبابها وما يناسبها من حلول"(٢)

---

(١) تقنية الصحافة، السابق ص ٨٤.

(2)Whittney : Elements of Researche, P.21.

ويصوّر "ديوى" عناصر عملية التفكير؛ وما يحدث فى كل خطوة من خطواتها؛ على النحو الذى يفيد منه "الباحث"[1]، كما يفيد منه "المحقّق الصحفى"؛ وهذه الخطوات هى[2]:

أولاً: شعور الفرد بموقف يصعب عليه الاستجابة له؛ مثل:

أ - عدم القدرة على تحقيق هدف ما بالوسائل المعروفة للفرد أو حتى عن طريق تعديلها لتناسب الموقف الذى يواجهه.

ب - عدم إمكان الفرد التعرف على صفات وخصائص شىء جديد بالنسبة له.

ج - عدم القدرة على تفسير حادث أو ظاهرة غير متوقع حدوثها.

ثانياً: تحديد الصعوبة التى تواجه الفرد فى إطار عام على صورة مشكلة.

ثالثاً: وضع تفسير أو حل عن طريق التخمين أو استنتاج أو فرض أونظرية - مستمدة من خبرات الفرد السابقة.

رابعاً: دعم الفكرة أو التفسير عن طريق جمع القرائن أو المعلومات التى تؤديها.

خامساً: الربط بين الفكرة أو التفسير والمعلومات من أو القرائن التى حصل عليها فى سبيل التأكد من صحة الفرض الذى وضعه كحلّ للموقف الذى يواجهه.

سادساً: ويعتبر "كيلى" أن التأكد من الحل الذى وصلنا إليه قد نجح فى حل المشكلة؛ يقود إلى خطوة أخرى تهدف دائماً إلى التطلع إلى مدى إمكان تعميم هذا الحل وتقويمه على ضوء اعتبارات احتياجاتنا فى المستقبل.

ويبين "ميلتون فارتشيلد"[3]. ست خطوات للمنهج العلمى:

١ - **جمع البيانات** عن المشكلة أو فى مجال ميدان يختاره الباحث (**أوالمحقّق الصحفى**) طبقاً لخطة موضوعة وعن طريق الملاحظة ووسائل أخرى دقيقة، مع

---

(١) د. جمال زكى؛ د. السيد يس : أسس البحث الاجتماعى ص٦.

(٢) نفس المرجع ص٦ John Dewey: How We Think, P.12.

(٣) نفس المرجع ص٨؛ Milton Fairchild: The Scientific Method.

تسجيل هذه البيانات والتأكد من صحتها، وملاحظة أن يتم عملية جمع البيانات ى داخل إطار محدّد يخدم هدف البحث أو التحقيق.

٢ - **تصنيف وترتيب البيانات على أساس التشابه؛ أو الاختلافات، أو التباين، أو الأساس أو الأسباب، أو النتائج**، ومحاولة التمييز بين الصفات الأساسية الهامة، والتى لها علاقة مباشرة وتخدم أهداف البحث أو التحقيق، والأخرى السطحية البعيدة عن التأثير على هذه الأهداف.

٣ - **التعميم** لمحاولة استنباط مبادئ أو نظريات فى صورة مبدئية. وتعتمد هذه الخطوة على خيال الباحث وقدرته على التصور ومعرفته بالمبادئ والنظريات التى لها علاقة مباشرة بمجال بحثه.

٤ - **التحقق من صحة النظرية** وصلاحيتها عن طريق التجربة.

٥ - **وضع البيانات والنتائج** فى صورتها النهائية.

وهذه الخطوات تتشابه إلى حد كبير مع خطوات التفكير. على أن القيام بالتحقيق يستدعى اختيار عناصر مختلفة، ومتعددة، مما لا يتاح للصحفى فى أغلب الأحيان، لذلك لا يستطيع التوصل إلى نتيجة مقبولة علمياً. وأخيراً، فإن توجيه النقد إلى هذه العناصر فى التحقيق الصحفى يكون أشد تطرفاً منه فى التحقيق العلمى. ويظهر الفرق بين النوعين فى مرحلة النشر، فالصحفى يحذر دائماً من استعمال الألفاظ الصعبة والثقيلة؛ وكل ما يضفى على تحقيقه طابعاً "علمياً". ويتلخص فنه الصحفى فى **الواقعية والحيوية** التى لا يمكن أن تتوفر إلا جزئياً؛ ولكنه يسعى إلى أن يتوصل، من مجمل العناصر التى ينقلها، إلى خلاصة أو نتيجة. يقول الأستاذ جويار".

"ليس لدى المندوب الكبير، الذى يعالج موضوعاً أوسع مما يعالج المحققون، أحياناً كوضع دراسة عن بلد من مختلف جوانبه، الوقت الكافى ليهتم بالجزئيات. إذ أنه يتحتم عليه أن ينقل فى "تحقيق" واحد أو سلسلة "تحقيقات"؛ أهم الخصائص التى يجدها، بحيث يتمكن من تزويد قرائه بفكرة واضحة عنه".

ويقول "أل هيستر"(١): "تعد صحافة التحقيقات نمطاً من الصحافة يصعب ممارسته فى أى مكان. وتزيد ممارستها صعوبة فى الكثير من دول العالم الثالث حيث الأنظمة

(١) أل هيستر: صحافة التحقيقات؛ فى: دليل الصحفى فى العالم الثالث ترجمة كمال عبدالرؤوف ص١١١.

الصحفية جزء لا يتجزأ من الحكومة الوطنية. وحتى عندما تكون الصحافة منفصلة عن الحكومة فى العالم الثالث، فإن فكرة "التحقيق فى أى شىء تقابل بدهشة كبيرة.

ويعود جانب من التشكيك فى قدرة الصحفيين على ممارسة هذا النمط من الصحافة، أو بشأن السماح لهم بذلك فى ظل أنظمة الحكم بالعالم الثالث، إلى الطريقة التى يتم بها تعريف **"صحفى التحقيقات"**.. ذلك أن الكثيرين لديهم تصور عن صحفى التحقيقات بأنه مزيج من المقاتل العنيد، ورجل البوليس السرى، والكلب البوليسى الذى يتعقب الرذيلة والجريمة والفساد والأخطاء الإنسانية على الدوام.

ولو أننا أمعنا النظر فى هذا التصور لوجدنا أن أصحابه يعتقدون أن صحفي التحقيقات هم أناس ميالون إلى النقد العنيف والسخرية، ومتعتهم الوحيدة فى الحياة هى "تقليب كل الصخور رأساً على عقب، ليروا ما يمكن أن يخرج من تحتها من هوام".

وكل هذه التصورات النمطية عن صحافة التحقيقات تضم جانباً من الحقيقة. ولكن لسوء الحظ فإن الجمهور، والكثير من الصحفيين لا يفكرون فى مثل هذا النوع من الصحافة إلا من حيث "الفضح" الذى يتم دائماً على حساب موضوع التحقيق الصحفى. وإننى أرى أن صحافة التحقيقات يمكن أن تكون أوسع نطاقاً، كما يمكن أن تشمل تغطية صحفية تفسيرية متعمقة".

غير أن معظم ما نسميه **"صحافة التحقيقات**: يختلف من عدة زوايا هامة عن التغطية الإخبارية الروتينية.. وتشمل هذه الاختلافات[(١)]:

(١) أن التحقيقات الصحفية تتم عادة على أساس أنها ينبغى أن ينتج عنها عمل ما، وأن تغييراً ما يجب أن يحدث. وسوف نرى أنه توجد أحياناً استثناءات لهذه القاعدة.. بمعنى أن قد يؤدى تحقيق صحفى شامل أحياناً إلى تأكيد ما تم إنجازه بالفعل وإظهار تقدير الجمهور له.

(٢) أن التحقيقات الصحفية عادة ما تشغل مساحة أكبر، وتستغرق وقتاً أطول للإعداد لها ولجمع المعلومات. كما تستغرق وقتاً أطول فى كتابتها.

---

(١) نفس المرجع ص١١٢.

(٣) أن التحقيقات الصحفية تتطلب دائماً وفى الغالب موارد مالية أكبر، كما تستغرق وقتاً أطول من جانب من يقومون بها، لأن التحقيقات ينظر إليها على أنها ذات أهمية أكبر من العمل الصحفى الروتينى.

(٤) أن التحقيقات الصحفية يتم كتابتها، فى كثير من الأحيان، ليس بقصد كتابة تقرير واقعى عن أحد الموضوعات، ولكن لأن كاتبها يضع فى ذهنه أن ثمة حاجة إلى تغيير ينبغى أن يحدث، وإلى إصلاحات يجب أن تتم، أو أخطاء ينبغى أن تمتد إليها يد الإصلاح. ومن ثم فإن إدارة الجريدة أو المجلة ورئيس تحريرها والمحررون ينبغى أن يكونوا متفقين على إنفاق الوقت وتخصيص المال لمثل هذه التحقيقات قبل البدء فيها.

(٥) أن التحقيقات الصحفية تتضمن عادة أيضاً؛ معالجة خاصة تجعل مادة التحقيق جذابة بصفة خاصة، كما تتطلب أحياناً إصدار طبعات خاصة.

(٦) ويتم توجيه دور أكبر من الاهتمام عادة بتزويد التحقيقات الصحفية بالصور الجيدة والرسومات، والرسوم البيانية، والرسوم التخطيطية، والخرائط والجداول.

(٧) أن التحقيقات الصحفية يسند القيام بها عادة إلى أكثر الصحفيين والمحررين خبرة، لأن كتابتها بنجاح تعد من أصعب أنماط الكتابة الصحفية.

(٨) وينبغى دائماً أن يتم اتخاذ قرارات على أعلى المستويات فى الجريدة أوالمجلة أو الإدارة الحكومية، للموافقة على مشروع التحقيقات الصحفية، وذلك لأن الصحيفة أو المجلة تتخذ – على نحو ما – موقف النقد أو الاستحسان للموقف أوالوضع الذى سيجرى كتابة تحقيق صحفى بشأنه.

ومن المتوقع فى كثير من الأحيان أن يبلور الصحفى أفكاراً لمشروع التحقيق الصحفى، والصحفى يختص عادة بمسئولية تغطية مجال معين يتطلب منه غالباً أن يقدم أفكاراً للتحقيقات الصحفية التى تكتب فى إطاره. وفى بعض الأحيان فإن فكرة التحقيق الصحفى تكون من وحى مسئولين على مستوى عال ممن يقابلون الصحفى ويعطونه كمّ التوجيه اللازم. ويكون الصحفى محظوظاً إذا لم يحاول هؤلاء المسئولين أن يخمنوا مقدماً ما هى نتيجة التحقيق الصحفى. ومن وجهة النظر المثالية، فإن الصحفى أو مجموعة الصحفيين المكلّفين بالقيام بالمشروع ينبغى أن يكونوا قادرين

على التخطيط لمشروع التحقيق الصحفى (وذلك بالتعاون مع رؤساء التحرير وغيرهم) ثم يجمعون المعلومات التى يبنون عليها استنتاجهم.

وينبغى أن يتعلّم الصحفيون بسرعة إلا يحاولوا كتابة تحقيقات تثير الجدل والخلاف، دون الحصول على موافقة المؤسسة التى يعملون بها. وإذا لم يتلق مثل هؤلاء الصحفيين تأييد رؤسائهم لمشروع التحقيق مقدماً، فإن من الممكن أن تحدث ضغوط مؤثرة على رؤسائهم لإلغاء مثل هذه التحقيقات. والصحفى الذى لا يحصل على تأييد مؤسسته، يمكن أن يجد نفسه وقد وقع فى مأزق. ويجب أن يحذر الصحفيون من أنه إذا أحدث تحقيق صحفى عكس ما يرجى منه فقد يجد كل منهم نفسه وقد تحول إلى كبش فداء: فقد يحدث مثلاً ألا يستطيع أحد كبار المسئولين أن يتحمل حدة النقد فيقول: "إن الصحفى فلانا قد انجرف واندفع وكتب دون كفاءة أوفهم. وسوف نتخذ إجراءات تأديبية ضده. إننا فى غاية الأسف".!(١)

"كما ينبغى تحذير الصحفيين بأن عليهم أن يتحسسوا طريقهم بحرص عندما يقدمون على كتابة التحقيقات الصحفية الحساسة أو المثيرة للجدل والخلاف.. وذلك لأن مثل هذه التحقيقات هى التى يمكن، على الأرجح، أن تهدد مصادر الأخبار والمسئولين. ومن الضرورى وجود خطة جيدة لإجراء التحقيق الصحفى إذا أردنا تجنب ضياع الوقت والمال. ويجب على الصحفى - بالاتفاق مع رؤساء التحرير وغيرهم - أن **يسأل أولاً**: "ما هو الشيء الذى يرغب فى إجراء تحقيق بشأنه أو نرغب فى اكتشافه؟" **والخطوة الثانية** هى أن يحدد بدقة، بقدر الإمكان: الأسئلة التى يمكن أن تساعد على الحصول على إجابات فى التحقيق. وبعدها فإن على الصحفى أن يخمّن أى المصادر التى يمكن أن يكون لديها المعلومات المطلوبة، وما إذا كانت هذه المصادر ستسمح له بالإطلاع على هذه المعلومات أو الحصول عليها. والمقابلات الصحفية، والملاحظة الفعلية لأحداث بعينها؛ ومحاولة تكوين خلفية بالقراءة فى المكتبات العامة، أو تصفح المطبوعات المختلفة.. كلها أمور قد تكون ضرورية للحصول على المعلومات المطلوبة للتحقيق الصحفى.

(١) المرجع نفسه ص١١٤.

وعلى الصحفى، بالتعاون مع رؤساء التحرير وغيرهم، أن يحاول أيضاً أن يخمن ما إذا كان التحقيق الصحفى يمكن أن يقوم به صحفى واحد أو مجموعة من الصحفيين. وإذا كان الأمر يتطلب إشراك أكثر من صحفى، فمن الضرورى اتخاذ قرارات تحدد المسئول عن كل مرحلة من مراحل التحقيقات. وقد يحدث أن يُسند إلى صحفى بعينه أيضاً مهمة الإشراف على بقية المجموعة. وإذا كان الأمر يتطلب استخدام مصورين صحفيين فإن من الضرورى أن يحضروا عند التخطيط للتحقيق الصحفى حتى يتمكنوا من تقديم اقتراحاتهم بشأن الصور الجيدة. وهذا ينطبق أيضاً على الفنانين أو رسامى الكاريكاتير أو غيرهم من الأشخاص الذين سيتطلب الأمر الاعتماد على مهاراتهم المختلفة.

وربما يحتاج الصحفى أو رئيس التحرير الذى يشرف على مشروع التحقيق الصحفى إلى أن يضع مذكرة تفصيلية تحدد موضوع التحقيق، وأهم الأسئلة التى سيتم توجيهها (كلما أمكن ذلك مقدماً)، والمصادر التى سيتم إجراء مقابلات معها، والخلفية التى ينبغى الحصول عليها، والشكل الذى سيقدم التحقيق به.. كأن يكون مثلاً فى شكل سلسلة أو على صفحتين متقابلتين أو أى شكل آخر[1]."

أنواع التحقيق الصحفى:

يميز علماء الصحافة بين **"التحقيق المتخصص"**؛ أو **"الموضوع المفكرة"** La **chronique** والماجريات البرلمانية؛ والقضائية؛ والموضوع الرياضى؛ والثقافى؛ والسينمائى؛ والنسائى؛ والتليفزيونى؛ وهذه يطلق عليها تعبير Chronique.

ويتم التمييز بين نوعىْ: **التحقيق المتخصص** أو**"موضوع المناسبات أوالمفكرة"** على أساس من التقويم الصحفى؛ ومعيار الحاليّة الزمنية بصفة خاصة؛ وهو معيار أساسى فى الأعمال الصحفية بصفة عامة.

التحقيق السياسى والقضائى والرياضى:

يلزم على المخبر السياسى أو القضائى أو الرياضى أن يأخذ بسلسلة متتالية من الأحداث المتوقعة. وفى حال وقوع أحداث طارئة، لا يتردد الصحفى فى معالجتها

---

(١) نفس المرجع ص١١٤.

لإطلاعه مسبقاً على جميع حيثياتها. فالمخبر المتخصص، على اطلاع دائم على الإحداث التى تدخل فى نطاق اختصاصه، ويلاحقها ويتابع تطوراتها وإن لم يكن مدعواً إلى تغطيتها. يقول "جويار":

"باستثناء المخبرين المتخصصين، فإن مهمة الصحفى هى انتظار الأحداث المهمة ومتابعة تطوراتها بين وقت وآخر. وهذه المراقبة تضفى على تحقيقاتهم الوضوح وتجعل عرضها جيداً، إذ يقومون بتحليل الموقف السياسي، كلما رأوا ذلك مناسباً، ودون انتظار وقوع حدث مهم؛ أو يقومون بدراسة أولية يستعرضون فيها ملف دعوى سيُنظر فيها فى اليوم التالى، أو يتابعون تطورات نشاط ناد رياضى. فنشاط هؤلاء الصحفيين لا يتوقف؛ لأن لديهم دائماً عملاً متواصلاً من السعى وراء المعلومات ومعالجة التحقيقات إجمالاً مع شخصيات مطلعة. فالمحرر أو المندوب السياسى يحضر دائماً فى قاعات المجالس، ومكاتب الوزراء، وسكرتارية الأحزاب مراقباً ما يجرى فيها. وهو يجهد نفسه دائماً ليلمّ بما يدور فى اللجان، وما يُهيّأ فى الدوائر، وما ترتئيه الجماعات. أما المندوب القضائى فيذهب بانتظام إلى دور القضاء والمحاكم، حتى فى غياب الدعاوى، وهو يتابع، بالحوار مع القضاة والمحامين وكتاب المحاكم، تطور التحقيقات القضائية. ويلاحق المندوب الرياضى تدريب الفرق، ويقابل مديرى الأندية بانتظام[1].

"وعلى الصحفى، ليمارس هذه الوظائف، أن يتصف بحب الإطلاع والفضول، وبالحس المرهف واحترام السر أيضاً.

فالاطّلاع، صفة تفرضها ضرورة احترام القارئ؛ والاطلاع سلاح يسهل مهمة البحث عن الأنباء. فالذى يقول عنه زملاؤه أنه محظوظ لحضوره الدائم فى المكان المناسب وفى الوقت المناسب، هو صحفى مطلع على مجرى الأحداث، ويتفهم مباشرة؛ فأقل مؤشر يمكن أن يتيح الحصول على وثيقة هامة. ويفضل النواب التوجه فى أحاديثهم إلى الصحفيين البرلمانيين المطلعين، ليحصلوا منهم على بعض المعلومات.. "والخدمة يقابلها دائماً خدمة أخرى".

(١) جويار: تقنية الصحافة، السابق ص٧٥.

إن الفضول والحس المرهف لا ينفصلان. فالأول هو المحرك لكل باحث عن الأنباء، والثانى هو المكبح الذين يمنح الصحفى من أن يصبح شديد الإلحاح، الصفة التى يمكن أن تفقده مصدر أخباره.

والمحافظة على السّر تبدو وكأنها صفة تناقض تماماً وظيفة الصحفى. لكن يجب أن لا نتردد فى تصنيفها بين الصفات المهنية؛ لأنها تساعد على نيل ثقة الأشخاص الذين يعتمد عليهم الصحفى فى الحصول على أخباره.

وعندما تنشأ مثل هذه العلاقة من الثقة المتبادلة، يحصل الصحفى أحياناً على اعترافات شخصية تساند معلوماته الخاصة. والبوح بهذه الاعترافات، لا يعبر عن سوء لياقة فحسب، بل قد يؤدى إلى خسارة مستقبل الصحفى المهنى. وهو بذلك، لا يفقد مصدر أخبار واحد فحسب، بل يبتعد عنه جميع من يعتمد عليهم فى الحصول على الأنباء.

وقد لا ندرك، للوهلة الأولى، أهمية هذه الاعترافات. ونحن ننسى أن الصحفى، إذا لم يستطع البوح بها مباشرة، فهو يستفيد منها بطريقة أخرى؛ فيبتعد أولاً عن نشر نبأ يتعارض مع هذه الاعترافات، لأنها تسمح بإطلاع أفضل على موقف ما، وتساعد على مراقبة حدث منتظر. فإذا أطّلع صحفى، من أحد الدبلوماسيين، على الاستعدادات الجارية لعقد اتفاق دولى؛ فيتفوق بهذا الإطلاع على زملائه بالقدرة على درس ظروف الاتفاق قبل إعلانه، أو نشره، قبل إعلان الإتفاق، بعض المعلومات التاريخية أوالتفسيرية أو المكملة. وإذا ما أسرّ رئيس ناد رياضى لأحد المندوبين الرياضيين بنية أحد الأبطال تحطيم رقم قياسى، فإن المجال يتسع أمام الصحفى ليرسل إلى مكان المباراة العدد الكافى من المخبرين والمصورين لتغطية الحدث، مما لا يتاح لسواه من الصحفيين غير المطلعين على مجريات اللعبة.

وفى النهاية وكقاعدة عامة، فإن محافظة الصحفى على الأسرار عنصر ضرورى لاستمرار الثقة المتبادلة بين مصدر الأخبار ورجل الصحافة.

وتعتبر تغطية دورة نيابية أو جلسة محكمة أو مباراة رياضية، فى قمة نشاطات المحرر البرلمانى أو القضائى أو الرياضى، وإن كانت لا تشكل إلا جزءاً من هذه النشاطات. ولقد رأينا أن دور الصحفى هو التهيئة لهذه اللحظة الحاسمة. وأصبح

تردادا لا فائدة منه أن نشدد على أهمية الإطلاع، قبل وقوع الحدث على المسائل المطروحة وظروفها: كأخذ تصريحات من الكتل النيابية الكبيرة غير المشتركة فى الحكم، اتجاهات الآراء المطروحة. وعلى الصحفى أن يتمتع، فى هذا المجال، بانتباه ثابت؛ فلا ينجذب إلى المظاهر التى قد تحول الانتباه عن الموضوع الرئيسى، فالمحامى يحاول أن يلفت انتباه لجنة المحلفين وهيئة المحكمة ورجال الصحافة إلى تفاصيل تخدم مصلحة المتهم، أو إلى تفاصيل تافهة ومسلية. وهدفه من وراء هذا التصرف إخفاء العناصر الاتهامية التى قد تورط موكله، ويحاول الوزير أو النائب أسر المستمعين بسحر بيانه ليخفى نقاط الضعف فى حجته. وإذا كانت هذه المظاهر تدخل فى صميم الحدث، إلا أن الشجرة يجب ألا تخفى الغابة. لذلك يجب على المندوب أن يحافظ على تقديره لنسبة أهمية كل جزء من الحدث. فإذا ألقى أحد المتفرجين "مفاجأة" أثناء جلسة برلمانية، يأخذ هذا الحادث الطريف مكان الصدارة، إذا كانت الجلسة مملة وتدور حول موضوع تقنى. ويمر هذا التصرف ذاته على هامش الموضوع الذى يتناول تغطية وقائع جلسة مهمة، يجرى التصويت خلالها على فرض قيود معينة[1].

ويلاحظ"جويار": أن **التحقيق البرلمانى أو القضائى** يجب أن يتصف بالموضوعية؛ بينما يفسح التحقيق القضائى فى المجال أمام المعالجة الشخصية. إذ أن الجمهور الرياضى لا يكتفى بقراءة الأحداث الموضوعية فى الصحيفة، فهو يستطيع متابعة وقائع المباريات، كما تحدث، على شاشة التلفزيون. كما يلاحظ أن هذا الهامش المتروك لتدخل المحرر الرياضى الشخصى لا يسهل عمله؛ بل على العكس، إذ أن عليه أن يتصف بالحذر، لأن الجمهور الرياضى حساس، إجمالاً، ولا يسمح بوقوع أى خطأ فى نقل الوقائع وتحليلها.

ريبورتاج المنوعات:

ويتطلب هذا التنوع فى الأحداث، من الصحفى مرونة فائقة تتيح له التكيّف مع الأحداث ومع المحيط المتغير، ولا يسمح هذا التنوع بوضع تعريف مطلق للمنوّعات. ويعرفها "جويار" بقوله: **"إنها التحقيقات التى لا تعالج موضوعات سياسية أودبلوماسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو قضائية أو رياضية أو ثقافية".**

---

(١) نفس المرجع ص٧٨.

وتتناول هذه الريبورتاجات إجمالاً موضوعات الحوادث والحرائق والأحداث الطارئة. ويدخل ضمن نطاقها الكوارث الجوية والزلازل والاغتيالات، ويفرض هذا التنوع على الصحفى أن يتواجد فى اليوم نفسه أحياناً، فى المخافر ملاجئ الفقراء والحفلات الاجتماعية.

والقاسم المشترك الذى يربط بين مختلف أنواع التحقيق الصحفى المنوعة، هو أن على الصحفى أن ينصرف إلى مهمته فى أقصر وقت ممكن؛ فأغلب الأحداث المنوعة تكون غير مرتقبة. وبعد أن يطلع عليها الصحفى، عليه أن يبادر بالذهاب إلى مسرح الحدث ويستكمل البحث عن الحقيقة؛ لينصرف بعدها إلى كتابة موضوعه بالسرعة اللازمة. وإذا كانت سرعة الانتقال تستوجب حسن اختيار وسيلة النقل، فإن سرعة القيام بالتحقيق تستوجب تطبيق القواعد العامة فى رباطة جأش. وفيما يتعلق بإيصال الوقائع إلى سكرتارية تحرير الصحيفة، على المندوب أن يعرف كيف يتصرف ليجد هاتفاً فى مكان مقفر. والأكثر تعقيداً هو معرفة وقوع الحدث غير المتوقع، فالمخبر لا يستطيع الاعتماد على المصادفة ولا على الحظ وحدهما.

وفى هذا المجال من السعى وراء الأخبار المنوعة، تزداد المخاطر من أن يتفوق علينا منافس، فنفاجأ بالخبر منشوراً فى صحيفة أخرى. ولتجنب هذا الخطأ، يبادر محررو المنوعات إلى تنظيم وتنمية شبكة متكاملة من المخبرين المتطوعين. وفى انتظار وقوع حدث طارئ، لا يكتفى المحررون بترقب اتصال هاتفى من أحد المتطوعين، بل ينصرفون إلى ملاحقة الأخبار ومعرفة مصادر أخرى، وتتميز هذه المصادر بالتنوع؛ ومنها ما هو ضرورى، كالأشخاص الذين يؤدون مهمات تتيح لهم الإطلاع على الحوادث حين وقوعها: من رجال الشرطة والاطفاء والمستشفيات.

ومن الضرورى أن يقوم المخبر الذى يلاحق هذه الموضوعات بجولة يومية على مخافر الشرطة. وعليه أن يجهد نفسه فى الحصول على مزيد من التفاصيل من ضباط الأمن وكتاب النظارات.

وقد لا يتوصل المخبر إلى الحصول على معلومات من رجال الشرطة؛ ولهذا يفضّل أن يصل إلى مكان الحادث قبل وصولهم أو برفقتهم. كما يجب أن نتذكر أنه يوجد آخرون، غير رجال الشرطة، مطلعون على الأحداث، كالمعتدى عليهم ومرتكبى الجريمة

والشهود. وإذا كنا لا ننتظر الحصول على المعلومات من المعتدى عليهم أو مرتكبى الجريمة، فإنه يجب أن نعتمد على الشهود مباشرة أو نسترشد بواسطة المخبرين المتطوعين المحليين؛ مثل عمال البارات وموزعى الصحف والتجار وحراس الأبنية. ولهؤلاء الحظ بأن يطلعوا بسرعة على الأمور غير الطبيعية التى تجرى فى النطاق الذى يوجدون فيه. ويكافأ المتطوعون بجوائز أو خدمات صحفية مجانية. وإجمالاً يكتفى المتطوعون بما يوحيه إليهم المحرر من شعور بأهمية دورهم. لكن على الصحفى ألا يكتفى بالاعتماد على هؤلاء المتطوعين الذين لا ينفعون إلا فى حال وقوع أحداث مرئية أو دامية. فخبر وفاة شخصية مرموقة، داخل منزلها، يبقى محصوراً فى نطاق العائلة وفى محيط عملها. ومن هنا تتضح أهمية شبكة المخبرين المتطوعين الذين يعملون فى الإدارات والمؤسسات والشركات المختلفة، والتى يتعاون معها المحررون فى مختلف أقسام الصحيفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

بين "الحديث" والتحقيق الصحفى:

وكما تبين فى دراستنا للحديث الصحفى؛ أنه قاسم مشترك بين فنون التحرير؛ وهو فى التحقيق الصحفى وسيلة أساسية من وسائل جمع المعلومات والآراء؛ وحظه من الوقت "أوفر" من حظه فى الأخبار والقصص الخبرية؛ ذلك أن إنجاز التحقيق الصحفى وكتابته تتم قبل يوم أو أكثر من نشره. ونظراً إلى أن التحقيق الصحفى ينشد عادة الكشف عن حقيقة شخصية ما أو جو ما، فإن المجرى الكلى للمقابلة يتأثر بذلك. فيصبح المخبر كثير التدقيق فى الاختيار ويسعى فى المقام الأول إلى المادة التى من شأنها أن تسهم فى رسم صورة جيدة للشخصية أو المادة التى من شأنها أن تجعل للجو عمقاً. ونتيجة لذلك يتحدث مطولاً بقصد اختيار المواد المفيدة بعد المقابلة. فإذا كان يستجوب مثلاً أحد عمال مناجم الفحم بقصد إظهار شظف حياته جاز أن يسأل أسئلة كثيرة خارجة عن الموضوع من أجل أن يدرس وجه العامل وهو يجيب. وإذا كان يكتب عن الحياة على سفينة نهرية أمكنه أن يطرح الكثير من الأسئلة على طاقم السفينة لمجرد استيعاب الجو المهيمن عليها. وهكذا فإن الاستجواب المتعلق بالتحقيق الصحفى غالباً ما يكون أشبه بمحادثة بين صديقين منه بإجراء السؤال والجواب[١].

(١) فريزر روند : السابق ص١٤٦.

ويلاحظ "توماس بيرى" اختفاء شخصية الكاتب فى الموضوع الإخبارى الذى يخلو بكامله من العنصر الشخصى الذاتى. فالحقائق المجردة الصرف تروى بطريقة موضوعية، فليس فيها من ظن أو تخمين أو رأى أو تنقيب وراء المظهر عن **زاوية ذات طابع إنسانى**. وهكذا ليس فى الموضوع الإخبارى، باستثناء أساليب كتابية ثانوية الأهمية، ما يكشف عن ملامح شخصية الكاتب.

أما فى **التحقيق الصحفى** فإن اللهجة كلها **تصبح شخصية**، فنجد فيه معالجة ذاتية متميزة للجوانب ذات السجية العاطفية أو الدرامية أو الشخصية – الجوانب التى تنطوى على جاذب مثير للاهتمام الإنسانى. وبالاختصار يتبنى الكاتب هنا طريقة ذاتية من أجل أن يصور الصفة الإنسانية فى الموضوع. وهكذا فإن الفارق بين **الموضوع الإخبارى والتحقيق الصحفى** يكمن فى الاختيار والمعالجة. فكاتب الموضوع الإخبارى لا ينتقى إلا الوقائع الصرف ولا يعالجها إلا موضوعياً، أما كاتب التحقيق الصحفى فإنه يركز فى زاوية الطابع الإنسانى للموضوع ويعالجها معالجة ذاتية.

وبالطبع **ليست الأخبار كلها طوع المعالجة كتحقيق صحفى**. فالكاتب خليق مثلاً بأن يقاسى عنتاً شديداً فى **اكتشاف مادة التحقيق الصحفى فى بيان روتينى يعلن** أن المؤسسات العامة ستغلق أبوابها، كما هى العادة يوم عيد من الأعياد. **ولكن بعض الموضوعات الإخبارية يحفل بداهة بما يجعل منه مادة تحقيق صحفى** وبشكل يحمل المرء على معاناة العنت الشديد فى معالجتها كأخبار صرف. فلا شك مثلاً فى أن **قصة المرأة العجوز التى تتحدى السلطات برفضها إخلاء بيت حكم عليه بالهدم، تشكل مادة لتحقيق صحفى**. وكذلك الحال فى نبأ رجل يتلقى إعانة خيرية تعوله فاشترى انسجاماً مع حدسه بطاقة يانصيب وربح الجائزة الكبرى، فأخبار كهذين الخبرين تؤلف، بداهة، مادة لتحقيق صحفى، لأن **زاوية الطابع المثير للاهتمام الإنسانى** يجب أن تتقدم على الحقائق الصرف. ولا شك فى أن الجوانب الشخصية فى هذه الحوادث ادعى إلى إثارة القارئ من الحقائق المجردة للخبر.

وهنا لابد بالطبع من اتخاذ **قرار فاصل** فى الحالات التى يمكن فيها استخدام الخبر كخبر صرف أو مادة لتحقيق صحفى. ويستند هذا القرار عموماً إلى السياسة التحريرية للصحيفة، ويتوقف على عدد التحقيقات التى سبق استخدامها، ثم على

قيمة الموضوع كخبر صرف مباشر بالقياس إلى قيمته كتحقيق صحفى. وتبعاً لذلك فقد تستخدم هذه الصحيفة مجموعة معينة من الوقائع والحقائق كخبر صرف، بينما تستخدم تلك الصحيفة الصادرة فى المدينة ذاتها تلك المادة موضوعاً لتحقيق صحفى. ويمكن إيجاد مثال على هذا التباين فى اختلاف طريقة معالجة الموضوعات المتعلقة بشراء الإدارة المحلية لمعدات جديدة. فبعض الصحف يطنب فى إيراد النبأ (بتسجيل ردود فعل الموظفين والتغيرات المترتبة على ذلك الخ) بينما تقتصر صحف أخرى على إيراد تفصيلات صفقة الشراء بطريقة مقتضبة.

وثمة نقطة أخرى تجدر ملاحظتها فى التمييز بين الخبر الصرف والتحقيق الصحفى، هى أن كثيراً من الأخبار يكون بينَ بين. فقد يطلب رئيس التحرير عندما يعهد فى موضوع إلى كاتب أن يعطيه طابعاً مسلياً أو طابعاً فكاهياً أو طابعاً تهكمياً. وهذه الموضوعات التى تقع بينَ بين هى، بالاختصار، ليست من قبيل الخبر الصرف ولا من قبيل التحقيق الصحفى الصرف، إنما تنطوى على بعض من خصائص كل منهما[1].

ومن الأنماط الفنية فى تحرير التحقيق الصحفى:

١ - النمط العرضىّ Exposition.

٢ - النط القصصى Narration.

٣ - النط الوصفىّ Discription.

٤ - النمط الاعترافى Congession.

٥ - النمط الحوارىّ Interview.

(١) توماس بيرى: الصحافة اليوم، السابق ص ١٦٣.



الفصل السابع



المقال الصحفي

لعلنا نذكر المسيو جوردان، ذلك البطل الثرى الجاهل فى مسرحية "موليير" المسماة: "الجنتلمان البورجوازى"، ذلك أن جوردان هذا استأجر كثيراً من المعلمين ليعلموه فنون المجتمع الراقى، وفى أحد المشاهد نجد جوردان يتلقى درسه الأول من أستاذ الفلسفة ولكنه يقاطع الدرس ملتمساً طلباً خاصًا:

جوردان : أريد أن أفضى إليك بسر عظيم يقتضى الكتمان. إننى واقع فى حب سيدة من الطبقة الراقية وأريدك أن تساعدنى على أن أكتب لها رسالة أبثها فيها لواعج غرامى.

المعلم : حسناً.

جوردان : أريدها رسالة فى غاية الطرافة والكياسة.

المعلم : بكل تأكيد - وتريدها بالطبع شعراً؟

جوردان : كلا.. كلا - ليس بالشعر.

المعلم : إذن لا شىء سوى النثر؟

جودران : كلا لا أريدها مكتوبة لا بالشعر ولا بالنثر.

المعلم : ولكن يا سيدى - لابد لها وأن تكون إما شعراً وإما نثراً.

جوردان : ماذا تعنى بذلك.

المعلم : لأن كل شىء يا سيدى لا يكون نثراً فهو شعر، وكل ما ليس بشعر فهو نثر.

جودران : وعندما يتكلم المرء - فماذا يكون ذلك؟

المعلم : ذلك نثر يا سيدى.

جودران : ماذا تقول؟ هل إذا ناديتُ خادمى وقلت له "أحضر خفى يا نيكول وناولنى قلنسوة النوم" - فهل هذا نثر؟

المعلم : نعم يا سيدى.

جوردان : حسناً.. حسناً.. حسناً.. إذن لقد ظللت أتكلم نثراً طوال فترة تزيد على أربعين عاماً وأنا لا أدرى شيئاً عن ذلك.. إننى شاكر لك جدًا أن علمتنى ذلك"!!

ولكن ما لم يعرفه السيد جوردان أن هناك ثلاثة مستويات للتعبير اللغوى:

أولها: المستوى **التذوقى الفنى الجمالى** فى الأدب والفن.

والثانى: هو المستوى **العلمى النظرى التجريدى** ويستعمل فى العلوم.

والثالث: هو المستوى العملى الاجتماعى العادى وهو الذى يتسخدم فى الصحافة والإعلام بوجه عام. وهذه المستويات الثلاثة كائنة فى كل مجتمع إنسانى، والفرق بين المجتمع المتكامل والسليم، والمجتمع المنحل المريض هو فى تقارب المستويات اللغوية فى الأول... وتباعدها فى الآخر. فتقارب مستويات التعبير دليل على تجانس المجتمع، وتوازن طبقاته، وحيوية ثقافته، ومن ثم إلى تكامله وسلامته العقلية، فمن الثابت أن العصور التى يسودها نوع من التآلف بين المستويات العلمية والأدبية والعملية، هى غالباً أزهى العصور وأرقاها(١).

وفن المقال الصحفى – تأسيساً على هذا الفهم – ثمرة من ثمار التقدم الحضارى، فهو بطبيعته لا يزكو إلا فى بيئة يتكون فيها الرأى العام، ويتقدم فيها العمل السياسى وتتصارع بها الآراء والاتجاهات، وينتشر فيها التعليم، وتنهض الفنون، وتصبح الديمقراطية اتجاها مقبولاً لدى الجميع، وينتقل التفكير من الذاتية والأسطورية إلى الواقعية والموضوعية.. فإذا نظرنا إلى فن المقال الأدبى نفسه وجدنا أنه قد ظهر فى بيئة ملائمة لنشأته وجد فيها جوًّا صالحاً للنمو والازدهار، فمن الثابت أن فن المقال قد رأى النور فى عصر النهضة الأوربية(٢).

ماهية فن المقال.

أطلق "مونتانى" على مقالاته اسم "المحاولات" Essay كأنه – على حد تعبير العقاد – يعتذر من ترسله فيها بغير تقيد بموضوع واحد أو تعمق فى التفكير، وكانت المحاولة فى اصطلاح الفنانين هى معالجة صنع التمثال من مادة رخوة كالشمع وما إليه قبل صبه فى قوالب النحاس أو نحته من الرخام. فأراد "مونتانى" بمقالاته أن تكون محاولات "رخوة" من هذا القبيل، وقصرها على الأحاديث المستخفة والتجارب الشخصية التى يتناجى بها الإخوان فى ساعات السمر وتزجية الفراغ.

فلما تناول "باكون" الكتابة المقالية أقل فيها من الناحية الشخصية وزاد فيها من الناحية الدراسية فأصبحت مقالاته أقرب إلى التركيز والإدماج منها إلى التبسط والفكاهة، ولقيت مع ذلك رواجاً أى رواج، ثم نشأت الصحافة فاستقرت المقالة فى

(١) د. إبراهيم إمام. دراسات فى الفن الصحفى ص١٧١.

(2) Imam. I. The Language of Journalism (1969).

مكانها الذى لا غنى عنه بنوع آخر من أنواع الكتابة الوجيزة، بعد أن كانت محاولة مترددة بين القبول والإهمال.

"وانقسمت موضوعات المقالات على حسب الصحف والمجلات، فما كان منها للتسلية والقراءة العامة فقد التزمت فيه طريقة مونتانى وتابعيه، وما كان للدرس والقراءة الخاصة فقد غلبت عليه صبغة الجد والإتقان، وقيل فى تعريف النمط الأول إنه أشبه شيء بحديث شخصى تفاجئه على غير انتظار، فهو مزاج من التفتح والحيطة العارضة على مسمع من المترقبين المتطلعين.. وقيل فى تعريف النمط الآخر إنه درس يلاحظ فيه تلخيص المطولات وتقريب المتفرقات، وقد يبلغ الغاية من التركيز والإدماج[١].

ويذهب العقاد[٢] إلى أن "المقالة" ينبغى أن تكون "مشروع كتاب فى موضوعها لمن يتسع وقته للإجمال ولا يتسع للتفصيل، فكل مقالة فى موضوع فهى كتاب صغير يشتمل على النواة التى تنبت منها الشجرة لمن شاء الانتظار".

أما الدكتور جونسون، فيذهب إلى أن المقال "وثبة عقلية لا ينبغى أن يكون لها ضابط من نظام، وهو قطعة إنشائية لا تجرى على نسق معلوم، ولم يتم هضمها فى نفس صاحبها، أما الإنشاء المنظم فليس من المقال فى شيء" وفى تعريف آخر: "المقال هو الإنشاء المتوسط الطول، يُكتب نثراً عادة، ويعالج موضوعاً بعينه بطريقة بسيطة موجزة على أن يلتزم الكاتب حدود هذا الموضوع، ويكتب عنه من وجهة نظره هو".

لقد تواضع رجال النقد على أن يطلقوا كلمة "مقالة" على كل ضروب الكتابة النثرية إن قصر طولها وعالجت موضوعاً واحداً، ويذهب "تشارلتن" إلى أن المقالة قد تكون نظماً، ولذلك أمثلة قليلة، نجدها فى العمود الشعرى، ولهذا كان مدى التفاوت بعيداً جدًّا بين مختلف صنوف التحرير التى تقع تحت هذا الاسم، فالبحث العلمى القصير مقالة، كالرسالة العلمية التى كتبها "لوك" عن طريق اكتساب الإنسان للمعرفة وأطلق عليها "مقالة فى العقل البشرى" والقطعة الأدبية الفنية مقالة، ومثال ذلك مقالات "لام" و"أيام" طه حسين، وهذا النوع من المقالة لا يضيف إلى العلم الإنسانى علماً جديداً ولا يقدم للقارئ معرفة، إنما يقصد إلى إمتاعه ولذته بما فيه من فن جميل، وبين هذين الطرفين – المقال العلمى من ناحية والمقالة الأدبية من ناحية أخرى –

(١) عصر العقاد؛ للمؤلف؛ السابق ص ٧٠.
(٢) نفسه ص ٧١.

تتفاوت المقالات درجات فى دنوها من هذا الطرف أو ذاك، فمنها ما هو إلى العلم الخالص أقرب، ومنها ما هو إلى الفن الخالص أقرب، ومنها ما يجمع الغايتين معاً. على نحو ما نجد فى، مقالات "ماكولى" التى يحاول فيها أن يكون مؤرخاً علميًّا يتوخى الحق وصدق الرواية، أن يكون فناناً فى ألفاظه وعباراته فى وقت واحد[1]، شأنه فى ذلك شأن طه حسين حينما يحاول فى مقالاته ما يحاول الخطيب بأسلوبه، يظهر للناس كأنما هو يدير القول فى موضوع عقلى منطقى، لكنه برغم ذلك لا يرجو أن يؤثر عليهم بحجته بقدر ما ينفذ إلى قلوبهم بقوة العبارة وحسن البيان. هذا عن المقال الأدبى، أما المقال الصحفى فيرتبط بوسائل الإعلام، التى تحتوى على ثلاثة أنواع رئيسية من **المضمون الإقناعى**.

أولها: الإعلام وثانيها الدعوة المقصودة: كالمقالات الافتتاحية، والرسوم الكاركاتيرية والأعمدة والمقالات التفسيرية التى تؤدى بالقارئ إلى الوصول إلى استنتاج. وثالثها ذلك المضمون الذى يراد به أساساً، الترفيه أو الإعلام بحيث يكون الإقناع منتجاً فرعيًّا محتملاً.

ويذهب ريفرز وزميلاه فى كتاب "وسائل الإعلام والمجتمع الحديث" إلى أن المضمون الإخبارى لوسائل الإعلام قد يكون له تأثير أكبر فى الرأى العام من الإقناع الصريح، بمعنى أن الأخبار قد تكون ذات قوة أكبر فى تشكيل الاتجاهات العامة من المقالات والأعمدة السياسية، والأخبار تسجل الأحداث، وقد تغير الأحداث التى تقدمها الصحيفة عقولاً أكثر مما تغيره الدعاية.

ويقدم هودلى كانتريل فى كتابه "قياس الرأى العام" قاعدة عامة تقول: "إن الرأى يتحدد عموماً بالأحداث أكثر مما يتحدد بالكلمات – ما لم تفسر هذه الكلمات ذاتها على أنها حدث" ويضيف "ريفرز" إلى ذلك، أن الأحداث تنزع إلى ترسيخ تغيرات الرأى العام الناتجة عن الكلمات، وقد يكون التغير فى الرأى قصير العمر، ما لم تسانده بعض الأحداث.

ولكن هذه القواعد العامة – كما يذهب إلى ذلك برنارد بيرليون- تستدعى تعليقين: أولهما أنه يكون من الصعب التمييز بين الأحداث والكلمات. فهل الخطاب الهام الذى يقدمه رئيس الجمهورية حدث أم مجرد كلمات؟ وثانيهما : أن كثيراً من

(١) هـ.ب. تشارلتن (تعريب وشرح د. زكى نجيب محمود) فنون الأدب.

الأحداث لا تحدث تأثيرها نتيجة حدوثها فحسب، وإنما بمعاونة من الكلمات أيضا، أى أن أهمية الحدث فى إقناع الجمهور قد تشحذ كثيراً من خلال التفسيرات التى يقدمها معلقوا التليفزيون، وكتاب المقال الصحفى.

المقال الأدبى والمقال الصحفى.

وإذا كان عصر النهضة هو البيئة المواتية لظهور فن المقال الأدبى، فقد كانت عصور التقدم العلمى، والتنوير الفكرى، وتكون الرأى العام وظهور الطبقة الوسطى التى تمتاز بعقلية واقعية، وتهتم بمشكلات المجتمع العملية من أهم عوامل ظهور فن المقال الصحفى.. الذى يختلف – كما يذهب إلى ذلك الدكتور إمام – عن فن المقال الأدبى اختلافاً جوهريًّا من حيث الوظيفة والموضوع واللغة والأسلوب جميعا : "فالمقال الأدبى يعبّر قبل كل شىء عن تجربة معينة مست نفس الأديب، فأراد أن ينقل الأثر إلى نفوس قرائه، ومن هنا قيل أن المقال الأدبى قريب جدًّا من القصيدة الغنائية، لأن كليهما يغوص بالقارئ إلى أعماق نفس الكاتب أو الشاعر، ويتغلغل فى ثنايا روحه حتى يعثر على ضميره المكنون، ولك الفرق بين المقال الأدبى والقصيدة الغنائية هو فوق فى درجة الحرارة. تعلو وتتناغم فتكون قصيدة، أو تهبط وتتناثر فتكون مقالاً أدبياً "على حد تعبير الدكتور زكى نجيب محمود" أما المقال الصحفى فيتصل أكثر ما يتصل بأحداث المجتمع الخارجية عامة، كما يفترض وجود رأى عام يخاطبه ويتحدث إليه. أو كما يقول الدكتور إمام، إن المقال الأدبى يدخل فى اعتباره عواطف الفرد ووجدانه، أما المقال الصحفى فيهتم بما يسمى "الوجدان الجماعى".

وفى دائرة المعارف البريطانية إفاضة فى تعريف المقالة الأدبية تحت مادة Essay (ط١٩٢٩م٨): "المقالة الأدبية عبارة عن قطعة مؤلفة متوسطة الطول، وتكون عادة منثورة فى أسلوب يمتاز بالسهولة والاستطراد، وتعالج موضوعاً من الموضوعات، ولكنها تعالجه – على وجه الخصوص – من ناحية تأثر الكاتب به" ويرى "سوارس" فى كتابه "مقدمة لدراسة الأدب" أن هناك قسمين من المقالات:

الأول: قطع إنشائية فى موضوع من موضوعات العلم أو الفلسفة أوالتاريخ أو النقد. وعرضها الأول عرض طائفة من "المعلومات"، ومثل هذه المقالات قابلة لأن تكبر حتى تصبح "بحوثاً".

الثانى: عبارة عن قطع قصيرة، فى أسلوب استطرادى، تشمل على وجهة نظر الكاتب فهى محاولة منه أن يسجل الآراء التى يثيرها الموضوع فى فكره. والموضوعات لا تقع تحت حصر ولكنها يجب أن تصطبغ بانفعالات وشخصية الكاتب. ولعل مقالات "تشارلس لام" المسماة مقالات "إليا" هى خير مثال لهذا الطراز من المقالات.

ويشتمل المقال الأدبى على : المقال الوصفى أو العرضى، والمقال النزالى، والمقال النقدى، والمقال الكاريكاتيرى، والمقال القصصى، والمقال الاعترافى.. إلخ.

أما المقال الصحفى فينقسم إلى أنواع منها: المقال الافتتاحى أو العمود الرئيسى، والعمود الصحفى، وفن اليوميات الصحفية.

ونحن نذهب إلى أن الفصل بين المقال الأدبى والمقال الصحفى فصل تعسفى فى كثير من الأحيان، ذلك أن المقال الصحفى قد وظف فنون المقال الأدبى لأداء مهام الفن الصحفى، وطبعها بطابعه كفن تطبيقى وليس فنًّا تجريديًا، وهو لذلك يقوم على أداء وظائف الإعلام والتفسير والشرح والتوجيه والإرشاد والإمتاع والتعليم والتنشئة الاجتماعية. فالمقال الصحفى مسئول عن تقديم المعلومات إلى الجماهير بصورة مبسطة مستساغة، وخالية من التفاصيل المعقدة، ولذلك يجب أن يكون المقال الصحفى جميل الأسلوب، مشرق الديباجة، متفرداً فى موضوعه وهدفه، قويًا فى تعبيره عن الرأى.. وإذا كان المقال يدعو لقضية، فلابد أن يفعل ذلك دون إبهام، وإذا كان يشرح أو يفسر أو يحلل فعلى الكاتب أن يقدم أكثر مما يستطيع المندوب الصحفى أن يقدمه فى أعمدة الأخبار، بحيث يقدم أعقد المشكلات السياسية والاقتصادية والثقافية باصطلاحات الإنسان العادى.

فن المقال الافتتاحى.

ويعتبر هذا الفن من أهم فنون المقال الصحفى لاعتماده فى الشرح والتفسير والايضاح على الحجج والبراهين، والإحصاءات والبيانات للوصول فى نهاية الأمر إلى اقناع القارئ وكسب تأييده ذلك أن المقال فى مدلوله الإصلاحى Leading Article، يقود غيره من المقالات ويتقدمها من حيث تعبيره عن رأى الصحيفة كمؤسسة، ومن حيث تناوله لأهم الموضوعات بالقياس إلى سياستها التحريرية، ومن حيث المساحة الثابتة الممنوحة له. ولذلك فإن المقال الافتتاحى كثيراً ما يكون غفلاً من التوقيع.

غير أن اتجاه هذا المقال إلى التعبير "اللاشخصى" ليس معناه الجفاف فى التعبير، أو الجفاء فى موقف الكاتب من القارئ، إذ أن خاصية التبسيط فى الحديث والإنسياب فى السرد لا تزال أهم مميزات فن المقال الصحفى. وهى المميزات التى يتسم بها أدب المقالة فى نماذجها المأثورة حتى "ليشعر القارئ لمقال من مقالات كتابها أنه إنما يجلس إلى صديق من أصدقائه، ويستمع إلى بعض إخوانه، ويدور معه حيث يدور، ويدخل معه فى شجون من الحديث لا يجب أن يصل إلى نهايتها. وهى المميزات التى تجعل مقالة الصحفى يقوم على "روح المشاركة"، وهى روح الديمقراطية الحقة التى تفترض المساواة بين الجميع، ومن هنا فإن هذا الفن المقالى فى الصحافة المعاصرة يتسم بالهدوء والابتعاد عن الاستعلاء أو الخطابة. ذلك أن المقال الافتتاحى يهدف إلى الإقناع لا مجرد الاستمالة العاطفية. فالشواهد والأدلة والبراهين، سواء بالنصوص أوالإحصاءات أو المقارنات ضرورة لازمة للتعليق على الأخبار والماجريات. وكثيراً ما يكون المقال الافتتاحى بمثابة تعليق على الأخبار والأحداث الجارية، مع الاستشهاد – بطبيعة الحال – بأمثلة تاريخية وتقارير إخبارية، ولذلك فإن كاتب المقال الافتتاحى يعتمد اعتماداً كبيراً على الأرشيف الصحفى، وعلى مذكراته الخاصة، بالإضافة إلى ذاكرته القوية. ولذلك نجد كاتب المقال الافتتاحى . فى نهاية الأمر، رغم عدم توقيعه باسمه، معروفاً لدى جمهور القراء الذين تآلفوا مع أسلوبه وتعودوا على فتح الصحيفة فى صفحة معينة لقراءة ما يكتبة كاتبهم المفضل البسيط الأسلوب والمقنع فى حجته.

ومن أجل ذلك وجدنا الصحف العالمية تسجل على كل صفحة من صفحاتها، ما عدا واحدة، ما يجرى فى العالم الواسع من أحداث وما يدور فيه من أفكار وآراء. وتستبقى صفحة واحدة فقط، وفى بعض الأحيان عموداً واحداً فحسب، لتجهر بآرائها هى وأفكارها. فحق الصحيفة فى الإعراب عن رأيها فى الأنباء التى تنشرها أمر طبيعى جداً. فالنبأ والرأى رفيقان يظهران جنباً إلى جنب ذلك أن أول سؤال يبدر إلى أذهاننا عندما يأتينا شخص ما بأى معلومات تثير اهتمامنا هو: "ما رأيك فى هذا الأمر"؟. ولذلك كانت الصحف فى أيامها الأولى تنشر الأنباء على حدة والآراء على حدة، فتصدر إحداها فى رسائل الأنباء، والأخرى فى كراسات. وكان "دانيال ديفو" هو أول من وحد بين هذين التيارين الصحفيين فى مطبوع واحد أسماه "ذى ريفو" أصدره فى لندن عام ١٧٠٤[١].

---

(١) الدكتور إبراهيم أمام : تطور الصحافة الإنجليزية ص١٩٦.

وينسب إلى ديفو أولية كتابة ما كان يسمى بالخطاب **الافتتاحى Letter Introductory** وهذا أول مقال حول موضوع سياسى أو اجتماعى هام تعليقاً على الحوادث الجارية يكتب بأسلوب شائق جذاب ويظهر عادة فى صدر الصحيفة وكأنه خطاب رقيق لطيف من الكاتب إلى القارئ، فسمى بالخطاب الافتتاحى وكان نواة للمقال الافتتاحى الذى نعرفه فى الصحافة الحديثة.

وقد كان المقال الافتتاحى فى القرن الماضى يشغل الصفحة الأولى وبعض أجزاء من الصفحات الأخرى. ولم يتزحزح عن مكانه الممتاز فى الصحفى الأولى إلا فى وقت قريب - أى منذ إنجازات الصحافة الحديثة فى الفترة الأخيرة إلى الخبر، وقلت عنايتها نوعاً ما بالمقال. وليس أدل على أهمية المقال الافتتاحى منذ نشأة الصحافة من أن كتاب هذا المقال كانوا ولا يزالون - نوابغ الصحافة فى كل أمه من الأمم، بل فى كل فترة من فترات التاريخ. ففى الصحافة العربية اشتهر من كتاب المقال : محمد عبده، وأديب اسحق، وعبدالله نديم، والزعيم مصطفى كامل، وأحمد لطفى السيد، وعبدالقادر حمزة، وأمين الرافعى، وإبراهيم المازنى، وحسين هيكل، والعقاد، وطه حسين، وغيرهم من أساطين الفكر والأدب والصحافة. وفى الصحافة الإنجليزية لمعت أسماء كتاب المقال من أمثال ديفوواريون وستيل، وجونسون ووبيلكيز وبدكنز ولامب وبرناردشو ووب وغيرهم. وكذلك كان كتاب المقال من الأمريكيين من المع رجال الفكر والسياسة والأدب ومنهم صمويل آدمزوجون آدامزوجوزيف وارن وصمويل مبرورالف امرسون ووالترلبمان وغيرهم.

وقد كان المقال الافتتاحى ينهض بمهمة القيادة والزعامة، وكان وسيلة التوجيه والإرشاد والتنشئة الاجتماعية، كما كان الوسيلة المؤثرة لتكوين الرأى العام. ولا يزال المقال الافتتاحى يقوم بدور رئيسى فى الصحافة الرفيعة أوصحافة الرأى العام المستنير كصحيفة التيمس الإنجليزية والنيويورك تايمز الأمريكية والموند الفرنسية وغيرها. بل إن مقالات هذه الصحف قد تتجاوز فى أهميتها وتأثيرها حدود البلاد التى تنشر فيها الصحيفة إلى بلاد أخرى.

ويطلق الإنجليز والأمريكيون على المقال الافتتاحى اسم Leading Article أواسم Editoarial Article ، وهو المقال الرئيسى للصحيفة، وله فن خاص به من حيث الصياغة : وأساس هذا الفن هو الشرح، والتفسير والاعتماد على الحجج المنطقية حيناً، والعاطفية حيناً آخر للوصول إلى غاية واحدة فقط، هى إقناع القارئ.

كما أن كاتب المقال الافتتاحى فى الجرائد الكبرى مثل (التيمس) و(الهيرالدتريبيون) يكون معروفاً لدى جمهور القراء. بمعنى أنهم قد تعودوا على أسلوب كاتب المقال الافتتاحى الذى يجب أن يتميز بالسلاسة والبساطة والوضوح والإيناس بين الكاتب والقارئ. ولذلك نجد كاتب المقال الافتتاحى - الذى لا يوقع باسمه؛ معروفاً لدى جمهور القراء الذين تآلفوا مع أسلوبه، وتعودا على فتح الصحيفة فى صفحة معينة لقراءة ما يكتبه كاتبهم المفضل البسيط الأسلوب والمقنع فى حججه.

ومن أجل ذلك وجدنا الصحف العالمية تسجل على كل صفحة من صفاتها ما عدا واحدة، ما يجرى فى العالم الواسع من أحداث وما يدور فيه من أفكار وآراء. وتستبقى صفحة واحدة فقط، وفى بعض الأحيان عموداً واحداً فحسب، لتجهر بآرائها هى وأفكارها. فحق الصحيفة فى الإعراب عن رأيها فى الأنباء التى تنشرها أمر طبيعة جداً، فالنبأ والرأى رفيقان يظهران جنباً إلى جبن. ذلك أن أول سؤال يبدر إلى أذهاننا عندما يأتينا شخص ما بأى معلومات تثير اهتمامنا هو "ما رأيك فى هذا الأمر"؟ ولذلك كانت الصحافة فى أيامها الأولى تنشر الأنباء على حدة والآراء على حدة، فتصدر إحداها فى رسائل الأنباء، والأخرى فى كراسات. وكان "دانيال ديفو" هو أو من وحد بين هذين التيارين الصحفيين فى مطبوعة واحدة اسماها "ذى ريفيو" أصدرها فى لندن عام ١٧٠٤[(١)].

وقد أوحت لغة الصحافة المتطرفة فى حزبيتها، الصاخبة فى اسلوبها وعباراتها إلى عبقرية هذا الصحفى الفذ - ديفو بإبتداع المقال الهادئ المتزن، الذى يمحص الآراء ويختبر الحقائق ويناقش سياسة الحكومات فى هدوء وروية، وهكذا أنشأ ديفو أول مرة فى تاريخ الصحافة الإنجليزية مقالات سياسية معتدلة، ومنطقية متزنة. ثم تطور فن المقال الافتتاحى فى الصحف السياسية التى اشترك فيها ديفو حتى بلغ مرحلة الفن الناضج الذى يقوم على أسس معينة وتقاليد محترمة. وبفضل ديفو عرفت الصحافة أن المقال الافتتاحى ليس تعبيراً عن رأى الكاتب وحده أو وجهة نظره الخاصة، كما هى العادة بالنسبة لأضرب المقال الأخرى وفنونه المتعددة، بل إنه على العكس من ذلك ينبغى أن يكون تعبيراً دقيقاً عن رأى الصحيفة وسياستها كمؤسسة اجتماعية عامة. فإذا كتب رئيس التحرير مقالاً افتتاحياً فلا يجوز أن يضمنه رأياً شخصياً، وإنما يعبر عن سياسة الصحيفة وموقفها العام بالنسبة للشئون السياسية والاجتماعية. فالمقال

---

(١) د. إبراهيم أمام : تطور الصحافة الإنجليزية، ص١٩٦.

الافتتاحى لا يمكن أن يذيل بتوقيع كاتبه وإلا كان التوقيع متعارضاً مع فكرة المقال نفسه ووظيفته كتعبير عن السياسة العامة للصحيفة، لا رأى الكاتب وحدة. وتأسيساً على هذا الفهم لوظية المقال الافتتاحى ذهبت الصحافة الحديثة إلى تخصيص صفحة للافتتاحيات، تجعلها مؤلفة من آراء الصحيفة نفسها، معبراً عنها قولاً فى افتتاحيات، ورسماً فى صورها الكاريكاتورية، وكذلك من آراء الآخرين. وقد تكون هذه الآراء الخارجية هى أفكار قراء الصحيفة ترد إليها على الطريقة المعروفة "رسائل إلى المحرر" أو مقتطفات موجزة من أعمدة الرأى المنشورة فى صحف آخرى، تنقلها تحت عنوان مثل "من أقوال الصحف" مثلاً.

ويتحمل كتاب الافتتاحيات مسئولية كبرى تجاه الجمهور. إذ يتحتم عليهم أن يكونوا من ذوى الإطلاع الواسع، وأن يجعلوا من أنفسهم اختصاصيين فى الموضوعات التى يكتبون فيها، وأن يكونوا منصفين فى الآراء التى يكونونها أويعبرون عنها : فليس هناك فى هذه الأيام، إنسان واحد يستطيع أن يقتدى بفرنسيس بيكون و"يجعل المعرفة كلها ملك يديه". على أن الأمر، كما يقول جافرى بارسونز عندما كان المستشار الرئيسى لجهاز تحرير الافتتاحيات فى صحيفة نيويورك هيرالدتريبيون، هو ما يلى :

"كلما ازداد أساس المعرفة عند الكاتب متانة، ازدادت مقدرته على استنهاض الفكر فى أى موضوع. فإن كاتب المقال الافتتاحى المجيد يخاطب من الناس عدداً أضخم بكثير مما توصل إليه أى مدرس أو فيلسوف أو ناقد إطلاقاً... وليس كثيراً عليه أى قدر من المعرفة، إذا كان عليه أن يستوقف انتباه جمهوره". وإدراكاً لهذه الأهمية، ذهب علماء الاجتماع إلى القول : إن الظروف والأحداث التى تمر بالإنسان والتغيرات التى تطرأ على المجتمع لا يمكن أن يكون لها دلالة ما، أو يكون لها فى كيان الفرد أو المجتمع أثر ما إلا إذا وعاها الفرد وأدركها وقدّرها وكيفها فإذا لم يحدث من ذلك شىء ظلت هذه الظروف والأحداث التغيرات بعيدة عن وجدان الناس. بل أصبحت وهى فى حكم العدم.

وينعكس أثر هذه المعرفة التى يحصلها كاتب المقال الافتتاحى على ما يكتبه تحليلاً للأخبار وما وراءها، وعما يحمل كل خبر منها من مغزى. وبهذه الطريقة يستطيع الأفراد كما يستطيع الجماعات أن تحل مشاكلها التى تعرض لها، سواء أكانت هذه المشكلات نفسية، أم اقتصادية، أم سياسية، أم اجتماعية. ويكون الفضل فى ذلك راجعاً إلى الصحافة، أو إلى ذلك الكاتب الذى انبرى للكتابة فى الوقت المناسب وأخذ يزج بنفسه فى تلك المشكلات، وأن لم يكن من الأفراد الذين تناولتهم كل مشكلة منها،

أو اشتركوا فى إحداهما على أية صورة من الصور. بينما لا يشعر أصحاب هذه المشكلات التى أحاطت بهم وأصبح لها أثر فى حياتهم، وذلك لانعدام الوعى من جهة، وعجزهم عن تصور حياة أفضل، أو حالة أحسن من جهة ثانية.

ولذلك يرتبط المقال الافتتاحى – شأنه شأن فنون المقال – عند الكتاب المقاليين فى الصحافة الحديثة؛ بقيادة الفكر، التى تتوزع فى العصر الحديث بين أمور مختلفة، لأن ظروف الحياة نفسها قد وزعتها بين هذه الأمور، فلم تستأثر الفلسفة، ولم يستأثر الشعر، ولم تستأثر السياسة، ولم يستأثر الدين، بقيادة الفكر فى فصل من فصول هذه القصص التى يكونها العصر الحديث، وإنما اشتركت هذه الأمور كلها فى قيادة الفكر، وأخذ كل منها بنصيب من توجيه العقل الإنسانى والتأثير فى الحياة والشعوب : "وآية ذلك أنك تنظر فى أى وقت من أوقات هذا العصر الحديث، فإذا أنت أمام فلسفة تجاهد لتسيطر على الحياة، وسياسة تجاهد لتصوغ الحياة كما تحب، ودين يناضل ليحفظ بمكانته سلطانه، وأدب يجدّ ليكون له التفوق والفوز، ولكل واحد من هذه الأشياء زعماؤه وممثلوه والداعون اليه والزائرون عنه، حتى فى الأوقات التى يخيل اليك فيها أن أمراً من هذه الأمور قد ظهر تفوقه واستأثر بالفوز والغلبة. فقد يخيل إليك أن عصر الثورة الفرنسية مثلاً كان عصر سياسة ليس غيره ولكن فكر قليلاً واتقن درس هذا العصر، تجده عصر سياسة وعصر حرب، وعصر علم، وعصر فلسفة، وعصر تشريع، بل عصر دين أيضاً؛ وتجد كل هذه الأمور تزدحم وتتنافس وتستبق إلى قيادة الفكر تريد أن تستأثر بها وتسيطر عليها".

ولا شك أن توزع قيادة الفكر، وتنوع الموضوعات يؤدى خدمة جليلة للصحافة الحديثة، واسعة الانتشار، والتى يختلف قراؤها اختلافاً كبيراً فى الأذواق والأمزجة، فهناك مقالات حول الرياضة وأخرى حول الفن بالإضافة إلى السياسية والاقتصاد والشئون العامة. على أن الصحافة لم تفد فحسب من هذا التوزع فى قيادة الفكر، ولكنها كانت سبباً فى توزع هذه القيادة؛ ذلك أن الكاتب أو العالم أو الفيلسوف لم يكن يظفر بانتشار كتبه فى العصور الأولى، إلا إذا ظفر بشيء من الشهرة وبعد الصيت يرغب الناس فى آثاره، ولم يكن الظفر بهذه الشهرة سهلاً ولا يسيراً. أما الآن فقد يسرت المطبعة على كل ذى رأى أن يذيع رأيه ويناضل عنه، وعلى كل باحث أن ينشر ثمرات بحثه بين الناس. ولم تكد تظهر المطبعة، وتأخذ فيما أخذت فيه من النشر والإذاعة، كما يقول طه حسين؛ حتى "ظهرت آثار ذلك قوية فى حياة العصر الجديد، فكثرت الآراء

واختلفت، أو قل ظهرت كثرة الآراء واختلافها، واستطاعت أن تجاهد وتختصم وتتنافس فى قوة وسرعة لم يكن للناس بهما عهد من قبل". ذلك أن المطبعة استتبعت شيئاً آخر غير الكتب والرسائل، استتبعت الصحف اليومية والدورية، وقد قوّى ظهور "الصحف السياسية والعلمية لأدبية توزيع قيادة الفكر، وانتهى به إلى حد غريب فقد كان العلماء والكتاب والفلاسفة والساسة ينشئون كتبهم وينشرونها، فيستغرق ذلك منهم الأشهر ولأعوام، ويستتبع ذلك بطئاً فيما يكون بينهم من النزاع والنضال والاستباق إلى قيادة الفكر. أما بعد أن ظهرت الصحف فالنزاع يومى. أو أسبوعى، أوشهرى، هو عنيف، وهو سريع، وهو متصل، وهو مؤثر فى توزيع قيادة الفكر، بمقدار ما يشتد ويسرع ويستمر".

وينعكس أثر توزّع قيادة الفكر فى العصر الحديث، والذى جاء نتيجة للصحافة، على ما تكتبه الصحف من تحليل للأخبار وما وراءها، وعما يحمل كل خبر من مغزى، حتى يتمكن نفسية الأفراد والجماعات من حل المشاكل التى تعرض فى الحياة، سواء كانت مشكلات نفسية أم اقتصادية أم سياسية أم اجتماعية. وفى ذلك ما يؤكد مسئولية كاتب المقال الافتتاحى تجاه الرأى العام، فهو يدرك تمام الإدراك أن صياغته للمقال ليست صياغة أدبية، ولا هى صياغة غير ملتزمة، وإنما هى صياغة ترتبط بسياسة الجريدة من ناحية واهتمام القراء وميولهم من ناحية أخرى. لهذا نجد أن افتتاحيات الصحف الكبرى تعكس توزيع قيادة الفكر فيما تحتوى عليه من "تعليق سياسى، وآخر اقتصادى، وثالث اجتماعى، ولا تهمل العليق الطريف أو الخفيف الذى يقوم بالتسلية.

وتتصل مهمة الإقناع بهذه الخصيصة التوجيهية فى المقال الافتتاحى حين ينقل الإيمان بأفكاره يحتل دوراً قيادياً فى توجيه الرأى العام بأن لا يكتفى بنقل الأفكار وتفسيرها، ولا ينقل إيمانه فأفكاره بمجرد حرارة العاطفة، ولكنه يؤثر ويدوم لتعلقه "بحرارة الفكر". ذلك أن المقال الصحفى لم يعد مجرد توجيه بلاغى كما كان فى طور التكوين الصحفى؛ بل إنه على العكس من ذلك ينهج منهاجاً خاصاً فى التحرير يقوم على الدليل والبرهان، ويعتمد على الحقائق والأرقام والبيانات والإحصاءات الدقيقة، وهذه هى وسائل الإقناع والتوجيه والإرشاد، وهى التى تعطيه من القوة والتأثير ما لا يمكن أن تحققه الألفاظ الضخمة الجوفاء"(١).

(١) د. إبراهيم أمام: السابق، ص٦٨.

وفى ذلك ما يؤكد مسئولية كتاب المقال الافتتاحى كصاغة للرأى العام، الأمر الذى تشهد به لهجة القواعد والمبادئ التى نسفها وانتهجها المؤتمر الوطنى لكتاب الافتتاحيات فى الولايات المتحدة. فقد جاء فى فذلكة هذه القواعد "إنه يجب على كاتب المقال الافتتاحى، إذا كان يتوخى الأمانى لمهنته ومجتمعه، أن يجد فى أثر الحقيقة أنى أدى به المطاف".

وفيما يلى النقاط الأساسية لهذا القانون :

١ - ينبغى على كاتب المقال الافتتاحى أن يعرض الحقائق بأمانة واكتمال.

٢ - ينبغى عليه أن يخلص من الحقائق التى يوردها إلى نتائج موضوعية، وأن يدعمها بالبيانات، وأن يقيمها على مفهوم الخير الأعم.

٣ - ينبغى عليه ألا يكون مدفوعاً أبداً بمصلحة شخصية.

٤ - ينبغى عليه أن يدرك أن ليس معصوماً من الخطأ، وأن يفسح مجال القول لمن يخالف رأيه، فى عمود رسائل الجمهور وغير ذلك من الوسائل الملائمة.

٥ - ينبغى عليه أن يعيد النظر فى استنتاجاته الخاصة وأن يصححها إذا وجدها مرتكزة على مفاهيم خاطئة سابقة.

٦ - ينبغى أن يكون من الشجاعة بحيث يصمد لما يقتنع به على أسس متينة، وألا يكتب أبداً أى شيء ضد ضميره. وعندما تكون صفحات الافتتاحيات نتاج أكثر من ذهن واحد، فإن الوصول إلى رأى جماعى سديد لا يتم إلا عن طريق الآراء الفردية السديدة، لذلك ينبغى احترام الآراء الفردية الصادرة عن تفكير.

٧ - بنبغى عليه أن يؤازر زملاءه فى تمسكهم بأعلى مستويات الاستقامة المهنية.

ونتيجة لهذه الأهمية التى أحرزها المقال الافتتاحى منذ نشأة الصحافة، أن احتل الصفحة الأولى من صفحات الجريدة، بحيث يكون أول شيء يطالعه القراء فيها. ولم يتزحزح المقال الافتتاحى عن مكانه الممتاز فى الصفحة الأولى إلا فى وقت قريب - أى منذ إنجازات الصحافة الحديثة فى الفترة الأخيرة إلى الخبر، وقلت عنايتها نوعاً ما بالمقال [1].

(١) حمزة : المدخل ص٢٢٧.

وليس أدل على أهمية المقال الافتتاحى منذ نشأة الصحافة من أن كتاب هذا المقال كانوا ولا يزالون - نوابغ الصحافة فى كل أمة من الأمم، بل فى كل فترة من فترات التاريخ.

ففى الصحافة المصرية كان يكتب المقال الافتتاحى للمجلة أو الصحيفة، أمثال: محمد عبده، وأديب اسحق، وعبدالله النديم، وإبراهيم المويلحى، والسيد على يوسف، والزعيم الشاب مصطفى كامل، وأحمد لطفى السيد. وعبدالقادر حمزة، وأمين الرافعى، وإبراهيم المازنى، وحسين هيكل، وغيرهم من أساطين الأدب والفكر والصحافة جميعاً.

وفى الصحافة الإنجليزية وجدنا المقال الافتتاحى مكتوباً بأقلام ديفو، وأديسون، وستيل، وجونسون، وويلكز، وسويفت وغيرهم(١).

وقد أصبح للافتتاحية فى الجريدة المعاصرة صيغة صحفية مميزة. وأقرب الكتابات إليها هو المقال إلا أن الفرق بينهما هو أن الافتتاحية موجزة وذات طبيعة معاصرة. أما المقال فهو اليوم على قدر من الازدهار ويسر المطالعة مثله يوم خطه قلم الكاتب لأول مرة. فما كتبه أديسون أو ستيل فى القرن الثامن عشر لم يفقد قيمته اليوم؛ لأنه يعالج كقاعدة، موضوعاً ذا قيمة لازبة، أما الافتتاحية التى كتبت فى القرن الثامن عشر فإنها لا تستوقف الاهتمام اليوم إلا لمجرد ما تنطوى عليه من قيمة أثرية، ذلك أنها تكون قد عالجت موضوعاً ذا علاقة آنية بذلك الوقت فحسب.

وتأسيساً على ذلك يمكن تعريف المقال الافتتاحى بأنه مقال قصير وثيق الارتباط بالزمن الذى يصدر فيه.

أما الغرض الذى يرمى إليه هذا المقال الافتتاحى فهو عرض الرأى الذى تراه الصحيفة نفسها، ولها عدة طرق لبيان هذه الأفكار والآراء.

ومما يذكر فى هذا الصدد أن آرثر بريسبين، الذى كان له أتباع كثيرون فى أيامه، كان يعتقد أن مجال كاتب الافتتاحية يقوم على أداء أغراض؛ أن يعلّم، وينازل ويدافع، ويمتدح.

والتعليم هو أهم هذه الأغراض وأصعبها. والنزال أسهلها وأبغضها إلى النفس، وإن تكن ضرورية فى بعض الأحيان.

---

(١) أمام : تطور الصحافة ص١٣٥،١٢٦،١١٥.

أما الدفاع عن القضايا الخيرة، وعن الضعيف ضد القوى، وعن الفكرة الجديدة والحيلولة دون تسفيهها، فأمر مهم ويهمله كتاب الافتتاحية عادة.

وكذلك الثناء مهمل أيضاً إلا على الصعيد الحزبى دون أن يكون له معنى ما(١) ..

إن وظيفة الافتتاحية، من وجهة نظر مثالية، هى إعلام الرأى العام والأخذ بيده، فهى تفسر النبأ السائر للقارئ وتبين ما له من دلالة. وتقول فى ذلك جريدة "نيويورك تايمز" : "إذا ضلّت الوظيفة القيادية طريقها فى بعض المواضع بين وقت وآخر، فإن العامل المعتمد عليه فى التصويب جاهز دائماً فى متناول اليد إذا كانت أعمدة الأنباء تعرض الحقائق بأمانة".

ونخلص مما تقدم إلى أن الخصائص التى يتميز بها المقال الافتتاحى فى الصحافة المعاصرة فيما يلى(٢):

أولاً: خصيصة الثابت على سياسة واحدة هى سياسة الصحيفة؛ إذ لا يصح لهذه الصحيفة أن تكون مذبذبة بين سياسات كثيرة لأنها بذلك تفقد أهميتها كصحيفة من صحف الرأى.

ومن أجل هذا يراعى فى المقال الافتتاحى عادة ألا يكون مذيلاً بتوقيع كاتبه، لأنه مقال منسوب إلى الصحيفة نفسها بوصفها هيئة من هيئات الإعلام، لها سياستها وهدفها من وراء هذا الإعلام.

ثانياً: خصيصة الحذر والاحتياط فى إبداء الرأى لأنه ما دام رئيس التحرير أوكاتب المقال الافتتاحى لا يعبر عن رأيه الشخصى، بل عن رأى الصحيفة باعتبارها مؤسسة اجتماعية وظيفتها – الإعلام – وجب عليه أن يصطنع الحيطة فيما يكتب من مواد باسم الصحيفة: وألا عرضها للخطر.

وهنا تثار مسألة تتصل "بضمير الكاتب" فهل معنى ما تقدم أن الكاتب ينبغى أن يخالف ضميره فيما يقدم للقراء من هذه المادة الصحفية الهامة التى قلنا إنها ملك للصحيفة قبل أن تكون ملكاً لكاتب من كتابها؟

---

(١) بوند : مدخل ص٢٩٣.

(٢) حمزة المدخل ص٢٢٠، Spencer; M.Hyle: Editorial Writing P.P. 157-159.

والجواب عن ذلك - كما يقول الدكتور سبنسر - هو أن الكاتب الذى يختلف فى وجهة نظره عن وجهة نظر الصحيفة يجب ألا يجعل من المقال الافتتاحى مجالاً لإظهار ذلك.

وباختصار يجب أن يعرف المحرر الصحفى للمقال الافتتاحى أن هناك ثلاثة أشياء يؤثر بعضها فى بعض ويعتمد بعضها على بعض ويتداخل بعضها فى بعض، وهذه الأشياء الثلاثة هى:

- سياسة الجريدة، وصياغة المقال، واهتمام القراء[1].

- والواقع أن وظيفة كاتب الافتتاحية تظل هى هى كما كانت دائماً : تفسير الأنباء، وإرشاد الرأى، والقيام بالحملات من أجل مساندة القضايا العادلة، ولكن النطاق الذى يعمل ضمنه قد اتسع.

وليس الترفيه أقل خصائص المقال الافتتاحى شأناً. فإن كاتب المقال الافتتاحى كثيراً ما يجد هذه المهمة أصعب من مجرد مناقشة قضية ما أو عرض عقيدة سياسية ما. بيد أن الاتجاه الحديث المتزايد هو نحو إشاعة الإشراق على صفحة الافتتاحية بما يسمى الافتتاحيات "الرشيقة المرحة" المختلفة عن الافتتاحيات التقليدية، كالبحث فى قاعدة لغوية ومداعبة الغريب منها أو المتمسك بأصولها حتى التعصب[2].

تلك فى إيجاز شديد؛ هى أهم خصائص المقال الافتتاحى فى الصحافة العالمية، والتى استمدها نتيجة لتطور الصحافة نفسها، فأصبحت الصحافة الحديثة تعمد إلى كتابة العمود الرئيسى أو المقال الافتتاحى على نحو من الإيجاز فى عمود واحد من أعمدة الصحيفة، وفى هذا العمود مقال واحد حيناً، ومقالان أو ثلاثة حيناً آخر.

وذلك لكى تفسح المجال لبقية المواد الصحفية الأخرى التى لم تعرفها الصحافة القديمة؛ أو كانت معرفتها بهذه المواد قليلة.

٢ - الوحدة العضوية فى تحرير المقال الافتتاحى:

ونخلص مما تقدم إلى أن المقال الافتتاحى "وحدة" مستقلة، وليس مجرد سرد للحقائق، أو إتيان بالشواهد، أو إيراد للأمثلة، ولكنه وسيلة للتعبير عن رأى من آراء الصحيفة، أو مذهب من المذاهب التى تروج لها فى الاجتماع أوالسياسة أو الفكر،

---

(١) حمزة : المدخل ص٢٣١.

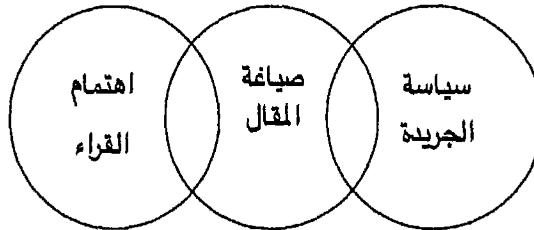
(٢) بوند : مدخل ص٢٩٧.

ولذلك نجد الكاتب المقالى يبسط هذه الآراء والمذاهب ويبسط الحقائق التى يوردها لقرائه، بحيث تدعم فكرة المقال، وموضوعه وغايته التى تنصب دائماً حول غرض واحد.

وأغلب الظن أن هذه "الوحدة"التى تربط بين أعضاء المقال الصحفى أوثق ارتباطاً بما ذهب إليه نقاد الأدب من الدعوة للوحدة العضوية، فلاحظنا فيما سقناه من نماذج وما اطلعنا عليه من التراث الصحفى[1] أن المقاليين يراعون النسب بين الأفكار والشواهد وبين الشكل الخارجى للمقال أو البناء الفنى، بحيث يخرج المقال الصحفى متكامل الأجزاء متناسق الشكل والمضمون.

وفى هذا الإطار الفنى مهد الكتاب المقاليون فى أدبنا الحديث لتحقيق شكل جديد للمقال الافتتاحى فى الصحافة العربية؛ يؤدى عنها أفكارها الجديدة فى السياسة والاجتماع؛ فتوافر للمقال الصحفى التجديد والتحرر البيانى، كما تظهرنا الدراسة الأسلوبية لمقالات طه حسين وهيكل والعقاد[2].

ويذهب علماء الفن الصحفى إلى أن كاتب المقال الافتتاحى فى الصحيفة؛ يجب أن يتمثل فى رؤياه الإبداعية ثلاثة عناصر متداخلة؛ يؤثر بعضها فى بعض، ويعتمد بعضها على بعض، ويتداخل بعضها فى بعض؛ يصورها أستاذنا د. حمزة رحمه الله على النحو التالى[3]:



ويمكن صياغة العناصر رياضياً على النحو التالى:

سياسة الجريدة + صياغة المقال + اهتمام القراء = المقال الافتتاحى

---

(١) انظر للمؤلف: فن المقال الصحفى، دار قباء للطبع والنشر ١٩٩٩.

(١) فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين، القاهرة هيئة الكتاب.

(٢) فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكل، القاهرة هيئة الكتاب.

(٣) عصر العقاد، صفحات مطوية فى تاريخ الصحافة المصرية، القاهرة مؤسسة مختار.

(٢) التفسير الإعلامى لأدب المقالة؛ مؤسسة مختار.

(٣) د. عبداللطيف حمزة : المدخل ص٢٩٦.

وهى كما يبين من النموذج عناصر متداخلة يصدر عنها الكاتب فى رؤياه الإبداعية، ليصل بالمقال الافتتاحى إلى هدف الصحيفة المنشود؛ وإفادة القارئ الذى تتوجه إليه.

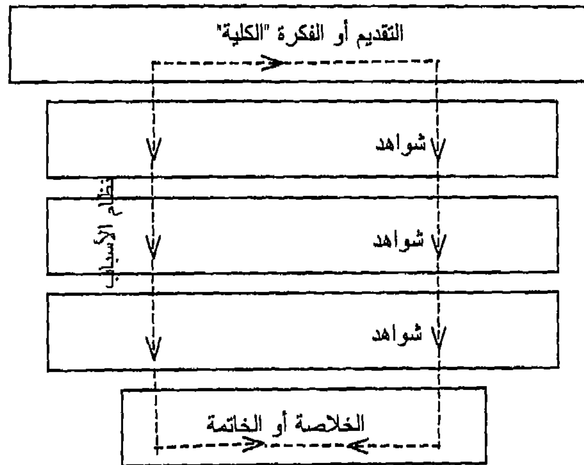
أما بناء المقال الافتتاحى : فتقوم على ثلاثة عناصر هى(١):

١ - عنصر التقديم أو الفكرة الكلية المثيرة لاهتمام القرائ.

٢ - عنصر الحقائق والشواهد المؤيدة للفكرة الكلية.

٣ - عنصر الخلاصة التى يخرج بها القارئ من المقال.

وهذه العناصر يتألف منها "بناء" المقال الافتتاحى؛ على النحو الذى يوضحه النموذج التالى:



أولاً: عنصر التقديم أو الفكرة الكلية فى المقال الافتتاحى:

يرتبط هذا العنصر ارتباطاً "عضوياً" بعنوان المقال، الأمر الذى يؤكد ما ذهبنا إليه فيما يتعلق بالوحدة التى تربط بين أجزاء المقال، فالتقديم لا يمكن أن ينفصل عن عنوان المقال بحال من الأحوال، بل إن كليهما متمم للآخر، ولعل فى ذلك ما يفسر إيثار كاتب مقال كبير مثل طه حسين لاختيار كلمة واحدة يعنون بها المقال، وهى كلمة

(١) نفسه، ص٢٩١.

مشعة موحية بمضمونه، لا تنفصل عن مقدمته أو صلبه أو خاتمته، ومن ذلك مقال بعنوان: "شجاعة"(١).

"شجاعة نادرة باهرة هذه التى يتخذها بعض النواب إذا تحدثوا عن خصومهم أفراداً وجماعات تحت قبة البرلمان، فهم يطلقون ألسنتهم فى هؤلاء الخصوم بالحق والباطل، وبالخطأ والصواب، والجد والهزل، لا يقدرون شيئاً، ولا يحسبون حساباً، وإنما ينطلقون وكأنما خلى بينهم وبين الحكمة، فليس إلى تسكيتهم ولا إلى تهدئتهم من سبيل"(٢).

ثانياً: عنصر الحقائق والشواهد:

ويرتبط العنصر الثانى من عناصر تحرير المقال الافتتاحى، ونعنى عنصر الحقائق والشواهد المؤيدة للفكرة، بعنصر التقديم ارتباطاً عضوياً وثيقاً، ولكن هذه الوحدة "العضوية" فى المقال الافتتاحى، لا تقوم على الترتيب الاحتمالى، بقدر ما تقوم على ترتيب المنهج الاستقرائى، ويقصد بالوحدة العضوية فى المقال الافتتاحى: وحدة الموضوع، ووحدة الأفكار والآراء التى يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك من ترتيب الشواهد المؤيدة لهذه الأفكار والآراء ترتيباً استقرائياً به يتقدم المقال شيئاً فشيئاً حتى ينتهى إلى "خلاصة" تمثل العنصر الأخير من عناصر التحرير فى مقال طه حسين، يستلزمها هذا الترتيب الاستقرائى للأفكار والشواهد والصور، بحيث تبدو عناصر المقال كالبنية الحية، لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدى بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل فى التفكير والمشاعر.

وتقوم هذه الوحدة فى المقال الصحفى على التفكير الإبداعى النابع من رؤيا الكاتب المقالى فى منهج المقال. وفى الأثر الاقناعى الذى يريد أن يحدثه فى قرائه، وفى الأجزاء التى تندرج فى إحداث هذا الأثر الوظيفى بصفة عامة، بحيث تتمشى مع بنية المقال بوصفها وحدة حية، ثم فى الأفكار والآراء والشواهد التى يشتمل عليها كل جزء، بحيث يتحرك به المقال إلى الأمام لإحداث الأثر الوظيفى المقصود منها، عن طريق التتابع الاستقرائى، وتسلسل الشواهد أو الأفكار، ووحدة الطابع. والوقوف على المنهج على هذا النحو – الذى تعرفنا عليه عند الحديث عن الرؤيا الإبداعية فى مقال طه حسين – يساعد على ابتكار الأفكار الجزئية والشواهد التى تساعد على توكيد الأثر

---

(١) كاتب مقالى كبير مثل طه حسين.
(٢) صحيفة كوكب الشرق فى ١٩٣٤/٤/٢٠.

الوظيفى المراد فى المقال، ذلك أن هذه الرؤيا الإبداعية فى المقال الصحفى، تظهر لنا إدراك الكاتب لمنهجه جملة وفى وضوح قبل الشروع فى الكتابة والتحرير. وهو المنهج الذى يشبه ما قاله ابن طباطبا فى وصف عملية الشعر على الطريقة العربية، إذ يقول: "فإذا أراد الشاعر بناء قصيدته فحص المعنى الذى يريد بناء الشعر عليه فى فكره نثراً، وأعد له ما يلبسه اياه من الألفاظ التى تطابقه، والقوافى التى توافقه، والوزن الذى يسلس له القول عليه. فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذى يرومه أثبته، وأعمل فكره فى شغل القوافى بما تقتضيه من المعانى، على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه، بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله، فإذا أكملت له المعانى، وكثرت الأبيات، وفق بينها بأبيات تكون نظاما لها، وسلكاجا معاً لما تشتت منها.. ويسلك الشاعر منهاج أصحاب الرسائل فى بلاغاتهم، وتصرفهم فى مكاتباتهم، فإن للشعر فصولاً كفصول الرسائل"(١)، وإذا صح هذا المنهج فى الشعر فإنه من باب أولى يصح على منهج تحرير المقال، وهو الأمر الذى يضمن للمقال وحدة محكمة بين عناصره، صادرة عن ناحية وحدة الموضوع ووحدة الفكرة، ووحدة الشواهد التى يتضمنها، ذلك أن المقال الصحفى ليس مجرد سرد للحقائق، ولكنه وسيلة وظيفية للتعبير عن الرأى أو المذهب، أى أن الوحدة فى المقال الصحفى تقضى بها طبيعة الموضوع، ووحدة الأثر الوظيفى الناتج عنه، الأمر الذى يفرض معالجة تحريرية يظهر بها المقال كأنه له وحدة مستقلة بذاتها، وتقضى هذه الوحدة استيفاء كل شاهد من شواهد المقال وكل فكرة من أفكاره فى موضعها المحدد لها من بنيته، قبل الانتقال إلى الشاهد التالى أو الفكرة التالية، وهو الأمر الذى يحققه الترتيب الاستقرائى فى بنية المقال، كما تقدم. ويتفق هذا الترتيب الاستقرائى لعناصر المقال الصحفى مع الترتيب الذى يضعه الباحثون فى الصحافة، ونعنى بالترتيب الاستقرائى ما يسميه " ديكارت" "بنظام الأسباب" الملائم، والذى يعنى السير بالأفكار والشواهد بنظام، فيبدأ المقال بأبسط الموضوعات أوالشواهدويرتقى بالتدريج إلى معرفة أكثر الموضوعات تركيباً، ولكنه يفرض "نظام الأسباب" الديكارتى حتى بين الموضوعات أو الشواهد التى لا تالى بالطبع، وهذا النظام هو الذى يضع إطار الوحدة العضوية فى المقال تشمل البداية والتمهيد والصلب والخاتمة.

(١) محمد بن أحمد طباطبا العلوى : عيار الشعر ص ٥-٦.

وللوحدة أثر فى الشواهد والحقائق المؤيدة للفكرة، إذ تصبح كالبنية الحية فى تحرير المقال، وإذكاء الإقناع فيه، فهى تتعاون جميعا لرسم الصورة العامة للمقال، وتقدمها فيه على حسب المنهج الاستقرائى المقالى فى الإقناع. ولنضرب مثلاً هنا بمقال رئيسى فى "حديث المساء"، وعنوانه: "صراع..." (١) وفيه يصور " الصراع بين القومية المصرية والتسلط الأجنبى"(٢) فى الثلاثينيات، فيبدأ مقدمة المقال بهذه الفقرة التى لا تنفصل عن العنوان:

"بدأ منذ أسابيع – (أى الصراع)، ولسنا نعرف متى ينتهى، ولا كيف ينتهى، وإن كنا نعرف حق المعرفة كيف نريد، وكيف ينبغى أن ينتهى. وهو هذا الصراع بين القومية المصرية، والتسلط الأجنبى. والحق أن هذا الصراع قائم منذ أمد بعيد، ولكنه لم يأخذ شكله الحاد العنيف إلا فى هذه الأيام، كما أنه يم يختر لنفسه ميدانا معينا مرسوم الحدود إلا فى هذه الأيام أيضاً"(٣). ثم ينتقل إلى صلب المقال، فيصل بين التقديم وبين الشواهد: "ففى هذه الأيام ظهر الصراع بين القومية المصرية والتسلط الأجنبى حاداً عنيفاً فى المحاكم المختلطة. وهو قد اختار لنفسه إلى الآن ميدانين واضحين كل الوضوح، محددين كل التحديد. فأما أولهما فرياسة الدوائر، وأما ثانيهما فاصطناع اللغة العربية فى كتابة الأحكام"(٤).

ومن ذلك يبين المنهج الاستقرائى فى بنية المقال، فهو يقسم المشكلة إلى ميدانين واضحين، ويبدأ من "الكلى" إلى "الجزئى"، فالكلى فى تقديم المقال هنا هو "الصراع بين القومية المصرية والتسلط الأجنبى، والجزئى هو ما يتفرع عن تقسيم المشكلة من شواهد، يقوم فيها بإحصاءات شاملة، وفقاً للمنهج الديكارتى، سواء فى الفحص عند الحدود الوسطى أو فى استعراض عناصر المسألة بحيث يتحقق أنه لم يغفل شيئاً. فالمنهج التحريرى فى مقال طه حسين أذن استنباطى استقرائى يضع المبادئ البسيطة الواضحة ويتدرج منها إلى النتائج.

---

(١) كوكب الشرق فى ٢٠ إبريل ١٩٣٤.
(٢) كوكب الشرق فى ٢٠ إبريل ١٩٣٤.
(٣) كوكب الشرق فى ٢٠ إبريل ١٩٣٤.
(٤) المرجع السابق.

وفى المقال المتقدم، يتدرج الكاتب فى استقصاء شواهده، ثم يتدرج فى تصوير الصراع بين القومية المصرية والتسلط الأجنبى، من خلال الشواهد والحقائق التى تؤيد فكرته الكلية التى طرحها فى مقدمة المقال. يقول طه حسين فى صلب المقال:

"أما فى الميدان الأول فكان من حق القومية المصرية أن تنتهى إلى ما تريد فى غير جدال ولا حوار، وفى غير أخذ ولا رد طويلين. فليست هناك موانع من نص القانون تحول بين القضاة المصريين وبين رئاسة الدوائر حين تتاح لهم هذه الرياسة، ولكن القومية المصرية مع ذلك لم تظفر بشىء إلى الآن، والله يعلم متى تظفر بما ينبغى لها من الفوز. والغريب أن امتناع الفوز عليها لم يأت من ضعف القضاة المصريين فى الاستمساك بها ولا من ترددهم فى الذود عنها، وإنما جاء من أن الوزارة التى كان يجب أن تحمى ظهر هؤلاء القضاة قد انكشفت وأسلمت، ولم تستطع أن تثبت فى موقفها، ولا أن تحتفظ بحقها، بل لم تستطع أن تنظم انكشافها تنظيماً ملائماً للحق والكرامة. فقد كان وزير الحقانية يؤيد القضاة كل التأييد، يعلن ذلك فى مجلس النواب ويؤكد ذلك فى مجلس الوزراء، يكتب فى ذلك إلى رئيس محكمة الاستئناف فما هى إلا أن يرد عليه الرئيس رده القاسى المعروف حتى ينكشف عنه زملاءه، ثم ينكشف هو عن القضاه، وإذا الناس يشيعون أنه هم بالاستقالة، وإذا رئيس الوزراء يكذب هذه الإشاعة، وإذا هو يهيئ رده على رئيس الاستئناف، ثم ينتظر بهذا الرد أياماً، ثم يقال أن هذا الرد محص تمحيصاً، ونقح تنقيحاً، وإذا قضية المعاشات تؤجل أشهراً طوالاً وتنقل إلى دائرة أخرى، ثم يرسل رده بعد الأناة والانتظار، ثم تتقدم الوزارة إلى مجلس الشيوخ، فيعلن، رئيس الوزراء الوزير، أن المسألة ستحل بالمفاوضات أى كما رأت الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطة... الخ"[1].

ويخلص من استعراض هذه الشواهد وفق "نظام الاسباب"، بالنسبة للميدان الأول من ميادين الصراع بين القومية المصرية والتسلط الأجنبى، إلى نتيجة طبيعية لتسلسل الشواهد التى ساقها المقال، يقول :

"لم تظفر القومية المصرية إذن بشىء فى هذا الميدان، لا لأن القضاة قصروا، ولا لأن الأمة قصرت، ولا لأن الصحف قصرت، بل لأن الوزارة آثرت أن تتراجع، وأن تختار أيسر الأمرين، واقلهما كلفة وابعدهما عن الجهد والعناء، وأضمنهما للراحة والسلام وطول البقاء" [2].

(١) كوكب الشرق فى ٢٠ إبريل ١٩٣٤.

(٢) كوكب الشرق فى ٢٠ إبريل ١٩٣٤.

ثم ينتقل من هذه الخلاصة، إلى القسم الثانى من "المشكلة"، مرتقياً بمقاله تدريجياً إلى معرفة أكثر الموضوعات تركيباً، من خلال نظام الأسباب الذى يصل بين أجزاء المقال : "وأما فى الميدان الثانى فمن حق القومية المصرية أيضاً أن تنتهى إلى ما تريد من غير حوار ولا جدال ومن غير أخذ ولا رد، وأكبر الظن أنها تنتهى إلى ما تريد، لا لأن الوزارة ستثبت فى الذود عنها أكثر مما تثبت فى الميدان الأول، بل لأنها ليست فى حاجة إلى أن تؤيدها الوزارة، وإنما هى فى حاجة إلى أن يؤيدها القضاة المصريون، ولم يعرف أحد عن القضاة المصريين إلى الآن أنهم بخلوا على قوميتهم بالنصر والتأييد مهما تكن الظروف. ذلك أن القوانين صريحة فى أن لغة القومية المصرية احدى اللغات الرسمية للمحاكم المختلطة، وقد أراد أحد المستشارين المصريين الأستاذ عبد السلام ذهنى بك أن ينفذ نص القانون، فكتب أحكاماً باللغة العربية، وليست هناك قوة تستطيع أن تحول الأستاذ المستشار وزملاءه عن رأيهم إلا أن تكون هناك قوة تستطيع أن تلغى القانون أو أن تغيره، أو أن تحمل القضاة على ألا ينفذوه حملاً.

"وإذن فالقومية المصرية ظافرة من غير شك فى هذا الميدان إلا أن تتكشف الأيام والحوادث عن بعض ما تتكشف عنه فى هذه الظروف البديعة من الأعاجيب..الخ".

وينتهى من تسلسل هذه الشواهد إلى سوق رأيه فى هذه المسألة:

"على أننا نعتقد أن الصراع بين اللغة العربية واللغات الأجنبية فى المحاكم المختلطة لا ينبغى أن تنتهى عند الحد، بل ينبغى أن يتسع ميدانه، ويخيل إلينا أن المستشارين ليسوا إلا قادة فى هذا الصراع. ولابد من أن يتبعهم غيرهم، فيجب أن تكون اللغة العربية أداة عملية لا لكتابة الأحكام فحسب، بل للمرافعات أيضاً يجب أن يخاصم المحامون المصريون والشرقيون باللغة العربية. ويجب أن تخاصم النيابة باللغة العربية أيضاً. ثم لا ينبغى أن يكون هذا مقصوراً على محكمة الاستئناف، بل يتجاوزها إلى المحاكم الابتدائية. فيجب أن تكتب أحكام وأن تكون مرافعات باللغة العربية فيها. ومادام القانون الذى لا سبيل إلى الخروج عليه يقر اللغة العربية على ما يراد لها من الحق، فنحن واثقون بأن رجال القضاء، والنيابة، والمحاماة من المصريين والشرقيين لن يبخلوا على لغتهم بهذا الحق ولن يقصروا فى الذود عنه حتى تفرض هذه اللغة على المحاكم المختلطة فرضاً".

هذا، وقد يستهل المقال بعنصر "الشواهد" المشتقة من الواقع، والمعتمدة على الأخبار والماجريات، والتقارير الإخبارية، وفى هذا النمط من أنماط التحرير للمقال الافتتاحى فى الصحافة العربية الحديثة، إلى أن يصبح "أخبارياً فى جوهره، بمعنى أن ما فيه من رأى ومن توجيه ومن ترفيه يعتمد على الأخبار وتفسيرها واستغلالها فى تأييد رأى سياسى أو آخر. على أن هذا النمط الإخبارى فى تحرير المقال الصحفى، يرتبط ارتباطاً وثيقاً كذلك بقواعد المنهج الديكارتى، الذى يعتمد على تقسيم المشكلة ما وسعه التقسيم طلباً للوضوح، ولذلك يضع المبادئ البسيطة الواضحة، التى يشتقها من التقارير الإخبارية، ويتدرج منها إلى النتائج.

فن العمود الصحفى.

ويجئ فن العمود الصحفى فى مكانه من الجانب المقالى الذى احتل حيزاً كبيراً من الصحافة لما يمتاز به من وصف واقعى ورجوع إلى مصادر الأنباء، وأسلوب صحفى اجتماعى بسيط، فضلاً عن تنوع أساليب التحرير فى المقال.

وعلى الرغم من تنوع أن لفن العمود الصحفى فى الجريدة اليوم منزلة الباب الصحفى الثابت فى العالم، وعلى الرغم من أن عدد قرائه يزيد كثيراً على عدد قراء الافتتاحية غير الموقعة، فإن تكامل العمود وشعبيته حديث عهد نسبياً. ذلك أن الصحف اهتمت فى حياتها بالخبر ثم بالمقال، بينما لم يتسع المجال للعمود الصحفى فلم يظهر إلا متأخراً، وإذا جاز أن يختار تاريخ لظهور أهمية العمود الصحفى فى الصحف، فإن من المرجح أن يكون ذلك التاريخ منحصراً فى أوائل القرن العشرين. فالصحف العربية والمصرية خاصة، كانت تعتمد على المقال الافتتاحى، الذى كان طويلاً فى البداية، ثم أخذ يقصر شيئاً فشيئاً، كما كانت موضوعات هذا المقال تدور حول موضوعات جادة فى أغلب الأحيان، وإن كانت تتناول أحياناً بعض الموضوعات الطريفة. غير أن الصحف المصرية قد أخذت عن الصحافة الغربية فن العمود الصحفى، الذى يتجه فى أوائل العشرينيات إلى العمود المتخصص، أو الثقافى فى "حديث الأربعاء".

ومن ذلك يبين أن ظهور العمود الصحفى فى الأدب العربى الحديث، يعكس حاجة التجاوب بين الصحافة وطبقات الشعب المصرى بعد ثورة ١٩١٩، والتى دفعت الكتاب إلى أنحاء من التصوير والتعبير يطمحون إلى أن تكون "مرآة صافيه صقيلة لحياة الشعب، يرى فيها الشعب نفسه فيحب منها ما يحب ويبغض منها ما يبغض، ويدفعه حبه إلى التماس الكمال، ويدفعه بغضه إلى التماس الإصلاح".

والعمود المقالى إذن، ثمرة من ثمار الروابط الثقافية والاجتماعية، التى ظهرت بظهور الترابط الاجتماعى متعدد الوجوه، وتجاوب الصحافة مع الطبقات الجديدة فى المجتمعات المختلفة. وهو كما يقول طه حسين يحقق الصلة بين "الشعب وحياته الواقعة العامة، وهذه الحياة الواقعة" شعبية أو تريد أن تكون شعبية لا يستأثر بها فريق من الناس دون فريق.

وفى ضوء هذه الرؤيا، تتعدد أذواق قراء الصحف ومشاربهم ومستوياتهم، طبقياً واجتماعياً، واقتصادياً وثقافياً، وفى مواجهة هذه الحياة الواقعة الجديدة ليس للصحافة بد من أن تتطور وتغير من أسلوب تحريرها واختيار موضوعاتها، فاتجهت المقالات إلى الاهتمام بمصالح الأفراد والجماعات المتعددة المذاهب والاتجاهات والأهداف.. ونشأ عن هذا الاتجاه: المقال الافتتاحى القصير ثم فن العمود الصحفى تفاعلاً مع الصحافة الحديثة.

ولكن هذا الفن يرتبط بما اتصف به النصف الأول من هذا القرن فى نهايته من عامل السرعة من جهة، وبالضغوط التى تعرضت لها الصحافة المصرية، كما يبين من التشريعات الخاصة بالنشر من جهة أخرى، بحيث أصبح المقال الموقع فى الصحف اليومية فى مواجهة ضغوط لا تتبع كلها من داخل صناعة الصحف وإنما تنبع من عمال الرقابة الإدارية على الصحف كذلك. ولعل فى هذا ما يفسر اتجاه فن العمود إلى التوسل بالرمز، لمواجهة المصادرة التى فرضت على الصحف والكتب، وهنا نجد **طه حسين** – مثلاً – يكتب **"جنة الشوك"** وينشرها على شكل عمود فى "الأهرام" فى الأربعينيات قبل جمعها فى كتاب ينشر لأول مرة عام ١٩٤٥. وظل هذا العنوان اسماً لعموده الصحفى "الجمهورية" فى الستينيات.

ومقال العمود حديث شخصى يومى أو اسبوعى لكاتب معين يوقعه باسمه وتحت عنوان ثابت مثل **"فكرة"** لمصطفى أمين بالأخبار، والتى كان يكتبها من قبل المرحوم على أمين، و**"مواقف"** لأنيس منصور بالأهرام و**"مجرد نصيحه"** لصلاح منتصر بالأهرام و**"من قريب"** لسلامة أحمد سلامة بالأهرام، و**"صندوق الدنيا"** لأحمد بهجت فى الأهرام؛ **ونصف عمود** لأحمد رجب فى أخبار اليوم و**"الموقف السياسى"** لإبراهيم سعدة فى أخبار اليوم.

والعمود الصحفى يمثل فكرة أو رأياً أو خاطراً للكاتب، حول واقعة أو ظاهرة اجتماعية، أو سياسية أو ثقافية. ذلك أن الغاية الأساسية من هذا الفن المقالى هى ربط القارئ بالكاتب وبالصحيفة. ويعتبر العمود رأياً شخصياً للكاتب قد يختلف مع سياسة الصحيفة فى موضوع معين، غير أن بعض علماء الصحافة مثل "ليبلنج" يذهبون إلى أن كاتب العمود لا يختلف عن كاتب المقال الافتتاحى، لأنه يعرض وجهة نظر الصحيفة لا وجهة نظره هو، على أن معظم الصحف الكبرى فى العالم تؤثر أن يكتب الكاتب بحرية كافية معبراً عن رأيه الشخصى.

فالقارئ لعمود **أنيس منصور**: "مواقف" يتمثل قول ابن العميد فى الجاحظ؛ وكأنه يقصد بذلك صاحب "المواقف" حين "يعمل العقل أولاً والأدب والسياسة بعد ذلك". وهو بذلك يوظف المقالة الأدبية، لمقتضيات العمود الصحفى على النحو الذى يجعلنا ندرك ما يعنيه أستاذنا د. **زكى نجيب محمود**؛ حين قال إن المقالة الأدبية يجب أن تصدر عن قلق يحسه الأديب مما يحيط به من صور الحياة وأوضاع المجتمع. على شرط أن يجئ السخط فى نغمة هادئة خفيفة، هى أقرب إلى الأنين الخافت منها إلى العويل الصارخ، وهى سخط مصطبغ بفكاهة لطيفة؛ وليس سخطاً مما يدفع الساخط إلى تحطيم الأثاث وتمزيق الثياب.. كما يشترط فى المقالة أن تكون على غير نسق من المنطق، أن تكون أقرب إلى قطعة مشتقة من الأحراش الوحشية منها إلى الحديقة المنظمة، فلا نقط فيها ولا تبويب ولا تنظيم"(١).

وهذا التعريب للمقالة الأدبية؛ يفيدنا بصفة خاصة حين ننظر فى المقال العمودى أو العمود الصحفى - الذى يزداد شيوعاً كلما شاعت الصحافة. ولكن هذا التعريف - كما يقول العقاد - لا يحصر جميع المقالات الأدبية، ولا يصدق جميع الفصول التى تكتب فى خبر المقالة المستقلة. فالكلمات التى تطلق على المقالة فى اللغات الأوروبية توشك أن تفيد كلها معنى المحاولة والمعالجة فكلمة Essay وكلمة Sketch وكلمة Treatise بل كلمة Study وهى تترجم أحياناً بمعنى الدراسة لا يعدو أن يكون القصد منها فى بداية وضعها أن تفيد معنى المحاولة التى يعوزها الصقل والإنجاز وكلها مستمدة من أساليب معامل النحت والتصوير، يريدون بها الرسم الذى

(١) د. زكى نجيب محمود : جنة العبيط، دار الشروق ص ٨-١١.

يخطط الصورة قبل تلوينها، أو النموذج الذى يُصب التمثال على مثاله، وينقلونها إلى الموضوعات الأدبية على سبيل الاعتذار لا على الاشتراط، كأنهم يتقون نقد الناقد بهذه التسمية، فلا يحاسبهم على كتابتهم بحساب العمل المتمم الذى استوفى نصيبه من الإتقان. وكلمة Article وهى أبعد قليلاً من الغرض تفيد معنى الفاصلة أو الجزء، ويقابلها عندنا (الفصل) الذى يستقل بموضوعه، ولا يشترط فيه أن يكون فصلاً فى كتاب مطول تتممه فصول.

ويخلص العقاد إلى أن هذه المعانى لا تستوعب أغراض المقالات كلها فى الكتابة الأوربية أو فى الكتابة العربية، فمقالات "باكون" و"ماكولى" و"أرنولد" و"سان بيف" ليست كلها من هذا القبيل، بل مقالات "وليام هازليت" نفسه على إسهامه فى أدب المقالة كما يعرفها د. زكى نجيب لا تجرى كلها على هذا النسق، وفيها ما هو أشبه بالبحوث والرسائل فى حيز صغير وأن البحث لا يشترط أن يكون كتاباً ضخماً أو كتابا صغيراً فى عدد من الصفحات، فإذا جاز أن يتم البحث فى حيز مقالة فليس ما يمنع انتظامه فى عدد المقالات(١). وفى موضع آخر يذهب العقاد إلى أنه ليس "من اللازم أن تتوافى المقالات جميعاً على السنة الشائعة فى عرف النقاد والقراء، ففى غير النمط الشائع مجال للخصوصيات المنفردة على حسب القرائح والطبائع والموضوعات"(٢).

والكتاب العموديون فى الصحافة العربية المعاصرة يمثلون ما وصلت إليه المدرسة الحديثة من ترسل صحفى يتسم بالبساطة والوضوح وحرية التعبير القائم على التعقيل الصحيح. ونجد منهم من يأخذ نفسه بموضوع سياسى معين لا يحاول الخروج عنه، بحيث تقترب مقالاته العمودية فن "أديسون" الذى جمع بين الفلسفة العقلية وإجازة الأسلوب الصحفى، فى حين تقترب البعض الآخر مثل أنيس منصور من فن "مونتانى" الذى يجعل العمود الصحفى قريباً من القصيدة الغنائية؛ وفى عمود **"سلامة أحمد سلامة"** "من قريب"؛ و**"إبراهيم سعدة"**: "آخر عمود" و**"صلاح منتصر"**: "مجرد رأى" نزوع إلى التحليل؛ والاعتماد على تذوق الحوادث اليومية، والشواهد العملية؛

(١) عباس محمود العقاد: "أدب المقالة" فى مجلة الرسالة ع٧٨٧ بتاريخ ٢ أغسطس ١٩٤٨؛ د. عطاء كفافى: المقالة الأدبية ووظيفتها فى العصر الحديث؛ القاهرة ١٩٨٥، ص١١.

(٢) العقاد: فرانسيس باكون ص٣٥٢، عصر العقاد ص ٢٥٠.

ويتجه أحمد رجب؛ ومحمود السعدنى وأحمد بهجت نحو توظيف المقال الكاريكاتيرى الأدبى لأغراض فن العمود الصحفى؛ حيث يفترض الكاتب الساخر دائماً وجود "الآخر" الذى يسخر منه؛ أو يشترك معه فى السخرية، أو يتبادل معه النكتة؛ ولكنه يوظف هذه السخرية لأداء وظائف الصحافة فى اتخاذ السخرية سيفاً مسلطاً تسلطه على رقاب الخارجين على المعايير العامة.

و**"روح الفكاهة"** هى السمة الرئيسية لأعمدة هؤلاء الكتاب، الذين يوظفون العمود الصحفى للسخرية اللاذعة والضحك الموجع من الخارجين على قوانين المجتمع؛ والكاتب الساخر وهو بفعل ذلك يصدر عن الشخصية المصرية فى اتخاذها لسخرية وسيلة للنقد والإصلاح بالنسبة إلى المجتمع المصرى ذاته؛ ذلك أن الضحك – كما يقول برجسون – وسيلة فعالة لتصحيح أو تعديل تلك الآليات الضارة التى تنطوى عليها حياتنا الاجتماعية العادية بإظهارنا على ما فيها من سخف وعبث وتفاهة.

ولذلك نرى أن مقالة العمود الصحفى؛ أقرب فى كتابتها إلى ما يسميه العقاد بنمط "المناجاة والأسمار" - وأحاديث الطريق بين الكاتب وقرائه، وأن يكون فيها لون من الإفضاء بالتجارب الخاصة والأذواق الشخصية"[(١)].

على النحو الذى يقترب بفن العمود من فن الشعر أو القصيدة الغنائية؛ ومن ذلك فى عمود **"شوارد"** الذى يكتبه المؤلف فى ملحق الجمعة بجريدة الأهرام بتوقيع مستعار **"سندباد"**:

---

(١) العقاد : فرنسيس باكون، المجلد ١٩ من المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد، دار الكتاب اللبنانى ١٩٨١، ص٣٥٠، فن المقال الصحفى فى أدب العقاد؛ هيئة الكتاب.

شوارد

الغريب [1].

١ - فى هذه المدينة
نموت فى الصباح والمساء
مرتيْن
وربما نضيع
نصير تائهيْن
وفى المساء عندما نعود
بالهموم مثقليْن
نريد أن تضمنا البيوت
بحسرة نموتْ
لأننا سحاب
رغم أنفه يسير
لأنه فى مثلنا طريد

* * *

نسجت من قصائدى
البيوتْ
تعيش فى القلوب تزرع
السلام
وتزرع الحنين
لكنها لا تمنح الجياع
كِسرة الطعام
لأننا نحبَ

(١) جريدة الأهرام - ملحق الجمعة عمود شوارد - ١٩٩٧/١١/٧.

نموت مرتيْن
فصدر هذه المدينة
يضيق قلبه
بالوافد الغريب.
يعيش فى أسوارها كما
الغريق
وفى المساء نلتقى ونشرب
الدخان
فى "قهوة" صغيرة
من غير ما جدران
نظل للصباح شاربيْن
لأن قلب هذه المدينة
يضيق بالغريب حتى لو
أحيل اثنيْن..
يضيقُ بالغريب يلفظ
الغريب.
لكنّ بسمتى ضياء
يبدد الظلام فى المدينة
إذ تضج بالصراخ والعويل
والكلام
٢ - بعيداً.. بعيداً
وعبر خطوط المحال
وعبر حوار الخيال
سألقاك يوماً
وأمنح روحى الظلام

وأنسى دروب الضلال
وأزرع يوماً بنفسى
أمانى الرجال
برغم ظلام الخريف
تمزق نفسى بحزن أسيف
سيمضى سيزيف
وروحى تعانق روح
الخميلةْ
تريني اللحون الجميله
وشدو الليالى وعطر
الطفوله
تغنى أغاريد شعبى
وتقرأ مثلى
بكف الزمان أمانى الرجال
ويولد مثلى
ويحمل عمراً كأعلى الجبال
ويقهر سوط المحال
ولن أذرف الدمع يوماً
لأنى بدأت وحيث انتهيتْ
ولكنْ سأحلم أحلم
أنى أعانق سر المحال

"سندباد"

حلم إيزيس (١)

فى الأرض والسماءْ
وحينما تصطخب الأمواهْ فى الضياءْ
تجئ فى ثيابها
الوضاءْ
وتعلن الأنباءْ
فتمسح الدموع من
عيون حبّها المقهورْ
يعانق الأمواه شوقها
المهجورْ
وترتعد الغابات
تزيد البحور
لأجل حزنكِ الكبير
يا إيزيس
لأجل حبّك المقرورْ
تذوب كلّ قطرة فى
وجهك المسحور
وفى معالم السطور
يجيئك العصفور
مُحمّلا بأسعد الأنباء
توحدّ الشطآنْ
تحتفل المياه من جديدْ
بعيدها الذى يشعّ من
بعيد
تعانق الصفاء فى
السماء
تعانق الإسلام
حلمك الوحيد
يا إيزيس

(١) جريدة الأهرام الجمعة ١٤/١١/١٩٩٧.

عيون إيزيس

عيون إيزيس التى
تعوم فى بحر
بلا أعراف
تجوبُ فى أمواهها
مرآة كل القادمين
من قبل أن يلازموا
سفائن الشموس
مسافرين للنهار
لا وجه للسكون
لا ضفاف
والذكريات حولهم تطلّ
من بعيد
كأنها المجداف
عيون إيزيس أيا عيون
إيزيس
عيون أيْزيْس وطن
عيون أيزيس زمن
وفى سفائن الشموس
تحيط بى أمواجها
وأركب الضياء
وفى عيونها الظليلة
السّوادْ
أرى بها عاشقة النهار
حين تغزل الثياب
للعاشق العظيم

"سندباد"
عبد العزيز شرف

وإذا كان د. نجم يذهب إلى أن المقالة الأدبية "قطعة نثرية محدودة فى الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق. وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب"(١). فإننا نرى فى هذا التعريف ما يصدق على فن "العمود" الصحفى؛ الذى اكتسب من خصائص المقالة الأدبية : "الإيجاز فى كتابتها، وتجنب الإطالة، والبعد عن التوغل فى البحث عن الظواهر، وعرض التفصيلات وإيراد الاستقراءات الدقيقة لجزئيات الموضوع وترتيبها للوصول بها إلى نتائجها كما هو الشأن فى تأليف الكتب وكتابة المباحث العلمية"(٢). ولذلك يشعر قارئ العمود "الصحفى، نحو المقالة وكاتبها أنه تجاه حديث ممتع لمحدث لبق يستهويه بُحسن عرضه، فكتابته للمقالة من نوع التعبير الوجدانى عما يعرض له من مشاهد الحياة ومواقف الأحياء. ويذهب د. كفافى إلى أن التعبير الوجدانى فى المقالة الأدبية ليس مضاه حصر موضوع المقالة فى الكاتب نفسه، ولكن المراد أن ما يعرضه الكاتب فى المقالة إنما يعرضه من خلال رؤيته الخاصة وطابعه المميز عمن سواه من الكتاب. ومن التجارب الفنية فى المقالة الأدبية، ما هو ذاتى محض، ومنها ما يتجاوز حدود الذاتية الخاصة بالكاتب إلى آفاق عامة: إنسانية أو اجتماعية أو دينية أووطنية ينفعل بها الكاتب انفعالاً صادقاً لا تزييف فيه ولا تقليد، كما ينفعل بها الشاعر فى شعره والقاص فى قصصه(٣). وكلما وجدت الكاتب أدنى إلى أن يحدثك عن تاريخ نفسه فيما يكتب - كما يقول د. زكى نجيب محمود - إبن رأتيه "يرسل الخواطر إرسالاً هيناً فيستشف منها ما وراءها من حالته النفسية فاعلم أنه قد أجاد، أما إن وجدته يعالج موضوعاً لا يتصل بمكنون نفسه، ويعنى بتنظيمه وثبوته كما ينظم البحث العلمى فاعلم أنه عن الجودة بعيد".

ويجمل د. كفافى عناصر المقالة الأدبية الرئيسية فى : صدق إحساس الكاتب؛ والأصالة بمعنى التعبير عن التراث، ووجهة نظر خليقة بالتأكيد وجمال التعبير، ثم قوة الإثارة أو الإمتاع. وهى العناصر التى تكسب المقال "العمودى" أدبية؛ بين فنون المقال الصحفى.

(١) د. محمد يوسف نجم : فن المقالة، بيروت، ١٩٥٧، ص٩٥.
(٢) د. عطاء كفافى : السابق ص١٢-١٤.
(٣) نفسه، ص١٤.

شوارد

فى ذكرى الحكيم

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: فى مثل هذه الأيام رحل عن عالمنا "حكيم الأدب العربى" ومع توفيق الحكيم تتجدد الذكريات، والذكريات ذات شجون!

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: حسبك يا بنى أن تفخر بأنك عشت "عصر الحكيم".. كما يفخر تلاميذ "سقراط" بأنهم عاشوا "عصر سقراط"! وكلاهما عانى من أساليب الحرب النفسية؟ صناع الشائعات! ولتقرأ قول الحكيم عن "شخص الفنان" فنجد فيه تعبيراً كامناً يؤكد ما أقول: "اذكر أنى فى مستهل العمر تمنيت لو أن كان الاولى بى أن أكون على الأقل فنانا – ولكن الحياة جرفتنى فى نهرها الضيق!..

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: كم من الفنانين استطاع أن يحتفظ بقيمه العليا رغم حصار شياطين الحرب النفسية!

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: فى حديث الحكيم ما يغنيك، حيث يقول: "قرأت يوماً لأحد الأدباء الغابرين هذه العبارة : حبذا لو قرأ الناس مؤلفاتى كما لو كانت وجدت داخل زجاجة مختومة ملقاة بين أمواج اليم!.. هذا أديب يتمنى أن]لقى إلى الناس بإنتاجه، ولا يلقى إليهم بشخصه!..

ويصرح لنا الحكيم أن هذه كانت خطته دائماً فى مطالعة أثار الفن! وكان يتجاوز مقدمات الكتب بالتخطى إلى العمل ذاته، ويقول: "انى لا أعرف شيئاً كثيراً عن حياة شكسبير ولم أعن بالنظر فى حياة الفردوسى أو الجاحظ.. ولم أحاول أن أقرأ حياة جوتة أو موليير. كل هؤلاء تغذيت بكثير من إنتاجهم – قبل أن أعرف من هم – بل لقد منعت نفسى منعاً صارماً عن قراءة حياة "فاجنر" بقلمه، وهى فى ثلاثة أجزاء ملأى بالطريف الغريب، ولم تهزنى حياة بتهوفن ولا حياة موزار. ولكنى حفظت الكثير من موسيقاهم عن ظهر قلب! إنى أريد أن أكتشف الكنوز بنفسى، ولا أريد غوصاً معى يخنق أنفاسى، أو دليلاً يقودنى حسب هواه!

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : ولكن كيف يستطيع الناس أن يقدروا الأثر الفنى دون أن يعرفوا صانعه حياة وفكراً وسلوكاً واتجاهاً وبيئة؟!

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: فاقرأ إذن قول الحكيم: "لو علمت كيف يكتب التاريخ لألقيت فى هذا البحر بكل كتب التراجم ثق أنه ليس اصدق من "الأثر الفنى"

وحده.. هو صورة الفنان التى لا تشوه.. هو روحه المنطلق من جوف ردائه الدنيوى.. هذا الرداء الذى لا يستطيع الناس أن يتقولوا فى تفصيله.. بما شاء لهم تحمسهم أو إغراقهم.. العمل الفنى.. هو وحده الذى يحلق فوق الأجيال حراً سليماً، بعيداً عن أيدى العابثين.. هنا حرية الفنان التى ليس له حرية سواها..". رحم الله الحكيم، فقد بقيت أثاره علماً على نهضة الأدب العربى الحديث.. وفى ذكراه يتجدد الدرس الذى علمنا إياه :. عش لا إنساناً صحيحاً، لتستطيع بعد ذلك أن تفكر للناس تفكيراً صحيحاً!.

"سندباد"

عبد العزيز شرف

ومن أجل ذلك يذهب العلماء إلى أن خصائص العمود من حيث التعبير تشمل : جمال الأسلوب وروح الفكاهة والذاتية التى تميزه عن المقال الافتتاحى؛ واتخاذه شكل الهرم المعتدل فى الصياغة والإيجاز فى العبارة، وربما كان أهم من ذلك كله أن كتاب العمود الصحفى ينبغى لهم ألا يضيعوا من وقتهم ومن وقت القراء - على حد تعبير ريفرز- فى تقديم قضية من القضايا بطريقة القصة الخبرية، ثم يلصقون فى نهايتها فقرة قصيرة من المدح، أو القدح.

ثالثاً: فن اليوميات الصحفية:

يقترب فن اليوميات الصحفية من روح العمود الصحفى من حيث التعبير عن خوالج النفس وروح المذهب الذى يعتنقه الكاتب، ونظرته إلى الحياة، حيث يسجل فى هذا الفن المقالى خواطره المتناثرة التى تؤثر فى القارئ، وهى خواطر تتصل بصلات من العاطفة أو الخيال، ذلك أن فن اليوميات يتضمن خاطراً يلحق خاطراً ويتبعه - لا لأن بينهما علاقة منطقية كالتى تأتى بالنتيجة وراء سببها بل لأن هذين الخاطرين مرتبطان فى خيال الكاتب أو يتصلان بعاطفته، كما يذهب إلى ذلك "تشارلتن".

فكاتب اليوميات الصحفية يكتب "وكأنه يتحدث فى سمر حديثاً مطلقاً من كل قيد، فيدع الخواطر يسوق بعضها بعضاً بما بينها من روابط تستدعى تتابعها وتداعيها دون أن يعمل فى ذلك عقله ومنطقه لينظم الترتيب والسياق.. هكذا بدأ مونتانى أدب المقالة على وجهه الصحيح".

ويذهب بعض علماء الصحافة إلى أن المحرر الصحفى ينبغى أن يترك آراءه الخاصة عند باب غرفة التحرير، ويخلعها دائماً كما يخلع معطفه عند هذا الباب حتى

إذا ما انتهى عمله، وعاد إلى معطفه عادت إليه آراؤه الخاصة التى يمكنه أن يحتفظ بها لنفسه، غير أن هذا الرأى لا يمكن أن ينطبق على كاتب اليوميات بصفة مطلقة، وذلك ـ كما يقول الدكتور إمام ـ لأن اليوميات أشبه بالمقال الأدبى من بحث العناية باختيار الألفاظ والاحتفاظ بطلاوة الأسلوب، بل لعلها أقرب إلى مقالات الاعترافات بصفة خاصة، فهى تقدم صوراً نابضة بالحياة، زاخرة بالمعانى، وهى تتطلب سيطرة تامة على اللغة والتعبير بالأسلوب السهل الممتنع، ولاشك أن طواعية اللغة لا تتيسر إلا للعارفين بها، والقادرين عليها. على نحو ما نجد فى "**يوميات الأخبار**" التى كان يكتبها **العقاد** رحمه الله؛ والتى لا يزال يكتبها نخبة من الكتاب من أمثال: **محمد مصطفى غنيم، وسناء فتح الله، وإسماعيل النقيب، وجمال الغيطانى وعبد الرحمن الأبنودى؛ ووجيه أبو ذكرى**، وكما نجد فى "**مفكرة**" الأهرام التى كان يكتبها حشد من الأدباء والمفكرين من أمثال: **عبد الرحمن الشرقاوى ـ ثروت أباظة ـ زكى نجيب محمود ود. يوسف عزالدين عيسى. وسعدالدين وهبه.**

وفى مقالات "**اليوميات**" بالأخبار، و"**المفكرة**" بالأهرام، يبين لنا أن فن اليوميات الصحفية إنما يتلخص فى أنه يتناول الفكرة والأداء فى وصل جماهير الناس بالحضارة ومعطيات العصر: آرائه وأفكاره وأدواته وآلاته وتشوقه وتطلعاته، عن طريق تطويع اللغة لمعطيات الحضارة.

بناء المقال:

وإذا كنا نتفق على أن التحرير بكافة أنواعه يقوم على "التفكير" و"التعبير" معا؛ فإننا سوف ننظر إلى ما يشيع فى تعريف المقالة منذ "جونصون" واعتبارها "ثروة عقلية لا ينبغى أن يكون لها ضابط من نظام"؛ نظرة مغايرة؛ ربما تتفق مع "جونصون" نفسه؛ إذا اعتبرنا ما يقوله ينبع من "النظام النسبى" إذا جاز التعبير؛ قياساً إلى الفنون الأدبية الأخرى للتمييز بينها؛ وإذا نظرنا إلى تعريف "جونصون" أيضاً؛ على أنه يريد للنظام فى المقالة أن يتجاوز نفسه؛ حتى ليبدو فى سياق غير منظم؛ لا يجرى على نسق معلوم؛ ذلك أن عنصر "التفكير" فى التحرير المقالى؛ يختط له التنسيق الملائم؛ النابع من الرؤيا الإبداعية للكاتب نفسه؛ ومن طريقة "تفكيره" المتميز بها؛ وهى الطريقة التى تؤكد أنه لا يكفى أن يكون هناك خاطر فى المقالة، بل لابد من ملاحظة

النظام فى كيفية إيضاحه؛ إذ لا جلاء بدون تنسيق أو كما يقول عمر الدسوقى – فلابد قبل الكتابة من "وضع رسم ولورءوس أقلام، فإنه إذا لم يوضح الرسم يرتبك الذكى ولا يعرف كيف يبتدئ وكذلك يدخل فى تفاصيل مملة، ويضيع المسألة المهمة، ويصير مظلماً كلما اجتهد فى الإيضاح. ومن أين له أن قارئيه يصبرون إلى أن يعود ليهتدى سبيله؟. وفى الكتابة القصيرة لا يستغنى البتة عن هذا الرسم، ولكن العادة تجعله مصوراً فى الذهن على الفور، وكيف كان ففى التنسيق ثلاثة أمور ضرورية : وحدة الموضوع، وتلاحم الأجزاء، واستقلالها التدريجى".

فعنصر "التفكير" إذن – فى التحرير المقالى يؤدى إلى البناء الداخلى فى المقالة؛ وفقاً لنظام نابع من رؤيا الكاتب الإبداعية؛ ولذلك يرى النقاد أن كاتب المقالة ملزم بالتفكير فيما يريد أن يكتب قبل أن يتناول القلم؛ ثم يسير موضوعه سيراً منطقياً متجنباً الفضول، ومركزاً فكره فى النقاط الرئيسية، على أن يكون لموضوعه وحدة تربط بين أجزائه، وأن يكون واضحاً فى تعبيره، منتخباً لكلماته، ولأسلوبه طلاوة، وعليه جمال.. فضلاً عن تنسيق الأفكار(١) الذى يعد شرطاً أساسياً من شروط الاتصال المؤثر.

ولذلك نذهب مع الأستاذ عمر الدسوقى إلى أن هذه الشروط ليست هى شروط الإنشاء المدرسى. وشتان بين هذا وبين المقالة الأدبية، فإن الفكرة التى يراد التعبير عنها سواء كانت فى نفس طالب مبتدئ أو كاتب نابغ محتاجة إلى الوضوح، وإلى التمهيد، ثم عرضها عرضاً جيداً منطقياً يفهمه القارئ بيسر، لا أن تكون مشعثة غامضة تسير على غير اتساق ونظام، فإن ذلك يعوق عملية الاتصال ولايتفق مع جوهر البلاغة نفسها.

﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(١) د. عطاء كفافي : السابق ص١٢.